

تذكرة السالكين

بذكرهم في تجميع وشعر

تأليف

الشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى المحسني

اليسمني القصبغايني

الترجمة ١١٢١ هـ

تحقيقه

كاميل سلمان الجبوري

الجزء الثاني

دار المشرق العربي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِذِكْرِ مَنْ فِي تَشْيَعٍ وَشِعْرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِذِكْرِ مَنْ فِي تَشْيِيعِ وَشَعْرِ

تَأْلِيفَ

الشَّهِيدِ ضِيَاءِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ

الْيَمِينِيِّ الصَّنَعَائِيِّ

المتوفى سنة ١١٢١ هـ

تحقيق

كاميل سلمان الجبوري

الجزء الثاني

دار المشرق العربي

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠م - ١٩٩٩م

جميع الحقوق من أي نوع كانت محفوظة
لدار المؤرخ العربي، طبقاً للقوانين المرعية الأجراء،
ولا يحق لأية جهة إعادة طبع أو اقتباس هذه النسخة إلا بترخيص منها.

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان - صرب: ١٢٤/٢٤ - تلفاكس: ٨٢٠٨٤٣
هاتف خليوي: ٣/٨٩٠٨٢٠

الرئيس، مؤيد الدين، فخر الكتاب، أبو إسماعيل، الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الأصبهاني المنشيء الكاتب، الشاعر الشهير بالطفرائي(*) .

فاضل سبق في الحلبة، وتحكّم في الأفق فنظم ونشر شهبه، له الإنشاء المنشئ الحلال، والشعر الذي ما ترك بهجة للهِلال، حقق ببلاغته خدمة السيف للقلم والموت ولا شيء يعادله، كما قال ابن الرومي: «ما زال يتبع ما يجري به القلم في الأمم» لاميته أحسن من لامية العذار، وإذا كان الشعر عوراً فهي جوهر البحار، وهو أحد مشاهير الكتاب الكملا.

قال الصلاح الصفدي في: «الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم»: إنه كان وزير السلطان مسعود بن مالك شاه السلجوقي، ثم سرد مناقبه وقال: إنه ممن ظفر بسرّ الكيمياء.

(*) ترجمته في:

وفيات الأعيان ١٨٥/٢ - ١٩٠، معجم الأدباء ٥٦/١٠ - ٥٧، أمل الأمل ٩٥/٢، الطليعة - خ - ترجمته رقم ٨٠، أعيان الشيعة ٧٦/٢٧ - ٨٨، أدب الطف ٢٧/٣، هدية العارفين ٣١١/١، تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ٢٢٣، الكنى والألقاب ٤١٤/٢، روضات الجنات ٢٤٧، شذرات الذهب ٤١/٤، وللدكتور علي جواد الطاهر كتاب عنه طبع ببغداد سنة ١٩٦٣، وله ديوان شعر بتحقيق د. علي جواد الطاهر ود. يحيى الجبوري طبع ببغداد سنة ١٩٧٦.

قال: وروى أنه ألقى المئثال من الأكسير على ألف مئثال فعاد شمساً أو قمرأ، لكنه قال من قطعة له:

ولولا ملوك الحور أصبحت والحصى بكفي أنى شئت در وياقوت

وذكره ابن خلكان فقال: كان غزير الفضل، لطيف الطبع، فاق أهل عصره بِصَنَعَتِي النظم والنثر^(١)، وذكره غيرهما، وكلهم شحوا على لؤلؤ منشوره فلم يوشحوا به عقيلة الكتب، والشرط في كتابي ذا أن لا أذكر فيه بالذات غير متشيع، وكان الطغرائي من كبار المتشيعين، وله في هذه المادة [من البسيط]:

أما الزمان ففي تنبيهه عير
عصراه قد حذرا تأكيد سحرهما
أهون بصرفيه من بؤس ومن نعم
ولا تخص بمقت بعض سيرته
لو كان يعجبني شيء لأعجبني
أما رأيت حظوظ الدهر قد عكست
ومبسم «ابن رسول الله» قد عبثت
فاقنع من الدهر بالميسور تحظ به
قوت بماء سحاب أمسكا رمقا

وله في هذا السلك [من الكامل]:

حُبُّ اليهود «آل موسى» ظاهر
وإمامهم من نسل «هارون» الألي
وأرى النصارى يُكرمون مودة
وإذا تولّى «آل أحمد» مسلم
هذا هو الداء العياء بمثله
لم يحفظوا حق النبي «محمد»
وولاؤهم لبني «أخيه» بادي
بهم اهتدوا ولكل قوم هادي
«النبيهم» عوداً من الأعواد
قتلوه أو وسموه بالإلحاد
ضلت حلوم حواضر وبادي
في «آله» واللّه بالمرصاد^(٣)

(١) وفيات الأعيان ٢/١٨٥.

(٢) كاملة في ديوانه ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) ديوانه ١٣٧.

صدق الطغرائي ما زال المتعصب يَسِمُ المتشيع بالإلحاد أو قريب منه،
كالحافظ الذهبي^(١) وابن حجر^(٢)، وربما أن إلحاده الذي قتل به كما يُشير إليه
آخر الترجمة هو التشيع.

وله ديوان شعر مشهور أجاد فيه، ومنه في مادة الغزل [من البسيط]:

باللَّهِ يا رِيحُ إن مُكَّنْتَ ثَانِيَةً من صُدغِهِ فأقِمي فيه واستتري
وراقبي غفلةً منه لتنتهزي لي فُرصةً وتعودي منه بالظَّفَرِ
وناظري بين وردٍ من مُقَبَّلِهِ مقابل الطعم بين الطيبِ والخَصْرِ
وإن قَدَرْتَ على تشويشِ طُرَّتِهِ فشَوْشِها «ولا تُبقي ولا تَذري»
ولا تَمَسِّي عذارِيه فتفتضحِي بنفحةِ المِسكِ بين الوردِ والصَّدْرِ
ثم اسلُكي بين بُرْدِيهِ على عَجَلِ واستبضعي الطيبِ وأتيني على قَدْرِ
ونبِّهيني دوين القومِ وانتفضي عليَّ واللَّيلُ في شكٍّ من السَّحْرِ^(٣)

ما أطيب هذه القطعة وأعقبها وأرقها وأعذبها.

وله في هذه المادَّة [من الخفيف]:

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله: حافظ. مؤرخ، علامة
محقق تركماني الأصل، من أهل ميافارقين مولده سنة ٦٧٣هـ ووفاته سنة ٧٤٨هـ في دمشق. رحل
إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، وكفّت بصره سنة ٧٤١هـ. تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة،
منها «دول الإسلام - ط» جزآن، و«المشبه في الأسماء والأنساب، والكنى والألقاب - ط» و
«أهل المئة فصاعدا - ط» حققه ونشره في مجلة المورد: بشار عواد البغدادي، و«ذكر من اشتهر
بكنيته من الأعيان - خ» رسالة في شسترتي (٣٤٥٨) واختصر كثيراً من الكتب. وآخر ما نشر من
كتبه «معرفة القراء الكبار - ط» مجلدان وغيرها كثير.
ترجمته في:

نكت الهميان ٢٤١ وذيل تذكرة الحفاظ ٣٤ و٣٤٧ وطبقات السبكي ٥: ٢١٦ والنعمي ١: ٧٨
والشذرات ٦: ١٥٣ ومجلة المجمع العلمي العربي ١٦: ٣٨٧ وغاية النهاية ٢: ٧١ والفهرس
التمهيدي ٤٢٨ و٤٣٣ و٤٣٥ والدرر الكامنة ٣: ٣٣٦ والنجوم الزاهرة ١٠: ١٨٢ والمختصر
المحتاج إليه: مقدمته. والبيان - خ. والإعلان بالتويخ ٨٤ ومفتاح السعادة ١: ٢١٢ ثم ٢:
٢١٦ وآداب اللغة ٣: ١٨٩ ومحمد بن شب، في دائرة المعارف الإسلامية ٩: ٤٣١ - ٤٣٤
وأنظر (٦) Brock. 5.2: 45 وفهرسته ومجلة المورد: ج ٢ العدد ٤ ص ١٠٧ - ١٤٢، الاعلام ط ٤/
٣٢٦/٥.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٣) ديوانه ١٦٨ - ١٦٩.

خَبَّرُوها أَنِّي مَرِضْتُ فَقَالَتْ
وَأَشَارُوا بِأَنْ تَعُودَ وَمَسَادِي
وَأَتْتَنِي فِي خَفِيَّةٍ وَهِيَ تَشْكُو
وَرَأْتَنِي كَذَا فَلَمْ تَتَمَّالِكْ
ثُمَّ قَالَتْ لِتَرْبِهَا وَهِيَ تَبْكِي
وَتَوَلَّتْ بِحَسْرَةِ الْيَأْسِ تُخْفِي

أَضْنَى طَارِقاً شَكَاً أَمْ تَلِيدَا
فَأَبَتْ وَهِيَ تَشْتَهِي أَنْ تَعُودَا
رِقْبَةَ الْحَيِّ وَالْمِزَارَ الْبَعِيدَا
أَنْ أَمَّالَتْ عَلَيَّ عِظْفاً وَجِيدَا
وَيَحَ هَذَا الشَّبَابِ غَضًّا جَدِيدَا
زَقَرَاتٍ أَبْيَنَ إِلَّا صُعُودَا^(١)

وله أيضاً من هذا العقيق المسلسل [من الطويل]:

ذَكَرْتَكُمْ عِنْدَ الزُّلَالِ عَلَى الظَّمَا
وَحَدَّثْتُ نَفْسِي بِالْأَمَانِي فِيكُمْ
أَوْاعِدُهَا قَرَبَ الْإِلْقَاءِ وَدُونَهَا
يَقْرُ بَعِينِي الرِّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ
أَطَارِحُهُمْ جِدَّ الْحَدِيثِ وَهَزْلَهُ
أَسْأَلُ عَمَّا لَا أُرِيدُ وَإِنَّمَا
فِي عَثْرُ مَا بَيْنَ الْكَلَامِ وَرَجْعِهِ
وَإَطْوِي عَلَى مَا تَعْلَمُونَ جَوَانِحِي
وَلَا وَالَّذِي عَافَاكُمْ وَابْتَلَى بِكُمْ
وَقَدْ كُنْتُ دَهْرًا لَا أَبَالِي مِنَ النُّوَى

فَلَمْ أَنْتَفِعْ مِنْ وَرْدِهِ بِبِلَالِ
وَلَيْسَ حَدِيثُ النَّفْسِ غَيْرَ ضَلَالِ
مَوَاعِيدُ دَهْرٍ مَوْلِعٍ بِمَطَالِ
يُزَجُّونَ عَيْسًا قُبُودًا بِكَلَالِ
لَأَحْبِسَهُمْ عَنْ سَيْرِهِمْ بِمَقَالِي
أُرِيدُكُمْ عَنْ بَيْنِهِمْ بِسُؤَالِي
لِسَانِي بِكُمْ حَتَّى يَنْتُمْ بِحَالِي
وَأُظْهِرُ لِلْعُذَّالِ أَنِّي سَالِي
فَوَادِي مَا اجْتَازَ السُّلُوبُ بِبَالِي
فَعَلِمَنِي الْأَيَّامُ كَيْفَ أَبَالِي^(٢)

هذا غزل مطرب، روض منور بل أفق مكوكب، وما أطف عشرة اللسان
بسر المحبة، واذكرني قول أبي الحسن صردر:

لله أيامي على رامة وطيب أوقاتي على حاجر
تكاد للسرعة في مرها أولها يعثر بالآخر

ما لأحد في سرعة أيام المسرة أطف ولا أرشق من هذه العبارة.

وللطغرائي [من البسيط]:

لا تياسن إذا ما كنت ذا أدب على خمورك أن ترقى إلى الفلك

(١) ديوانه ١٤١ - ١٤٢.

(٢) ديوانه ٣١٧ - ٣١٨.

بَيْنَا تَرَى الذَّهَبَ الْإِبْرِيْزَ مُطَّرَحًا فِي الْأَرْضِ إِذْ صَارَ إِكْلِيلاً عَلَى الْمَلِكِ^(١)

قلت: سَهَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى إِنَّهُ رُبَّمَا جَعَلَ قَيْدَ الشُّفْرَى الْبَغْلَةَ،
كَمَا قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْعَكْبَرِيُّ:

تَرَى الْعَقِيَانَ وَالذَّهَبَ الْمَصْقَى يُرَكَّبُ فَوْقَ أَثْفَارِ الدَّوَابِّ
وَكَيْسِي مِنْهُ خَلُوهُ مِثْلَ كَفِّي

قلت: بل عجب.



رجع، قال ابن خلكان: وذكره أبو المعالي الخطيري في «زينة الدهر»
وأورد له مقاطيع^(٢).

وذكره العماد الكاتب في «نصرة الفترة وعصرة الفطرة» - تاريخ الدولة
السلجوقية - وقال: كان ينعت بالأستاذ^(٣).

وذكر الصفدي في أوائل «الغيث الذي انسجم»: أن السلطان مسعود مخدوم
الطغرائي اتفقت بينه وبين أخيه محمود، حرب بقرب أصبهان، فغلب محمود،
فقال الشهاب أحمد وكان طغرائياً في ذلك الوقت: هذا الرجل ملحد، يعني
الأستاذ، فقال الوزير: من يكن ملحداً يقتل، فقتل ظلماً.

قال الشيخ صلاح الدين: خافوا أن يغلب على محمود ببرايعته وكمالته
فتسقط مراتبهم^(٤).

وذكر أنهم لما أرادوا قتله أمروا به فربط إلى أصل شجرة، وأوقفوا أمامه
جماعة معهم النشاب ليرشقوه، وأمروهم أن لا يرموه حتى يؤمروا، وأرسلوا
شخصاً يقرب منه ليسمع ما يقول في تلك الحال، فسمعه وقد ارتجل وسهام
المنايا مرفوعة إليه [من الكامل]:

(١) ديوانه ٢٦٦.

(٢) وفيات الأعيان ١٨٩/٢.

(٣) وفيات الأعيان ١٨٩/٢.

(٤) وفيات الأعيان ١٨٩/٢ - ١٩٠.

ولقد أقول لمن يسدُّ سهمه
والموت من لحظات أخور طرفه
بالله فتش عن فؤادي هل ترى
أهون به لو لم يكن في طيه
نحوي وأطراف الأسننة تلمع^(١)
يدنو وقلبي دونه يتقطّع
فيه لغير هوى الأحبة موضع
عهد الحبيب وسره المستودع^(٢)

قال الشيخ صلاح الدين فأقول: ما هذا ثبات جنان، بل ثبوت جنون، لقد أربى بشجاعته على من تقدمه، وفات من تأخر عنه.

قلت: أما كان قلبه إلا بين جنبي أسد، بل هو هذا أثبت منه وأشد.

ثم رموه بالسهام حتى تقطع سنة ثمان عشرة، وقيل ثلاث عشرة، وقيل أربع عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى.

قال: وفي شعره ما دلّ على أنه بلغ سبعا وخمسين سنة لأنه قال، وقد بُشر بمولود [من البسيط]:

هذا الصغير الذي وافى على كبر
سبع وخمسون لو مرّت على حجر
أقرّ عيني ولكن زاد في فكري
لبان تأثيرها في ذلك الحجر^(٣)

وأما لاميته فصار حسنهما مسير الشمس، وصيرت الشنفرى وإن كان فهمياً بالغيط بليداً من بني عبس، وكانت قصيدة الشنفرى لجودتها عند العرب تسمى لامية العرب، وهي مشهورة مفضلة وأولها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فإني إلى أهل سواكم لأميل

والشنفرى ابن أخت تابط شراً أحد لصوص العرب وفتاكهم وصعاليكهم وشعرائهم، وكان الشنفرى مثله، وطلب بثاره لما قتله هذيل، فأراد الطغرائي أن يعارض العرب بلامية العجم لأنه عجمي أصفهاني، فنظم هذه القصيدة الباهية الغانية الحالية، وسأذكرها تذكراً بها ولتكون لفصول النسمة السحرية كالربيع، وهي [من البسيط]:

(١) في هامش الأصل: «شرع».

(٢) ديوانه ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٣) كاملة في ديوانه ١٦٣ - ١٦٤، وفيات الأعيان ٢/١٩٠، والقصيدة قالها في إبه الأصغر علي.

أصالة الرأي صانثني عن الخطل
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع
فيم الإقامة بالزوراء لا سكاني
نأء عن الأهل صفر الكف منفرد
ولا صديق إليه مشتكى حزني
طال اغترابي حتى حن راحلتي
وضج من لعب يضوي وعج لما
أريد بسطة كف أستعين بها
والدهر يعكس أمالي ويثنعني
وذي شطاط كصدر الرمح معتقل
طردت سرح الكرى عن ورد مقلته
والركب ميل على الأكوار من طرب
فقلت أدعوك للجلى لتنصرتني
تنام عيني وعين النجم ساهرة
فهل تُعين على غي هممت به
أني أريد طروق الحي من «اضم»
يحمون بالبيض والسمر اللدان به
فسر بنا في ذمام الليل مُغتسفاً
فالحب حيث العدى والأسد رابضة
نوم ناشئة بالجزع قد سقيت
قد زاد طيب أحاديث الكرام بها
تبيت نار الهوى منهن في كبد
يقتلن أنضاء حب لا حراك بها
يشفى لديد الغواني في بيوتهم
لعل المامة «بالجزع» ثانية
لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت
ولا أهاب الصفاح البيض تُسعدني
ولا أخل بغزلان أغازلها
حب السلامة يُثني عزم صاحبه

وجلية الفضل زانتني لدى العطل
والشمس راد الضحى كالشمس في الطفل
بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
كالسيف عري متناه عن الخلل
ولا أنيس إليه منتهى جذلي
ورحلها وقرى العسالة الذبل
يلقى ركابي ولج الركب في عذلي
على قضاء حقوق اللغلى قبلي
من الغنيمة بعد الكد بالقفل
بمثله غير هباب ولا وكل
والليل أغرى سوام النوم بالمقل
صاح وآخر من خمر الكرى ثمل
وأنت تخذلني في الحادث الجلل
وتستحيل وصبغ الليل لم يحل
والغي يزجر أحياناً عن الفشل
وقد حماه حماة الحي من «ثعل»
سود الغدائر حمر الحلي والحلل
فنفحة الطيب تهدينا إلى الجلل
حول الكناس لها غاب من الأسل
نصالها بمياه الغنج والكحل
ما بالكرائم من جبين ومن بخل
حرى ونار القرى منهم على القلل
وينحرون كرام الخيل والإبل
بنهلة من لذيذ الخمر والغسل
يدب منها نسيم البرء في علل
برشقة من نبال الأعين النجل
باللمح من صفحات البيض في الكلل
ولو دهتني أسود الغيل بالغيل
عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً
 ودع غمار العلى للمقدمين على
 رضى الذليل بخفض العيش يخفضه
 فادراً بها في نحور البید جافلة
 أن العلى حدثتني وهي صادقة
 لو كان في شرف المأوى بلوغ منى
 أهبث بالحظ لو ناديت مستمعاً
 لعله أن بدا فضلي ونقضهم
 أعلل النفس بالآمال أرقبها
 لم أرتض العيش والأيام مقبلة
 غالى بنفسي عرفاني بقيمتها
 وعادة النصل أن يزهي بجوهره
 ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني
 تقدمتني أناس كان شوطهم
 هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا
 وإن علاني من دوني فلا عجب
 فاصبر لها غير محتال ولا ضجير
 أعدى عدوك أدنى من وثقت به
 وإنما رجل الدنيا وواجدها
 غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت
 وحسن ظنك بالأيام معجزة
 وشان صدقك عند الناس كذبهم
 إن كان ينجع شيء في ثباتهم
 يا وارداً سؤر عيش كله كدر
 فيم اقتحامك لبح البحر تركبه
 ملك القناعة لا يخشى عليه ولا
 ترجو البقاء بدار لا ثبات لها
 ويا خبيراً على الأسرار مطلقاً

في الأرض أو سلماً في الجو فاعتزل
 ركوبها واقتنع منهن بالبلل
 والعز بين رسيم الأينق الذلل
 معارضات مثاني اللجم بالجذل
 في ما تحدث أن العز في النقل
 لم تبرح الشمس يوماً دائرة الحمل
 والحظ عني بالجهاال في شغل
 لعينه نام عنهم أو تنبه لي
 ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
 فكيف أرضى وقد ولت على عجل
 فضنتها عن رخيص القدر مبتذل
 وليس يعمل إلا في يدي بطل
 حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
 وراء خطوي إذ أمشي على مهل
 من قبله فتمنى فسحة الأجل
 لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل
 في حادث الدهر ما يغني عن الجيل
 فحاذر الناس واصحبهم على دخل
 من لا يعول في الدنيا على رجل
 مسافة الخلف بين القول والعمل
 فظن شراً وكن منها على وجل
 وهل يطابق معوج بمعتدل
 على العهود فسبق السيف للعذل
 أنفقت صفوك في أيامك الأول
 وأنت تكفيك منه مصة الوشل
 يحتاج فيه إلى الأنصار والحول
 وهل سمعت بظل غير منتقل
 أصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

قد رشحوك لأمرٍ أن قطننت له^(١) فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل^(١)

سبحان المانح له هذه البلاغة، التي تغص بانسجامها كالماء حسوده فلا يجد الإساغة، وقد أودعها من الحكم والأمثال السائرة ما يترك ابن صيفي وابن ساعدة كالربيع في الغداة الماطن، وزادها صلاح الدين الصفدي بشرحه بياناً، وإنما فصل بالمسجد جماناً، ثم إن السميري الوزير وثب عليه عبد أسود كان للطفرائي فقتله بالسوق ببغداد^(٢).

ونسبته إلى سمير: بلد من عمل شيراز.

وذكر ابن خلكان: عن ابن السمعاني صاحب الأنساب: إن الطفر لفظة فارسية وهي الطرة في أعلى الكتب تكتب بالقلم الغليظ فوق البسملة، تتضمن نعوت الملك^(٣)، ونسبة الأستاذ إليها، ونظم اللامية ببغداد.

[٥٦]

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن
الحجاج، الكاتب الشاعر المشهور البغدادي، ذو الخلاعة في شعره
وخفة الروح^(*).

فاضل لعب بالمعاني، وكان الشعر فناً فجاء بالثاني، فهو مهلهل طريقته
التي هي أمنع من جمى كليب، وأبعد منالاً من حمى الدبر خبيب، طريقة جاءت

(١) وفيات الأعيان ١٨٥/٢ - ١٨٨، ديوانه ٣٠١ - ٣٠٩.

(٢) وفيات الأعيان ١٩٠/٢.

(٣) وفيات الأعيان ١٩٠/٢.

(*) ترجمته في:

يتيمة الدهر ٣٠/٣ - ٩٩، وفيات الأعيان ١٦٨/٢ - ١٧٢، تاريخ بغداد ١٤/٨، البداية والنهاية لابن كثير ٣٢٩/١١، مطلع البدور - خ - ٣٩/١، الامتاع والمؤانسة ١٣٧/١، معجم الأدباء ٩/٢٠٦، روضات الجنات ٢٤٠، سير النبلاء - خ - الطبقة ٢٢، معاهد التنصيص ١٨٨/٣، الفهرس التمهيدي ٣٠١، دائرة المعارف الإسلامية ١٣٠/١، الكامل لابن الأثير ٥٨/٩، شعر الظاهرية ١٣٣، الطليعة - خ - ترجمه رقم ٦٨، الإعلام ط ٢٣١/٢/٤، أعيان الشيعة ٨١/٢٥ - ١٦٠، الغدير ٨٨/٤، أدب الطف ١٥٥/٢. النجوم الزاهرة ٢٠٤/٤، أمل الأمل ٨٨/٢، سفينة البحار ٢٢٢/١، شذرات الذهب ١٣٦/٣، أنوار الربيع ١٦٩/٢ - ١٧٠.

بالممتنع السهل، وأضحكت من لحية الجدّ سنّ الهزل، فلو زعم معارضته شاعر متأهل لما صعب متقاضي، لم يصفعه كما قال إلا بحضرة سيدي التنوخي القاضي.

قال الثعالبي: إن ديوان شعره بالعراق لا تنحط قيمته عن ستين ديناراً لتنافسهم في ملّحه ووفور رغبتهم فيه، لأنه سلوة المهموم^(١).

«وكان فريد زمانه في فنّه، فإنه لم يسبق إلى طريقه في الهزل الذي يتوصّل به إلى مديح أكابر الملوك والرؤساء».

قال: «وديوانه يدخل في عشرة مجلدات وغالبه في الهزل، وله في الجدّ اليد البيضاء. واختصره الشريف الرضي وبعد المعلم الثاني لحكمة الشعر، والمعلم الأوّل، أما مهلهل بن وائل أخو كليب أو امرئ القيس، فكل من الاثنين اخترع منهجاً لم يُسبق إليه وتبعه فيه الناس^(٢)».

ومن أتباعه أبو الرقعمق^(٣) لكن ليس له طلاوة شعر أبي عبد الله المذكور، وقد سبق ذكره، وصريح الدلاء المشار إليه عند ذكر أبي العلاء^(٤).

وله قصيدة في الجدّ يمدح بها أهل البيت وأولها:

من شروط الصبوح في المهرجان
خفة الشغل مع خلوّ المكان
منها، وقد ذكر آل البيت:

قد تيقّنت إنهم ينقلونني
من يدي مالك إلى رضوان
وما حضرت لي الآن فأكتبها.

وكان الوزير المهلبى ولأه حسبة بغداد أياماً ثم عزله بأبي سعيد الأصبخري الفقيه الشافعي.

(١) يتيمة الدهر ٣/٣٤ وفيه اختلاف بالنص.

(٢) وفيات الأعيان ٢/١٦٨ وفيه بعض التقديم والتأخير.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٧.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٩.

قال ابن خلكان: وله في عزله به أبيات هزلية، ولم يذكرها^(١).

قال الثعالبي: ولقد مدح الملوك والأكابر والرؤساء فلم يخلهم من نتائج هزله وفحشه وهو عندهم مقبول الجملة، موفر الحظ من الإنعام والإكرام، يُجاب إلى مقترحه من الصلوات الجسام، والأعمال النفيسة التي ينقلب منها إلى خير حال، وكان طول عمره يتقلب معهم في عيشة راضية، ويستمرى نعمة صافية.

ومن شعره يصف نفسه [من الخفيف]:

حدث السن لم يزل يتلهى علمه بالمشايخ الكبراء
خاطر يصفع الفرزدق في الشعر ر ونحو ينيك أم الكسائي^(٢)

وقال في شعره [من مجزوء الكامل]:

شعري الذي أصبحت فيه به فضيحة بين الملا
لا يستجيب لخاطري إلا إذا دخل الخلاء^(٣)

ومن شعره القليل الفحش وفيه رقة ولطف [من السريع]:

فديت بي يا سيدي وحدي وعشت ألفي سنة بعدي
قد رحل النرجس فاشرب على محاسن المنثور والورد
يمزجها لي رشاً أغيد بريقة أحلى من الشهد
نهاية الحرّة حسن استه وريقه في غاية البرد
جنى من البستان لي وردة أحسن من إنجازه وعدي
وقال والوردة في كفه مع قدح أذكى من الند
اشرب هنيئاً لك يا عاشقي ريق من كفي على خدي^(٤)

حسن هذا التشبيه المضمّر، أبهى من الحسان السوافر ما بهر، وله في

نهجه:

(١) رؤيات الأعيان ٢/١٦٨ - ١٦٩.

(٢) يتيمة الدهر ٣/٣١.

(٣) يتيمة الدهر ٣/٣٣.

(٤) يتيمة الدهر ٣/٦٨.

للطمة يلطمني أمرد أحسن من تفاحة في يدي
يقلع مني العين والفتكا
ذي لحية قد خشيت مسكا
وبلغه أن جماعة من وكلائه تساعدوا على اختلاس شيء من غلته، فقال
وفيه مثل عامي [من السريع]:

قد وقع الصلح على غلتي لا يدبر البقال إلا إذا
فاقتسموها كارة-كارة^(١)
تصالح السنور والبقارة^(٢)
وأراده بعض الرؤساء على حضور الحرب معه فكتب إليه [من المنسرح]:

أهوى انحداري والحزم يكرهه لأنني عاقل ويعجبني
وتارك الحزم يركب الغفرا لأنني عاقل ويعجبني
لزوم بيتي وأكره السفر والماء في الكوز بارداً خصباً
والخيش نصف النهار يعجبني والشرب في رؤس أبيت به
والماء في الكوز بارداً خصباً ولا أقود الخيل العتاق بلى
ليلاً أرى الماء منه والقمر رأس بقرنيه يفلق الحجر
أسوق وسط الأزقة البقرا من كل جاموسة لعنبلها
رأس بقرنيه يفلق الحجر قد نفخ الشحم جوفها فيرى
كأنه بطن ناقة عشرا أحسن في الحرب من صفوفكم
غداً قعودي أصف الطرا هيهات أن أحضر القتال وأن
تري بعينيك فيه لي أثرا بل الذي لا يزال يعجبني
الدب بالليل خائفاً حذرا أنى إلى تلك وهي نائمة
أولا إلى ذاك بعد ما سكرت وضجة النيك كلما شرطت
واحدة تحت واحد نخرا وقول بعض المميزين وقد
حس قسا بأنفه سحرا في جمع هذا فطورة وأرى
أن خرا تلك بعد ما اختمرا السدف يوم الصبوح دبديتي
وبوقى الناي كلما زمرا وخريتي كلما رميت بها
مقتل سرم خضبته بخرا

(١) الكارة: حمل معلوم الوزن والمقدار من الطعام.

(٢) يتيمة الدهر ٣/٥٠.

هذا اعتقادي وهكذا أبدأ أرى لنفسي فأنت كيف ترى؟^(١)
وله يمتدح بهاء الدولة بختيار الديلمي^(٢) ملك بغداد [من المنسرح]:

فديت وجه الأمير من قمرٍ
فديت من وجهه يشككني
إن زليخا لو أبصرتك لما
ولم تقس يوسفاً إليك كما
وكان يا سيدي قبلك إذا
بل وحياتي لو كنت يوسفها
لأنني عالم بأنك لو
ولم يزل بالكدين تعقدها
وقد علمنا بأن سيدنا الـ
ولم تكن تلك تشتكي أبدأ
طبعك كالماء في سهولته
إن المملوك الشباب ما خلقوا

يجلو القذى نوره عن البصرِ
في أنه من سلاله البشرِ
ملت إلى الحشر لذة النظرِ
أن السهي لا يقاس بالقمرِ
هربت منها ينقذ من دبرِ
لم تك من تهمة العزيز بري
شممت ريانسيمها العطرِ
من قبل وقت العشا إلى السحرِ
أمير مومن يقول بالبقرِ
ما كان من يوسف من الحذرِ
لكن أبو الزبرقان من حجرِ
إلا صلاب الفياش والكمير^(٣)

ومن شعره وفيه تورية، يشكو إنساناً آذاه [من مخلع البسيط]:

وأبرص من بني الزواني
قد قلت إذ لَجَّ بي آذاه
يا معشر الشيعة الحقوا بي
ملمع أبقع اليدين
وزاد ما بينه وبينني
قد ظفر الشمير بالحسين^(٤)

(١) يتيمة الدهر ٤٣/٣ - ٤٤.

(٢) بختيار، أبو منصور، عز الدولة ابن معز الدولة أحمد بن بويه: أحد سلاطين العراق من بني بويه. ديلمي الأصل. مولده بالأهواز سنة ٣٣٢هـ. كان شديد البأس يمسك الثور بقرنيه ويصرعه. تسلطن بعد أبيه سنة ٣٥٦هـ ونشبت معارك بينه وبين ابن عمه عضد الدولة انتهت بمقتله، في قصر الجص سنة ٣٦٧هـ. وكانت له عناية بالأدب، وله نظم.

ترجمته في:

سير النبلاء - خ - المجلد ٢٠ ويتيمة الدهر ٢: ٤ وتلخيص مجمع الآداب ١: ٤٢ وفيه النص
على أن مولده الليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر سنة ٣٣٢هـ، الاعلام ط ٤٤/٢/٤.

(٣) يتيمة الدهر ٤٥/٣ - ٤٦.

(٤) يتيمة الدهر ٤٨/٣.

وله في قائد من الأتراك أراد أخذ داره [من الخفيف]:

إن أطفالي الذين تراهم
أترى ما شملت ریح فساہم
وجعیساتہم خلال الزوايا
حول ناري في الليل مثل الفراش
حين باكرتني وهم في الفراش
مثل ذرق الفراخ في الأعشاش^(١)

وقال يعاتب أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن على قبوله دعوى من ادعى أنه هجاه، وأبو الفضل بشيراز، وابن الحجّاج ببغداد [من السريع]:

يا سامع الزور وبهتانه
عجبت من رأيك هذا الذي
فكيف تخشى ذمّ من مدحه
ومن له في شعره مذهب
تمضي لياليه وأيامه
ولست بالساكن في منزل
ولا الذي يرهب في الحق من
قل للذي جهّز في السعي بي
ياذا الذي لا بد من صفعه
لا تغترر أنك من فارس
لو حدثت كسرى بذا نفسه
ودافع الحق ويرهانه
أنكرني من بعد عرفانه
فيك يرى أول ديوانه
ذكرك فيه نور بستانه
وسرّه فيك كإعلانه
ينبو ولو يوماً بسكّانه
سلطان ذي عزّ لسلطانه
تجارة عادت بخسرانه
ألفاً ومن تعريك آذانه
في معدن الملك وأوطانه
صفعته في وسط إيوانه^(٢)

وكان بعض كتاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية [وليها]^(٣)، فكتب إليه، وهذا الذي أشرنا إليه في ذكر القاضي الحسن بن علي الهبل^(٤) رحمه الله تعالى [من الوافر]:

أيامن وجهه قمر منير
إذا حضر الحساب أعدت ذكرى
أجبنني بالقناني والمثاني
بُضيء لنا وراحته سحاب
وتنساني إذا حضر الشراب
ووجهك إنه نعم الجواب

(١) يتيمة الدهر ٤٣/٣.

(٢) يتيمة الدهر ٤٥/٣.

(٣) سقط في الأصل وأكملناه من اليتيمة.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

وكلني في الحساب إلى كريم يسامحني إذا وضع الحساب^(١)
وكان له صديق وله ابن يكتي أبا جعفر مشتهراً بالقحاب، فسأله أن يعاتبه
ويشير عليه بالتزويج فكتب إليه [من السريع]:

إيساك والعمفة إياكا إيساك أن تفسد معناكا
أنت بخير يا أبا جعفر ما دمت صلب الأير نياكا
فنيك ولو أمك واصفع ولو أباك إن لامك في ذاك^(٢)
وَدَعَا يوماً مغنيّة وكانت قبيحة المنظر، فلما دارت الكؤوس تساكرت عليه
فقال [من مجزوء الكامل]:

غطت البظراء لهما عاينت مفتاح ديري
ورجبت منّي أيراً^(٣) قلت: لا ترجين خيري
أنت في دعوة أذني لست في دعوة أيري^(٤)
وله في هجاء بخيل [من المتقارب]:

وذي همة في حضيض الكثيف وقرنين في فلك المشتري
دخلت عليه انتصاف النهار على غفلة حين لم يشعر
فلما قعدت فسافسوة فلم تخط عصفتها منخري
وأقبل يضطرط في إثرها فقلت أقوم وإلا خري^(٥)
ومن مخالصه هذه المادة إلى مدح الملوك، قوله من قصيدة في عضد
الدولة:

الننيك من قدام في هذا الزمان قد تُرك
فدرت لي في فقحة مثل اللجين المنسبك
فقلت يا سيدي أحسنت لا فجعت بك

(١) يتيمة الدهر ٧٧/٣.

(٢) بهيئة الدهر ٧٨/٣.

(٣) في هامش الأصل: «خيراً».

(٤) يتيمة الدهر ٧٥/٣.

(٥) يتيمة الدهر ٣٧/٣.

أحسننت يا أوسع من فتوح مولانا المملك

وله في المسلك الأول [من مخلع البسيط]:

يا سادتي ما استرق ديني
فديته كالعروس يجلي
فنصفه الظاهر من حديد
وخير ما يقتنيه أيري
وأشتهى أن أغوص فيه
أغيب شهراً فلا تراني الـ
حتى إذا كان بعد شهر

شيء كمثّل الحرّ السمين
في ثوب ورد وباسمين
ونصفه الباطن من عجيب
صلاية بطنت بثلين
من قعر رجلي إلى جيني
عين والناس يطلبوني
دلّ على موضعي أنيني^(١)

وكتب إلى أبي أحمد بن ثوبة، وقد شرب دواء مسهلاً [من الخفيف]:

يا أبا أحمد بنفسي أفدي
كيف كان انحطاط جمسك في
كيف أمسى سبال مبعرك النذ
يا أبا أحمد ونصحك عندي
رب ربح يوم الدواء دبور
قدروها فساً وقد كمن الجمع
فإذا الفرش كالخليج سلاًخاً
فاتق الله أن تفرك ربح
لا تنفس خناق سرمك عنه
والغذاء الغذاء فاحذر وإن يف
احترس إنها نصيحة كهلي
غير أني أصبحت أضيع في القو

ك وأهلي من سائر الأسواء
ظهر شرب الدواء يوم الدواء
ل خضيباً بالمرّة السوداء
واجب في الإخاء فاحفظ إخائي
شوشت في عصاعص الأعضاء
س لهم في مهب ذاك الفسائ
ذائباً في قوام جسم الماء
عصفت في جوانب الأحشاء
أو تخلي سبيله في الخلاء
سو فوق الفراش بعد الغذاء
حنّكته تجارب الآراء
م من البدر في ليالي الشتاء^(٢)

وله في الجدّ:

قال قومٌ لزمّت حضرة حمّدٍ
وتجنّبت سائر الرؤساء

(١) يتيمة الدهر ٧٢/٣.

(٢) يتيمة الدهر ٣٤/٣.

قُلْتُ مَا قَالَهُ الَّذِي أَحْرَزَ الْمَغْرِبَ
«تَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يُلْتَقِطُ الْحَبُّ»
نِي قَدِيمًا قَبْلِي مِنْ الشُّعْرَاءِ
وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ»^(١)

والثالث لبشار بن برد.

وكان أبو عبد الله المذكور خاصاً بالوزير المهلبي، وتوفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بالنيل، وهي بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة، حفر نهرها الحجاج بن يوسف وسماه باسم نيل مصر، وأوصى أن يحمل إلى بغداد ويدفن في مشهد الإمام موسى الكاظم بعذاء رجله ويكتب على قبره: «وكلبهم بأسط ذراعيه بالوصيد»^(٢)، رحمه الله تعالى.

ورثاه الشريف الرضي بقصيدة طويلة ومنها:

نَعَوُهُ عَلَى حُسْنِ ظَنِّي بِهِ
رَضِيْعَ وِلَاءٍ لِسُوءِ شَعْبَةٍ
وَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ الزَّمَانَ
بِكَيْتِكَ لِلشُّرْدِ السَّائِرَاتِ
لِيَبِكَ الزَّمَانُ طَوِيلاً عَلَيْكَ
فَلِلَّهِ مَاذَا نَعَى النَّسَائِيَانِ
مَنْ الْقَلْبِ مِثْلَ رَضِيْعِ اللَّبَانِ
يَقُولُ مُضَارِبَ ذَلِكَ اللَّسَانِ
تُعَبِّقُ الْفَاطِظَهَا بِالْمَعَانِي
فَقَدْ كُنْتَ خِفَّةَ رُوحِ الزَّمَانِ^(٣)

وقد مرّ في جملة أبياته الرائية إن مما يعجبه سوق البقر والجواميس فحرّكني على ذكر أبيات للسيد الأديب الناظم الناثر المنشيء عماد الدين يحيى بن إبراهيم ابن جحّاف^(٤)، كتبها إلى السيد الفاضل يوسف بن المتوكل^(٥) يطلب منه بقرة، وسيرد ذكر الاثنين إن شاء الله تعالى آخر الكتاب:

تلاوة الحمد والإخلاص واقعة
فليتها قد غدت في المرسلات من الـ
يا يوسف العصر نفسي كل آونة
من النساء إن قرأت سورة البقره
كهف الذي بالتقى رب السما عمره
أضحت إلى سورة الأنعام مفتقره

(١) وفيات الأعيان ١٧٠/٢.

(٢) سورة الكهف: الآية ١٨.

(٣) وفيات الأعيان ١٧١/٢، ديوان الشريف الرضي ٤٤١/٢.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٩٠.

(٥) ترجمه المؤلف برقم ١٩٧.

فاقرء لنا سورة الأنفال في عجلٍ فكل نفس لما توليه منتظره
وجه فيها بإحدى عشر سورة.

وله أيضاً مقامة ظريفة في بقرة أحببت ذكرها لظرفها، وإن كان قد اضطر
في بعضها إلى ما تفهمه العامة من الألفاظ فعذره في ذلك عذر ابن الحجّاج،
وهي:

حديث بقرة السيد إسماعيل بن محمد بن زين العابدين، وكانت من
المتوكلات على رب العالمين، جوابة طوافة كثيرة التنقل من حافة إلى حافة،
قالت:

خرجت في بعض الأيام من المسافل، لالتقاط فضلات المآكل، والتعرّض
لما يسره الله من الغساول، فما زلت لطلب المعيشة، أنتقل من ريشة إلى ريشة،
حتى ساءت فيّ المقالة، وعرفت بالبقرة الجلالة، وما في ذلك من باس، فالناس
تأكل مع الناس، وليس ذلك بغريب، فللأرض من كأس الكرام نصيب، ولا على
عارفات الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار، وكذلك قال من إذا أراد
شيئاً قال له كن فيكون، ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، وقال
الأول وتفضل وتطول:

أيا شجرات بالأبيطح من منى على شط وادي القاع مشتبكات
إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنا فأبعدكن الله من شجرات

فقصدت بقرة السيد محمد بن علي بن إبراهيم على معتقده إنها مثل بقرة
والده التي النصّ على مكارم أخلاقها جلي، فإنها كانت مشهورة بالعدل
والإحسان وإيتاء ذي القربى، وكان علفها وماؤها لجميع البقر نهياً، فلما رأني
مقبلة قالت لي: أنت الهنقلة، التي لن تزالي تنتقلي من مزبلة إلى مزبلة، ولا
تسامي الأذية، ولا تسكني في سافل ولا حوية، ولا تأخذ أهلك عليك غيرة ولا
حمية، ثم إنها رفعت ذنبها، وأسبلت عينها، وأساءت أديها، وصغرت خدّها،
وتجاوزت خدّها، وربضت في السافل وحدّها، فلما أعرضت عني، وانقبضت
عني، وكادت تنطحني غاب جسّي، ولمت في قصدها نفسي، وغشيني من

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

العرق، ما خفت منه على نفسي الغرق، ولا شك أن من شره، وقع فيما كره، أن رب أكلة هاضت الأكل وحرمته مآكل، وإلا فملك كسرى تغني عنه كسرة، وليعتبر المعترف بأهل الرياضة إن في ذلك لعبرة، وفي خلال ذلك، وأنا في ليل من الندم أسود حالك، ألفت إلي بصيرة، كتبها الكاتب وهي على بصيرة، وهو ثور السيد يحيى بن إبراهيم بن عبد الله شريف، والمذكور ظريف لطيف، خفيف كثير الدعابة، قليل الخطأ كثير الإصابة، وعلى هذا الرق المنشور والسجل المسطور علامة ثور السيد إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى، وأحسن به من ثور، جمع ما بين رئاستي الدين والدنيا، ولا حاجة إلى أخته، فإنه إنسان عين وقته، ولا يخفى على أحد فضله، فإنه يرجع الأمر كله، فقلت لها قولك الحق، ودعواك هذه صدق، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(١)، وهذا الملك القهري، وقد قرأت به عيني وانشرح به صدري، وكانت عندي للبقرة المرحومة من الملح والهشيمة قدر ثلثمائة قيمة، ومن التخ والعصارة، قدر مأتي غرارة، وأما العلاني والقصب والعصير، فكان عندي منه شيء كثير، وهذه الأشياء ما لها قيمة، وأنت إذا أنصفت رشيدته حليلة، مع إني قد سلمت ذلك لأختك فلانة عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾^(٢) فقالت: قد صح عندي وثبت إنك تحبين الغلاط، وكفى دليلاً على هذا إنك أهملت ذكر الحماط، فقلت سلي عن صدق قولني ثور الشيخ عبد الله النصيري، فإنه كان جليسي وسميري، وهو مطلع على القليل والكثير، ولا يثبتك مثل خبير، مع إني موكلة مفوضة فما أرى خيام دعواك إلا مقوضة، قالت: إنها قد تعلقت بك التهمة، ولا بد من إعادة القسمة، ولا عبرة بثور السيد عبد الله بن يحيى فإنه رحمة، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غِنَةً﴾^(٣)، فورب السماء والأرض، لا بد لعقد تلك القسمة من النقص، فإن كثيراً من الخلط يبغي بعضهم على بعض، فقلت: ذلك أمر قد قضي بليل، وسال به السيل، وقد اكتلت لك ولغيرك واستوفيت الكيل، ولكن لا رحم الله خالك أحزم، فهذه شنشنة من أكرم، وخرجت من عندها وقد يبس ريقى، وجهلت طريقي، ورأيت عدوي في ثياب صديقي، وجرت من عيني دمعة، وفعلت

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٣) سورة يونس: الآية ٧١.

لي في العالم سمعة، وليتها قربت لي قليلاً من الدفعة، ونويت أني لا أوجه إليها كلاماً، ولا أسلم عليها ما حيت سلاماً، ولا أعود إليها ولا أعول عليها:

أعاتب المرء فيما ساء واحداً ثم السلام عليه لا أعاتبه ولعلها تعلمت هذه الرخاسة، من بقرة صاحبها المسماة غواصة، فإنها عقرب لساعة، ولا تفر عن النميمة ساعة، وأحاشي بقرايها من هذه الخصال التي اجتمعت فيها، ولكنني أشهد الله لا توكلت بعدها في كثير ولا قليل، وحسبي الله ونعم الوكيل، وأين هذه البقرة من بقرة أخيها عماد الدين فإنها بقرة صفراء، فاقعة تسر الناظرين، سالكة من كرم الأخلاق في أوضح المسالك، لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك، معظمة مكرمة منعمة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة من بقر بلقيس صاحبة سبا، إن درتها قالت أهلاً وسهلاً ومرحباً، وطالما قربت لي هشيمه هنيه مرية، وقابلتني بأخلاق مرضية، وقسمت الحبة بيني وبينها بالسوية، لا تعاب بشيء إلا أنها تلحق بالبقرة الوحشية، فلا تزال مغلقة على نفسها، مستوحشة من أبناء جنسها، والسبب إن خالها ثور السيد يحيى ابن علي، وهو ثور برّ تقي فاضل ولي، فحسن الله لها الوحدة، وبشر بالفرج بعد الشدة، ولما أخبرت هذه البقرة الصالحة بما جرى بيني وبين تلك البقرة السفية، التي هي بالعقرب اللساعة شبيهة، قالت: ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللهم اغفر لنا وارحمنا واعف عنا، وأخبرتني إنها كانت مع بلقيس الوقت، الخلية من المقت، تأكل ما تشتهي الأتفس وتلذ الأعين، وإن قلنا على فراقها لا يكاد يسكن، وإن الصبر عليها لا يليق ولا يحسن، وإنها كانت عندها كثيرة البركة، بحيث إنها لكثرة الدر لا تقدر على الحركة، فقلت: لله درك ودرها، فلقد وجب عليّ شكرك وشكرها، فاصبري على فراقها فالصبر عبادة، وانتظري الفرج من الله فانتظاره عادة.

انتهت المقالة وفيها دلالة على خفة روحه وظرفه، ثم إنها في غاية البلاغة، وهي من الهزل الذي يراد به الجد، وفيها أنواع البديع ظاهرة، وأحسبه يكني بها عن نساء، لأن العرب تشبه النساء الجميلات بالبقرة. والله أعلم.

الوزير أبو القاسم، الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن الحسن بن المرزبان بن هامان بن باذان بن ساسان^(١)، ويرتفع نسبه إلى فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور^(٢)، المعروف بالوزير المغربي^(*).

فاضل إن نظم ابتسم الحبيب، وإن نثر ذكر علاوة الشنب، لشعره طلاوة اشبهت الثغور حلاوة، وله همة خافتها الشمس فتورات بالحجاب، ولو رامها لطواها طيه للسجل في الكتاب، وكان الحاكم بأمر الله استوزره فعرف بالوزير، ثم قتل الحاكم أباه وعمه وأخوته فهرب أبو القاسم إلى الرملة اجتمع بصاحبها مفرج بن دغفل الطائي وكان متغلباً عليها، وأفسده على الحاكم حتى خافه الحاكم، ثم توجه إلى ميفارقين فاستوزره صاحبها أحمد بن نصر الكردي.

ومن شعره في مליح يسبح في بركة:

إنني رضيت من الحياة	بأسرها نظري إليه
وعرفت أسباب السنعيم	بقبلة في عارضيه
ولقد أراه في الخليج	يشقه من جانبيه
والسماء مثل السيف وهو	فرندة في جانبيه
لا تشربوا من مائه	شيئاً ولا تسردوا عليه
قد ذاب فيه السحر من	حركاته أو مقلستيه
صبغة بياض النيل صبغة	حمرة في وجنتيه

(١) التكملة: ساسان بن الحرون بن بلاش بن جاماس بن فيروز.

(٢) في هامش ب: «جور: معرب كور».

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ١٧٢/٢ - ١٧٧، معجم الأدباء ٧٩/١٠ - ٩٠، دمية القصر ٥٠ الكاميل لابن الأثير (صفحات متفرقة من ج ٩)، تاريخ دمشق، رجال النجاشي ٥١، شذرات الذهب ٢١٠/٣، مناقب آل أبي طالب، أمل الأمل ٩٧/٢، الطليعة - خ - ترجمته رقم ٧٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، رياض العلماء، الذخيرة، لسان الميزان ٣٠١/٢، الإشارة إلى من نال الوزارة ٦٦، أعيان الشيعة ٦/٢٧ - ٢٧، أدب الطف ٣٠٢/١٠ - ٣٠٤، مرآة الجنان، طبقات المفسرين للداودي المغربي ١٥٤/١، الخطط المقرزية.

أجاد في هذه القطعة وأحسن، ولا سيما في الخامس والسابع، وتشبيه النهر بالسيف شائع، وما أحسن قول أبي بكر بن عمار الأندلسي من قصيدة مشهورة مدح فيها المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية:

روض كأن النهر فيه معصمٌ صافي أطلّ على غدير أخضرا
وتهزّه ريح الصبا فتخاله سيف ابن عباد يبدد عسكرا

أنشدني أخي ضياء الدين زيد بن يحيى^(١) بلّ الله روحه بماء رحمته لنفسه من قصيدة أبدع فيها وسأوردها إن شاء الله عند ذكره:

فأجبنني إلى رياض زواي قد دعتنا بالسن الأطيّار
وكفتنا عن مزهر^(٢) ورباب بغنا عندليبها والهزار
فرشت تحتنا النبات وأرخت خيماً فوقنا من الأشجار
ويسيل النسيم فيها من النهر حساماً لقطع محل الديار

أما هذا الحسام الذي يقطع محل الديار فلم يسله من غمده سواه.

وكان الوزير أبو القاسم مع فضله في الشعر وعلوّ الهمة والكتابة من العلماء، وله مؤلفات وديوان شعر وديوان رسائل، ومن مؤلفاته: «اختصار إصلاح المنطق» لأبي يوسف يعقوب بن السكيت، وكتاب «الأساس في علم اللغة»^(٣) مشهور عظيم الفائدة، وكتاب «أدب الخواص»، و«المأثور من ملح الخدور». وشواهد.

قال القاضي شمس الدين بن خلكان: أدركت جماعة من أهل الأدب يقولون إن أبا علي هارون بن عبد العزيز الأوزاعي^(٤) ممدوح أبي الطيب بقوله:
أمن أزديارك في الدجى الرقباء إذ حيث كنت من الظلام ضياء^(٥)

(١) ترجمه المؤلف برقم ٧٤.

(٢) في هامش ب: «مزمر».

(٣) في الوفيات: «كتاب الأبناس» وهو في الأنساب - ط -، ولعل هذا غيره.

(٤) في الوفيات: «الأوراجي»، وفي ديوانه المتنبي ١٢٥: «الأوراجي».

(٥) الازدياد: الزيارة، الدجى: جمع دجية وهي الظلمة، والمعنى أن الرقباء أمنوا زيارتك لي لأنك تضيئين في الظلام فتضحين بنورك.

القصيدة كاملة في ديوان المتنبي ١٢٥ - ١٢٩.

خال الوزير أبي القاسم المذكور، ثم إني كشفت عنه فوجدته خال أبيه،
وأما هو فأمه بنت محمد بن إبراهيم بن جعفر العماني^(١).

وقال أحمد بن علي المقرئ: بنو المغربي أصلهم من البصرة وصاروا إلى
بغداد، وكان أبو الحسين علي بن محمد يخلف على ديوان المغرب ببغداد فنسب
به إلى المغربي، وولد ابنه الحسين بن علي ببغداد إذ تقلد أعمالاً كثيرة منها:
تدبير محمد بن ياقوت عند استيلائه على أمر المملكة ببغداد، وكان خال والده
الأوزاعي ممدوح المتنبي، وكان الأوزاعي أيضاً من أصحاب ابن رائق، فلما
لحق ابن رائق ما لحقه بالموصل سار الحسين بن علي إلى الشام ولقى الأخشيدي
ثم صار بنو المغربي كلهم إلى سيف الدولة بحلب، واختص أبو القاسم المذكور
به من بينهم، ومدحه أبو نصر بن نباتة السعدي^(٢)، واختص والده علي بسعد
الدولة بن سيف الدولة، ومدحه أبو العباس النامي، ثم فارق الحسين حلب
ووردت عليه كتب العزيز بالله من مصر إلى دمشق وفيها ولايته دمشق وسير له
خلعة، وقيل إنما كاتب العزيز كجوراً أحد أمراء الأتراك المتغلبين تلك الأيام
على مدائن الشام وأمره بمحاربة بني حمدان بحلب، وكان ابن المغربي هو
المشير بحربهم فنهض كجور لحربهم فلم يتم له أمر فعنف ابن المغربي وقال:
غررتني وتنكر له ففر عنه إلى الرقة كان بينه وبين كجور وبين بني حمدان خطوب
آلت إلى قتل كجور ومسير ابن حمدان إلى الرقة، ففر ابن المغربي إلى الكوفة
وكاتب العزيز يستأذنه بالقدوم عليه فأذن له، فقدم إلى مصر في جمادى الأولى
سنة ٣٨١هـ وخدم بها وتقدم في الخدم وحرّض العزيز على أخذ حلب، فقلد
مَنْجُوتَكَيْن بلاد الشام وضمّه إليه كاتباً ومشيراً فحارب أبا الفضل بن حمدان
وغلامه لؤلؤاً، وكاتب لؤلؤ ابن المغربي حتى استماله وصرف أميره عن الحرب،
ولما بلغ ذلك العزيز اشتد غيظه على ابن المغربي، ثم لما فر من الحاكم كما

(١) وفيات الأعيان ١٧٢/٢ وفيه: «العماني».

(٢) هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد المعروف بابن نباتة السعدي. ولد
سنة ٣٢٧هـ. كان من الشعراء المجودين جمع بين قوة المبنى وجودة المعنى، مدح الملوك
والوزراء والأعيان. له في سيف الدولة الحمداني مدائح متخبة فيها معان مبتكرة.
توفي سنة ٤٠٥ له ديوان شعر وقف عليه ابن خلكان.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١٩٠/٣ - ١٩٣، شذرات الذهب ١٧٥/٣، تاريخ بغداد ٤٦٦/١٠،
كشف الظنون/٧٧٤، يتيمة الدهر ٣٧٩/٢، أنوار الربيع ٣٤٢هـ/٢.

تقدم أشار على مفرج الطائي بقصد قرى الرملة، فشن الغارات على رساتيقها ومعه علي، وجاءهم عسكر الحاكم فكادوا أن ينهزموا فأمر ابن المغربي بالندا بإباحة النهب فثبت العرب وزحفوا إلى الرملة فملكوها وبالغوا في النهب والقتل، فانزعج الحاكم لذلك انزعاجاً شديداً، ثم حسن لمفرج ورفض الحاكم والدعاء إلى غيره، فراسل أبا الفتوح الحسين بن جعفر العلوي يدعوه إلى الخلافة، وسهل له الأمر وسير إليه ابن المغربي فحثه على المسير وجرأه على مال كان خلفه بعض الأكابر المياسير، ونزع المحاريب الذهب والفضة التي كانت على باب الكعبة وضربها دنانير ودراهم وسماها الكعبية.

ثم خرج ابن المغربي من مكة فدعاً بني سليم وهلال وعوف، ثم سار به ومجموعه، فلما بلغ الرملة تلقاه بنو الجراح وقتلوا له الأرض وسلموا عليه بإمرة المؤمنين، ونادى بالأمان، وصلى بالناس صلاة الجمعة، فامتعض الحاكم لذلك وسير الأموال لمفرج فاستماله وولى مكة لبعض الأشراف، فرجع أبو الفتوح إلى مكة واعتذر إلى الحاكم فقبل عذره، وكتب الوزير أبو القاسم إلى الحاكم بعد هذه الأمور:

وأنت وحسبي أنت تعلم أن لي لساناً أمام المجد يبني ويهدم
وليس حلیم من تباس يمينه فيرضى ولكن من تغيض فيحلم

فسير له أماناً بخظه، وكان توجه قبل وصول أمان الحاكم إلى بغداد، وبلغ القادر بالله خبره فاتهم أنه قدم في إفساد الدولة العباسية فخرج إلى واسط، ثم استعطف القادر فأذن له بالرجوع إلى بغداد، ثم مضى إلى قرواش بن المقلد أمير عقيل، وسار معه إلى الموصل وزيراً، ثم توجه إلى أحمد بن نصر الكردي كما تقدم.

وكان يلبس في هذه المدة المرقعة والصوف، فلما تصرف غير لباسه.

وقال عقيب شراء غلام تركي كان يهواه قبل شرائه:

تبدل من مرقعة ونسك بأنواع الممسك والشفوف
وعن له غزال ليس بحري هواه ولا رضاه بلبس صوف
فعاد أشد ما كان انتهاكاً كذاك الدهر مختلف الصروف

وأقام عند أبي نصر في أعلى حال، وأجل رتبة زماناً طويلاً، ثم كوتب

بالمسير إلى الموصل ليستوزره صاحبها، فسار من ميفارقين في الموصل وتقلد وزارتها، وتردد إلى بغداد للوساطة بين صاحبها السلطان أبي علي بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة أبي شجاع وبين صاحب الموصل وجميع رؤساء الديلم والأتراك، وتقلد وزارة الحضرة بغير خلع ولا لقب ولا مفارقة للدراعة في شهر رمضان سنة خمس عشرة وأربعمائة، وأقام شهوراً وأغرى بين رجال الدولة، ثم كانت أمور خاف منها على نفسه فخرج إلى قرواش، ثم ساء به ظن القادر بسبب أنه أثار فتنة عظيمة بالكوفة تلف فيها عالم ففرّ ثانياً إلى أحمد بن نصر الكردي فأكرمه وأقطعه ضياعاً، فكتب ثانياً من بغداد للعود إليها، فبرز من ميفارقين يريد السير إلى بغداد فسمّ هنالك، فعاد إلى المدينة فمات فيها لأيام خلت من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة، رحمه الله تعالى، فلقد كان أمره تاريخاً ممتعاً.

وأما عز الدين بن أبي الحديد فذكر في شرح الخطب المسمى نهج البلاغة خلاف ذلك، فإنه قال: حدثني أبو جعفر يحيى بن محمد بن زيد العلوي نقيب البصرة قال: لما قدم أبو القاسم المذكور إلى بغداد استكتبه مشرف الدولة أبو علي بن بويه وهو سلطان حضرة القادر ففسدت الحال بينه وبين القادر، وكان للوزير أعداء سوء أوهموا القادر أنه يدبر مع مشرف الدولة على قبضه، فأطلق القادر لسانه فيه وشكاه ونسبه إلى الرفض وسب السلف، وإلى كفران النعمة، وأنه هرب من يد الحاكم صاحب مصر بعد إحسانه إليه.

قال النقيب أبو جعفر: فأما الرفض فنعم، وأما إحسان الحاكم إليه فلا، لأن الحاكم قتل أهله كما ذكرنا، فلولا فرّ قتله أيضاً.

قال النقيب أبو جعفر: وكان أبو القاسم ينتسب إلى الأزدي ويتعصب لقحطان على عدنان، وللأنصار على قریش، وكان غالباً في ذلك مع تشييعه^(١).

قلت: وهو خلاف نسبه المذكور في فارس.

وانحدر الوزير مع مشرف الدولة إلى واسط، واتفق أن وقع إلى القادر كتاب يخط الوزير فيه من شعره ونثره مسوداً أتخفه بعض أعداء الوزير، فوجد

(١) شرح نهج البلاغة.

القادر في ذلك المجموع قصيدة من شعره فيها تعصب شديد للأنصار على المهاجرين حتى تدحرج إلى الإلحاد، وفيها تصريح بالرفض فوجدها القادر تمرة الغراب، وأبرزها إلى ديوان الخلافة فقرأ المجموع القصيدة بمحضر فيه الأعيان والأشراف والقضاة والمعدلين والفقهاء، وشهد أكثرهم أنه خطه، وأمر بمكاتبة مشرف الدولة بسببه، فهرب أبو القاسم ليلاً ومعه بعض غلمانة وجارية كان يهواها ويتخطاها، ومضى إلى البطيحة، ثم منها إلى الشام ومات في طريقه، وأوصى أن تحمل جثته إلى مشهد علي عليه السلام فحملت في تابوت ومعها خفر العرب حتى دفن بالمشهد.

قال أبو حامد بن أبي الحديد: وكنت برهة أسأل النقيب عن القصيدة وهو يدافعني حتى أملاها بعد حين، ثم أورد بعضها لأنه لم يستجز أن يورد كلها.

قلت: وهي على منوال أبيات نشوان^(١) التي مرّت في ترجمة الداعي ابن الأنف، فمما أورده الأستاذ أبو حامد منها:

نحن الذين بنا استجار فلم يضع
بسيوفنا أمست سخينة بركاً
ولنحن في أحد سمحنا دونه
فنجا بمهجته ولولا ذبنا

ومنها:

فينا وأصبح في أعزّ جوارٍ
في بدرها كعقيرة الجزارٍ
بنفوسنا للموت خوف العارٍ
عنه تنشب في مخالِب ضاري

أفنحن أولى بالخلافة بعده
ما الأمر إلا أمرنا ولسمعنا
لكنّما حدّ النفوس وشحها
أفضى إلى هرج ومرج فانبثرت
وتداولتها أربع لولا أبو
من عاجز ضرع ومن ذي غلظة
ثم ارتدى المحروم فضل ردائها

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) في هامش ج: «المحروم حقّه الذي خصّه الله ورسوله وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه».

تالله لو ألقوا إليه زمامها
هو كالنبي فضيلة لكن ذا
ومنها:

وتنقلت في عصابة أموية
ما بين مافون إلى متزندق
وليسوا بأطهار ولا أبرار
ومداهن ومضعف وحمار

وتركت أنا كثير مما أورده ابن أبي الحديد منها.

وولد بمصر ليلة الثالث عشر من ذي الحجة سنة ٣٧٥هـ.

قال المقرئزي: ولم يستوف أحد أخباره بمثله. وكان أسمر شديد السمرة
سناطاً عالماً بليغاً مترسلاً متفنناً في كثير من العلوم الدينية والأدبية والنجوم،
مشار إليه في قوة الذكاء والفتنة وسرعة الخاطر والبديهة، عظيم القدر، صاحب
سياسة وتدبير وحيل كثيرة، وأمور عظام، دؤخ الممالك، وقلب الدول، وسمع
الحديث ورواه^(١).

قال: وكان ملولاً حقوداً لا يلين كيده، ولا ينحل عقده، ولا يرجى
عوده^(٢).

وذكر ابن خلكان: أنه أوصى أن يحمل إلى الكوفة ويدفن بجوار أمير
المؤمنين علي عليه السلام فحمل إليها وجاور مشهد الإمام، وله في ذلك سبب وأوصى
أن يكتب على قبره:

كُنْتُ فِي سَفَرَةِ الْعَوَايَةِ^(٣) وَالجَّهْدِ
تُبْتُ مِنْ كُلِّ مَائِمٍ فَعَسَى يُنْمِ
بَعْدَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ، لَقَدْ مَا
لِ زَمَاناً فَحَانَ مِنِّي قُدُومُ
حَى بِهَذَا الْحَدِيثِ ذَاكَ الْقَدِيمُ
ظَلْتُ^(٤)، إِلَّا أَنَّ الْغَرِيمُ كَرِيمُ^(٥)

والظاهر أن الملك الصالح طلائع بن رزيك إنما كان يتمثل بها لأنه كان
بعده.

(١) الخطط المقرئزية.

(٢) ن.م.

(٣) العواية: الضلال.

(٤) ما ظلت: سوفت.

(٥) معجم الأدباء ٨٣/١٠، وفيات الأعيان ١٧٦/٢.

ومن شعر الوزير أبي القاسم في غلام جميل حلقوا شعره:

حَلَقُوا شَعْرَهُ لِيَكْسُوهُ قُبْحًا غَيْرَةً مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَشُحًّا
كَانَ صُبْحًا عَلَيْهِ لَيْلٌ بِهِمْ فَمَحَّوْا لَيْلَهُ وَأَبَقَوْهُ صُبْحًا^(١)

وله أيضاً في الوعظ:

إِنِّي أُبْتُكَ عَنْ حَـدِيدِـ
غَيَّرْتُ مَوْضِعَ مَرْقَدِي
قُلْ لِي فَأَوَّلُ لَيْلَةٍ
فِي الْقَبْرِ كَيْفَ تُرَى تَكُونُ^(٢)

ومن شعره أيضاً:

أَقُولُ لَهَا وَالْعَيْسُ تَحْدَجُ^(٤) لِلشَّرَى
سَأَنْفِقُ رِيْعَانَ الشَّبِيْبَةِ جَاهِدًا
أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنْ لِيَالِيَا
أَعْدِي لِفَقْدِي مَا اسْتَطَعَتِ مِنَ الصَّبْرِ
عَلَى طَلَبِ الْعَلِيَاءِ أَوْ طَلَبِ الْأَجْرِ
تَمُرُّ بِلَا نَفْعٍ وَتُحَسَبُ مِنْ عُمْرِي^(٥)

ولعمري ما أضع أيامه من كانت همته تلك الهمة.

وذكر ابن خلكان: أن أبا عبد الله محمد بن أحمد، صاحب ديوان الجيش بمصر، كتب إلى الوزير أبي القاسم المذكور لما ولد له عبد الحميد بن الحسين من أبيات:

قَدْ أَطْلَعَ الْفَأْلُ مِنْهُ مَعْنَى يُذِرُّكَ الْعَالَمَ الذَّكِيَّ
رَأَيْتُ جَدَّ الْفَتَى عَلِيًّا فَقُلْتُ جَدُّ الْفَتَى عَلِيٌّ^(٦)

قلت أنا: أخذ المعنى من قول أبي العلاء:

سألن فقلن مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهن فالأ
وقد استعمل معنى الأول السيد محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضي

(١) وفيات الأعيان ١٧٤/٢.

(٢) في معجم الأدباء: لفارقي.

(٣) معجم الأدباء ٨٩/١٠ - ٩٠، وفيات الأعيان ١٧٤/٢.

(٤) تحدج: يشد عليها الحدج، وهو مركب للنساء كالمحفة والحمل أيضاً.

(٥) معجم الأدباء ٨٨/١٠، وفيات الأعيان ١٧٤/٢.

(٦) وفيات الأعيان ١٧٤/٢.

الحلبي^(١)، ورأى أنه أحق بعلي فقال:

قيل كي كم وكم كذا تتمادي
قلت ظنني بالله ظنّ جميل

إن لله رحمة تسع الخلق جميعاً فمن هو العرضي؟

ولا تستقيم التورية في البيت الثاني إلا بقطع البدل.

وذكرت بتهنئة المولود قولي من أبيات هنأت بها السيد الزاهد ضياء الدين

يوسف بن المتوكل^(٢) [على الله إسماعيل]^(٣):

بدر تبلّج عن سناء كوكبُ
أو زاخر أولى المعالي جدولاً
نجل يتيح إلى الأعادي منحلاً
أبشر به نجلاً حميداً نجمه
وأتى بعيد الفطر وهي إشارة
فالعيد عود المشتهي لك عاجلاً
خطت سعادته له أقلامه
تفتر من فرح به أكمامه
إذ جفّ زرعهم وحنان قماحه
عين السعادة حين تركب لامه
يدري بها شهر اللبيب وعامه
والفطر ينفطر الخبيث مرامه

وعين السعادة هو لام القتال أحلى من مقلة الحبيبة وعذار الغزال.

وما أظرف قول العرضي أيضاً في لاعب شطرنج:

(١) محمد (أبو الوفاء) بن عمر بن عبد الوهاب الحلبي، العرضي: مفتي الشافعية بحلب وابن مفتيها. مولده فيها سنة ٩٩٣هـ ووفاته فيها أيضاً سنة ١٠٧١هـ. له اشتغال بالتاريخ والأدب، ونظم حسن. من كتبه «معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب - خ» تراجم، رأى المحبي قطعة منه ونقل عنها، و «طريق الهدى - خ» تصوف، و «فتح المانح البديع - خ» شرح بديعية من نظمه، ورسالة في «فسخ الطلاق - خ». ترجمته في:

خلاصة الأثر ١: ١٤٨ وأعلام النبلاء ٦: ٣٠٨ وإيضاح المكنون ٢: ٨٥ و (322) و Brock. 2: ١٥ وريثانة الألبا ١٣٥ ويلاحظ أن المصادر كلها تسميه «أبا الوفاء» كما كان هو يكتب عن نفسه، وله أخ اسمه «محمد» أصغر منه سناً، ترجم له المحبي في خلاصة الأثر: ٤: ٨٩ والخفاجي في الريحانة ١٣٧ والطباخ في إعلام النبلاء ٦: ٣١٨ وقالوا: عاش نحو ستين سنة، ومات بعد أخيه «أبي الوفاء» بنحو شهر، الإعلام ط ٣١٧/٦/٤.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٩٧.

(٣) ما بين المعقوفين من ب.

يُحاول أن يُميت النفس ظنّي بشامات حكمت عشرات حاسب
تري حظي به في الدهر يوماً تراني راكباً من فوق لاعب
ولي بيت في ذكر الشطرنج ما أعلم أنه سبق، والتاء والهاء في الشاة
تتعاقب إذ هي لفظة عجمية، والبيت:
وعاذل رام بالشطرنج يشغلني وكيف عن ظبيكم تسليني الشاء
وللوزير أبي القاسم في سوداء:
يا رب سوداء تيمتني يسهل في مثلها الغرام
كالليل تُستسهل المعاصي فيه وُستعذب الحرام
وأدابه وأخباره كثيرة، والله يعين بفضلته وكرمه.

[٥٨]

السيد الحسين بن علي بن الحسن الحسيني، المدني، ثم الهندي
المعروف بابن شدقم^(*).

أحد شعراء السلافة، ذكره السيد جمال الدين فيها فقال: سيد رقي من
المكارم ذراها، وتمسك من المحامد بأوثق عراها، دأب في كسب المكارم فتى
وكهلاً، وسلك من مسالكها حزناً وسهلاً، فملك جوامحها ذلك المراسن،
واجتلى محاسنها مسفرة المحاسن، ودخل الديار الهندية فسطع بها بدره، وعلا

(*) حسين بن علي بن حسن بن علي النقيب بن الحسن بن علي بن شدقم بن ضامن بن محمد بن
عرمة بن نكيثة بن توبة بن حمزة بن علي بن عبد الواحد بن الأمير مالك بن الحسين بن أبي
عمارة المهنا الأكبر بن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى النسابة بن الحسن بن
جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب عليه السلام.

ولد في المدينة المنورة يوم الجمعة، منتصف شعبان سنة ١٠٢٦، وسافر إلى الهند شاباً لم يتجاوز
عمره ٢٢ سنة، وزوجه أحد أمرائها إيته.

ترجمته في: سلافة العصر ٢٥٣ - ٢٥٦، تحفة الأزهار - خ - ٢٦٦/٢ - ٢٧١، أعيان الشيعة
٤٢٣/٢٦ - ٤٢٩، زهرة المقول - المقدمة ٢٦ - ٢٨، الطليعة - خ - ترجمه رقم ٧٨، أنوار الربيع
٢١١/٦.

صيته وارتفع قدره، وله الأدب الذي بهرت فرائده، وصدق منتجعه رائده، على أنه لم يتعاطَ نظم الشعر إلا بعد ما اكتهل، وجاءت فرسان القريض جاهدة وجاء هو على مهل^(١)، فمن شعره يمتدح رسول الله ﷺ:

وقولا لحادي العيس عيسك لا تحدي
وبالرغم مني أن يطول به عهدي
ويسكن ما ألقاه من لاعج الوجد
تركنا قتيلاً من صدودك بالهندي
ويصبو إلى تلك الأثيلات والرند
ونبكي بها شوقاً لعلَّ البكا يجدي
مرنحة الأعطاف مياسة القدي
من الشوق والحسن البديع بلا حد
بموردها والحي وردا على ورد
كستها أديم الأرض بردا على برد
من الشعر والأضياف وقدأ على وفد
من الساكنين المدن طفلاً على مهد
وأعرضت عن ماء مضاف إلى الورد
وملت إلى السرحات من عارضي نجد
وبالغت في صدق الوداد لهم جهدي
وإن يسك أن الله يغفر للعبيد
بمرسله خبر النبيين ذي المجد
نبياً لإرشاد الخلائق بالرشيد
كما القلب أو أدنى من الواحد الفرد
ويا بحر فيض سيبه دائم المد
من الله رب العرش مستوجب الحمد
عن الدار والأوطان بالأهل والولد
بقرب فقرب الدار خير من البعد

أقيما على الجرعاء في دومتني سعد
فإن بذاك الحي إلفاً عهدته
عسى نظرة منه أبل بها الصدي
والا فقولاً يا أميمة إننا
يحن إلى مغناك بالطلح والفضا
قفا نندب الأطلال أطلال عامر
إلى ذات دل يخجل البدر حسنهما
جهنم والفردوس قلبي ووجهها
سقاها الحيا ما كان أطيب يومنا
وقد نشرت أيدي الغمام مطارفاً
وقد رفعت فوق الحزوم سرادق
بدوت بحبييها وإلا فإنني
وملت إلى ماء البشام لأجلها
وغادرت نخلاً بالمدينة يانعاً
وحاربت أقوامي وصادفت قومها
ولا إثم في حبي لها ولقومها
ولا سيما أن جثته متوسلا
أبي القاسم المبعوث من آل هاشم
دنى فتدلى من مليك مهيمن
ألا يا رسول الله يا أشرف الورى
لأنت البذي فقت النبيين زلفة
يناجيك عبد من عبيدك نازح
ويسهل قربي من حماك فجد له

(١) سلافة العصر ٢٥٣ - ٢٥٤.

به الروضة الفيحاء من جنة الخلد
غريب بأرض الهند يصبو إلى هند
إلى طيبة الغراء طيبة الند
عقيق غدا وادي العقيق له خدي
تقطع أفلاذ الحشاشة كالرعد
وما لاح في الخضراء من كوكب يهدي
وبضعتك الزهراء زاكية الجد
وسجادهم والباقر الصادق الوعد
كذاك عليّ ذو المناقب والزهد
وقائمهم غوث الوري الحجة المهدي^(١)

ليلثم أعتاباً لمسجدك الذي
فإن له سبعاً وعشرين حجة
إذا الليل واراني أهيم صبابة
وأسبل من عيني دمعاً كأنه
سميراي في ليل غرام وزفرة
عليك سلام الله ما ذر شارق
كذا الآل أصحاب الكرامة حيدر
وسبطاك من حاز الفضائل كلها
وكاظمهم ثم الرضا وجوادهم
كذا العسكري الطهر ذو الفضل والتقى

أجاد فيها بحسب بلاد الهند، فليست من معادن الأدب، بل من معادن
الذهب، وينبغي أن تكون المخالصة النبوية على هذا النمط، فإنه قال قبله:

ولا إثم في حبي لها ولقومها وإن كان فالرحمن^(٢) يغفر للعبيد
ولا سيما المتوسل بنية ومخلص، شيخ شيوخ حماه في باب التورية مما هو
الشرط الحسن وهو:

فمن رأى ذاك الشوشاح الصائم صلي على محمد
فالصيام والصلاة مما ينبغي للأديب أن يحج إليها بعد أن يقول لا إله إلا
الله تعجباً ليأتي بالأربعة الأركان تأدياً.

وقوله فيها: «تركنا قليلاً من صدودك بالهند» فيه تورية متعاملة.

وقوله: «وغادرت نخلاً بالمدينة يانعا» فيه إمام بقول أبي العلاء المعري:

وأبغضت فيك النخل والنخل يانع وأعجبنى في حبك الطلح والضال
إلا أن مثل هذا لا يُعد أخذاً لقلّة الجدوى.

وأما قوله: «جهنم والفردوس... الخ» فليس بطيب، وكيف تطيب جهنم،

(١) سلافة العصر ٢٥٤ - ٢٥٥، تحفة الأزهار - خ - ٢٦٦/٢ - ٢٦٨.

(٢) في الأصل: «فالله» وما صوبناه لاستقامة الوزن.

فلو لم يردّها بهذا المكان لكان الأسلم، وتركيب البيت متنافر، ولفظ جهنم أثقل على أهلها من اليوم الآخر.

ولم أقف من أخبار المذكور على أكثر من القصيدة وفيها معرفة لبثه في الهند.

ومما يعاب عليه لفظ كذا، وكثرة ترديدها، فليس من طريقة أهل الفصاحة.



وَشَدَّقَم، بفتح الشين المعجمة وإسكان الدال المهملة وفتح القاف وآخره ميم: لقب لبطن كبير من السادة الحسينية بالمدينة، وشدقم فحل منجب كان لبعض العرب تنسب إليه خيل مشهورة تعرف بالشدقمية. والله أعلم.

[٥٩]

الأديب، الحسين بن علي موسى الخياط الصنعاني، أحد المطبوعين^(*).

فاضل نبئت له الآداب نباتاً حسناً، وكانت مقلتها سهرت لقلّة العناية بها فأكسبها بهجة وسنا، له نسج فكرة لا تبقي للرفاء صنعه ولا للخياط، منحها الله صيد العقاب للمعاني فما جهد البيغا والوطواط، إن وصف بدمراً ترك المعارض في يوم حنين، وأرجعه بخفّه بعد وجأ وأين، ومن كان على الفهم أقرّ بفضل الحسين، وهو معاصر الآن يكتسب بالخياطة، مطبوع في الشعر كعبد القادر الخيمة ونظرائه، وهو مقلّ مجيد، وإنما يحسن من العقود الفريدة.

ومن شعره:

فتنتُ بأهيف يسبي النهي أَلح المحبون في عشقه
له مقبلة سهمها صائب وثغر (يكاد سنا برقه)^(١)

(*) ترجمته في:

طبيب السمر - خ، ذوب الذهب - خ، نقحات العنبر - خ، نشر العرف ١/٥٨٧ - ٥٩٢، ملحق البدر الطالع ٨٨.

(١) نشر العرف ١/٥٨٩.

أحسن ما شاء بالاعتباس والتشبيه والاكتفاء وحسن السبك .

وله في غلام جميل صلى بأمثاله جماعة :

أقام صلاة العصر غصن مهفهفٌ بكل كحيل الطرف نوني الحواجب
فقلت أفي المحراب قد قام يوسف فقد شاهدت عيني سجود الكواكب^(١)

وفيه مع التشبيه وتجاهل العارف التلميح إلى رؤيا يوسف الصديق عليه السلام .

أذكرني بقوله هذا مع صلاة المليح ما ذكره أبو الفرج في أخبار مطيع بن
إياس الأسدي^(٢) الشاعر الخليع، وهو أنه كان يشرب مع جماعة منهم حماد
عجرد ونحوه، ومعهم قينة، فلبثوا ثلاثة أيام لم يصلوا، ثم تلاوموا بينهم وعزموا
على الصلاة وأن تؤمهم القينة، وكانوا سكارى، فقدموها، وليس عليها إلا غلالة
شفافة بغير سراويل، فلما سجدت ظهر فرجها فوثب حماد فقبله وقال :

ولما بدا حرّها جائماً كراس حليقي ولم تغتمد
سجدت عليه وقبلته كما يصنع العابد المجتهد^(٣)

وكان هؤلاء النفر متهمين بالزندقة .

ولحسين بن علي موسى في الدراهم التي نحتت من طول الضرب لها بغير
ذنب أيام القاضي زيد بن علي الجملولي الساحر :

قبّح الله ضربة رخموها بالقوانين في يدي إسحاق
كنّ فيما مضى بدوراً بدور فاستحالت أهلة في محاق

الترخيم: لغة القطع، وفي اصطلاح النحويين حذف آخر حرف من
المنادى، أو حذف حرفين، ولا يجوز في غيره إلا في الشعر سماعاً، ومن
الترخيم الذي هزه الترخيم قول جمال الدين بن نباتة^(٤) مورياً فيه :

لو ذقت برد رضاب من مقبله يا حار ما لمت أعضائي التي ثملت

(١) نشر العرف ١/٥٨٩ .

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٧١ .

(٣) الأغاني ١٣/٣٥١ .

(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: قلت للمولى جمال الدين: وكذا لو قلت يا صاح كان مثل يا حار، لأنه يقع بعده ثملت، فاستحسن قولي وقال: إنه لم يخطر له، ثم الشيخ صلاح الدين أسرج جواد الغارة عليه على العادة فقال:

لا تلج قلبي الشجتي بقابلٍ معروف أهل الهوى بمنكرٍ
فلسو ترشفت ريق فيه كنت يقيناً يا صاح تسكرٍ
وتورية جمال الدين موشحة قبل ذكرها، والصلاح بعدها. وأما السبك فهذا
الفرس وذا الميدان فلينقده فارس الأدب.



رجع، والرخيم: أوتار العود وجاء بعده القوانين.
وإسحاق، فكان توجيهاً حسناً وتورية في إسحاق، ومراده به إسحاق
المسيبي رئيس الضرابين، وأوهم إرادة إسحاق بن إبراهيم الموصلي إمام صناعة
الألحان، فجاءت تورية مرشحة لأن واحد القوانين القانون:
وهي لغة يونانية معناها حد الشيء.

والقانون أيضاً آلة مطربة قيل إنها اختراع العلم الثاني الإمام الحكيم العارف
أبي نصر محمد بن محمد الفارابي^(١) وهو مراد الناظم هنا، ومن مشهور شعره

(١) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني: أكبر فلاسفة
المسلمين. تركي الأصل، مستعرب. ولد في فاراب (على نهر جيحون) سنة ٢٦٠هـ وانتقل إلى
بغداد، فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه. ورحل إلى مصر والشام. واتصل بسيف الدولة ابن
حمدان. وتوفي بدمشق. سنة ٣٢٩هـ. له نحو مئة كتاب، منها «الفصوص - ط» ترجم إلى
الألمانية، و«إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها - ط» و«آراء أهل المدينة الفاضلة - ط»
وغيرها، ولمصطفى عبد الرازق، كتاب «فيلسوف العرب - ط» في سيرته ومثله «الفارابي - ط»
للإلياس فرح، و«الفارابي - ط» لعباس محمود.
ترجمته في:

وفيات الأعيان ١٥٣/٥ - ١٥٧ وطبقات الأطباء ٢: ١٣٤ - ١٤٠ و Brock. I: 232 (ZIO), S. I: 375
وتاريخ حكماء الإسلام ٣٠ وابن الوردى ١: ٢٨٤ وآداب اللغة ٢: ٢١٣ والبداية والنهاية ١١:
٢٢٤ وفيه: «كان يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني» وفي المقتطف ٥٧: ٣١٤ و ٤٠٢ و ٤٩٠
بعثت مستفيض عنه. والوافي والوفيات ١: ١٠٦ و Princeton 26I, 289 ومفتاح السعادة ١: ٢٥٩
وأخبار الحكماء ١٨٢ و كارادوفو B. Carra de Vaux في دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٠٧ - ٤١٢
والذريعة ١: ٦٦ ثم ٢: ٢٣٦ وإحصاء العلوم: مقدمته. وأنظر Haurt 28I ومحاضرات الفلسفة
العربية للكونت دي جلارزا ٤ - ٣٥ ومجلة المخطوطات ٤: ٣٩، الاعلام ط ٢٠/٧/٤.

والذي شاع له في وصف المعصوبة^(١) وقد قلدها عصابة عسلية أصبحت بها غانية
حالية، والكسار خباز معروف:

صاح صاح الهزار في الأشجارِ
فانتبه للصبح قد رقم الطل
والرحى في الصباح قد أطربتنا
فارتشف قهوة من البن تغني
وإذا ما أردت وصل حبیب
تنظر القرص طالعاً في يديه
بببياض مرقم بسواد
وكعوب عليه تزهو فتغني
أنا في حبه عميد مُعنى
لا تلمني في حبه يا عدولي
ما نقي الخدود إلا نقياً
رب معصوبة الذل لقلبي
أحكموها ودققوها بفهم
مازجوا جسمها بإكسير ملح
فاستحالت سبيكة من لجين
عظّموا قدرها وقوموا إليها
وهي الكميا وما قيل فيها
فعلی مثلها يناع ويبكى

وتجلى الصباح بالأنوارِ
وأمحت سطر النجوم السيواري
بسماع يُغني عن الأوتارِ
عن سلاف الرحيق في الأبقارِ
فانتفض مسرعاً إلى الكسارِ
مستديراً كمثل شمس النهارِ
كبياض الخدود حول العذارِ
عن كعوب الخرائد الأقمارِ
قد حلى لي تهتكى واشتهاري
قد رأيت الصواب خلع العذارِ
عند أهل الحجج وأهل الوقارِ
من وصال الخرائد الأبقارِ
إذ رأوها من أعظم الأسرارِ
قبل تركيب جرمها في النارِ
وعلى السمن فوقها كالنضارِ
فهي لا شك منتهى الأوطارِ
في كتاب الشذور من أشعارِ
لا على درهم ولا دينار^(٢)

ما أعلم أحداً تغزل بماكول سواه مع الرشاقة والانسجام، اللهم إلا ابن
الرومي مشهور كان فيه، وما أحسن^(٣) تشابيهه الشهية للخبز والمعصوبة وهي خبز
يمرس بسمن، وقياس مزاجها إذا قلنا باعتدال الحنطة، وإن السمن حار في الثانية
رطب في الأولى أن تكون حارة رطبة في الدرجة الأولى في نحو آخرها،

(١) المعصوبة: نوع من الأطعمة مشهور عند أهل صنعاء.

(٢) نشر العرف ١/ ٥٨٨ - ٥٨٩.

(٣) في هامش الأصل: «وما أحلى».

والأصل في هذا الوزن والقافية قصيدة خمرية لأبي نؤاس أولها:

مرحباً بالربيع جاء في آذارٍ وبأنوار بهجة الأشجارِ
ونسج على منوالها جماعة.

ومن التشابه اليتيمية للرقاق قول ابن الرومي في خبّاز مرّ عليه بباب الطاق
بيغداد:

ما أنس لا أنس خبّازاً مررت به يدحو الرقاقة وشك الملح بالبصرِ
ما بين رؤيتها في كفه كرةٌ وبين رؤيتها قوراء كالقمرِ
إلا بمقدار ما تنداح^(١) دائرة في صفحة الماء ترمى فيه بالحجرِ
قلت: لو صلى على النبي لثلا يُصيه بالعين.

وذيلها بعض المغاربة المشايخ الأكابر بيتين مجن فيهما، وما رأيت ذكرهما
هنا لثلا يفسداها.

وللحسين بن علي موسى أشعار كثيرة وأدب صالح وموشحات رائقة. نعم،
وقع لي في تقرّيبه أول الترجمة استخدام، وهو قولي إن وصف بديراً أوقع
المعارض في يوم حنين وأرجعه بخفّه، وهو استخدام على مذهب صاحب
الإيضاح، وعنده أنه إطلاق لفظ مشترك بين معنيين يريد به إحدى المعنيين ثم يعيد
عليه ضميراً تريد به المعنى الآخر، وتعيد عليه ضميرين تريد بأحدهما أحد
المعنيين وبالأخر المعنى الثاني، فالأول كقول الشاعر وهو قديم جاهلي:

إذا نزل السماء بأرض قومٍ رعيّناه وإن كانوا غصابا

فالسماء المطر، وأراد بقوله: «رعيّناه» النبات، لأن من أسمائه السماء.

والثاني مثل قول البحري:

فسقا الغضى والساكنيه وإن هم شبّوه بين جوانحي وضلوعي

ف«الغضى» محتمل الوضع والشجر ويصلح السقي لكل منها، فلما قال

(١) في هامش الأصل: «يراح».

الساكنيه استعمل الموضع، والقريئة دالة، ويقوله: «شَبَّوه» المعنى الآخر وهي الدلالة بالقريئة على الشجر، على أن الشيخ صفي الدين الحلبي ناقشه في هذا البيت الذي ما سبق إلى حسنه فقال في شرح بديعته: إن شرط لفظ الاستخدام أن يكون أصلياً، وإن لفظ «غضى» ليس بأصلي في المعنيين بل أحدهما منقول عن الآخر، والغضى الحقيقي هو الشجر، ومسمى وادي الغضى لكثرتة فيه، وحرر الغضى لقوة ناره، فكل منقول من أصل واحد.

قلت: إنما يمكن الانتصار للبحثري بأنه لم يرد وادي الغضى العلم الذي فيه شجره، وإنما أراد محلاً اسمه الغضى لا شجر فيه من الغضى، ولا يلزمه النقل لأن شرط المناسبة والفرض عدمها، بل هو مرتجل بل نقد الصفي يلزم في السماء لأن تسمية النبات بها منقول من الهوى المناسبة في نفع الحلق والمشاركة.

وذاكرني بعض الناس ممن يدعي الكمال الاستخدام في بيت أبي عبادة فذكرت له انتقاد الصفي فأنكر أن يكون فيه نقداً تقليداً لصاحب الإيضاح. والثاني من الاستخدام مذهب الشيخ بدر الدين بن مالك فيما ذكره في «المصباح» وهو أن يذكر لفظ مشترك بين معنيين ثم يؤتى بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين، ومن الآخر المعنى الآخر، وقد يكون اللفظان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون المشترك متوسطاً بينهما، والشاهد قول أبي العلاء في داليتة:

قصد الدهر من أبي حمزة الأ واب مولى حجاً وخذن اقتصاد
وفقيه ألفاظه شدن للنعمان ما لم يشده شعر زياد

فيحتمل النعمان أبا حنيفة، ويحتمل النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وزياد اسم النابغة وكان شاعر النعمان، فلفظ فقيه يخدم النعمان أبا حنيفة، وشعر زياد يخدم النعمان بن المنذر، ولا يصحُّ على مذهب صاحب الإيضاح لعدم عود ضمير يشده على نعمان منهما، والشرط عنده عوده على اللفظة المشتركة كما في شبهه لكان ذلك الإنسان الذي جاراني أنكر هذا النوع من الاستخدام وهو أعز من الأول صدق هو جاهل له، وإنما ذكرته للفائدة وتذكرة به، وإلا فائمة البديع لم يغفلوه كابن المعتز في كتاب «البديع» وابن حجة في تقديم أبي بكر، والصفدي في «فض الختام عن التورية والاستخدام»، ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾

يَمَحُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿١﴾ وَاللَّهُ تَعَالَى الْأَعْلَمُ ﴿٢﴾ .

[٦٠]

الأمير السيد الحسين بن عبد القادر بن ناصر بن عبد الرب بن علي بن
شمس الدين الحسيني الكوكباني (*) .

فاضل جدّد الأدب في اليمن وقد خلق، وأبرزه من صدق الخمول لؤلؤاً
متسق، وحمل لواء الأدب وبيّض وجهه وأظهر قناه، وما سعف بغير أسود الطرس
وأسمر القناه، فإذا نظم الجواهر الفرد أخلل النظام وإذا فاخر هشم به، فهو أبو
هاشم عند علماء هذا الكلام مع إمامه بالعلوم وخوفه للملك القيوم، وكما له
بالسياسة واجتذابه لطرّة الرئاسة، رأى كوكبان منه شمساً فما شمس، وقرأ سورة
النصر في مصحف عزمه فعوّذه بالفجر ولغيره عبس، ولم يزل بعد أبيه عمد ذلك
البلاد، ثم بعد وفاة المؤيد محمد بن المتوكل طلب الإمامة بالدعوة، وتمّت له
خطوب وتنقل في الحبس والإطلاق المشبهة حتى علقت به شعوب، فتوفى يوم
السبت الثاني عشر من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة ومائة وألف بحدّة، وحمل
منها إلى شبام بوصيّة منه رحمه الله تعالى .

وكان كامل الفضائل، إماماً من أئمة الأدب، وكتب الخط الحسن، وشارك
في غير علم، وكان له إمام بعلم الطب، ولأهل ولايته فيه اعتقاد بعد ارتفاع يده
عنها لحسن قديم سيرته فيهم وعدله .

(١) سورة الرعد: الآيتين ٣٨ - ٣٩ .

(٢) في هامش ب: «وفاة صاحب الترجمة، الحسين بن علي الخياط سنة أربعين ومائة وألف
١١٤٠» .

(*) الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الإمام المتوكل على
الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن المهدي أحمد بن يحيى المرتضى بن المفضل بن
المنصور بن محمد العفيف الملقب بالوزير بن المفضل بن الحجاج بن عبد الله بن علي بن يحيى
بن القاسم بن الإمام يوسف الداعي بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى
الحق . . . تمام نسبه بهامش الترجمة رقم ١٢ .
ترجمته في :

طيب السمر، ذوب الذهب، البدر الطالع ١/٢٢١، نفحات العنبر، نشر العرف ١/٥٦٠ - ٥٦٦ .

وشعره كثير مشهور، وجمع ديوانه أخوه محمد بن عبد القادر بعد موته،
وسمعت أنه أوصاه أن لا يثبت له إلا أشياء عيَّنها له ويسكت عن البقية لغرض
له، فلا يدون إلا القليل.

ومن شعره:

واحفظ فؤادك من عيون العين
مسموم أو من سيفها المسنون
أغنت محاسنه عن التحسين
يسطو بسحر من رناه مبين
كشف الدجى منه بصبح جبين
عن ضمه ينهى بكسر جفون
فيكاد يلبويه لفرط اللين
وخذوده أغنت عن النسرين
إلا وفي فيه ابنة الزرجون
يحيى برشف رضابه في الحين
ماء الحياة، لمغرم مفتون
في مهجتي لا في ربي جيرون
لك مرتع، والورد ماء جفوني
طرف الكحيل، وحاجب كالنون
وتقول لا يا مالكي ترديني
يا كربلا أرضيت قتل حسين
جسمي السقام وسال ماء شؤني
قد حل بي من ذاك ما يضمنيني
وحنين تدكار، ودمع حزين
أكذا يجازي ود كل قرين^(١)

خفف على ذي لوعة وشجون
فلكم فؤاد واجب من سهمها الـ
واترك ملامة مغرم في حب من
رشاً أغن غضيض طرف لم يزل
ستر الضحى من شعره بدجى كما
وتراه منتصب القوام ولم يزل
وإذا مشى مرّ النسيم بعطفه
نابت عن الصهبا سلافة ريقه
ما مال كالنشوان تيهاً عطفه
وترى العميد بصارم من لحظه
فلحاظه فيها الممات، وريقه
يا شادناً شاد الغرام كناسه
لك في فؤادي مربع، وحشاشتي
يا من له الخد الأسيل ومن له الـ
ما زلت مغرى بالخلاف لشافعي
ويلاه من لا في الجواب وكربها
لما تحملت الغرام أقام في
يا من يدوم على البعاد أما ترى
زفرات مشتاق، ولوعة عاشق،
ورضيت ظلمي في هواك ولم أقل

هذا نفس منسجم وطريقة طريفة، وما زلت أعجب مع فضله وطول نفسه
وكثرة تمكّنه لمأخذه من غيره، فإن السحر الحلال في هذا بيت كربلا ورضاه

(١) نشر العرف ١/ ٥٦٥ - ٥٦٦.

بقتل الحسين الذي بكت له السماء، أخذه من قول الفيومي^(١) أحد شعراء
الريحانة:

تَرَكْتُ جَفْنِي واصلًا^(٢) وَالْكَرَى راءٌ فَجُذُّ بِالْوَصْلِ فالوصلُ زَيْنُ
وَلَا تُجِبْنِي عن سؤالي بِلا فالقلبُ يَخْشَى كَرَبَ لَا يا حُسَيْنُ^(٣)

فما ترك رحمه الله للفيومي شيئاً، ويحتمل أنه رآه أحقّ به إذ كان سمياً
لذلك الإمام الكريم، وأما المواردة فلا نسلها لاشتهار عرف الريحانة وهو ذكي.
وأما التوجيه بالشافعي ومالك في البيت الخامس عشر فكثير منه مطلع
قصيدة لابن نباتة وابن حجة:

رضيع الهوى يشكو فطام وصالك فمن شافعي في الحبّ يا ابنة مالكي
ولامية الابخشاري الرومي من نونية تلاعب فيها بالبديع ووجه بالأئمة
الأربعة:

أحمد الوصل مالكي ليس يرضى شافعي روض خده النعماني
ومن الشهير في ذلك قول الشاعر:
خذك ذا الأشعري حنفي وصار من أحمد المذهب لي
حسنك ما زال شافعي أبداً يا مالكي كيف صرت معتزلي



أراد التوجيه بأئمة الفقه، إلا أنه أدخل المعتزلي وهو أجنبي بينهم، لأن
أولئك أئمة الفقه، والحنفي قد يكون معتزلياً كأبي القاسم الزمخشري، وشافعيّاً
أيضاً قليلاً، إلا أنه قابل الأشعري وبقى الجهمي والكرامي من الأصوليين،
والزيدي والظاهري فيهما.

حكى أن الوزير محمد الخارج لولاية اليمن من قبل سلطان ممالك الروم،
وكان فاضلاً، أنشد يوماً في مجلسه هذين البيتين فقال: لو كان المذهب الزيدي

(١) شهاب الدين أحمد الفيومي، ترجمته وشعره في ربحانة الألبا ١/ ٣٨٥ - ٣٨٧.

(٢) يشير إلى واصل بن عطاء، وتعذر نطقه بالراء.

(٣) ربحانة الألبا ١/ ٣٨٦.

مما يعد لوجد به، فارتجل السيد صلاح الحاضري وكان حاضراً وهو من أدباء
صنعاء في زمنه:

زاد غرامي به فزيتدني بعداً عن المكثرين في عدلي
فأعجب الوزير وأجازه.

قال القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق^(١)
بلّ الله ثراه: أنشدني بعض إخواني للأديب الكاتب محمد أفندي بيتاً قاله قبل بيت
السيد صلاح الحاضري وهو:

وخارجي العذار مذهبه قد صار رفض الكرى عن المقل
قال القاضي: فقلت أنا:

مد سل سيف الهموم جرّدي بنصبه بلهيموم والشغل
زاد القاضي، رحمه الله تعالى الجارودي والناصي، وهي مقابلة صادقة.

قلت: أما بيت الحاضري فإنما فضلته البديهة وإلا فليس فيه إلا مذهب،
وتلك شمل البيت ثلاثة أو اثنين. وما أحسن قول ناصر الدين حسن بن النقيب:

يا مالكي ولديك ذلي شافعي مالي سألت فما حبيت سؤالي
فوجدك النعمان إن بليتني وشكايتي من جفئك الغزالي
وله أيضاً:

بخالد الأشواق يحيى الدجي يعرف هذا العاشق الوامق
فخذ حديث الوجد عن جعفر من دمع عيني أنه الصادق

وعلى ذكر الأشعري، فقد ظرف السعيد بن سناء الملك^(٢) بقوله:

ورب عاق قال لي مرة: يا هاجري ظلماً ولم أهجر
معتزلي صرت قلت: أتؤد واعتب علي مبعرك الأشعري

وعلى هذا الانتقاد للحسين، فكل شيعي للأدب لا ينكر فضله.

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

ومن شعره:

غير الصبا وهديل الورق في الورق
ما صفتت من سرور ظلمة الفلق
كفاً ولا جعلت طوقاً على العنق
الحنان إسحاق أصواتاً على نسق
والصب من صب دمع العين في غرق
غصن وبت لغصني غير معتنق
لفرط ما بي من وجد ومن أرق
ريم الصريم وقد أرداه بالحدق
ما قط أبقت له عيناك من رمق
قتل الحسين دليل حمرة الشفق^(١)

ما للمشوق مجيب في دجى الغسق
يا قوم لو كان للورقا شجون شج
لو أنها فقدت إلفاً لما خضبت
ولم تحرك لها عوداً وتنشد من
وهي التي دمعها ما زال منحسباً
وحسبها أنها باتت يعانقها
أبيت ليلي أراعي النجم مكتئباً
ما أعجب الحب يشتاقي العميد إلى
يا وردي الخدّ دع إنكار قتل فتى
في خدك الشفق القاني وفيه على

قلت: قد سبق قول ابن قرناص: «خضبت كفها... الخ» وبسطه هنا
وأحسن سبكه. والبيت الأخير أجاد فيه واستحقه وسبق إليه وقد كرره وهو أولى
به فقال من أخرى:

في خدك الشفق القاني وفيه على قتل الحسين كما قالوا علامات
و«ربّ» لقب أو اسم أعان صاحبه كالسراج الوراق، فإنه قيل له: لولا
لقبك لضاع نصف شعرك.

قيل: سئل الإمام أبو الفرج بن الجوزي: ما الحكمة في ظهور الحمرة في
آفاق السماء بعد قتل الحسين عليه السلام فقال: إن أهدنا إذا غضب احمر وجهه،
والباري تعالى يتعالى عن الجسمية فأظهر الحمرة في سمائه علامة لغضبه على قتله
ابن بنت نبيه.

رأيت القاضي الأديب يوسف بن علي الكوكباني أورد في كتاب «طوق
الصادق» تشكيكاً منه على من زعم أن الشفق إنما ظهر بعد ظلم الإمام
الحسين عليه السلام، وأن الشارع عليه السلام جعله علامة للعشاء، وتركه معضلاً، وقد رأيت أن

(١) نشر العرف ١/ ٥٦٤ - ٥٦٥.

اسأله سؤالاً قديماً لبعض الشافعية العلماء وقد أجيب عنه أن الذي كان قبل شهادة الإمام وجعل علامة دخول العشاء هو الأبيض من الشفق، أو أنه كان قليلاً ثم زاد بعد هذه الحادثة، وما كنت أحب للقاضي الأديب إيراد مثل هذا فإنه حقق ما كاد يُتهم به من الانحراف عن أهل البيت، لا جرم إنه جرى عليه ما جرى من الحبس والإهانة، وقد تواتر ظهور هذه الحادثة بعد استشهاد الحسين عليه السلام



رجع، ولو أن قائلاً قال: إن الدجى والغسق معناهما واحد، فكيف إضافة الشيء إلى نفسه.

وما أحسن قول القاضي أبي القاسم التنوخي^(١):

لَمْ أَنْسَ شَمْسَ الضُّحَى تُطَالِعُنِي	وَنَحْنُ فِي رَوْضَةِ عَلِيٍّ فَرَقِي
وَجَفُنُ عَيْنِي بِمَائِهِ شَرِقِي	وَقَدْ بَدَتْ فِي مُعْضَفِرِ شَرِقِي
كَأَنَّهُ دَمْعَتِي وَوَجَنَتْهَا	حِينَ رَمَتْنا الْعَيُونَ بِالْحَدَقِي
ثُمَّ تَغَطَّتْ بِكُمِّهَا خَجَلًا	كَالشَّمْسِ غَابَتْ فِي حُمْرَةِ الشَّفَقِي ^(٢)

وللحسين بن عبد القادر في الإيداع مع نقل المعنى وسبكه في قالب التورية:

كَمْ مِنْ كِتَابٍ عَذُولٍ قَدْ رَمِيَتْ بِهِ	نَهْرِي شِبَامٍ لِأَنِّي عَنْهُ مَشْغُولٌ
فَقُلْ لِمَنْ بَعَثُوا فِي عَذَلِنَا كِتَابًا	مَهْمَا بَعَثْتُمْ عَلَيَّ الْعَيْنِينَ مَحْمُولٌ

وأهدى له بعض أصحابه كبشاً به داء الطلب فقال وهو كالأول:

بَعَثْتُمْ لِي بِكَبِشٍ مَسَّهُ طَلِبٌ	فَهَلْ لِهَذَا الْجَفَا يَا سَادَتِي سَبَبٌ
وَقَدْ أَتَى وَلِسَانَ الْحَالِ تَنْشُدُهُ	إِلَيْكَ آلُ التَّقْصِي وَانْتَهَى الطَّلِبُ

فالتضمين من قصيدة أبي طالب الحيمي المشهورة، وأتباع جارية على أنها بكر فكانت ثيبة فقال:

شَرِينَا مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَتَاةٌ	وَدَلَّسَ أَنَّهَا بِبَكْرٍ بِمَكْرٍ
------------------------------------	--------------------------------------

(١) ترجمه المؤلف برقم ١١٠.

(٢) معجم الأدباء ١٤/١٧٣، الوافي بالوفيات، ديوانه قطعة ٦٩ (مجلة المورد).

وكم من حيلة جازت علينا
وليست من أبي بكر ببكر^(١)
وكان اسم المدلس أبا بكر.

ومما أجاد فيه وبرهن على تمكّنه من حلّ عقود الشعر ونظمها هذه القصيدة التي صدورها وأعجازها لأبي الطيّب في سيف الدولة، ولحذفه وتصرفه في الكلام سبكها غزلاً في البدور بعد أن كانت نعتاً للأسود الخادرة لا لذوات الخدور، وكتبها إلى القاضي الخطيب أحمد بن محمد بن الحسن الحيمي^(٢) يحلّ بها ألغاز والده في القمر، وسيرد عند ذكر القاضي محمد، والقصيدة:

هو القمر الساري وأما المنازلُ
وما ضمت الأجفان منه صوارماً
بعينيّه سهم لا تقي منه لامة
يلوح دم العشاق في ماء خده
مكان تمناء الشففات ودونه
عجبت له قالوا مراض جفونه
يزجّ بلحظ فهو عامل قدّه
وقد غاض ثقل الردف رقة خصره
فما كان أهني قهوتي لو أدارها
أيا من عدولي فيه أصبح عاذراً
سميري إذا ما غبت في بغسق الدجى
إذا ذكر الناس الملاح بأسرها
لحاظك إن هبنا وأقلام أحمد
حفيد الذي خاض الجيوش بعزمه
وأقلام ذا تغني عن السيف والقنى
تقول قناه آه من قلم له
أحمد لو لم يأت ذا المجد كله
إذا العيلما أحيوا بغيث علومهم

فما حل غير القلب يا من يحاولُ
يرد بها عن نفسه ويشاغل
ولا حدّه مما تجسّ الأناملُ
ولم تصف من مزج الدماء المناهلُ
صدور المذاكي والرماح الذوابلُ
وهن الغوازي السالبات القواتلُ
وما تنكب الفرسان إلا العواملُ
وأغيظ من عاداك من لا يشاكلُ
والطفها لو أنه المتناولُ
وعاد إلى أصحابه وهو عاذلُ
سميّك والخل الذي لا يزايلُ
فأنت فتاها والمليك الحلاحلُ
فقد فعلوا ما القتل والأسر فاعلُ
وكل كمي واقف متضائلُ
يعيش بها حق ويهلك باطلُ
ضعيف يقاويني قصير يطاولُ
إليك انقياداً لاقتضته الشمائلُ
فوابلهم طلّ وطلّك وابلُ

(١) نشر العرف ١/٥٦٤.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٢١.

ونظمتك قد وافى وأحكام سبكه
ونظمتي إذا وفاك فامنن بستره
وإن زانه الإبداع من قول أحمد
عليك ثناء شايح وفضائل
ولا تعطين الناس ما أنا قائل
دروع لملك الروم هذي الرسائل^(١)

ثم عقب هذا الجوهر المنظوم بياقة من المثور وهي:

وينهي وصول الكتاب الذي لو تصوّر عقداً لكان جوهراً، أو طيباً لكان
عنبراً، أو فلزاً لكان ذهباً، أو جنا لكان رطباً، وفاكهة لكان حلوى، أو طعاماً
لكان المن والسلوى، وكيف لا يكون كذلك ومنشية، وناسج بروده وموشيه، من
لو كان في عصر بني مروان لما حمدوا عبد الحميد، أو في زمن بني أيوب لما
عرفوا فضلاً للفاضل المجيد، أو في أيام بني عبّاد لما استحسنا مما شاد ابن
عمار بيتاً، ولزاد على ابن زيدون في عصرهم صيتاً، ذلك الولد القاضي العلامة
أوحد الأمجاد، ومن رتب المعالي إليه أشوق من صاد إلى عين ومن عين إلى
صاد، عين الأعيان في تخت اليمن، القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن
الحسن لا زالت مطارف الدروج بألفاظه مفوّفة، وحبر الطروس بمداد محابره من
حرفه، ومسامع ذي العلم بدر فوائده متسّقة، والله يمنحه صوابغ الإنعام، ونوامي
البركة فأزكى السلام، ملاماً أسنى من نور القمر في الدياتي، وألطف من
محاورة ذي الألفاظ والأحاجي، فشرح الصدر بما شرح في ذلك الكتاب، وكاد
أن يعيد لي سرح العيون في أفنان شرح الشباب، ما نشرناه إلا وروائح نسره إلى
المسك منسوبة، ولا طوبناه إلا وإعادته مستحبة كقول ابن مندوبة:

تفكر طوراً في قراءة فصوله
إذا ما نشرناه فكالمسك نشره
فإن نحن أتمنا قرائته عدنا
ونطويه لا طي السامة بل ضنا

قلت: إن من البيان لسحراً، وهذا منه، فله دزه ما أعذب بيانه وأحلى
جمامه، فهو الذي أتى بما لم تستطع الأوائل، وأخجل النجوم الأفقية والبدور
الأنسية ذوات الأوشحة الحوائل.



(١) نشر العرف ١/ ٥٦٣ - ٥٦٤.

وَحَدَّه، بفتح الحاء المهملة وتشديد الدال المهملة المفتوحة، وآخرها هاء :
قرية بسفح جبل على نحو فرسخ من صنعاء من الناحية الغربية، وفيها أنواع
الفاكهة وصنوف الرياحين، وليس باليمن الأعلى أبهى منها، وبها جدول عظيم
اسمه حميس، وقيل إن الأديب بدر الدين الدماميني صاحب المغني اجتاز بها في
مسيره إلى الهند فقال فيه وضمّن بيت الحماسي :

ولقد مررت بحدّة وحميسها حمس على ما فاتها يتبلبلُ
بي مثل ما بك يا حميس وإنما صبري على فقد الأحبة أجملُ

وللدماميني كتاب لطيف سماه «نزول الغيث» اعترض به الصفدي في غيئه
الذي انسجم، وما أنصفه، وأما التسمية فمطربة، ومن المقادير أن أول شيء
اعترضه به في شرح أول اللامية في إعراب صانتي وزانتي، فتوهم الشيخ صلاح
الدين أن التاء فيهما ضمير للفاعل مهجن عليه البدر الدماميني بأوله وذلك أن
الضمير الفاعلي يستتر في الماضي مطلقاً.

وكان الدماميني إماماً من أئمة النحو، فاضلاً شاعراً مجيداً، وكان أول حاله
جزار بمصر، ودخل الهند لطلب الرزق فقدرت وفاته به .

وكنت أريد الإشارة في ترجمة الحسين بن علي موسى إلى شيء من شعر
عبد القادر الرومي الأصل المعروف بالخيمة لصناعة عملها، وهو من أدباء صنعاء
المطبوعين، فذهلت عنه ثم وهو بقية مما ترك آل عثمان باليمن، وكان أستاذاً في
الخطاطة، عذب المقاطيع، فمنها وقد ذهب محبوب له اسمه الطل وجاء آخر
اسمه الغيثي :

يا معشر الأصحاب لا تقنطوا من رحمة تأتي على ريث
إن غاب عنا الطلّ في وقته فربّنا قد جاء بالغيثي

وقوله في غلام سمر معه اسمه يوم النور :

قد بستمنا مع الأحبة حتى مرّق الصبح حلّة الديجور
ليلة قد أتت بكل عجيبٍ وأرتنا في الليل يوم النور

أذكرني يوم النور قولي من أبيات :

يستتره عن صبّيه برده
وكلما النسمة من نحوه
ويلي على البرد كثير الفضول
هبت أقول اليوم يوم القبول
القبول: من أسماء الصبا.

وقلت أيضاً:

صُبِّحْتُ بالمنثور خلى عسى
وما عسى من لامني قائلاً
يسعدني في وصله طيري
في عاشق صُبِّح بالخيري

الخيري: اسم للمثور الأصفر، وهو أعبق أصنافه، والمستعمل دهنه وحبّه، وهو حار يابس يفتح سدد الدماغ البارد، ويحلل ويدر ودهنه ينفع من الأعياء.

ومات عبد القادر الخياط تقريباً سنة خمس وتسعين وألف بصنعاء، رحمه

الله.

[٦١]

السيد أبو محمد، الحسين بن علي بن المتوكل على الله أبي علي
إسماعيل بن المنصور بالله أبي محمد القاسم بن محمد - وقد تقدم رفع
النسب - الحسني، اليمني النشأة^(*).

فاضل لمعت بروق الإحسان من فكرته وراحته، ونزه الشائم بين النقيضين
من خلقه وحماسته، وله طريقة في النظم عرفها وعرفها وارتدى غيره سادجها،
وارتدى هو مفوفها، فربائب فكرته بإحسانه غواني تلوح بين بنات الأفكار كمغاني
الشعب طيباً في المعاني، واستخلفه والده حين وفاته على ولايته لغالب اليمن
الأسفل، ورضي ذلك أخوه المؤيد، ثم لم يلبث أميراً إلا يسيراً ومات المؤيد،
فتبدّد عقد ولايته ورضي به الدهر بعد خفوق الألوية بكفاءته، لما وثب أسد
المعافر^(١)، فترك كل قرن بمخالبه الحمر مصفر الأظافر، وكانت له حروب على
عقيلة تلك البلاد، ويأبى ربنا إلا ما أراد.

(*) تمام نسبه في الترجمة ١٣.

ترجمته في: نفحات العنبر، الروض الباسم، ذوب الذهب، البدر الطالع ٢٢٢/١، نشر العرف
٥٧٣/١ - ٥٨٦.

(١) في هامش الأصل: «يعني بن المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب».

وفيه فضائل، وله أدب وذكاء وقاد، وحسن خلق، وأشعار رقيقة حرّة، وهي سائرة مشهورة، وله في الموشح الملحون ما له فعل ابنة الزرجون، وأنشدني من شعره:

حلّ الجفا ورسائل العثبِ
يمسي ويصبح فيك ذا قلق
سالت محاجرهِ عليك دماً
عذبتهُ بهوى شرارته
وسقيته كأس الهوى عللاً
سكران من راح الغرام فلا
يا ساجعاً فوق الأراك ضحى
أشبهتني إذ كنت ذا شجنٍ
لكن غناك بحبه قمرية
هيفاء إن هزت معاطفها
حسننا كأن بثغرها شفقاً
يا صاحبِي ولم أقل أبداً
هات الحديث عن الحمى العُربِي
عرّض بذكر الشطّ فيه لنا
وعليك إملاء الحديث لنا
وعليّ أن أبكي وأنظم في
يا بارقاً قد لاح مبتسماً
قل للذي نزلوا بذي سلم
لا أرتضي بسواهم أبداً

هذا الوزن عذب المذاق، وأزق من قلوب العشاق، وأول من فتحه بهذا الروي المكسور فيما أحسب الجمال بن نباتة^(٢)، فله فيه قصيدة طنانة افتتحها بقوله:

(١) في الأصل: «واعذر محباً لصبّ» وما اثبتناه من ب.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

دمعي عليك مجانس قلبي فانظر على الحالين في الصب^(١)

فالحالان هما اللذان حكما له بالتمييز على الأقران، وما هما إلا خالان في وجنة الشعر، وجاء لي قديماً في هذا الروي والوزن من أبيات:

وَمُرْجَعُ نَفْمًا حَسَبْتَ بِهِ
أَشْبَهْتَهُ كَلْفًا وَأَشْبَهْنِي
يَا لَيْتَنِي أُدْرِي بِنَازِحَةٍ
جُزْ يَا نَسِيمَ بِهِمْ عَلَى حَذَرٍ
وَرَأَيْتَ مَنْ حَلَّتْ تَرَائِبُهَا
وَتَحَمَّلَتْ ظَلْمِي وَقَدْ ضَعَفَتْ
بَلِغَ لَهَا مَا لَسْتَ تَجْهَلُهُ
إِيَّاكَ أَنْ تَدْرِي حَوَاسِدَهَا
مَا حَلَّ بَعْدَ رَحِيلِهِمْ قَلْبِي
فِي بَثْنَا الشُّكُورَى إِلَى الْقَضْبِ
مِنْهَا لَقِي فِي غَصْنَةِ حَبِّي
فَإِذَا بَلَغْتَ مَعْرَسَ الْحَبِّ
بِمَدَامَعٍ سَاقَطَتْهَا شَهْبٍ
عَنْ وَقْفَةِ ذَهَبٍ وَعَنْ قَلْبٍ
مَا عَنكَ تَخْفَى حَالَةَ الصَّبِّ
إِنَّكَ مِنْ رَسْبِي وَمَنْ صَحْبِي



رجع، إلى ذكر أبي محمد، ومن مقاصده الصالحة في التوجيه بأسماء الكتب:

مَا عَلَى الْبَرْقِ مِنْ وِرَاءِ الثَّنِيَّةِ
وَقَرَى لِلْمَشُوقِ تَلْخِيصَ سَرِّ
الشلبي: اسم فارسي تعبر عنه العامة عن الشيء اللطيف، وحاشية،
معروفة.

وله في من اسمها سلامة:

يَا بَرُوحِي غِيْدَاءُ تَدْعِي سَلَامَهُ
وَاصْلَتْنِي فِي غَفْلَةٍ ثَمَّ قَالَتْ
قَدْ جَمَعْتَ الْجَمَالَ آيَةً جَمَعَ
وله في غالية:

بِأَبِي وَبِي فَتَّانَةٌ
فوق الغواني عاليه

(١) كاملة في ديوان ابن نباتة المصري ٣٢ - ٣٥.

قالت مخاطبة وقد بدأت ببرد سلاميه
إن شئت تعرف قيمتي واسمي فإني غاليه

أحسن في نشر هذه الغالية، وسبكها تورية وحيدة لعطفها ثانية، وهو أحسن
من قول الشيخ بهاء الدين العاملي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى^(١) - يصف
مصر:

قد أخجل المسك نسيمُ بها وزهرها قد أرخص الغاليه
ثم أخذه الأمير الحسين بن عبد القادر^(٢) فقال من قصيدة:

فأصبح الطيب مذ فاحت نساتمها في سوحنا وغواليه رخيصاتُ
وهذه القصيدة أجاب بها السيد يحيى بن أحمد العباسي العلوي، وأكثر ما
فيها من النكت الحسان مأخوذ، فياللعجب.

ولصاحب الترجمة:

عبارتي عن صبابتي العبره فتور جفن الحبيب حين رنا
اسخن عيني بهجره قمر صبراً جميلاً على مهفهفة
زهراء قد قرظت سوالفها النجم والبدر والصبح وللشم
مرفوعة الحسن في ذواتبها ممزوجة اللون لا بياض بها
في وجهها مسكة تذوب على ومرسل الشعر يا تبارك من
مالي على هجرها وجفوتها يا ليتني في الحياة أنظرها

مالي على النطق بالهوى قدره أورت جسمي جميعه الفتره
كان لها لا عدمته قمره قد وضعت في حينها صبره
وطرقت بالهلال والزهره س جميعاً بحسنها ضره
جرّ ولكن بعينها كسره ناقٍ ولا حمرة ولا صفره
ياقوت خد كأنه جمره أرسله والعيون في فتره
عني وطول احتجابها قدره بكرة عدّالها ولو مسره

ثم إنني رأيت من هذه الأبيات بيتين وهما أسخن عيني، والذي يليه في

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤٥.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٦٠.

ديوان السيد الأديب عماد الدين يحيى بن إبراهيم جحّاف^(١) فسألته فأخبرني أنه كذلك دائماً أستحسنها، فزاد فيها فنسبت إليه.

وله أيضاً:

يا أهيل السفح رفقا بفتى
كلما رام سلواً عنكم
أحسنوا الوصل له يا سادتي
أو فمئوا بخيال في الكرى
والبيت الرابع ينظر إلى قول أبي الحسين مهيار الديلمي^(٢):

وابعثوا أشباحكم لي في الكرى
وبالجملة، فهو معنى مطروق.

وأنشدني هذه الأيام أبياتاً آلهية وقال: إنه طلق البطالة ثلاثاً، ونقض غزل غزلها بعد إبرامه أنكاثاً، وهي:

يروق القريض بكم والقوافي
ومنها:

أغيثوا بصفح وعضو لكم
وجودوا بجود يهدّ الذنوب
وعودوا عليّ فإن الهوى
فقد طفت حول الرجى مخلصاً
وإن كنت خالفتكم جاهلاً
يقيما جداراً عفى في عفا في
ويهدم عني ويغني اقترافي
هواني ومنه تلاقوا تلافى
لكم والوداد انطوى في طوافي
فحسن الرجاء ما خلا في خلا في

وأنشدني غير ذلك في هذه المادة، تركته اختصاراً، وشعره كثير، ونوء فكرته غزير، والله تعالى يعين^(٣).

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٩٠.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٧٧.

(٣) في هامش ب: «مولد السيد الحسين بن علي بن المتوكل سنة اثنين وسبعين وألف ١٠٧٢، ووفاته سنة تسع وأربعين ومائة وألف ١١٤٩».

السيد الحسين بن محمد بن شعبان الجحافي الحبورى، الشاعر المحسن
الحسنى (*) .

فاضل شعره سلافة العصر، وريحانة الألباب، وزينة الدهر حلى للسمع
وانسجم فحكى الرباب، وكان أرق من خصر الحبيب أو عصر الشباب، يشوق
ويروق، ويبعد مناله بعد العيوق، ولم أعلم من حاله شيئاً غير الشعر، ويكفي من
نفع المسك وجود العطر، فمته:

هل عائد وقتنا الرقيقُ	وعيشنا السناعم الأنيقُ
زمان جادت يد التلاقي	يجمعنا واشتفى المشوقُ
إذ دهرنا أخضر الحواشي	طلق المحيّا بنا رقيقُ
يدني لنا كلما اقترحنا	كأنه الوالد الشفيعُ
زمان لهوبه ظفرنا	ما العيش من بعده يروقُ
يا ذلك العيش إن قلبي	لسلوة عنك لا يطيقُ
لقد نرت منك في فؤادي	ذكرى لها في الحشا حريقُ
يشبهها مر كل ربح	لها الحمى نحونا طريقُ
سقى حمى المنحنى عريض	لسقطره وابل مريقُ
وجاد سفح العتيق رياً	فحبّذا السفح والعقيقُ
أحبابنا والنوى تعوق	والدهر في صرفه عقوقُ
متى متى تجمع الليالي	شملي بكم أيها الفريقُ
لا كان صبح أنار فيه	زمت بكم للفراق نسوقُ
لي بعدكم سكرة بوجد	يتلو صبوحى بها الغبوقُ
سكرة وجدٍ ثملت منها	هيهات هيهات لا أفيقُ

(*) ينتهي نسه إلى الحسن بن محمد المعروف بجحاف - كشّاد - بن الحسين بن الأمير ذي الشرفين
مجمد المنسوبة إليه شهادة الأمير، ابن الأمير جعفر بن الإمام المنصور بالله القاسم العياني -
بالعين المهملة المكسورة - بن عبد الله بن محمد بن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل
بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

ترجمته في: طيب السمر، نفحات العنبر، صفوة العاصر، نشر العرف ١/ ٦٢٣ - ٦٢٦ .

لحاظها شعشع الرحيقُ
ما شابه الوشي والخلوقُ
يقلها فوقه العقيقُ
وما درت قلب من تشيقُ
وبيننا في الهوى قروقُ
وأيننا بالأسى خليقُ
أهلوك لم تشجني البروقُ
ختامه الأذقر السحيقُ^(١)

وهذا النفس الشعباني ربيع منور، فسبحان مانحه:
وله أيضاً:

أراحت فؤادي من صدود ومن بينِ
فقال لخير لبيتِ ذا إلا مرام حينِ
وفي ساعة التوديع أفضيك من عيني^(٢)

ومن لم يرقص على سلافة هذا المقطوع فقد سحر به، نعم، البيت الأخير
مأخوذ من قول ابن نباتة:

يسلّ من مقلتيه سيفين
نومك أيضاً فقلت: من عيني^(٣)

ولم أنس إذ مننت عليّ بسزورة
فعانقتها حتى وهى درّ عقدها
فقلت لها هذا نثار مع اللقا

أفديه لدن القوام منعطفأ
وهبت قلبي له فقال: عسى

لكن الجحافي أكسبه وزانة حلاوة وحسن سبك.
وله أيضاً:

أودع نفسي من حجاب حشائي
وقد صد نطقي كربتني وبكائي
وسقماً إلى أن تشتفي بلقاء
ولذة عيشي بعدكم وغنائني

رعى الله من ودعتهم وكانما
أشرت إليهم ما تركتم لصيكم
فقالوا سهاداً واشتياقاً على المدى
فقلت خذوا نومي جزاء وسلوتي

(١) نشر العرف ١/٦٢٤ - ٦٢٥.

(٢) نشر العرف ١/٦٢٤.

(٣) ديوان ابن نباتة المصري ٥٣٣.

وسيروا بحمد الله لامسكم ضننى
ولم أر يوماً مثل يوم فراقنا
ولا ساورتكم لوعتي وعنائى
ألاح لحتفى صبحه وشقائى^(١)
ومن شعره:

أفدى الذي قد زارني في ليلة
لكنها قصرت عليّ بوصله
فأقر عيناً في لقاء ومسمعا
فكأنه وصباحها طلعا معاً^(٢)

وهذا معنى غريب، وشعره من هذا السلك الدال أنه أوفى عزة الملك .
وكان مسكنه بريمة من جبال تهامة .

والجَحَافِي، بفتح الجيم والحاء المهملة المشددة وبعد الألف فاء: نسبة إلى
بطن من الأشراف الحسينية باليمن، جاء منهم فضلاً وعلماً وأدباً .

[٦٣]

السيد أبو عبد الله، الحسين بن المطهر بن محمد الجرموزي^(*) .

فاضل سما قدراً وشعراً، فأرانا السماك والشعرا، له في الشعر منهج
صوفي، يشفي العارف ويهديه كالهلال الموفي .

وقال ابن أخيه أحمد بن الحسن في أخبار قرابته: كان ينبوع معين
القريض، وروض الكرم الأريض، لم تسمح بمثله الأدوار، ولم يأت بنظيره
الفلك الدوار، خلق مغرماً بالفضل قبل أن يكون مضغة وصبغ من النشأة ماجداً،
ومن أحسن من الله صبغة، وظهر ظهور الشمس، وبهر فلا ينكره إلا من تخبطه
الشیطان من المس، وله النظم الذي فضح مطالع الصباح، وسفر في محاسن
الوجوه الصباح. تولى بعد أبيه فتوقل تلك الغرف، وتبواً ذلك القطر الذي يحسده
في الشرف، وأورد له أشعاراً اخترت منها هذه القطعة وذكر أنه كتبها إلى أخيه

(١) نشر العرف ١/٦٢٤ .

(٢) نشر العرف ١/٦٢٤ .

(*) تمام نسبة بهامش الترجمة رقم ١٢ .

ترجمته في: سلافة العصر ٤٤٩ - ٤٥١، خبايا الزوايا للشهاب الخفاجي صاحب الريحانة،
ريحانة الألبا ١/٤٥٨ - ٤٥٩ .

محمد بن المطهر - الآتي ذكره^(١) :-

أذوب إن ذكروا يوماً مستماه
خشف فكدت اصطباري مذ ولعت به
ظبي غرير ومن إفراط غرته
يفتر إن هملت عيني ويسأل ما
فقلت : ذاب فؤادي من هواك به
لا يعرف النصح في طول المطال ولا
ولا يخاف قصاصاً قط من أحدٍ
ما هكذا فعل والٍ في رعيتيه
كتمت يا منية القلب الهوى طمعاً
وكيف يكتم وهداً أو يسر هوى
لله أيام حسن صرت أحسبها
وكان يجمعني والخلّ منزله
في غرة العمر والأيام مسعدة
طاردت لذات قلبي إذ ظفرت بها
في حلبة اللهو أدركت المنى فعلى
يا ساري البرق خصّ الحيّ من أضم
فإن لي فيهم قلباً يسائلهم
ويا نسيم الصبا إن جزت حيتهم
فقل له : هل أفادت طول غيبته
وهل تعطف بعد البعد واتضححت

فكيف أن شهدت عيني محيّا
فكيف صبر فؤاد كان يهواه
يظل يحرق قلبي وهو ميثواه
هذا الذي قد أرى في الخدّ بحراه؟
ففاض من زفرتي ما الوجد أبداه
يصغي بسمع إلى من بات ينهاه
هذا وكم فتكت في الناس عيناه
يا من على الناس حكم الحسن ولآه
أن نحتفي ودموع العين تآباه
الدمع في خدي المصفر أدماه
من حسنها طيف نوم طاب مسراه
ولا عليّ رقيب كنت أخشاه
والدهر يدني لكل ما تمنّاه
وكلّ من طارد المطلبوب أنضاه
تلك الليالي من الوسمي أهناه
بصيّب من غزير المزن يغشاه
عمّن دعاه إلى سلع قلبّاه
فالقلب في سفحهم قد طال مشواه
عني وهل رقّ قلباً حين ناداه؟
شكواه يا لست إنا ما عرفناه

وهي طويلة اختصرتها، وقد قارب الإحسان فيها أو كاد.

وقوله: «في غرة العمر» والبيتان بعده أحسبهما من شعر أبي الحسين مهيار في هائيته المشهورة، فإني لم استحضرها الآن، وفيها متانة، فأما لفظ «قط» بعد

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٦٩.

المضارع فليس بجائز، وإنما يؤتى بها عقب الماضي للتأكيد، وتستعمل لتأكيد المضارع عوض، كقول الأعشى^(١) في مدح المحلق:

رضيحي لبانٍ ثدي أم تحالفا بأسحم داج عوض لا نتفرقُ

أجرى الأعشى الاثنيين مجرى الجمع وذلك للتعظيم كأنهم جماعة وذلك معروف في اللغة، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ﴾^(٢) وقرأه من رفع ملائكة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(٣) فيكون يصلون خبراً عن الله، وخبر ملائكته محذوف لدلالته عليه.

واسم المحلق: عبد العزيز^(٤) بن حنم بن شداد بن أبي عامر بن صعصعة، وكانت بخده غضة فرس تشبه الحلقة، فعرف لها بالمحلق، وكان مقلاً ذا عيال وبنات، فقدم أعشى بني قيس بن ثعلبة الشاعر المشهور، عكاظاً في الموسم والمحلق به، وكانت له امرأة عاقلة، فقالت له: إن الأعشى قدم فلو تعرضت له رجوت أن ينفعك الله، قال: وكيف؟ ولا شيء عندنا، قالت: تنحر ناقتك، وأحتال لك في شراب وطيب، فخرج إلى الأعشى وأخذ بزمام راحلته وقد استبق إليه الناس فقال: من هذا الذي غلبنا على زمام ناقتنا؟ فقال المحلق، فقال الأعشى لقائده: خل عنه، وقاده المحلق إلى منزله فاشتوى له من كبد الناقة وسنامها واحضروا الشراب فسقاه وأطعمه حتى سكر، فلما نام جعل بنات المحلق يغمزنه ويخدمنه، فقال: من هؤلاء؟ بنات أخيك وهن تسع، فلما أصبح الأعشى احتمل ولم يقل له شيئاً، فلما اجتمع الناس بعكاظ أقبل ينشد قصيدته التي منها هذا البيت، أولها:

أرقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرَّقُ وما بي من سُقمٍ وما بي مَعَشَقُ

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٩٩.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٤) ترجمته وأخباره في: الأغاني ٩/١٣٣ - ١٣٤، وفيه اسمه «عبد العزى» العقد الفريد، طبعة لجنة التأليف ٥: ٣٢٩ والجواليقي، في شرح أدب الكاتب ٢٩٨ وفيه: «اسمه عبد العزيز» والكامل للمبرد، في رغبة الأمل ١: ٢٤ ثم ٦: ٢٢٨ والتاج ٦: ٣٢٢ واللسان: مادة «حلق»، الاعلام ط ٢٩١/٥/٤ - ٢٩٢.

ومنها :

كجابية الشيخ العراقي تفهق
إلى ضوء نار في يَفَاع تَحَرَّقُ
وبات على النار النَّدى والمُحَلَّقُ
ثناء على أعجازهن مُعَلَّقُ

نفي الذم عن آل المحلق جفنه
لعمري لَقَدْ أَعَشَتْ عيونٌ كثيرةٌ
تُشَبُّ لمغروزيين يصطليانها
فإن عتاق العيس سوف تزوركهم

فما أتمَّ القصيدة إلا والناس يتسللون إلى المحلق، ولم تمس له بنت إلا في
عصمة رجل شريف^(١).

فالمحلق أحد من رفعه الشعر.

والجابية: الجفنة العظيمة وهي الحوض.

قيل: أراد بالشيخ العراقي كسرى، واليفاع: الجبل المرتفع.

وذكر أبو الفرج: إن بعض ندماء كسرى أنشده أول قصيدة الأعشى هذه
فأمر فترجمت له فقال: إن سهر لغير عشق ولا سقم فهو لص، وفيه دلالة أنه إذا
قيل فلان دخل المضاف إليه.

وأورد السيد أحمد الجرموزي لعمه المذكور أيضاً:

فطمى الدمع بخدي وانهمرُ
غصن نظرته تجلي البصرُ
وسمى في كل حين وانهمرُ
لم يكن يزداد إلا من شكرُ
فتحلى كل دوح بالزهْرُ
حارت الأبواب فيها والفكرُ
وورود نفتحها الأذكى انتشرُ
وحدود قد تَلَّظت بالخفرُ
ترك الوجد بها غير الأثرُ
خفق الريح بأوراق الشجرُ

صاح ذا البلبل في الدوح هدر
ما احيلى نغمة الطير على
أورياض جادها وبل الحيا
تشكر الأرض لنا جود السما
دبج الأرض بأنوار الرُبي
هب يا صاح لنا تي روضة
كم غصون هزها ريح الصبا
كقدود حقت من مرج
وقلوب شققها الشوق فما
خافقات من غرام مثلما

(١) الأغاني ٩/ ١٣٤ - ١٣٧.

ومحاسنه كثيرة.

وغالب أولاد السيد المطهر بن محمد شعراء^(١)، وسيأتي ذكر بقية من اشتهر له منهم أدب إن شاء الله تعالى.

[٦٤]

الشيخ الحسين بن عبد الصمد العاملي الشامي الأصل، الأصبهاني
الدار، الأديب^(*).

فاضل نفحت من أشعاره نساءم الأسحار، وَوَقَفَ الفضل عليه وأما صيته
فسار، فمعانيه الخدود كشفت عنها البراقع تلوح منها بدور قوام للعقول نيرة
المطالع.

وهو والد الشيخ العلامة بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي^(٢)، ويقع في
الريحانة اسم بهاء الدين محمد باسم أبيه الحسين المذكور وهو من غلط
النسب^(٣).

وكان المذكور أحد الأعيان بأصفهان الأدباء الشعراء، وذكره ولده بهاء
الدين في الكشكول في عدة مواضع، وأورد له أشعاراً حسنة فمنها:

ما شـمـمـت الـوـرد إلـآ زادني الشوق إليك
وإذا ما مال غصن خللته يحنو عليك

(١) ترجمه صاحب النسمة منهم:

جعفر بن المطهر برقم ٤١.

الحسن بن المطهر برقم ٥٢.

الحسين بن المطهر برقم ٦٣.

الهادي بن المطهر برقم ١٨٣.

(*) ترجمته في:

خبایا الزوایا للخفاجي - خ -، الذريعة ٢/٢٩، ٦/٢٤٠، روضات الجنات ١٩٢ - ٥٣٢، سلافة

العصر ٢٨٩، نزهة المجلس ١/٢٤٩، الطليعة ١/٢٤٩، الكشكول للبهائي، أعيان الشيعة ٢٦/

٢٢٦-٢٧٠، أمل الأمل ١/٧٤ - ٧٧، رياض العلماء لؤلؤة البحرين، أنوار الربيع ٢/٢٦٧،

إيضاح المكنون ١/٣٤٦، الغدير ١١/٢١٧ - ٢٣١.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٤٥.

(٣) أنظر: ریحانة الألبا ١/٢٠٧ - ٢١٤.

لست تدري بالسذي قد
 إن يكن جسمي تسنادي
 كل حسن في البرايا
 رشق القلب بسسهم
 إن دائسي ودوائسي
 أه لو أسقى لأشفي
 حلّ بي من مقلتيك
 فالحشى باقٍ لديك
 فهو منسوب إليك
 قوسه من حاجبيك
 يا مناي في يديك
 خمرة من شفتيك^(١)

وأورد بها الدين أيضاً لوالده، وله عليها أبيات أجاد فيها، وسيأتي إن شاء الله تعالى:

فاح ربح الصبا وصاح الديك
 واخلع النعل في الهوى ولها
 واستلمها سلافة سلمت
 فانتبه واثف عنك ما ينفيك
 وادن منا فانفل نديك
 من أذى من يغولها بشريك^(٢)

وذكره أيضاً الشيخ مصطفى بن فتح الله في كتابه «نتائج الرحلة»، وأثنى عليه وكان إمامياً، وكل ما تذكره من أهل هذا البيت بل جميع قبائل عاملة إمامية، وهم قبيلة كبيرة من قضاة، يتزلون أرض الشام بادية وحضر، ولهم جبل مشهور بهم هناك فيه قلاع ومدن، ومن شعرائهم في أيام بني أمية عدي بن الرقاع العاملي^(٣).

وأصفهان وبالباء أيضاً: لغتان فيها مدينة مشهورة بعراق الجبل، وهي معربة عن أسفهون وبها ولد العادل أنو شروان وبها قبره، وقد كانت العجم أهل شرف الدنيا ولهم الآثار والحكم.

وذكر الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب نصيحة الملوك: إن المأمون ولي

(١) الكشكول للبهائي، جملة منها في أعيان الشيعة ٢٦٤/٢٦-٢٦٥، الغدير ٢٢٩/١١.

(٢) الكشكول للبهائي.

(٣) هو أبو داود عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي. كان موطنه الشام، مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم، خاصاً بالوليد بن عبد الملك. عاصر جريراً وناقضه في مجلس الوليد، وهجاه جرير تلميحاً خوفاً من الوليد، لأنه كان قد حلف إن هو هجاه أسرجه وأجمه وحمله على ظهره.

ترجمته في: معجم الشعراء/٨٦، الشعر والشعراء/٥١٥، الأغاني/٩/٣٠٠، سمط اللآلي/٣٠٩ وفيه (بن مالك بن عثمان)، شرح شواهد المغني/٤٩٣، أنوار الربيع ٢/هـ ٩٢.

أربعة نفر أربع ولايات أحدهم خراسان، وأعطاه خلعة بثلاثة آلاف دينار، ثم استدعى موبذ موبذان وهو بالعربية قاضي القضاة، وقال له: يا دهقان هل أعطى أحد من ملوك العجم في أيامهم مثل أعطيت، فإنه بلغني أن خلعهم أكثر من أربعة آلاف درهم؟ فقال: أطال الله بقاء الملك، كانت لملوك العجم ثلاثة أشياء ليست لكم: أحدها إنهم كانوا يأخذون ما يأخذون من الناس بقدر ويعطونه بقدر، والثاني: إنهم كانوا يأخذون من موضع يجوز الأخذ منه ويعطون من ينبغي أن يعطى، الثالث: إنهم ما كان يخافهم إلا المذنب.

فقال المأمون: صدقت ولم يعد عليه جواباً.

ثم إن المأمون فتح باب تربة كسرى، وفتح تابوته وكشفه ونظر إلى حسن صورته ووجهه وهي بما بها ما بليت، والثياب عليه بجذتها ما تمزقت ولا خلقت، والخاتم في إصبغه فضة من ياقوت أحمر كثير الثمن، ما رأى المأمون قبله مثله، وكان مكتوب على فضة بالفارسية (به هه ته مه به)^(١) ومعناه الأجود أكبر، ليس الأكبر أجود.

فأمر المأمون أن يُعْطَى بثوب نسج بالذهب، فأخذ غلام خاص بالمأمون الخاتم خفية فاعلم فأمر بإهلاكه وأعاد الخاتم في إصبغه، وقال: كاد أن يفضحني بحيث كان يقال عليّ إلى يوم القيامة إن المأمون كان يتأسى وأنه نبش كسرى وأخذ خاتمه من إصبغه.

قلت: هذا عجيب، فالغزالي رفيع القدر في العلوم، وحيث روى هذا فلا يتهم فيه، ولعل الله أبقى لكسرى أجزاء جسمه بما بها وثيابه بجذتها تنبيهاً للظلمة على فوز العادل في عباده وعظيم ثوابه، وألهم المأمون بنبشه ليعتبر أولوا الألباب، هذا على مجوسية كسرى لم يضيّع الله عدله المشهور، وأثنى عليه النبي ﷺ بقوله: «ولدت في زمن الملك العادل».

وكان بين نبش المأمون له وموته مئتا سنة وزيادة، وأما الذي دعا عليه

(١) هكذا في اللغة الفارسية على ما ترجمت إلى العربية (به مه ته مه به).

رسول الله ﷺ لما فرق كتابه فهو كسرى أبرويز بن العادل أنوشروان وهو صاحب القصر الأبيض بالمدائن المعروف بقصر شيرين^(١)، ومعناه الحلوة بالعربية وهي زوجته، وكانت مشهورة بالجمال، والإيوان من عمارة العادل عمره ليقيم فيه سنة العدل.

ولأبي عبادة البحرني قصيدة يذكر فيها الأيوان ومآثر الأكاسرة، استخفني حسنها على ذكرها، ثم رأيت أبا العباس عبد الله بن المعتز قد أطنب في استحسانها، وفضل لها البحرني، فعجبت من توارد الخواطر، وزادني ذلك غراماً في إيرادها وهي:

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنَّسُ نَفْسِي	وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدًّا كُلِّ جَبْسٍ ^(٢)
وَتَمَّاسَكْتُ حِينَ زَغَزَعَنِي الدَّهْ	رُ التِّمَّاسَا مِنْهُ لِتَغْسِي وَنَكْسِي ^(٣)
بُلُغٌ مِنْ صُجْبَةِ العَيْشِ عِنْدِي	طَفَفَتْهَا الأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسٍ ^(٤)
وَبَعِيدٌ مَا بَيْنَ وَارِدِ رَفِي	عَلَّلِ شُرْبُهُ، وَوَارِدِ خَمْسٍ ^(٥)
وَكأنَّ الزَّمَانَ أَضْبَحَ مَحْمُور	لَا هَوَاهُ مَعَ الأَخْسِ الأَخْسِ ^(٦)
وَاشْتَرَايَ «العِرَاقَ» حُطَّةُ غَبْنِ	بَعْدَ بَيْعِي «الشَّامَ» بَيْعَةَ وَكْسِ ^(٧)
لَا تَرُزْنِي مُزَاوِلًا لِأَخْتِبَارِي	بَعْدَ هَذِي البَلْوَى فَتُنْكَرَ مَسِي ^(٧)
وَقَدِيمًا عَهْدَتْنِي ذَا هِنَاتِ	أَبْيَاتِ عَلى الدُّنْيَاتِ شُمْسِ ^(٨)

(١) ان القصر الأبيض بالمدائن - ضواحي بغداد - هو قصر كسرى وقد بقي منه جزء يدعى بـ (إيوان كسرى) ما زال ماثلاً إلى الآن.

أما قصر شيرين فهو في منطقة تدعى بهذا الاسم تقع في إيران على مقربة من الحدود العراقية - الإيرانية من جهة بغداد ولعل الخلط من هذين الموقعين وقع سهواً.

(٢) الجبس: الجبان واللثيم والفاسق والثقيل الروح.

(٣) النكس: انقلاب الرجل على رأسه، أو سقوطه كلما نهض.

(٤) البلغ: جمع بلغة وهي ما يتبلغ به في العيش ولا يفضل منه شيء.

الصبابة: البقة من الماء. التطفيف: النقص في الوزن والتقدير.

(٥) الرفه: طيب العيش ولينه. ويقال: رفهت الإبل أي وردت الماء متى شاءت.

العلل: ورود الماء ثانية بعد الورود الأول الذي يسمى النهل.

الخمس: من أظماء الإبل وهي أن ترعى ثلاثة أيام وترد في اليوم الرابع.

(٦) الغبن: الخداع في البيع والشراء. الوكس: التقصان والخسارة.

(٧) رازه يروزه: جربه.

(٨) الهنات: خصال شر؛ الشمس: العنيدة التي لا تذلل.

الشُّمس: العنيدة التي لا تذلل.

ولقد رآبني نُبوُّ ابنِ عمِّي
 وإذا ما جُفِيتُ كُنْتُ جَدِيراً
 حَضَرْتُ رَحْلِي الْهُمُومُ فَوَجَّهْ
 أَتَسَلَّى عَنِ الْحُظُوظِ، وَأَسَى
 أَذْكَرْتَنِيهِمُ الْخُطُوبُ الْبِوَادِي
 وَهُمْ خَافِضُونَ فِي ظِلِّ عَالٍ
 مُغْلَقِي بَابُهُ عَلَى «جَبَلِ الْفَتْ»
 حِلَلٌ لَمْ تَكُنْ كَأُظْلَالِ «سُعْدَى»
 وَمَسَاعٍ، لَوْلَا الْمُحَابَاةُ مِنِّي،
 نَقَلَ الدَّهْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الْجِدِّ
 فَكَأَنَّ «الْجِرْمَازَ» مِنْ عَدَمِ الْأُنْ

بَعْدَ لَيْلٍ مِنْ جَانِبَيْهِ وَأُنْسٌ^(١)
 أَنْ أَرَى غَيْرَ مُضِيحٍ حَيْثُ أُنْسِي
 تُتْ إِلَى «أَبْيَضِ الْمَدَائِنِ» عُنْسِي
 لِمَحَلٍّ مِنْ «آلِ سَاسَانَ» دَرَسِ^(٢)
 وَلَقَدْ تُذَكِّرُ الْخُطُوبُ وَتُنْسِي
 مُشْرِفٍ يَحْسِرُ الْعُيُونَ وَيُخْسِي^(٣)
 حِجَّ إِلَى دَارَتِي «خِلَاطٌ» وَ«مُكْسٍ»^(٤)
 فِي قَفَارٍ مِنَ الْمَهَامِهِ مُلْسِ^(٥)
 لَمْ تُطْفِئْهَا مَسْعَاةُ «عَنْسٍ» وَ«عَبْسٍ»^(٦)
 وَحَتَّى رَجَعْتَ أَنْضَاءَ لُبْسِ^(٧)
 سِ وَإِخْلَالَهِ بِنَيْبَةِ رَمْسِ^(٨)

(١) النبؤ: الجفوة والنفور.

(٢) آل ساسان: نسبة إلى ساسان من بني كشتاسب من الفرس، أسسوا المملكة الساسانية.

(٣) يحسر: يرد البصر قليلاً.

يخسى: يخسى (مخففة الهمز) بمعنى يحسر. وفي القرآن الكريم «ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حير» سورة الملك: الآية ٤.

خافضون: ناعمو العيش.

(٤) الدارة: المحل بجمع البناء والعرصة، كل أرض واسعة بين جبال، ما أحاط بالشيء.

خِلَاطٌ Chelat: ويقال أخلاط، وهي قصبة أرمينية الوسطى، كانت على الشاطئ الغربي لبحيرة وان، ويطل عليها الجبل العظيم كوه سيان.

مكس: موضع بأرمينية من ناحية البسفر جان إلى قرب قاليقلا (أرزن الروم).

(٥) حلل جمع حلة (بكسر الحاء): منازل.

اليابس: القفار. الملس: التي لا نبات فيها.

(٦) المساعي: المكرمات؛ واحدها مسعاة.

عنس: قبيلة قحطانية من اليمن.

عبس: قبيلة عدنانية من نجد.

(٧) جدّة الشيء: حدائه. الأنضاء: جمع التضو وهو المهزول من الحيوان؛ ومن الثياب: البالي.

اللبس: الاستعمال؛ مصدر «لبس الثوب».

(٨) وفي ديوان البحري: «الجرماز».

والجرماز: قال ياقوت هو «اسم بناء عند أبيض المدائن ثم عفا أثره، وكان عظيماً».

الأنس: يجوز فيها كسر الهمزة بمعنى الخلو من السكان، ويجوز الضم بمعنى الوحشة.

الإخلال: الترك والغياب؛ من أخل بالمكان أي غاب عنه وترك.

جَعَلْتُ فِيهِ مَأْتَمًا بَعْدَ عُرْسٍ
 لَا يُشَابُّ الْبَيَانَ فِيهِمْ بِلَبْسٍ^(١)
 كَيْتًا ارْتَعَتْ بَيْنَ «رُومٍ» وَ«فُرْسٍ»^(٢)
 وَإِنْ يُزْجِي الصُّفُوفَ تَحْتَ الدَّرْفِسِ^(٣)
 فَرَّ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةِ وَرْسٍ^(٤)
 فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِغْمَاضِ جُرْسٍ^(٥)
 وَمُليحٍ مِنَ السَّنَانِ بِثُرْسٍ^(٦)
 لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةٌ خُرْسٍ^(٧)
 تَتَقَرَّاهُمْ يَدَايَ بِلَمْسٍ^(٨)
 بِثُ عَلَى الْعَسْكَرَيْنِ شَرِبَةً خُلْسٍ^(٩)

لَوْ تَرَاهُ حَسِبْتَ أَنَّ اللَّيَالِي
 وَهِيَ يُنْبِئُكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ
 وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ «أَنْطَا»
 وَالْمَنَايَا مَوَائِلُ، وَ«أَنُوشِرُ»
 فِي الْخَضِرَارِ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْدِ
 وَعِرَاكُ الرَّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ
 مِنْ مُشِيحٍ يَهْوِي بِعَامِلِ رُوحٍ،
 تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَا
 يَغْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِي حَتَّى
 قَدْ سَقَانِي وَلَمْ يُصَرِّدْ «أَبُو الْعَو»

= البنية: الشيء المبنى: الرمس: القبر مستويًا مع وجه الأرض؛ والأصل فيه التغطية.

(١) اللبس: عدم الوضوح.

(٢) انطاكية: مدينة في شمالي سورية في الحوض الأدنى لنهر العاصي (الأرند Oroes على مقربة من مصبه، وهي الآن من مدن تركيا، وكان القدماء يسمونها أنطيوخيا Antiochia).

(٣) يزجي: يسوق. الدرفس: العلم الكبير، معرب من «درفش» بالفارسية.

(٤) الورس: ذكر «اللسان» أنه نبت أصفر باليمن يصيغ به ونباته كالسمسم، وكذلك وصفته المعاجم الأخرى. ولكنها تقول: ثوب وارس وورس أي أحمر. وفي «المعجم الوسيط» أنه نبت من الفصيلة البقلية والفراشة، وهي شجرة تنبت في بلاد العرب والحبشة والهند وثمرتها ترن مغطى عند نضجه بغدد حمراء يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لاحتوائه على مادة حمراء. ثم يجيء في هذا المعجم «أصفر وارس أي شديد الصفرة».

والشاعر يصف هنا الفرس الذي يمتطيه أنو شروان.

(٥) خفوت: سكون صوت. الجرس: الصوت أو خفيه.

(٦) المشيخ: الحذر المجد. عامل الرمح: صدره وهو ما يلي السنان دون الثعلب.

المليح: الخائف الحذر؛ يقال ألح منه أي خاف وحاذر. وأصله: الخوف من شيء له بريق ثم كثر حتى استعمل في محل مخوف.

السنان: نصل الرمح. الترس: صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه.

(٧) تصف العين: تتخيل من دقة الصورة.

(٨) يغتلى: من الغلو أي يتجاوز الحد ويزيد. تتقراهم: تتبعهم.

(٩) لم يصرد: لم يقلل.

شربة خلص: أي مختلصة سريعة.

أبو الفوثن: يحيى بن البحتري. ذكره المرزباني في معجم الشعراء وقال: أنه قدم بعد قبل الثلثمائة، وسمع منه وجوه أهلها وعلمائها أشعار أبيه، وأورد له المرزباني أبياتًا في مدح =

مِنْ مُدَامَ تَظُنُّهَا هِيَ نَجْمًا
وَتَرَاهَا إِذَا أَجَدَّتْ سُرُورًا
أَفْرَغَتْ فِي الرُّجَاجِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ
وَتَوَهَّمَتْ أَنَّ «كَسْرَى أَبْرُوزٍ»
حُلْمٌ مُطْبِقٌ عَلَى الشَّكِّ عَيْنِي
وَكَأَنَّ «الإيوان» مِنْ عَجَبِ الصَّنْءِ
يُتَظَنَّى مِنَ الكَّابَةِ إِذْ يَبْدُو
مُزَعَّجًا بِالفِرَاقِ عَنْ أَنَسِ الْفِ
عَكَّسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي، وَبَاتَ الْ
فَهُوَ يُبْدِي تَجَدُّدًا وَعَلَيْهِ
لَمْ يَعْبَهُ أَنْ بُرِّ مِنْ بُسْطِ الدِّي

ضَوْأَ اللَّيْلِ أَوْ مُجَاجَةَ شَمْسٍ (١)
وَأَزْتِيَا حَا لِلشَّارِبِ الْمُتَحَسِّي (٢)
فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ
رَا «مُعَاطِي»، وَ«الْبَلَهَبَذ» أَنْسِي (٣)
أَمْ أَمَانٍ غَيْرَ ظَنِّي وَحَدْسِي؟! (٤)
عَةِ سَوْرٍ فِي جَنْبِ أَرْعَنَ جِلْسٍ (٥)
دُو لِعَيْنِي مُصْبِحٍ أَوْ مُمَسِّي: (٦)
عَزَّ، أَوْ مُرَهَقًا بِتَظْلِي عِرْسٍ
مُشْتَرِي فِيهِ وَهُوَ كَوَكَبُ نَحْسٍ (٧)
كَلْكَلٌ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مُرْسِي (٨)
بِجَاجٍ، وَاسْتَلَّ مِنْ سُتُورِ الدَّمَقْسِ (٩)

= ابن بسطام الذي كان أبوه يمدحه (ط القدسي ٥٠٢، ط الحلبي ٤٩٣).

- (١) المجاجة: الريق، عصارة كل شيء.
 - (٢) أجدت: أحدثت، المتحسى: الذي يشرب شيئاً بعد شيء.
 - (٣) البلهبد: معنى كسرى أبرويز: ذكره ياقوت في الكلام على «قصر شيرين». وشيرين هي حظية كسرى. والفرس يقولون: كان لكسرى أبرويز ثلاثة أشياء لم يكن لملك ولا بعده مثلها: فرسه شهيدز، وجاريتة شيرين، ومغنيه وعوده بلهبد.
 - (٤) الحدس: التوهم.
 - (٥) الجوب: من معانيه الترس، وقد فسر بعض الأدباء هذا البيت بهذا المعنى؛ وليس كذلك لأن (الجوب) مصدر جاب الشيء: خرقة؛ والصخرة نقبها. وفي التنزيل العزيز «وئمود الذين جابوا الصخر بالواد» (٩ الفجر). فالشاعر هنا يشبه القصر بأنه لضخامته كأنه خرقة أو نحت في الجبل.
 - الأرعن: الجبل ذو الرعن وهو أنف يتقدم الجبل. الجلس: الجبل العالي.
 - (٦) وإخوتها «أن يبدو». يتظنى: يظن.
 - (٧) المشتري: وهو كوكب سعد؛ ولكن الشاعر يقول أنه انقلب كوكب نحس بما أصاب القصر من مصائب.
 - (٨) الكلكل: الصدر أو ما بين الترقوتين.
 - (٩) بز: سلب. استل: انتزع وأخرج كما ينتزع السيف من الغمد.
- الدباج: الثوب الذي سدها ولحمته حرير؛ فارسي معرب، أصله «ديوباف» أي نساجة الجن.
الدمقس: الحرير الأبيض، جاء في «المعرب» (١٥١) أنه «القر الأبيض وما يجري مجراه في
البياض والنعومة؛ أعجمي معرب. وقد تكلمت به العرب قديماً».

مُشْمَخِرٌ، تَعْلُو لَهُ شُرْفَاتٌ
لَأَبْسَاتٌ مِنَ الْبَيَاضِ فَمَا تُبِ
لَيْسَ يُذْرَى أَصْنَعُ إِنْسٍ لِحِنْ
غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ
فَكَأَنِّي أَرَى الْمَرَاتِبَ وَالْقَوُ
وَكَأَنَّ الْوُفُودَ ضَاحِحِينَ حَسْرَى
وَكَأَنَّ الْقِيَانَ وَسَطَ الْمَقَاصِ
وَكَأَنَّ اللَّقَاءَ أَوَّلُ مِنْ أَمْسٍ
وَكَأَنَّ الَّذِي يُرِيدُ اتِّبَاعاً
عُمِرَتْ لِلشُّرُورِ دَهْرًا، فَصَارَتْ
غَيْرَ نَعْمَى لِأَهْلِهَا عِنْدَ أَهْلِي

رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ «رَضْوَى» وَ«قُدْسٍ»^(١)
صِرُّ مِنْهَا إِلَّا غَلَائِلَ بُرْسٍ^(٢)
سَكَّنُوهُ، أَمْ صُنْعُ جِنِّ لِإِنْسٍ
يَكُ بَانِيهِ فِي الْمُلُوكِ بِنِكْسٍ^(٣)
مَ إِذَا مَا بَلَّغْتَ آخِرَ حَسِّي
مِنْ وَقُوفٍ حَلَفَ الرَّحَامِ وَخِنْسٍ^(٤)
رِ يَرْخِصَنَّ بَيْنَ حُوٍّ وَلُعْسٍ^(٥)
سِ، وَوَشَكَ الرَّحِيلَ أَوَّلُ أَمْسٍ
طَامِعٌ فِي لُحُوقِهِمْ صُبْحَ خَمْسٍ
لِلتَّعَزِّي دِيَارِهِمْ وَالتَّأْسِي^(٦)
عَرَسُوا مِنْ زَكَايِهَا خَيْرَ عَرَسٍ^(٧)

(١) المشمخر: العالي.

الشرفة من القصر: ما أشرف من بنائه.

رضوى: جبل بالمدينة، وهو من ينبع على مسيرة يوم، ومن المدينة على سبع مراحل، ميامنه طريق مكة، ومياسره طريق البر، يرى لمن كان مصعداً إلى مكة، وهو على ليلتين من البحر، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية.

قدس: جبل شامخ ينقاد إلى المتعش بين العرج والسقيا ثم ينقلع «كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها لعرام بن الأصبح/١٧».

(٢) قلائل: جمع قليلة وهي الشعر المجتمع.

سبايخ: جمع السبيخة وهي القطعة من السبيخ وهي ما تناثر أو انتقش من الريش أو القطن ونحوهما.

غلائل: جمع غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب.

البرس (يقسم الباء وكسرهما): القطن.

(٣) النكس: الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه والمقصر عن غاية النجدة والكرم.

(٤) الضاحي: البارز للشمس. حسرى: جمع حسير، وهو المعى الخنس: المتأخرون.

(٥) القيان: الإماء المغننيات؛ واحدتهن قينة.

المقاصير: جمع المقصورة وهي الدار الواسعة المحصنة، والحجرة من حجر الدار.

الحو: ذوات الحوة وهي سواد إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد، وهي صفة للشفاء.

اللعس: ذوات اللعس وهو سواد مستحسن في الشفاء.

(٦) رباعهم: دورهم، محلاتهم، منازلهم.

(٧) الزكاء: النمو.

أَيَّدُوا مُلْكَنَا، وَشَدُّوا قُؤَاةُ
وَأَعَانُوا عَلَيَّ كَتَائِبِ «أَرْيَا
بِكُمَاةٍ تَحْتَ السَّنَوْرِ حُمْسِ^(١)
ط» بِطَعْنِ عَلَيَّ الشُّحُورِ وَدَعْسِ^(٢)
رَافِ طُرًّا مِنْ كُلِّ سِنَخٍ وَأُسِّ^(٣)

أجداد، أجداد، وقلد بهذا العقيان أعناق أولئك الجياد.

وأشار بالأربعة الأبيات الأخرى إلى قصة سيف بن ذي يزن واستنجاهه بكسرى على الحبشة لما ملكوا اليمن، والواقعة شهيرة.

وأبو عبادة من طيء، وهم من اليمن أي من ولد كهلان بن سبأ، والله أعلم.

[٦٥]

الفقيه، الحسين بن علي الصنعاني الشهير بالوادي الأديب*.

فاضل لم يبق للاحقه حَظًّا في الحلبة، ولا ترك في كأس الرقة لصاد إليه شربه، فهو إذا جال في متن الكميت العربي، أين المرتاب أن الحسين في المعجز ابن نبي، وإن صدع بالموشح تنزهت في النور المفتوح لم يلحقه بن سنجر^(٤) في رقة وانسجام، وما يحيى بن عيسى إلا كأبيه مطروح إذا جراه في كلام، فلو سئل

(١) الكماتة: جمع الكمي وهو الشجاع أو لابس السلاح لأنه يكمي نفسه أي يسترها بالدرع والبيضة. الحمس: الشجعان.

السنور: كل سلاح من حديد، وذكر الجواليقي وحده في كتابه «المعرب» (٢٠٠) أن السنور معرب، وهو الدروع.

(٢) الدعس: الدوس والطعن.

أرباط: القائد الحبشي الذي غزا اليمن.

(٣) السنخ: الأصل والمعنيت.

الأس (بفتح الهمزة وكسرهما وضمها): أصل البناء.

المعارف لابن قتيبة ٢٣٤، معاهد التنصيص ١١٣، الموشح ٣٤٧، تاريخ بغداد ١/١٢٩، الموازنة ٢/١٦٢ - ٢٣٤، معجم البلدان/ مادة الديوان، معجم الأدباء ١٩/٢٥٥، نهاية الأرب ١/٤١٢، ألفصيدة كاملة في ديوان البحري ٢/١١٥٢ - ١١٦٢.

(*) ترجمته في: خلاصة الأثر ٢/٩٩ - ١٠١، وفيه وفاته سنة ١١٧٦.

(٤) كذا في الأصل.

عنه وعن دالية نفسه أيهما أنفع للصادي، لقال يا فرسان القريض هي رامة فخذوا
يمين الوادي، فإنه مني أشعر ولجلب القلوب أسحر، ملك عنان الأدب لأنه
الحسين، وهو أجمل الفضل فأنبه المتنبى بحسن الشعر فما ظنك بأبيه منع
العين، وهو ممن ثنى الأعين بأدبه إلى اليمن تلك الأعوام، وأقام بعلم معالم
الأفق من الكواكب الأعلام.

وكان ظريفاً، أسمر اللون، ضخماً في سكينته ووقار، وأما ذكاه فيشتعل ولا
لهب النار، وكان فيه غفلة أحياناً، وله في النجوم السمر يد بيضاء.
أخبرني الفقيه علي بن مطير الخياط وقد عاصره: أنه صعد حيدرآغا - الآتي
ذكره بعده^(١) - إلى جبل ذي مرمر صحبه السيد الإمام المهدي أحمد بن الحسن
قل خلافته فقال حيدر بديهاً:

أحمد من أوصلنا إلى هذا المحل^(٢)

فقال الوادي:

وأطلع الوادي إلى رأس الجبل

فأجاد إلى غاية وأجاد جائزتهما كعادته.

وشعر الوادي سائل الخير إلى الغاية فمته:

وحال ذي الحب لا يخفى على الفطن
هوى سواك فخذ في البحث وامتحن
فربما وشت الأوطان بالسكن
لم تغن من أدمعي بالعارض الهتن
حمراء عيني في الصفراء من وجني
يذكي بلعجة ذكرى سالف الزمن
عني ومقلته الحوصاء لم ترني
لا تستزاد ولبت في قضا وطني
وما منحت بها شيئاً سوى المحن

في شجو عيني أنباء على شجني
فإن نكرت غرامي فيك متهماً
استخبر القلب ينبيك الحقوق به
واستغن بالشاهد الذاتي ضناني إذا
أما ترى كبدي السوداء تفرع من
ونار شوقي لا ينفك لأعجها
أيام كنت وصرف الدهر ممتنع
وللسعادة حظ في قضا وطري
أخلقت حية جسمي في هواك أسى

(١) ترجمه المؤلف برقم ٦٦.

(٢) الأصح: «لذا المحل» حسب العروض.

وصنت حسنك صون الجسم ناظره
وأنت من فزعات الوهم في حرم
وما بطرفك من غنج ومن كحل
وما بوصلك للملحوظ من فرج
لو لم يكن أصل دائي فرع معرفتي
لساءني بك قول الغير من أسف

ولم أقل عبث التبريح بي فصن
خلو ومن فزعات الوهم في جنن
للناظرين ومن سحر ومن وسن
وما بقطعك للمدحوض من حزن
إياك فالحسن والإحسان في قرن
يا ليت معرفتي إياك لم تكن

الشعر متسق، والمعاني منتظمة، وأثر التمکن ظاهر، ولفظ الغير بإدخال لام التعريف ليس من لغة العرب، بل يستعمله من غلب عليه العجمة من علماء العجم كسعد الدين التفتازاني والقطب وغيرهما، ولفظ «ينيك» بعد الأمر، كان الواجب الجزم، إلا أنه قد جاد في الفعل المعتل المتصل بالضمير خاصة رفعه بعد الأمر قليلاً، فيغفر له ذلك لإجاده الشعر.

وللوادي أيضاً في السيد أبي الحسين علي بن المؤيد بالله أمير صنعاء:

صاح قد جاوز الغرام نصابه
إنما يحسن المدام لصب
في سقيم الجفون والخصر مملو
لاح للعين وجهه في جميد
وأراني من النهار جبيناً
وهبتني جفونه رقة الجسم
وسبتني قلبي المشوق وروحي
وتجلت بالإسوداد ولا تن
وصفها بالسقام غير عجيب
مثلما صادفت أكفت جمال الدين
الحميد المجيد من لو بغى من
ملك ترتجي الملوك عطاءه
لا تحياكي البحور إلا يديه
بين شمس الضحى وطلعت ما
سيّد ذكر فضله قربات
إن تلوت اسمه على الفقر أقصا

فدع اللوم أو أموت صبابه
بعد تجويز عاذليه انقلابه
ح السجايا منهم كثير الدعابه
ويوذي لو حلّ عنه نقابه
ومن الليل طرة وذوابه
ورقراق دمعة سكباه
والنها الوهاية النهابه
كحالي إذا حكته كآبه
صادفت في عيونه أسبابه
بحراً منه ففاضت سحابه
زل كيوان موطناً لأصابه
كما إنها تخاف عقابه
ويضاهاي الجمان إلا خطابه
بين كفيه والحيا من قرابه
فاضلات لدى الإله مثابه
ه وأخلي مكانه وأطابه

وإذا ما تلوته لسقيم
 سرح الفكر في رياض مغانيه
 وضع اللفظ من نضار على را
 وابن بيت الثناء فيه على الضم
 ضيغم يبتدي الأمور برأي
 وبأس أستغفر الله لو مر
 ليس عيب فيه سوى أنه في
 إن ترد تصدق المقال فقل في
 كم له من قضية تدع الناس
 إن أشبهه باليجور نوالا
 وببدر السما جمالاً وبالأن
 لامني فضله وعدني بالناس
 عد عن حلم أحنف وندى الطا
 واطرح قول من يرى قدم أمر
 واعد ما يقال عن مدحهم فيه
 يا جمال الهدى إليك مقالاً
 فضله في القريض فضلك في الناس
 كان بين العصر والفجر تشبيب
 لا أريد الجزا عليه واقبله مني
 فتفضل عليّ واقبله مني
 وابق وأسلم على الليالي لودي

كان في برئه سريع الإجابة
 ووقاه في المديح حسابه
 من معاليه قبلة وعصابه
 وافتح لجبر كسرك بابيه
 تستعير النجوم منه الإصابه
 بقلب من الحديد أذابه
 ما خلى الوحي بالنبى مشابه
 وإن شئت المجد فاقصد جنابه
 سكارى محبة أو مهابه
 وبشمس الضحى سناً ونجابه
 جرم رأياً وبالأسود غلابه
 بزعمي في الفرقة الكذابه
 ثي ومن فيهما أطال كذابه
 واجعل الصمت من هوان جوابه
 تجده والله يهديك دابه
 يحقر الدر أن ينوب منابه
 فمن شاء أن يعيبك عابه
 ومدحاً كما ترى وكتابه
 بغير الدعا عليه إثابه
 مضمناً رسلاً عليه حجابه
 فيك صدق وللدعاء إجابته

قلت: ما هذا إلا روض نادي، وما هذه إلا رامة، فقل للشعراء قد غلبتم
 فخذوا يمين الوادي، ولعمري لمن مدح بهذا الشعر فإنه فاته ما فاته لرابع، وإن
 شاعراً سبكه بل رصعه نجوماً في سماء القصاحة يتصرف بالشعراء ويحول بقناة
 السماك الرامح، وهذه من خرائد بنات الأفكار المحجبات اللواتي شمسن فقلما
 تراهن بكفو مغرسات، وإنني لأغبط قائلها ومن قيلت فيه، وما ثوابه بالغ، ولو
 حشيت دراري الأثير في فيه.

قال القاضي شمس الدين أحمد بن ناصر، رحمه الله^(١): أنه قد روي أنه قالها في السيد أبي يحيى محمد بن الحسن بن المنصور بالله، وإنه قال له حين أكملها: ما أعجب هذا الشعر الرقيق من هذا البدن الغليظ.

قلت: لكن جمال الدين لا يطلقه أهل اليمن إلا على علي، وليست لهم ألقاب معينة، لأن القوم تقل عنايتهم بالمفاخر والذكر الجميل، وليس فخرهم في الغالب إلا باللباس الجيد، وركوب الخيول بالحلية إلا من عرف سير الكحلاء، وكيف بنو آدم، وقليل ما هم.

وكان للوادي للمذكور إمام بعلم الحرف، وغالب أهل هذا الفن البلاهة، وله يد جيدة في علم النجوم والرمل، وشعره كثير وأدبه، وهذا الدليل روض، ولولا أنه الوادي لقلت وغدير.

ومات تقريباً سنة ثمانين وألف بصنعاء، رحمه الله.

والوادي: إضافة إلى وادي ضر، عرف بذلك. وقد مضى تعريف الوادي المذكور.

[٦٦]

الأمير أبو محمد، حيدر أغا بن محمد الرومي الأصل، اليمني الدار والوفاة، الشاعر المشهور.

فاضل سبق في تلك الحلبة، وما ترك للصائح المحكي همساً ولا جلبة، لم يكن برق شعره يخلب، ولم يقدر حسن شعره ولم يكتسب نسج للملاح به وشيئاً عبق، وما كان قبله ينشر، وأخجل ابن ربيعة فما ترك لعمر فضل حيدر، له شذرات أخذت الحاسد في نحره فهي يتايم لا توجد إذا نظم إلا ببحره:

شرك العثقول ونزهه ما مثلها للمطمئن وعقله المستوفر

لم ندر أعربية أم موشحة أملح، وعلى الحقيقة فجميع شعره بالحسن موشح، فهو الذي أجاد في الفنين وقال سامعه لقد جاء حيدر بالحسن والحسين

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

معان من الرقة تسيل، وألغاز منها النسيم عليل، وأصله من الأجناد الرومية الذين لم يعودوا مع من عاد منهم لما غلبهم الإمام المنصور وولده الإمام المؤيد، ومعنى الأنما بالرومية نقيب العسكر، وكان من فرسان الروم.

وأخبرني شيخنا شرف الدين الحسن بن الحسين بن المنصور بالله رحمه الله تعالى، إنه كان يراه بمدينة ذمء، وقال: كان أسمر يلبس زي الجند، كثير الفكرة والوحدة، عليه سكينه ووقار، وكان ظريفاً، وكانت له يد في الموسيقى وضرب العود لنفسه، وشعره العربي قليل لقلّة حفظه وتدوينه، فمنه في اختصار بيتي إبراهيم الغزي الشاعر المشهور في المدح:

شعرك لا تضعه
أتقول قافية وقد
ولا تُرى متغزلاً
خلت الديار فلا ولا
وبيتا أبي إسحاق الغزي^(١) هما:
قالو هجرت الشعر قلت ضرورة
خلت الديار فلا كريم يرتجى
ولهما ثالث.

وما أظرف قول أحد شعراء الريحانة:

يقولون لي أرخصت شعرك في الورى
أجزت على شعري الشعير وإنه
فقلت لهم من عدم أهل المكازم
كثير إذا حصلت من بهائم^(٢)
صدق والله، فإني أنا أجزت على شعري الشعير، فتمثلت وتأسيت بقوله
وحاله رحمه الله تعالى.

سمعت بعض الناس يحكي هذه الأيام: إن الفقيه سعيد السمحي الشاعر -
الآتي ذكره^(٣) - مدح الخزان بقصر صفا وهو السيد عبد الله الحلبي فأمر له بثلاثة
أرطال من شعير عن قصيدة. ولهذا تفرّس السراج الوراق رحمه الله تعالى فقال:

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) لم أعر عليه في ريحانة الألبا.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٨٢.

زَعَمُوا لِبَيْدَاً قَالَ فِي شِعْر لِه
 ثُمَّ انْتَهَى الدَّاءَ العَضَالِ فَبَعَدْنَا
 وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الأَجْرِبِ
 بَلَغَ الجَذَامَ وَعَصَرْنَا عَصْرَ وَبِي
 فَهؤلاء أهل الجذام أراح الله منهم.

ومن شعر حيدر في مرثية غلام مليح يعرف بابن تاج الدين:

لَوْ لِنَفْسٍ تَكُونُ نَفْساً فِدَاءً
 يَا فَقِيداً قَدْ كَانَ فِينَا كَرِيمٌ
 كَانَ تَاجاً عَلِيهِ إِكْلِيلُ حَسَنِ
 سَلَبْتَهُ أَيَدِي المُنُونِ عَلِينَا
 قُلْتُ لِمَا رَأَيْتُ قَدَّكَ غَصْنَا
 أَوْ لَهْفِي عَلَى اعْتِدَالِ قِوَامِ
 وَبِنَفْسِي شَرَطَ نَجْدُكَ مَا كَانَ
 كُنْتُ تَأْوِي القُلُوبَ حَيّاً فَشَقْتُ
 بَعْدَ ذَاكَ الغِنَا مِنْ كُلِّ حَسَنِ
 ثُمَّ هَبْنَا قَرِيرَ عَيْنٍ فَمَنَّا
 لَكَ مَا شِئْتُ عِنْدَ رِيكَ يَا لَيْتَ
 لَكَ مِنَّا الهِنَا بِجَنَاتِ عَدْنِ
 لَفِذَاكَ العَذُولُ وَالرَّقِبَاءُ
 نَحْنُ قَوْمٌ بِمِثْلِهِ بِخِلَاءُ
 زَانَهُ مِنْهُ رَوْنَقٌ وَبِهَاءُ
 وَأَتَاهُ إِلَى فَنَاءِ الفَنَاءِ
 وَهُوَ فِي ذَاتِ أَرْبَعِ مَلَقَاءِ
 عَانَقْتَهُ بِرَغْمِي الحَدْبَاءُ
 لَهُ التَّرْبُ يَا حَبِيبِي جِزَاءُ
 لَكَ فِي المَوْتِ قَلْبِهَا الشَّهْبَاءُ
 أَيُّهَا النِّسَاءُ أَنْتُمْ الفَقْرَاءُ
 كَلَّ عَيْنٍ مِنْ البِكَاءِ مَدَاءُ
 لَنَا مِنْ تَصَبَّرَ مَا نَشَاءُ
 وَلَنَا فَيْكُ يَا حَبِيبَ العِزَاءُ

تأمل هذه الرقة وما ضمن المعاني من الدقة، فالاعتدال والحد ما بعد التاج والإكليل والشرط والجزاء والغناء والفاقة والقره والرمد، مع الانسجام الذي لا يقوى عليه إلا من قلده الأدب بإكليله واجتهده، وقد جاء وصف كل والفصيح صفة ما يضاف إليه، وكان حيدر يأنس بهذا الغلام.

وحكى الفتح بن خاقان في قلائد العقيان: إنه كان بصفة الجزيرة الخضراء بالأندلس أيكة يانعة، وكان الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة^(١) يقعد هو ومن يهواه لديها ويوسدان خدودها أبرديها، فمرّ بها ومحبوبة قد طواه الردى، ولواه عن ذلك المبتدى، فتذكر ذلك العهد وجماله، وأذكر صبره لفقده واحتماله، فقال:

(١) مرت ترجمته بهامش سابق.

ألا أذكرتني العهد بالأنس أيكة
وأكبت أبكي بين وجد أناخ بي
وأنشق أنفاس الرياح تعللاً
ولما علت وجه النهار كأنه
عطفت على الأحداث أجهش تارة
لقد صدعت أيدي الحوادث بيننا
وإن يك للخلين ثم التقاؤه
فاعزز علينا أن تباعد بيننا

فأذكرتها نوح الحمام المطوق
حديث وعهد للشبيبة مخلوق
فاعدم فيها طيب ذاك التنشيق
دارت به للشمس نظرة مشفق
والثم طوراً تربها من تشوق
فهل من تلاقٍ بعد هذا التفريق
فياليت شعري كيف أو أين نلتقي
فلم يدر ما ألقى ولم أدر ما لقي

وللأمير حيدر، وقد صرف بعض الولاة إلى بنيه عسكرياً بحبله على عاداتهم
في ذلك:

منزلي منزل السعادة والـ
لم أمرتم بصرفه وهو مبني

أفراخ والأنس والصفات العلية
وكذا العدل فيه والعلمية

وما أحسن قول القائل في التوجيه بالموال:

سمعتها وهي داخل دارها بالصحن
يا ليتها مع تغنيها وطيب اللحن
والآخر أيضاً فيه:

تنشد رمل طحنت قلبي المعنى طحن
ترفع أجر ودع يدخل على اللحن

قالت لها اختها قاصد تسمعنا
لرفع والنصب أنا وأنت ومن معنا

ما النحو قالت لها نحننا بأجمعنا
للجرّ والروح حرف جاء للمعنى

والتوجيه والتورية في القطعتين ظاهر.

وللأمير حيدر دوييت أجاد فيه مع التورية وهو:

أفدي رشاً به القلوب مفتونه
في الغيد سيوف لحظه أشهرها

كالنون له حواجب مقرونه
للفتك وقال إنها مسنونه

ومن المنسوب إليه، أنشدني له الفقيه علي بن مطير الصنعاني الخياط وهو
راوية لشعره:

لا تحسب الشمس في ذا اليوم طالعة

ولا تسل أين وارت وجهها الحسننا

بالأمس قد غربت صفراء أحسبها ماتت وهذي السما تبكي لها حزناً^(١)
وهو مأخوذ من قول القاضي الأرجاني^(٢) [من الكامل]:

لَمَّا رَأَيْتُ النَّجْمَ سَاهٍ ظَرْفُهُ وَالْأَفْقُ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ سُبَاتَا
وَبِنَاتُ نَعَشٍ فِي الْجِدَادِ سَوَافِرُ أَيْقَنْتُ أَنَّ صَبَاحَهُمْ قَدْ مَاتَا
وله في انفتاح نور الكاذي بلمع البرق:

أرى الكاذي لا يسبديه إلا خفوق البرق في داجي الدجنه
إذا ما سلَّ في الآفاق سيفاً بدت في الروض للكادي أسنّه

ومن عجائب الكاذي أن طلعه لا يفتح إلا إذا استصبح بشمعة البرق تحت
ستور الغمام، وزهر اللوبيا لا ينور إلا إذا جلَّت له القمر جبينها المعشوق.
وله مما جنا في رجل يلقب بالمسجد:

سَمَّوهُ فِينَا مَسْجِدَا رَشَا كَحَيْلِ الطَّرْفِ أَحْوَرُ
يَا حَبِّذَا مِنْ مَسْجِدٍ قَدْ لَدَّ فِيهِ الْمَوْخِرُ
وله أيضاً فيه:

سَمَّوهُ فِينَا مَسْجِدَا رَشَا يَفُوقَ الظُّبِي لَطْفَا
فَجَعَلْتُ فِيهِ تَقَرِّبَا مَنِّي لَهُ الْأَحْلِيلِ وَقْفَا

سمعت له بيتاً واحداً فزدت له أولاً من نظمي، وهو فيمن اسمه الجامد:

(١) ديوان الأرجاني ١/١ هـ ٢٥٩.

(٢) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني، نسبة إلى أرجان من بلاد خوزستان، وهو عربي الأصل من الأنصار. ولد سنة ٤٦٠ هـ. كان فقيهاً شاعراً وفي شعره رقة وحكمة، وهو القائل:-

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع في العصر أو أنا أفقه الشعراء

تولى نيابة القضاء بخوزستان، وتستر، وعسكر مكرم. وكان في صباه بالمدرسة النظامية بأصبهان. توفي بتستر سنة ٥٤٤ هـ. من آثاره ديوان شعره جمعه ابنه.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/١٥١ - ١٥٥، ومعاهد التنصيص ٥/٢، والنجوم الزاهرة ٥/٢٨٥،
شذرات الذهب ٤/١٣٧، والكنى والألقاب ٢/١٦، وهامش خريدة القصر - القسم العراقي ١/
١٤١، أنوار الربيع ١/١١٩، المتظم ١/١٣٩، الاعلام ط ٤/١/٢١٥.

بـي غـزال ألان قـدا
ليـت داري منه تدنو
زنـده في الحسن واري^(١)
وأرى الجـامد جاري

وقد جاء المنقوص في حالة النصب مسكن الياء .

وله في طبّال :

وشادن يكفل طبلاً له
يشن غارات الهوى مشرعاً
ويسلوي السير على عاتقه
ويضرب الطبل على عاشقه

وكتب إليه الشيخ إبراهيم الهندي وكناه بابنه الأكبر :

يا أبا أحمد لقد جرت لما
قد بلغتم إلى مناء ولكن
صاد قلب الخليل منك كليما
لم تجوزوا مقام إبراهيم

فكتب إليه مراجعاً وكان مقيماً بذهبان العنب :

أنا في كعبة المحاسن باقٍ
يوسفى الجمال من نار خديهِ
في مقام وحقّ لي أن أقيما
قد رأينا احتراق إبراهيم

وله في الترصيع في دوبيت :

انظر مسود الطرف خلي الأخضر
والشهب لقد^(٢) أجرى دمي أبيضه
كالأزرق من فوق الرديني الأسمر
أحمر قاني من فوق خدي الأصفر

وله أيضاً :

وخل قال لما زار قبّل
فقبّلناه في جيد وخدٍ
يديّ لتشتفي من نار بيني
وكان الأمر من فوق اليدين

وله في زنبق وفيه توجيه :

وزنبق مجلس بين الندامي
يريك إذا تلى إنا فتحنا
كشيخ حاز لطفاً في وقارٍ
عمود الفجر في وسط النهار

(١) نزهة المجلس ومنية الأديب الأنيس ٢٩٢/١، ديوان الأرجاني ٢٥٩/١.

(٢) في هامش الأصل: «قلت: والمحفوظ قبله.

وعليه دمع جاري

رشاً ستموه جامد

.. الخ».

وحيدر ممن رزق السعادة في الموشح الرقيق الغضيب، ولم يترنم الشادي
بغير قوله فيه برغم أنف معبد والعريض، فمن موشحاته التي تقوم للحن بالحجة،
وتشبح في الأنس ابن جني إذا فاخرها بعربيته شجته:

شقيق البدر براق الجمال
خطر يسحب ذيول التيه عاني
مهفهم ليس له في الحسن ثاني
خطابه إن نطق فاق المثنائي
سباني منه يا إخواني
مع تفتير الأعيان

وقدّه في تعطافه أراني
ولولا سيف عينيه اليماني
قضييب البان إلا أنه أرشوق
حما قدّه سجع فيه المطوق
❀ ❀ ❀

ملق حالي الدلال حلو المرأشف
مهلا احومه للروح خاطف
غرامه قد ترك لي دمع واكف
ملك روعي فذا حسنه سباني
نهب روعي بجهله
فمنا عاديتنا^(١) أقول له

ولما خاف في العشق جناني
أمر عينيه ترسل قصد عاني
وأيقن إنني في الحب سأزعق
سلاسل من عذاره لي وأوثق
❀ ❀ ❀

ممنع قبلدوه الحسن تقليد
بديع الحسن في خديته توريد
وعوذ طلعتته واذكر محمد
تعال بلا عاذلي فيه يا عى صد^(٢)

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

رشأ ما أهوى سواء دائم زماني ولا قلبي لغيره عاد يعشق
غرامسي فيه مشروح وقلبي منه مجروح
وذكره ينش الروح

فاهى لو تساعدني الأمانى ويصبح كلما أملت فيه حق
فالوى من على جیده يمانى وأرشف من لمام صافي معتق
❀ ❀ ❀

وأروى للرشا باهي المحيا بانى من غرامه صوت ذاهل
أبات مالي نديم إلا الثريا أهيم جنح الظلام بين المنازل
أموت إن غاب عني ثم أحيى إذا أبصرته يمس بين الغلايل
وحسنه لو يعاني ما أعاني رثى لي من هوى القلب المحرق
أنا مفتون بحبته وكم اشتاق قربه
وشملي يجتمع به

وكم قد بيننا حاسد وشاني أراد أن اجتماع الشمل يفرق
فما صدقتم فيمن سباني ولا هو في الذي يهواه صدق
❀ ❀ ❀

واستعمال المحسنات في الموشح من خصائص حيدر، وأما «ولولا سيف
عينيه اليماني» فهو من قول جمال الدين بن نباتة في المزدوجة التي مدح بها
المؤيد صاحب حماه منها:

لولا حذار القوس في يديه لغنت الورقا على عطفه
ولقد أجاد فيه، ثم أن الشيخ إبراهيم بن صالح الهندي أغار على هذه
المزدوجة فأرملها وأخذ أكثر ألفاظها ومعانيها، واستعملها في مزدوجة له فأخر
فيها بين البندق الرومي والسيف، وكلما يحسن فيه الشيخ إبراهيم المذكور مأخوذ
من شعر غيره، وما أراه إلا عرف افهام القوم وحفظهم للشعر فمدّ رجله ويديه
واستراح، وإلا لم يكن عاجزاً، إلا أن الشعر باليمن لم يكن له سوق إلا بأيام
الدعاة الإسماعيلية آل زريع وآل سبا، فإنهم كانوا ملوكاً شعراء فتعدّوه ونقدوا
فيه، وأما أئمتنا الزيدية فليس لهم به كثير عناية، اللهم إلا الإمام المنصور بالله

القاسم بن محمد كان نظاماً بالقريحة والقناه المريحة، والآخرين يجيزون عليه تكلفاً بدون انتقاد ولا تفضيل للحسين على المرذول، فبطل الشعر وكسدت سوقه، والله البقاء.

وفضائل حيدر أبهى من ذكا أو ذكاه.

ونقش خاتمه: محب أبي السبطين حيدر، وهذه التورية الخاتمية تكفيه أدباً. وتوفي سنة ثمانين وألف تقريباً بضوران عند الإمام إسماعيل المتوكل، ورثاه الهندي بأبيات جاء منها:

كان في عصرنا حديقة فضلي فلذا أودعوه في البستان
لأنه دفن بمقبرة البستان. رحمه الله تعالى.

حرفُ الدَّالِّ

أبو سليمان، داود بن سَلَم التيمي، مولى تيم، المدني، مولى آل طلحة
بن عبيد الله، وقيل مولى آل أبي بكر، الشاعر^(*).

أحد أصحاب أصوات الأغاني، شاعر ما ضاع مما ضاع إلا النشر، خلد
بما قصد ذكره إلى الحشر، ولا شاعر في فضله مخالف، أتى وقد أطرب الرشيد
والهادي وابناهما الخلائف.

وذكره الكاتب أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني، وأشار إلى أنه كان
يتشيع.

وأقول: إن المتشيع في ذلك العصر هو الغالي في التشيع، لأنه يعرض دمه
للسفك، لشدة نصب الأموية.

وأدرِك أوّل الدولة العباسية، فهو من مخضرمي الدولتين.

ولعمري للكُميت وكثير عزه، والفرزدق ممن عصمهم الله عن القتل.

وقل أيضاً: كان ابن سلم منقطعاً إلى أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن
السيط^(١)، وكان قد عوّده إذا جاءت غلّة من الخافقين أن يصله، فمدح أبا الفضل

(١) كذا في الأصل.

(*) ترجمته في: الأغاني ١٣/٦ - ٢٧، سمط اللآلي ٥٥٠، معجم الأدباء ١٩١/٤.

(٢) الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد: أمير المدينة، ووالد السيدة نفيسة.

جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس وهو أمير المدينة وكان بينه وبين الحسن تباعد شديد، وشعره في جعفر هو:

وَكُنَّا حَدِيثًا قَبْلَ تَأْمِيرِ جَعْفَرٍ وَكَانَ الْمُتَى فِي جَعْفَرٍ أَنْ يُؤَمَّرَا
حَوَى الْمُنْبَرَيْنِ الطَّاهِرَيْنِ كِلَيْهِمَا إِذَا مَا خَطَا عَنْ مَنِيرٍ أُمَّ مِغْنَبِرَا
كَأَنَّ بَنِي حَوَّاءَ صُفُّوا أَمَامَهُ فَخُيِّرَ فِي أَحْسَابِهِمْ فَتَخَيَّرَا؟

فأعطاه ألف دينار، ثم دخل على الحسن وأراد أن ينشده فقال له: أنت القائل: «وكننا حديثاً قبل تأمير جعفر»؟ فقال: جعلني الله فداك وكنتم خيرة اختياره، وأنا الذي أقول:

لُعْمَرِي لئن عاقبت أوجذت مُنِعِمًا بعفوٍ عن الجاني وإن كان مُعْذِرًا
لأنت بما قدّمت أولى بِمَدْحَةٍ وأكرم فرعاً إن فخرت وعُنُصْرَا
هو العُرَّةُ الزَّهْرَاءُ من فرع هاشم ويدعو عليّاً ذا المعالي وجعفرَا
وزيد الندى والسَّبْطِ سَبْطِ مُحَمَّدٍ وعمك بالطفِّ الزَّكِيِّ المَطْهَرَا^(١)
وما نال من ذا جعفرٍ غيرَ مجلس إذا ما نفاه العزلُ عنه تأخرا
بحقِّكم نالوا دُرَاهَا فأصبحوا يروُن به عزاً عليكم ومفخرا
فعاد الحسن لعادته في صلته^(٢).

والخافقين: ضيعة كانت له.

وأورد له أبو الفرج أيضاً:

وما دَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ إِلَّا ذَكَرْتُهَا وأذكرها في وقت كل غروب^(٣)

= كان من الأشراف النابيين، شيخ بني هاشم في زمانه. استعمله المنصور على المدينة خمس سنين. ثم عزله. وخافه على نفسه فحبسه ببغداد. فلما ولي المهدي أخرجه، واستبقاه معه. مولده في المدينة سنة ٨٣هـ ووفاته بالحاجر (على خمسة أميال منها) سنة ١٦٨هـ في طريقه إلى الحج مع المهدي.

ترجمته في: تهذيب التهذيب ٢: ٣٧٩ وميزان الاعتدال ١: ٢٢٨ وذيل المذيل ١٠٦ وتاريخ بغداد ٧: ٣٠٩ ودول الإسلام للذهبي ومرآة الجنان ١: ٣٥٥ وورد اسم أبيه فيه «يزيد» الاعلام ط ١٩١/٢/٤.

(١) زيد الندى: يعني زيد بن علي بن الحسين الشهيد.

(٢) الأغاني ٦/٢٠ - ٢١.

(٣) ذر: طلع.

وأذكرها ما بين ذاك وهذه
وقد شقني شوقي وأبعدني الهوى
وأعجب أني لا أموت صباباً
وكلُّ محبٍّ قد سلا غير أنني
وكم لام فيها من أخ ذي نصيحة
أتأمر إنساناً بفرقة قلبه

وبالليل أحلامي وعند هبوبي
وأعيا الذي بي طبُّ كلِّ طبيب
وما كَمَدَّ من عاشقٍ بعجيب
غريبُ الهوى، واهاً لكلِّ غريب
فقلت له أقصر فغير مُصيب
أصلح أجسامٍ بغير قلوب^(١)

وأجاد في هذه الأبيات وأحسن غاية الإحسان، وتمت له في «واهاً لكل
غريب» تورية مطبوعة. ما أصدق قول القائل:

إذا ذهب القرن الذي أنت منهم
وإن امرأةً قد ساد خمسين حجة
وخلفت في قرن فأنت غريبٌ
إلى منهل من ورده لقریبٌ

وليس في الوعظ أقوى ولا أشعر من هذا، وكان الحجج يمثّل بالبيت
الثاني.

وقال الأصفهاني: كان داود المذكور ينز بداد الأدم والأميل، وكان أقبح
الناس وجهاً، وأما شعره المختار للأغاني فهو:

قل لأسماء أنجزى الميعادا
إن تكوني حَلَلتِ ربعاً من الشأ
أو تناءت بك النوى فلقد قُد
ذاك أني حملت فيك جوى الحد
وانظري أن تزودي منك إذا
م وحاورت جَميراً أو مُرادا
ت فؤادي لحينه فانقادا
بَ ولبداً فزدت فيه فزادا^(٢)

وقال أيضاً: أنه خرج إلى حرب بن يزيد بن معاوية وهو بالشام، وكان
حرب كريماً، فلما نزل به داود وحطَّ مع غلمان حرب متاعه، وحلوا عن راحلته
وأنشده حين دخل عليه:

ولمّا دَفَعْتَ لأبوابهم
وجدناه يَحْمده المُجتدون
ويُغشون حتى يُرى كلبهم
ولاقيتُ حرباً لقيتُ النجاحا
ويأبى على العسر إلا سَمَاحا
يَهَابُ الهَرِيرِ وَيُنسى النُبَاحا

(١) الأغاني ٢٦/٦.

(٢) الأغاني ١٧/٦ - ١٨.

فأسنى جائزته ثم استأذنه في الخروج، فأذن له وأعطاه ألف دينار ولم يعنه أحد من غلمانه، فظنَّ أن حرباً ساخطاً عليه، فرجع إليه وأخبره بشأنهم، فقال: سلهم لِمَ فعلوا ذلك؟ فقالوا: إننا ننزلُ من جاءنا ولا نرحل من خرج عنا، فبلغ خبرهم الغاضري صاحب النوادر فقال: أنا يهودي إن لم يكن ما قال الغلمان أحسن من شعرك^(١).

ما أحسن قول أبي الفضل أحمد بن محمد الخازن^(٢) في أبي القاسم هبة الله بن الحسين الأهوازي الحكيم وقد أضافه وأدخله بستانه وداره وحمّامه:

وافيت ساحتَه فلم أرَ خادماً إلا تلقاني بوجه ضاحك
ودخلت جنته وزرت جحيمة فشكرت رضواناً ورامة مالك
والبشر في وجه الغلام إمارة لمقدمات حياة وجه المالك

وأما أمير المؤمنين المأمون فإنه قال يدل على حلم الرجل سوء أدب غلمانه، نعم صدق المأمون، وليس من ذلك.

قال بعضهم: لبثت يومين لا أجد ما أكل، ففي اليوم الثالث قلت: أمضي إلى صديقي فلان لعلّي أتغدى معه، فقصدت داره، وكان من المياسير، فقلت لغلام في بابه: استأذن لي مولاك، فقال: إعطني قرصاً آكله وأستأذن، فهالني حاله وزاد جوعي وهربت.

ومما يؤثر من سوء أخلاق الغلمان أنه كان لرجل عبد قد برم بخدمته فما زال سيّده يوصيه بالفراة في الخدمة، وقال له: متى أرسلتك لحاجة ثم قدرت أن تضمّ إليها أخرى فافعل، فلبث أياماً، وعرضت لسيّده علةً فيبعثه ليجيء بالطبيب فجاء به وجاء بغاسل الموتى أيضاً، فقال: ويحك ما هذا؟ قال: يا مولاي الحاجة الأخرى التي وصيتني بها.

(١) الأغاني ٢٥/٦.

(٢) أحمد بن محمد بن الفضل، أبو الفضل ابن الخازن: شاعر، اشتهر بجودة الكتابة. أصله من الدينور، ومولده ببغداد سنة ٤٧١هـ ووفاته فيها سنة ٥١٨هـ، له «ديوان شعر». ترجمته في:

شذرات الذهب ٤: ٥٧ ووفيات الأعيان ١/١٤٩ - ١٥١ وفي مرآة الزمان ٨: ٧٦ وفاته سنة ٥١٢، الاعلام ط ٢١٤/١/٤.

وكان لرجل غلام يأكل هو الحواربي ويطعمه الخشكار، فكره حاله وطلب البيع فلم ينفق، ثم مات مولاه فكان مع ولده يأكل هو الخشكار ويطعمه النخالة، فضج أيضاً أعظم من المرة مع والده، فباعه من رجل آخر، فكان يأكل تلقاء عينه ثم لا يعطيه إلا ما يمسك الرمق فكان يصلي ويسلم على روح سيده الأول، وصبر واحتسب، ف قيل له في ذلك، فقال: أخاف أن باعني أن يشتريني من يكون يضع الدهن والفتيلة على عيني بدلاً من السراج.

وقال نور الدين العسيلي^(١) أحد شعراء الريحانة فأجاد:

إني بُليْتُ بزنجي قبايحهُ ليست تُعدُّ إلى ما فيه من عوج
كلُّ الأمور إذا ضاقت لها فرجٌ إلا أموري إذا ضاقت فمن فرج^(٢)

وقال الشعالي: إن بعض الفساق كان له غلام وكان يفسق به كل يوم حتى بلغ عمر الغلام سبعين سنة، وكلما قال له: قد كبرت يا مولاي عن هذا العمل، يقول: من أمسى إلى اليوم كبرت.

وأجاد منصور البليسي^(٣) أحد شعراء الريحانة بقوله:

قلتُ لتاج الدين في خلوّة وقد علاه عبده الأكبرُ:
التاجُ يعلو فوقه غيره قال: نعم يا قوتُ أو جوهرُ

وظرف السراج الوراق في قوله يذم عبده:

متلون الأخلاق حربائها وسواده يمتاز منه القارُ
ويسيء آداباً عليّ ودأبي الـ أعضاء عنه ودأبه الإصرارُ
وله ذكاء أياس في حاجاته وإذا قضى لي حاجة فحمارُ
ورقاد أهل الكهف دون رقاده ما جنّ ليل أو أضاء نهارُ
وله فضول ما لأقمار الدجى معه ولا متحدثين سرارُ

(١) ترجمته في: خبايا الزوايا للخفاجي، وشذرات الذهب ٤٣٤/٨ وفيات سنة ٩٩٤، وسماء نور الدين علي بن محمد العسيلي المصري الشافعي، ريحانة الألبا ١٩٧/٢ - ٢٠٧.

(٢) ريحانة الألبا ٢٠١/٢، شذرات الذهب ٤٣٥/٨.

(٣) ترجمته في: خبايا الزوايا للخفاجي، والخطط المقرزية، وريحانة الألبا ١٤٤/٢، وبلييس، بكسر الباءين وسكون اللام وياء وسين مهملة: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ، على طريق الشام «معجم البلدان: مادة بلييس».

ومسائل من ذا وما هذا الذي
ودخوله بين اللذين تضاربا
ومسيره لذوي الفضول لعله
ومغيبه عني وإن ساءلته
ولكم أقول ولا يفيد مقالتي

تحت الغطاء ودار من ذي الدار
والحكيم بينهما وذا مدار
يمتاز بين القوم أو يمتاز
وجوابه لي ضجيرة ونفارة
زنها ومن حركاته زنهارة
والقصيدة التي طمئت وعمت قول أبي عثمان الخالدي الموصلي^(١) الشاعر

المشهور بمدح غلامه:

ما هو عبد ولكننه ولد
وشدّ أزري يحسن صحبته
صغير سنّ كبير معرفة
في حسن بدر الدجى وصورته
معشق الطرف كحله كحل
وورد خديه والشقائق والتف
رياض حسن من زواهر أبدأ
وغصن بان إذا بدى فإذا
مبارك الوجه مذ حظيت به
كيسي ولهوي وكل ما ربتني
مسامري إن دجى الظلام فلي
ظريف مزح، مليح نادرة،
خازن ما في يديّ حافظه
ومنفق مشفق إذا أنا أسد
يصون كتبي فكلها حسن

خولنيه المهيمن الصمد
فهو يدي والذراع والعضد
تمازح الضعف فيه والجلد
فمثله يصطفى ويفتقد
معسل الجيد جلية الجيد
ماح والجلل نار منتضد
فيهن ما للنعيم يطرد
شدي فقمري بأنه غرد
بالي رخي وعيشتي رغد
مجتمع فيه لي ومنفرد
منه حديث كأنه الشهد
جوهر حسن سراؤه نقد
فليس شيء لديّ يفتقد
رقت ويذرت فهو مقتصد
يطوي ثيابي فكلها جدد

وأبصر الناس بالطبيع فكالمسك القلايا والعنبر الثرد
عروس دنّ بقائها الزبد
عنه به والثقل منطرده
على غلام سواه أعتمد

وهو يدير المدام إن جليت
وحاجبي فالخفيف منحبس
وحافظ الدار إن ركبت فما

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

ثَقَّفَهُ كَيْسَهُ فَلَا عِوَجَ
وَصَيَّرَ فِي الْقَرِيضِ وَازِنَ دِينَنَا
وَكَاتِبَ تَوْجِدِ الْبِلَاغَةِ فِي
وَيَعْرِفُ الشَّعْرَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي
مَا غَاظَنِي سَاعَةً فَلَا صَحْبَ
وَوَاحِدَ بِي مِنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّ
إِذَا تَبَسَّمْتُ فَهُوَ مَبْتَهَجٌ
ذَا بَعْضُ أَوْصَافِهِ وَقَدْ بَقِيَتْ

فِي بَعْضِ أَخْلَاقِهِ وَلَا أُوذُ
رَ الْمَعَانِي الْجِيَادِ يَنْتَقِدُ
أَلْفَاظَهُ وَالصُّوَابِ وَالسَّرْشُدُ
وَهُوَ عَلِيٌّ إِنْ يَزِيدُ مَجْتَهِدُ
يَمُرُّ فِي مَنْزِلِي وَلَا حَرْدُ
حَمَّةٍ أَضْعَافَ مَا أَجْدُ
وَإِذَا تَنْمَّرْتُ فَهُوَ مَرْتَعِدُ
لَهُ صِفَاتٌ لَمْ يَحْوِهَا أَحَدُ

أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْأَدَبِ إِنْ هَذِهِ الْآيَاتُ أَفْضَلُ مَا مَدَحَ بِهَا غَلَامٌ، وَلَيْتَ شِعْرِي
مَا هَذِهِ الْبَقِيَّةُ الَّتِي بَقِيَتْ، فَإِنْ ثَمَّنَ مِنْ جَمْعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ لَيْسَ إِلَّا الْخِلَافَةُ.

ولداود بن سلم في قثم بن العباس بن عبد المطلب^(١) وكان منقطعاً إليه:

عَتَّقْتِ مِنْ رَحْلِي وَمَنْ حُلَّتِي
فِي وَجْهِهِ بَدْرٌ، وَفِي كَفِّهِ
أَصَمُّ عَنِ قَيْلِ الْحَنَّا سَمْعُهُ
لَمْ يَدْرَ مَا «لَا» وَ«بَلَى» قَدْ دَرَى

يَا نَاقُ إِنْ أَدْنَيْتَنِي مِنْ قُثْمٍ
بِحَرٍّ، وَفِي الْعِرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ
وَمَا عَنِ الْخَيْرِ بِهِ مِنْ صَمَمٍ^(٢)
فَعَافَهَا وَاعْتَاضَ مِنْهَا «نَعَمٌ»^(٣)

دَلَّ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ لَمْ يَكُنِ السَّابِقَ إِلَى مَعْنَاهُ، كَمَا ذَكَرَ جَمَاعَةٌ
مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ لِقَوْلِهِ فِي الْأَمِينِ:

وَإِذَا الْمَطْيِي بِنَا بَلَّغْنَ مُحَمَّدًا فَظَهْرَهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ

(١) قثم بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي: أمير. أدرك صدر الإسلام في طفولته، ومرَّ به النبي ﷺ وهو يلعب، فحمله. وولاه عمه «علي بن أبي طالب» على المدينة، فاستمر فيها إلى أن استشهد عليّ ﷺ فخرج في أيام معاوية إلى سمرقند، فاستشهد بها سنة ٥٧ هـ. وكان يشبه رسول الله ﷺ. وليس له عقب.

ترجمته في:

تهذيب التهذيب: ٨: ٣٦١ ونسب قريش ٢٧ وجمهرة الأنساب ١٦ والأسماء المفردة - خ، وفيه: قبْرُهُ بِخِرَاسَانَ، الْأَعْلَامُ ط ١٩٠/٥/٤.

(٢) خنى وأخنى عليه في الكلام: أفحش. والخنى: الفحش في الكلام.

(٣) الأغاني ٢٦/٦ - ٢٧.

بل الفاتح معناه داود المذكور لأنه كان في أول الدولة قبل أبي نؤاس
بدهر، والله أعلم.

[٦٨]

الأمير، أبو الأغر، ديس بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور
ابن ديس بن علي بن مزيد الأسدي الناشري، نور الدين، ملك
العرب، صاحب الحلة المزيدية(*) .

ملك استعبد مما استعبد بمراضيه الرقيقة، وسلك في المعالي مجازاً نال به
الفخر حقيقة، ونظمه إلا بالقناة قليل، وإنما تهب في الربيع الريح البليل .
وذكره شمس الدين بن خلكان، وقال: كان جواداً كريماً عارفاً بالأدب،
وتمكن في خلافة المسترشد واستولى على كثير من بلاد العراق . وهو من بيت
كبير .

وإليه أشار أبو محمد الحريري بقوله في المقامة التاسعة والثلاثين:
والأسدي ديس لأنه كان معاصره وأراد التقرب إليه بذكره لجلالة قدره .

قال: وله نظم حسن، ونسب له العماد الكاتب في الخريدة، وابن
المستوفي في تاريخ إربل الأبيات اللامية التي منها:
أَسْلَمَنِي حُبُّ سَلِيمِي بِكُمْ إِلَى هَوِيٍّ أَيْسَرُهُ الْقَتْلُ
ونسبها أبو الحسن بن بسام في «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» إلى أبي
الحسن بن رشيق القيرواني .

قال: وذكره أبو البركات بن المستوفي في تاريخ أربل: أن بدران بن صدقة
أخا ديس كتب إلى أخيه ديس وهو نازح منه:

أَلَا قُلْ لِمَنْصُورٍ وَقُلْ لِمَسِيَّبٍ وَقُلْ لِدَبِيسٍ إِنَّنِي لَغَرِيبٌ

(*) ترجمته في:

النجوم الزاهرة ٢٥٦/٥، شرح مقامات الحريري ٢١٨/٢، وفيات الأعيان ٢٦٣/٢ - ٢٦٥،
تاريخ إربل، دول الإسلام للذهبي دائرة معارف البستاني/٧، ابن خلدون ٢٨٥/٤، الكامل لابن
الأثير، تواريخ آل سلجوق ١٧٨، شعراء الحلة ٣٥١/٢، خريدة القصر، الذخيرة .

هنيئاً لكم ماء الفرات وطيبُهُ
فراجعهُ ديبس بقوله:
إذا لم يكن لي في الفرات نصيبُ^(١)

ألا قل لبذران الذي حنَّ نازعاً
تمتّع بأيام السّرور فإنما
عذارُ الأمانى بالهموم يَشيبُ
وللأرض من كأس الكرام نصيبُ^(٢)

وما أحسن استعارة العذار للأمانى، وما ألطف قول الشيخ إبراهيم
الهندي^(٣) نزيل اليمن:

بذت لام العذار فقال قوم
فقلت عذاره خطّ جديد
تَيَقن عزله وكفيت أمره
بدولته وورد الخدّ خمرة
وقول شهاب الدين بن أبي حجلة^(٤) مضمناً:

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي
وكسى العذار الخدّ حسناً فاسقني
وحظيت بعد الهجر بالإيناس
واجعل حديثك كله في الكاس

قال أيضاً: وقيل، إن بدران كان لقبه تاج الدولة، ولما قتل أبوه تغرب عن
بغداد ودخل الشام فأقام بها مدة ثم توجه إلى مصر فأقام بها حتى توفي سنة
[ثلاثين وخمسمائة]^(٥) وأورد له العماد في الخريدة شعراً^(٦).

وكان الأمير ديبس في عسكر السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه وهم

(١) وفيات الأعيان ٢/٢٦٤.

(٢) وفيات الأعيان ٢/٢٦٤.

(٣) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٤) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى التلمساني المعروف بابن أبي حجلة. ولد بتلمسان سنة ٧٢٥هـ. كان عالماً بعلوم الأدب ناظماً ناثراً. رحل إلى دمشق، ثم انتقل إلى القاهرة، فولي مشيخة الصوفية بصهرنج منحك. سافر إلى حج بيت الله الحرام فلم يرجع. توفي سنة ٧٧٦هـ. من آثاره الكثيرة: الأدب الغض، وأطيب الطيب، ومنطق الطير، وديوان الصباية، وغيرها. ترجمته في: شذرات الذهب ٦/٢٤٠، النجوم الزاهرة ١١/١٣١، هدية العارفين ١/١١٣، الدرر الكامنة ١/٢٥٠، أنوار الربيع ١/٣٨٧.

(٥) في الأصل: «٥٣٥» وما بين المعقوفين من الوفيات ٢/٢٦٤.

(٦) وفيات الأعيان ٢/٢٦٤.

على باب مراغة ومعهم المسترشد بالله العباسي، كان السلطان يعادي الخليفة لشهامته، ولكنه لم يجد أعواناً - كما قال الذهبي في دول الإسلام - فدرس السلطان جماعة من الباطنية الحشيشية الذين أشرت إليهم في حرف الحاء، فهجموا خيمة المسترشد وقتلوه يوم الخميس ٢٨ وقيل ٢٤ من ذي القعدة سنة ٥٢٩، فاستشفع السلطان أن ينسب إليه قتل الخليفة، وأراد أن ينسب إلى دبيس فتركه إلى أن جاء للخدمة وجلس في الخيمة وأرسل بعض مماليكه، فجاء من ورائه وضرب رأسه بالسيف فأبانه فمات شهيداً رحمه الله تعالى، وأظهر السلطان إنما فعل ذلك آخذاً بشار الإمام المسترشد لأنه بزعمه قتله، وكان قتله بعد قتل الإمام بشهر^(١).

وقال المأموني: قتل في رابع عشر ذي الحجة وكان قد أحس بتغير السلطان عليه، وأراد المسير مراراً فكانت المنية تُبْطِئُهُ^(٢).

قال أيضاً: وذكر ابن الأزرقي^(٣) في تاريخه: إنه قتل على باب تبريز وحمل قتيلاً إلى ماردين إلى زوجته كهارخاتون بنت نجم الدين الغازي فدفنته عند والدها بالمشهد، ثم تزوج السلطان مسعود ابنة الأمير دبيس وأمها زبيدة بنت الوزير الجليل نظام الملك صاحب نظامية بغداد، المدرسة المشهورة^(٤).

والناشيري، بالنون فالألف فالشين المعجمة المكسورة فالراء فياء النسبة: إلى ناشرة بن نصر، بطن من بني أسد بن خزيمة.

والمراغة، بفتح الميم والراء والغين المعجمة ثم تاء التانيث: مدينة مشهورة من عمل أذربيجان، وتبريز أشهر مدنها أيضاً.

وكان دبيس وقومه إمامية، وسيأتي بيان الحلة إن شاء الله.

(١) وفيات الأعيان ٢/٢٦٤ - ٢٦٥.

(٢) وفيات الأعيان ٢/٢٦٥.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن عبد الوارث، أبو الفضل ابن الأزرقي، له كتاب في تاريخ بلده ميفارقين.

(٤) وفيات الأعيان ٢/٢٦٥.

أبو المعالي، درويش بن محمد الطالوي الشامي، مفتي دمشق، أحد شعراء الريحانة الأفاضل المجيدين العلماء^(*).

فاضل تتزيّن دمنة العصر بجواهره المكنونة، وتتشوّقه الليالي المتأخرة عنه، فلولا تمايم شعره راحت وهي للشوق مجنونة، يصوغ ما تودّ الحاليات لو حل مكان العقود والشنوف، من كل بيت كالدينار حسناً، وأن تشبه لسحره بالحروف.

وقد كفانا الفاضل شهاب الدين أحمد أفندي الخفاجي تقرّضه في ريحانته الطيبة النشر وقال بعد الإسهاب كعادته، وهو من الطالوا، الذين سموا في المعالي وطلوا، وكان سافر إلى بلاد الروم، وشعره شرك العقول، ونزهة المطمئن وعقلة المستوفر، وفي شعره نفثات التشيع لصاحبها حتى لقد شكّ الخفاجي في عقيدته، لقوله في القصيدة اليائية التي سأوردها:

بـولاء حـيدرة الوصـي أخـي النـبي الهـاشمـي

فقال الخفاجي: أما قوله: «الوصي» فهو ما ترويه الشيعة أن رسول الله ﷺ أوصى لعلي بالخلافة يوم غدير خم^(١)، ولكنه مخالف لعقيدة أهل السنة، والله أعلم، هل كان الطالوي يعتقد مذهب الشيعة أو جرى على مذهب ممدوحه الشريف لأنه شيعي؟

قلت: قوى ظني بتشيّعه مما ذكر، ولأنه من تلاميذ الشيخ بقيّة الحكماء داود بن عمر الأنطاكي^(٢) كما ذكر هو في «السانحات»، أحد مؤلفاته، وداود قرأ مدة بعد رحلته عن بلده بجبل عامل على فضلاء الإمامية والإمامي إذا ارتفعت تقيّته لم يجز في مذهبه أن يعاشر مخالفه، كيف أن يفيد العلوم ويلوح من نفحات هذه القصيدة له بذكر الزوراء والغري الشريف ونواحيه عنبر التشيع، ولا يخفى على ذي ذوق سليم، وعساه إن شاء الله من الموفقين بولاية صالحه أهل

(*) ترجمته في: خلاصة الأثر ١٤٩/٢، تراجم الأعيان - خ -، خبايا الزوايا - خ -، ريحانة الألبا ٥٣/١ - ٧٧، الفهرس التمهيدي ٢٨٠، شعر الظاهرية ٢٤٩، ٣٨٧، الاعلام ط ٣٣٨/٢/٤.

(١) ريحانة الألبا ٦٥/١.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

نبيه ﷺ، فإن عناية واهب الفضل به حتى أكسبته هذه الفضائل مما يطمع أن يكون من حزب يعسوب المؤمنين وهي:

أَنْسَيْمَةَ الرَّوْضِ الْمَطْيِيرِ
وَأَنْبِيَقَ أَيَّامِ الشُّبَا
وَوَثِيَقَ أَيَّامِ التَّنْصَا
ومعاهد كنان الشُّبَا
هُوِّمْتُ فِيهِ فَصَاحَ بِي
فَطَفِقْتُ أَنْظُرُ مِنْهُ فِي
قَدْ كَانَ حَسَّانُ الْمَرَا
أَيَّامَ غُصْنِ شَبِيبَتِي
وَذُؤَابَتِي شَرَكِ الْمَهَا
فَنَاءً رَائِدُهَا الْمَهَا
حَيْثُ الشَّيْبَةُ رَوْضَةٌ
مَنْ كَلَّ مُخْطَفَةَ الْحَشَا
طَلَعَتْ بِلَيْلِ ذَوَائِبِ
بِيضَاءٍ وَشَّحَّتِ التَّرَا
فَكَسَى مَعَاظِقَهَا الشُّبَا
قَوِيثٌ عَلَيَّ قَتْلِي وَفِي
وَبِمَا جَرَى يَوْمَ النَّوَى
وَبِوَقْفَةِ التَّوْدِيْعِ وَالْأَنْفَاسِ
وَيَدُ الْفِرَاقِ تَشْبُ فِي الْأَحْشَاءِ
نِيرَانِ السَّعِيرِ
إِلَّا سَرَيْتِ مَعَ الصَّبَا
فَاجْتَرَّتْ مِنْ أَرْضِ الْعَرَا

بِالْعَهْدِ فِي زَمَنِ السُّرُورِ
بِوَعْيِشِهِ الْفَضْلِ النَّيْظِيرِ
بِي يَا لَمَعْهَدِهَا الْخَطْيِيرِ
بُ وَشَرْخُهُ فِيهَا سَعْمِيرِي
دَاعِي الصَّبَاحِ الْمُسْتَنْزِيرِ
أَغْقَابِ بَرْقِ مَسْتَشِيرِ
بِع فِيهِ حَسَّانُ الْبُدُورِ
رِيَّانِ مِنْ مَاءِ الْغُرُورِ
وَحَبَالَةَ الظُّبِي الْغَرِيرِ
ةُ الرَّوْدُ مِنْ رِيْمِ الْخُذُورِ^(١)
غَنَاءُ صَافِيَةِ الْغَدِيرِ
كَأَخِي الرَّشَا الظُّبِي الْنُفُورِ^(٢)
أَبْهَى مِنْ الْقَمْرِ الْمُنِيرِ
تَبَّ وَالنُّحُورَ مِنْ الشُّغُورِ
بَ الرَّوْدِ حَسَّانُ الْحَرِيرِ
أَلْحَاطِهَا ضَعْفُ الْفُتُورِ
مَنْ دُرٌّ مَذْمُوعِهَا النَّثِيرِ
تَضَمُّدِ بِالرُّفِيرِ
يَا نَسْمَةَ الرَّوْضِ الْمَطْيِيرِ
قِي عَلَى الْخُورُنُقِ وَالسَّدِيرِ^(٣)

(١) الفناء: الكثيرة الأغصان.

(٢) مخطفة الحشا: ضامرة البطن.

(٣) الخورنق: قصر للنعمان الأكبر، والدير: نهر بالحيرة، ويقال: قصر فيه قباب مداخلة.

ووقفت بالزوراء وق
 وحملت للكرخ التَّحِيَّ
 ونزلت من نهر الأبلد
 وأقمت في شط الفُرا
 وسمعت هَيْنَمَةَ الرِّيا
 وجذبت في تلك الحدا
 حُفَّت بِسَرِّو كَالقِيَا
 وثنيت عطفك والصب
 ولثمت خد الروض في
 وأتيت بابل فاضطبخ
 ومنها:

ففة زائر أوقى مَزُور
 ة من أخي شَجَن أُسِير^(١)
 ة والصَّراة على شُفِير^(٢)
 بت بمُلَّتقى العذب النَّمِيرِ
 ض وصوت جاسية الخريرِ
 ثقي طوق ساجعة الهديرِ
 ن تَلَفَعَتْ خُضَرَ الحَرِيرِ
 ح يكاد يُؤذَنُ بالسُّفُورِ
 ه نبات رنحان طريرِ
 بت بمثل مصباح منيرِ

يُغْنِيكَ مُثْهَمَةٌ وَمُنْ
 والصبح يخطر في الدجى
 والنَّسْر فيه واقِعُ
 وكواكب الجوزاء مُمُ
 خافت سُهَيْلاً فانتضت
 والنجم يهوى للغرو

جِدَّة سَنَاها عن خفيرِ
 كالوخي يخطر في الضميرِ
 خوف الصباح لدى الوكورِ
 سكة الأئنة عن مسيرِ
 سيفاً من الشغرى العبورِ
 ب كأنه كف المشيرِ^(٣)

وهذه طريقة لطيفة، وكيف لا والنسيم حامل رسائلها، والمتخطر غليلاً في
 غلائلها، وكان سبب القصيدة اليائية، أنه مرّ ببلاد ابن معن رئيس الطائفة الدرورية

(١) الكرخ: من نهر الرفيل: يقول ياقوت: وقد أكثر الشعراء من ذكره، ولا أثر له يعرف ألبته. ويقول
 صفي الدين البغدادي: وليس كذلك، بل أثر النهر القديم باق، وإنما استخرج له قم أعلى منه،
 وقد كان قديماً يدخل في المحال في أنهار تنفرع منه فيدخل إلى الكرخ، والمحال التي في شرقي
 الصراة، ويدخل إلى مدينة المنصورة في غربي الصراة بعبارة أسفل من القنطرة، ولما خربت
 المحال لم يبق لها ولا لما كان يدخلها من الأنهار أثر، وبقي النهر مختصاً بالمزارع، مرصد
 الاطلاع ١١٥٥.

(٢) الأبلد: بلدة على شاطئ دجلة العظمى، في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة.
 والصراة: نهران ببغداد، الصراة الكبرى والصراة الصغرى، ولياقوت في تحديدها قول خطأه فيه
 صفي الدين البغدادي. أنظر مرصد الاطلاع ١٨، ٨٣٦، وأنظر الهامش السابق.

(٣) كاملة في ديوان ربحانة الألبا ١/٦٦ - ٧٠.

أصحاب الحاكم بأمر الله بالشام وهم فرقة من الإسماعيلية لهم شركة وصيت، ونسبتهم إلى الحسين الدروزي أي الخياط، والدرز الخياطة^(١).

قال بعض الخوارج، لما قتل زيد بن علي عليه السلام وكان معه خياطون من الكوفة:

أبا حسين والأمور إلى مدى أولاد درزة أسلموك وطاروا

وكان مع الطالوي غلام يهواه وقد ملك بياض جبينه وحمرة وجناته سويداء فلبوه ذلك الرشا، وألهبوا منه الحشى، فكتب إلى الشريف أمير الشام يستعديه به عليهم:

بِاللَّهِ يَا نَشْرَ الْعَبِي
طاف المشاهد وأنثني
وأقام بالزوراء من
مُنْتَزِلِ الْآيِ الْكِرَامِ
إِنْ جِئْتَ رَيْعَ الشَّامِ فَأَفْ
أَغْنِي الشَّرِيفَ ابْنَ الشَّرِيفِ
مُتَحَمُّلاً عِنِّي السَّلَا
لِسَجْنَابِ مَوْلَانَا الْوَزِيِّ
ثُمَّ اشْرَحْنُ مِنْ حَالِ مَو
مَاذَا لَقِيَ فِي ثَغْرِ صَيْدِ
دَيْسِ التَّنَاسُخِ دَيْسُهُ
وَيَرَى الْقَطْبَانِغَ أَنَهَا
وَاقِي بِمَكْتُوبِ الشَّرِيفِ
يُوصِيهِ فِيهِ كَأَنَّمَا
فَسَقَاهُ يَوْمَ فِرَاقِهِ
وَعَدَا السَّحْشَا مِنْ بَعْدِهِ

رَسْرَى بِرَوْضَاتِ الْغُرِيِّ
نَشْوَانٍ مِنْ كَأْسِ رَوِيِّ
هَذَا فِي رِيَاضِ الْخَابِرِيِّ
وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ السَّنِيِّ
صِدْقِ سَاحَةِ الشَّرْفِ الْعَلِيِّ
فَإِبْنَ الشَّرِيفِ الْمَوْسَوِيِّ
مَ كَمِسْكَ دَارِينَ الذِّكِيِّ^(٢)
رَوْلِيِّ مَوْلَانَا عَلِيِّ
لَا الْمَحَبَّ الْطَالَوِيِّ
مَدَا مِنْ دُرُوزِي غَمَوِيِّ
لَا بِلْ يَدَيْنِ بِكُلِّ غِي
فَعَالَةٍ فِي كُلِّ شَيْ
فَإِلَيْهِ مِنْ بَلَدِ قَصِي
أَوْصَاهُ فِي أَخْذِ الصَّبِيِّ
لَا كَانَ بِالْكَأْسِ الرَّوِيِّ
يُنْكِى بِدَمْعِ عِنْدَمِيِّ

(١) في هامش الأصل: «أولاد درزة الذين ليس لهم جد يعرف» كما ذكره أبو هلال العسكري ونسبهم إلى الدروزي لاتباعهم له، لا في النسب... المدن وسفهاهم بنسب، والله أعلم.

(٢) دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، فينسب إليها. مرصد الاطلاع ٥٠٩.

فِي غُرْبَةٍ لَا يَشْتَكِي فِيهَا إِلَى خِلٍّ وَفِي
 لَا جَارَ يَخْمِيهِ وَلَا يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ قَوِيٍّ
 إِلَّا إِلَى رُكْنِ الشَّرِيحِ فِ الطَّاهِرِ الشُّبَيْمِ الرَّكِيٍّ
 حَامِي حِمَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ فِ بَكْلِ أُبَيْضٍ مِخْذَمِيٍّ^(١)
 مَوْلَايَ لِي حَقٌّ عَلَيَّ كَ فَجُدُّهُ مِنْ غَيْرِ لِي
 بِمَوْلَاءِ حَيْدَرَةَ الْوَصِيِّ أَخِي النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ
 لَا تُهْمِلُنَّ مِنْ أَخْذِ ثَا رِي مِنْ كَفُورٍ بِالنَّبِيِّ
 وَابْعَثْ إِلَيْهِ مَقَانِبًا فِيهَا الْكَمِيَّ عَلَى الْكَمِيِّ^(٢)
 لَوْ حَارَبَتْ جُنْدَ الْقَضَا ءِ ثَنَّتْ سُورَاهُ عَنْ مُضِيٍّ
 جِرَافَةً لَمْ تُبْقِ فِي أَظْلَالِهِ غَيْرَ النَّوِيِّ
 وَأَشْيَعَتْ يَنْعِي الدُّيَا رَ مَعَ ابْنِ دَابَّةٍ فِي النَّعِيِّ^(٣)

أقول: في شعره انسجام، ونفسه طويل فيه.

والزوراء: بغداد، لأن قبلتها مزورة عن ناحية الجنوب إلى المغرب، وفيها مشهد الكاظم وحفيده الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام.

والحائر، بالحاء المهملة وبعد الألف ياء مثناة من تحت، ثم راء: اسم المشهد الحسين الشهيد عليه السلام^(٤).

(١) مخذمي: نسبة إلى مخذم، هو سيف الحارث بن أبي شمر الغساني. وأنظر القاموس (خ ذ م).

(٢) المقنب من الخيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين، أو زهاء ثلاثمائة. القاموس (ق ن ب).

(٣) ريحانة الألبا ١/٦٢ - ٦٤.

(٤) الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي العدناني، أبو عبد الله: السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء. وفي الحديث: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». ولد في المدينة سنة ٤هـ، ونشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين. وهو الذي تأصلت العداوة بسببه بين بني هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرش الأمويين. وذلك أن معاوية ابن أبي سفيان لما مات، وخلفه ابنه يزيد، رفض الحسين مبايعته، رحل إلى مكة في جماعة من أصحابه، فأقام فيها شهراً، ودعاه إلى الكوفة أشياعه (وأشباع أبيه وأخيه من قبله) فيها، على أن يبايعوه بالخلافة، فأجابهم، وخرج من مكة في مواليه ونسائه وذريته ونحو الثمانين من رجاله. وعلم يزيد بسفوره =

والنووي: جمع نؤي بفتح النون وإسكان الواو ثم ياء مثناة تحتية، حفيرة تجعلها العرب حول الخبا حتى لا يدخله الماء.

وأشيعث: تصغير أشعث، وهو الوتد لأنه يتشعث رأسه بالدق.

وابن داية: علم جنس للغراب.

ومما أورده الخفاجي من شعر أبي المعالي:

توشَّحَتْ كالنجوم الزُّهر في الظُّلم
وقلَّدتْ جِيدَ آزَامِ النَّقَا دُرَّراً
وأقبلتْ في مُرُوطِ الزُّهُورِ رافلةً
جيداءٍ مصقولةً القُرطينِ مائسةً الـ
كأنها حينَ واقَتْ والفؤادُ بها
فما الرِّياضُ بِنكاها الفطرُ ليلته
شوقاً لِطَيفِ خيالِ باتِ يرقُّبه
يُضاحِكُ المُزْنَ فيه الأحقوانُ ضحىً

سِمَطَيْنِ مِنْ لُؤْلُؤِ رَطْبٍ وَمِنْ كَلِمِ
بَزَّتْ بِهِنَّ دَرَارِي الْأَفْقِ فِي الْقَسَمِ
تَجَرُّتِهَا مَرُوطِ الْخَزْرِ^(١) مِنْ أُمَّمِ^(٢)
مِظْفَيْنِ مَخْضُوبَةُ الْأَطْرَافِ بِالْعَنَمِ
صَبُّ صُبَابَةٍ شَرَّخَ مَرَّ كَالْحُلْمِ
بُكَاءَ طَرْفٍ قَرِيحٍ بَاتَ لَمْ يَنْمِ
مِنْ نَاقِضِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ وَالذَّمِّ
عَنْ ثَغْرِ مُبْتَسِمٍ بِالذَّرِّ مُنْتَظِمِ

= فوجه إليه جيشاً اعترضه في كربلاء (بالعراق - قرب الكوفة) فنشب قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح شديدة، وسقط عن فرسه، فقتله سنان بن أنس النخعي (وقيل الشمر بن ذي الجوشن) وأرسل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق (عاصمة الأمويين) فتظاهر يزيد بالحزن عليه. وكان مقتله ع يوم الجمعة عاشر المحرم سنة ٦١هـ، وقد ظل هذا اليوم يوم حزن وكتابة عند جميع المسلمين. وللفيلسوف الألماني «ماريين» كتاب سماه «السياسة الإسلامية» أفاض فيه بوصف استشهاد الحسين... ذلك الرجل الكبير الذي عرف كيف يزلزل ملك الأمويين الواسع ويقلقل أركان سلطنتهم. وكان نقش خاتمه «الله بالغ أمره». ومما كتب في سيرته «أبو الشهداء: الحسين بن علي - ط» لعباس محمود العقاد، و«الحسين بن علي - ط» لعمر أبي النصر، و«الحسين ع - ط» جزآن، لعلي جلال الحسيني.

ترجمته في:

تهذيب ابن عساكر ٤ : ٣١١ وخطط مبارك ٥ : ٩٣ ومجلة العرفان. ومقاتل الطالبين ٥٤ و ٦٧ وابن الأثير ٤ : ١٩ والطبري ٦ : ٢١٥ وتاريخ الخميس ٢ : ٢٩٧ واليعقوبي ٢ : ٢١٦ وصفة الصفوة ١ : ٣٢١ وذيل المذيل ١٩ وحسن الصحابة ٨٧، والمصايح - خ - لأبي العباس الحسيني، الاعلام ط ٤ / ٢ / ٢٤٣ - ٢٤٤.

(١) الربطة: كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة، أو كل ثوب لين رقيق كالرائطة، الجمع ربط القاموس (رى ط). والأمم: القرب.

(٢) في هامش الأصل: «فضول المرط».

فَالْوُزُقُ صَادِحَةٌ وَالرَّوَضُ ضَا حِكَةٌ ثَغُورُهُ بَيْنَ مُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ
تَجَاذِبُ الرِّيحُ أَطْرَافَ الغُصُونِ بِهَا فَتَنْثَنِي وَالهُوَى ضَرْبٌ مِنَ اللَّمَمِ
يَوْمًا بِأَحْسَنَ مَرَأَى مِنْ شَمَائِلِهَا وَقَدْ أَتَتْ بِعِتَابٍ مِنْ أَخِي كَرَمٍ^(١)

ويعرف هذا النوع من قوله: «فما الرياض... الخ» الأبيات بالتوشيح في المحسنات، والمشبه به قبل استعمال صناعة التوجيه متروك فيها، وهو كذا في الريحانة، فالظاهر أنه سهى عن نقله، وأن يقدر مقول فيها فما الرياض... الخ، ولم يذكر الأفندي متى كان الطالوي وهو مخل في جميع رياض ريحانته بذلك، وأحسب أنه عاصره وأنه عاش إلى الأربعين وألف^(٢)، لأنه ذكر في «السانحات» أنه أخذ الطب عن الشيخ داود، وذكر أن الشيخ داود توفي سنة ثمان وألف بمكة المكرمة.

ومن أقوى الأدلة على فضله في الإنشاء ما ذكر لنفسه في السانحات يصف وروده للأخذ على الشيخ داود فقال: وردت إليه على برح اشتياق، وادكار بحديث هيت أو حديث زوراء العراق، بل كنت لديه كقميص يوسف حين ألقاه البشير إلى يعقوب، فارتد لفرط السرور وهو بصير، فمازجته امتزاج الراح بالماء القراح، ولزمته لزوم الظل في الغدو والرواح، فلما استشف غيب بالمني من الظاهر، واستشرف بقوة حدسه عما تكره الضمائر سمح لي بشيء من بعض علومه الغربية، واختصني بدقائق حكمه العجيبة، بما لو انتظم في سلك البيان لسحر، وظهر لأعين الناظرين لبهر:

فإن كنت سهل القود فاطو طريقه على كل طاو من جيات العزائم
والأفلا تعرض له فطريقه أشق وأنأى من طريق المكارم

ولم أزل مدة إقامتي بالقاهرة أرود حماه وأجعل سميري فيها قمر محياه، تارة بالظاهرية يجمع أناسه، وأخرى بربع قاسيون مربع إيناسه. محلياً عليّ فيه من لطائف أسماره، وظرائف نكته البديعة من نوادر أخباره. فمما سمعته منه ورويته عنه وقد سئل عن مسقط رأسه، ومشعل نبراسه، فأخبر إنه ولد بأنطاكية بهذا العارض، ولم يكن بعد الولادة بعارض، قال: ثم إنني بلغت من السنين بعدد

(١) ريحانة الألبا ١/ ٦٠ - ٦١.

(٢) في الاعلام إن مولد الطالوي هذا ٩٥٠ ووفاته ١٠١٤.

السيارة من النجوم، وأنا لا أقدر أن أنهض ولا أقوم، لعارض تحكم في الأعصاب منع قوائي من حركة الانتصاب، وكان والدي رئيس قرية سيدي حبيب النجار، وله كرم خير وطيب نجار، فاتخذ قرب مزار سيدي حبيب رباطاً للواردين وبني فيه حجرات للفقراء المجاورين، ورتب لها في كل صباح من الطعام، ما يحمله إليها بعض الخدام، وكنت أحمل كل يوم إلى صحن الرباط فأقيم فيه سحابة يومي، وأحمل إلى منزل والدي عند نومي، وكنت إذ ذاك حفظت القرآن، وكفيت مقدمات تثقيف اللسان، وأنا لا أفتر في تلك الحال عن مناجات قيم العالم في سرّي، ومبدع الكل فيما إليه تؤول عاقبة أمري، فبينما أنا كذلك إذ برجل جاء من أقصى المدينة يسعى كأنه ينشد ضالة أو أضلّ المسعى، فنزل من الرباط بساحته، ونفض فيه أثواب سياحته، فإذا هو من أفاضل العجم ذو قدر منيف، يدعى بمحمد شريف، فبعد أن ألقى فيه عصي التسيار، وكان لا يالف منزلاً كالقمر السيّار، استأذنه بعض المجاورين في القراءة عليه، وابتدىء في بعض العلوم الإلهية فكنت أسأله إليه، فلما رأى مني ما رأى استخبر من هناك عني فأجبتة ولم يكن غير الدمع سائلاً ومجيباً، فعند ذلك اصطنع لي دهنًا مسدني به في حرّ الشمس ولفني بلفافة من قرني إلى قدمي، حتى كدت أفقد عنده الحسّ، وتكرر ذلك منه مراراً من غير فاصل، فتمشت الحرارة الغريزية كالحميا في المفاصل، فعندها شدّ من وثاقي، وفصدني في عضدي وساقبي، فقممت بقدره الواحد الأحد بنفسي لا بمعونة أحد، ودخلت المنزل على والدي فلم يتمالك سروراً، وانقلب إلى أهله مسروراً، وضمّني إلى صدره وسألني عن حالي فحدّثته بحقيقة ما جرى، فمشى من وقته إلى الأستاذ ودخل حجرتة وشكر سعيه، وأجزل عطيته، فقبل منه شكره واستغفاه برّه، وقال: إنما فعلت لما رأيت منه من الهيئة الاستعدادية، لقبول ما يلقي إليه من العلوم الحقيقية، فابتدأت عليه بقراءة المنطق، ثم اتبعته بالرياضي ثم شرعت في الطبيعي، فلما أكملت اشترأبت نفسي لتعلم اللغة الفارسية فقال: يا بني إنها سهلة لكل أحد، ولكنني أفيدك اللغة اليونانية، فإني لا أعلم الآن على وجه الأرض من يعلمها غيري، فأخذتها عنه وأنا الآن بحمد الله فيها كهو إذ ذاك، ثم ما برح أن سار يطوي المنازل لدياره، وانقطعت عني بعد ذلك سيارة أخباره.

ثم ساق رحلته وما جرى له وليس القصد إلا إيراد طريقته في الإنشاء.

والشيخ داود كان القائم بعلوم الأوائل في عصره، ومن تحقق مقالاته في التذكرة خاصة في القسم الأول عرف فضله ونبله، نعم فيها أغاليط وأوهام خاصة في علم الكيمياء وصفة بعض الأشجار، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

[٧٠]

أبو علي، دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن يهس بن خراش بن خالد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر مزيقيا، الخزاعي البغدادي الدار، الكوفي المولد، الشاعر المشهور^(*).

فاضل يروي من فكرته عن ابن معين، ومن ذكائه عن ابن واقد، عصائب لآليء فكرته إما شنوف للحسان وإما قلائد، دعى الناس إلى بيعته للفضل في الشعر بالرضا، وأورى قدح زند فكرته في قلب الحاسد جمر الغضا، كم بكى النور بدمع الغمام لما قصر عن حسن بهجة شعره وشكى، وشاب لحسرتة، فضحك الشيب برأسه فبكى.

وهو من أشهر شعراء الأغاني واللحن في قوله العربي المحض:

لا تَعْجَبِي يَا سَلَمَ مَنْ رَجَلِي ضَحِكُ الْمَشِيبِ بِرَأْسِهِ فَبِكِي^(٢)

وهو في محبة آل النبي ﷺ أشهر من علي بن الجهم في محبة آل العباس، رضي الله عنه.

(١) سورة يوسف: الآية ٧٦.

(*) ترجمته ونماذج من شعره في: الأغاني ١٣١/٢٠ - ٢٠٢، اعلام الورى، روضات الجنات ٢٧٥، مجالس المؤمنين، لسان الميزان ٤٣١/٢، رجال النجاشي ١١٦، أخبار شعراء الشيعة ٩٢ - ١٠٧، تاريخ دمشق الكبير ٢٢٩/٥، تاريخ بغداد ٢٨٢/٨، طبقات الشعراء، معاهد التنصيص، زهر الآداب ٩٨١/٢، وفيات الأعيان ٢٦٦/٢ - ٢٧٠، الاصابة ٨٩/٣، الغدير ٣٦٣/٢، أعيان الشيعة ٢٦١/٣٠ - ٣٥٩، أدب الطف ٢٩٥/١، الطليعة - خ - ترجمته رقم ٩٤، الشعر والشعراء ٧٢٧، كشف الغمة للأربلي ١١٢/٣، رجال العلامة الحلي ٧٠، رجال الطوسي ٣٧٥، رجال الكشي ٤٢٥، الذريعة ٣٢٦/٩، مقدمة ديوان دعبل لعبد الصاحب الدجيلي، مقدمة ديوان دعبل لعبد الكريم الأشر، أنوار الربيع ٣٨ هـ/٢،

(٢) الأغاني ١٣٩/٢٠.

وقال أبو الفرج فيه: شاعر متقدم مطبوع هجاء، لم يسلم عليه أحد من الخلفاء والوزراء وغيرهم، وسلّمه الله من شرهم^(١).

قلت: لعل ذلك ببركة الرضا.

قال: وكان يقول: أنا أحمل خشبتي على عنقي منذ خمسين سنة ولا أجد من يصلبني عليها وكان متعصباً على نزار مادحاً لليمن، وله قصائد ناقض فيها الكميت تعرف بالنقائض، وكان يهجو فقال فيه أبو سعيد المخزومي أو غيره: شككت أنا:

وأعجب ما رأينا أو سمعنا
وهذا دعبل كلف معنّي
وما يهجو الكميت وقد طواه
هجاء قاله حيّ لميت
بتسطير الأهاجي في الكميت
الردى إلا ابن زانية بزيت

وذكر الشيخ أبو جعفر الطبرسي في أعلام الوري عن أبي الصلت الهروي قال: دخل دعبل الخزاعي على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو، وقال له: يا بن رسول الله إني قلت فيكم أهل البيت قصيدة، وآليت على نفسي ألا أنشدها أحداً قبلك، وأحب أن تسمعها مني. فقال الرضا: هات، فأنشده:

ذكرت محل الربع من عرفات
وفلت عرى صبري وهاجت صبابتي
مدارس آيات خلّت من تلاوة
لآل رسول الله بالخيف من منى
ديار عليّ والحسين وجعفر
ديار لعبد الله والفضل تلوه^(٢)
منازل كانت للصلاة وللتقى
منازل جبريل الأمين يزورها
منازل وحي الله معدن علمه
قفا نسأل الدار التي خفت أهلها
فأجريت دمع العين بالعبرات
رسوم ديار أصبحت قفرات
ومنزّل وحي مقفر العرصات
وبالبيت والتعريف والجمرات
وحمزة والسجاد ذو الثففات
نجي رسول الله في الخلوات
وللصوم والتطهير والحسنات
من الله بالتسليم والرحمات
سبيل رشاد واضح الطرقات
متى عهدتها بالصوم والصلوات

(١) الأغاني ٢٠/١٣١.

(٢) في هامش الأصل: «صنوه».

وأين الأولى شطت بهم غربة النوى
أحب قصي الدار من أجل حبه
وهم آل ميراث النبي محمد
مطاعيم في الأعسار، في كل مشهد
أئمة عدل يقتدى بفعالهم
فيا رب زد قلبي هدىً وبصيرةً
لقد آمنت نفسي بهم في حياتها
ألم تر أني مذ ثلاثين حجّة
أرى فيئهم في غيرهم متقسماً
إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم
فأل رسول الله نحف جسومهم
وآل زياد في القصور مصونة
سأبكيهم ما دّر في الأفق شارق
ولولا الذي أرجوه في اليوم أوغد
خروج إمام لا محالة خارج
يُميّز فينا كل حق وباطل
فيا نفس طيبي، ثم يا نفس فاصبري

فأصبحن بالمومات مفترقات
وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي
وهم خير سادات وخير حمة
لقد شرفوا بالفضل والبركات
وتؤمن منهم زلة العثرات
وزد حُبهم يا رب! في حسناتي
وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي
أروح وأغدو دائم الحسرات
وأيديهم من فيئهم صفرات
أكفاً عن الأوتار منقبضات
وآل زياد غلظ القصرات
وآل رسول الله في الفلوات
ونادي منادي الخير بالصلوات
تقطع نفسي إثرهم حسرات
يقوم على اسم الله والبركات
ويجزى من النعماء والنقمة
فغير بعيد كل ما هو آت^(١)

إن صدق حدسي في البيتين أولهما موضوعان فليس لهما قوة سائرهما .

قال أبو الصلت: فأنفذ له الرضا فيها مائة دينار واعتذر إليه، فردّها وقال:
والله ما لهذا جئت، وإنما جئت للتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون، وإني لفي
غنى، فإن رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرك فهو أحب إليّ، فأعطاء الرضا جبة

(١) أعلام الورى القصيدة كاملة ومحقة في ديوانه ٨٥ - ٩٧. وقد وردت في مصادر كثيرة منها:
معجم الأدباء ١٩٤/٤، بحار الأنوار ٧٢ - ٧٤، كشف الغمة، مجالس المؤمنين ٤٥١، أعيان
الشيعة ٣٣/٣٠، كشكول البحراني ٣٢٥/٢، الفصول المهمة، مطالب السؤل ٢/مقتل الحسين
للخوارزمي ١٢٩/٢، نور الأبصار ١٤٧، الأتحاف بحب الأشراف ١٦١ - ١٦٣، الأمالي
للطوسي ٦١ - ٦٢، تذكرة خواص الأمة ١٣٠ - ١٣١، تاريخ دمشق الكبير ٥/٢٣٤، تاريخ بغداد
٨/٣٨٣، الأمالي للقالبي ١٣٠/٢، لسان الميزان ٤٣١/٢، منتهى المقال مروج الذهب ٣/٣٠٨،
معجم البلدان ١/٣١٦، زهر الآداب ١/١٣٣، مناقب آل أبي طالب ٣/٤٥٠، تنقيح المقال ١/
٤١٧ - ٤١٩، عيون أخبار الرضا ٣٦٨، ثمار القلوب ٢٣٣ وغيرها.

خزّ وردّ عليه الدنانير وقال للغلام، قل له: خذها ولا تردّها فإنك ستنفقها أحوج ما تكون إليها، فأخذهما، وأقام بمرور مدة، وتجهّزت قافلة إلى العراق فتجهّز معها، فخرج عليهم اللصوص في أثناء الطريق فنهبوا القافلة عن آخرها وكتفوا جماعة من أهلها منهم دعبل، فساروا بهم غير بعيد ثم جلسوا يقتسمون أموالهم، فتمثّل أمير اللصوص بقول دعبل:

أرى فيثهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيثهم صفرات

فسمعه دعبل، فقال: أتعرف لمن هذا البيت؟ قال: وكيف لا أعرفه، هو الرجل من خزاعة اسمه دعبل، شاعر أهل البيت، قال دعبل: أنا والله هو، وأنا قائل القصيدة. قال: ويلك انظر ما تقول، قال دعبل: الأمر أشهر من ذلك واسأل هؤلاء المساكين معكم يخبروك، فسألهم اللصوص فقالوا بأجمعهم: دعبل الخزاعي، ثم أنشده القصيدة بأجمعها، فقال: قد وجب حقك علينا وقد رددنا القافلة وما حويناها منها جميعاً إكراماً لك يا شاعر أهل البيت، ثم إنها أخذوني معهم وتوجّهوا إلى قم ووصلوني بمال وسألوني بيع جبة الإمام الرضا منهم بألف دينار، فقلت: لا أبيعها، وإنما هي للتبرك، ثم رحلت من ثم بعد ثلاثة أيام، فلما صرت منها على مسيرة ثلاثة أيام خرج عليّ قوم من أحداثهم وأخذوا الجبة، فرجعت وأخبرت أكابرههم فرّدوها عليّ، ثم قالوا نخشى أن تؤخذ منك ثم لا تعاد، فبالله إلا أخذت الألف دينار وتركتها لنا، فأخذ منهم الألف وتركها.

وقال غير الطبرسي: إنه باع منها نحو شبر بألف دينار.

وقال أبو الفرج: سئل أبو تمام عن دعبل ابن من هو؟ قال: هو ابن «ضحك المشيب برأسه فبكى».

قلت: إنما قاله أبو تمام جواباً لمن سأله عن النسب على سبيل المغالطة استحساناً له، وأبو تمام أمام البديع، وممن سبق إلى فتح بابه، إنما اشتهر له هذا البيت وفيه من البديع المقابلة أو المطابقة على مذهب، وهي ليست من نفيس البديع كالتورية والاستخدام، لأنه طرقه بكرة، ووصل غادته عُذراً، ثم لما شاخت الشابة دخله ملل الابتذال أو شابه وقد عانقته التورية وهو داخل في قوله:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم أكفاً عن الأوتار منقبضات

لأن الوتر الأوّل بكسر الواو: الذحل وهو الدم يطلب به الرجل، والأوتار

جمع الوتر الذي يشدّ على عود اللهو، وجمع الوتر الذي هو الذحل ففيه تورية
سافرة النقاب، متلاّاة من وراء الحجاب.

وقيل: كان دعبل في شببته شاطراً، فقتل صيرفياً ظن أن كيسه معه فوجد
في كمّه رماناً، فهرب من الكوفة.

ودخل عبد الله بن طاهر على المأمون فقال له: أعهدتني تحفظ لدعبل،
قال: أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين، فقال: هاتها، فأنشده:

سَقِيّاً ورعيّاً لأيام الصبا باتِ أيام غصني رطيبٍ من ليانتهِ
أصبو إلى غيرِ جاراتي وكنّاتي دَعْ عنكَ ذكْرَ زمانٍ فاتٍ مطلبه
واقذف برجلك من متن الجهالاتِ واقصد بكلّ مديحٍ أنتَ قائله
نحو الكرامِ بني بنتِ الكراماتِ^(١)

فقال المأمون: والله إنه وجد مقالاً، فقال: ونال بعد بذكرهم ما لا يناله
بغيرهم، ولقد أحسن في وصف سفر سافرة فطال عليه ذلك السفر، فقال:

ألم يأن للسفر الذين تحمّلوا إلى وطن قبل الممات رجوعُ؟
فقلت ولم أملك سوابق عبّرة قطعنّ بما ضمّت عليه ضلوعُ
تبيّن، فكم دار تفرق أهلها وشمل شتيت عاد وهو جميع^(٢)
طوال الليالي صرفهنّ كما ترى لكلّ أناسٍ جذبةً وربيع^(٣)

ثم قال المأمون: ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني
وهجيراي ومسلتي حتى أعود^(٤).

قال أبو الفرج: كان المعتصم يبغض دعبلاً لطول لسانه، فبلغ ذلك دعبلاً
أنه يريد اغتياله، فهرب إلى الجبل وقال يهجو:

(١) الأغاني ١٦٧/٢٠، ابن عساكر ٢٢٩/٥، معاهد التنصيص ٢٧٣، عصر المأمون ٢٥٩/٣، دائرة
المعارف لوجدي ٤٥/٤.

(٢) جميع: قوي شديد.

(٣) ابن عساكر ٢٢٩/٥، أعيان الشيعة ١٦٩/٣٠، الأغاني ١٦٧/٢٠، دائرة المعارف لوجدي ٤/٤
٤٥، المدائح النبوية ١٠٥، معاهد التنصيص ٢٧٣، ديوانه ١٧٠.

(٤) الأغاني ١٦٧/٢٠ - ١٦٨.

بكى لشتات البين مكتتب صبُّ
وقامَ أمامَ لم يكن ذا هدايةٍ
وما كانت الأنبياءُ تأتي بمثله
ولكن كما قال الذين تتابعوا
ملوك بني العباس في الكتب سبعة
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
وإني لأعلي كلبتهم عنك رقعةً
وفاض لفرط الدمع من عينه غربُ
فليس له دينٌ، وليس له لبُّ
يُملك يوماً، أو تدينُ له العربُ
من السلفِ الماضينَ إذ نظم النخطبُ
ولم تأتنا عن ثامن لهم الكتبُ^(١)
كرام إذا عدوا، وثامنهم كلبُ
لأنك ذو ذنب، وليس له ذنبُ^(٢)

وسأله بعض أصحابه: أنت قائل البيت السابع؟ قال: لا والله، وإنما قاله إبراهيم بن المهدي ليشيط بدمي مكافأة على هجائي إياه.

وأخبر دعبل قال: لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي، وعزمت على أن أفعل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة، فإني لفي ذلك والباب مردود إذ سمعت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أألج يرحمك الله، فاقشعر بدني من ذلك ونالني أمر عظيم، فقال: لا ترع، فإني من إخوانك الجن من ساكني اليمن، طراً علينا طارٍ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك «مدارس آيات...» فأحبيت أن أسمعها منك، فأنشدته إياها، فبكى حتى خر، ثم قال: لا أحدثك رحمك الله حديثاً يزيد في نيتك ويعنك على التمسك بمذهبك؟ قلت: بلى، قال مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد، فسرت إى المدينة، فسمعته يقول: حدثني أبي عن أبيه عن جده: إن رسول الله ﷺ قال: علي وشيعته هم الفائزون، ثم ودعني لينصرف، فقلت: رحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك، قال: أنا ظيان بن عامر^(٣).

وقال أبو عبد الله أحمد بن حمدون النديم: لقد رأيت الملوكة في مقاصيرها، ومجامع حفلها، فما رأيت أغزر أدباً من الواثق، خرج علينا ذات يوم

(١) الملوكة السبعة هم: أبو العباس السفاح، أبو جعفر المنصور، المهدي، الهادي، الرشيد، الأمين، المأمون.

(٢) الأغاني ١٥٧/٢٠ - ١٥٨، معاهد التنصيص ٢٧١، أعيان الشيعة ٢٩١/٣٠، آداب اللغة العربية ٧٢/٢، لسان الميزان ٤٣١/٢، تاريخ ابن عساكر ٢٣٦/٥، ديوانه ١٢٩ - ١٣٠.

(٣) الأغاني ١٥٥/٢٠، عيون أخبار الرضا ٢٨٠، معاهد التنصيص ٢٠٥/١، سفينة البحار ١٨٧/١.

وهو يقول: لعمرى لقد عرض عرضه من عرضه لقول الخزاعي دعبل:

خليلَيَّ ماذا أرتجي من هوى امرئ طوى الكشح عني اليوم وهو مكين
وإن امرئ قد ظنَّ عني بمنطقي يُسدُّ به من خلتي لظنين^(١)

فانبرى أحمد بن أبي داود كأنما أنشط من عقال يسأله في رجل من أهل اليمامة، فأطنب وأسهب، وذهب به القول كل مذهب، فقال له الواصل: يا أبا عبد الله لقد أكثرت في غير كثير ولا طيب، فقال: يا أمير المؤمنين إنه صديقي وأهون ما يعطي الصديق صديقه أن يتكلم. فقال الواصل: وما قدر اليمامي أن يكون صديقك، وإنما أحسب أن يكون من عرض معارفك، فقال: يا أمير المؤمنين أنه شهرني بالاستشفاع إليك وجعلني بمراى ومسمع من الرد والأصغاء، فإن لم أقم له هذا المقام كنت كما قال أمير المؤمنين، وأنشد البيتين، فقال الواصل: يا محمد بن عبد الملك، بالله إلا ما عجلت لأبي عبد الله حاجته ليسلم من هجئة المطل كما سلم من هجئة الرد.

وكان دعبل يقول: من فضل الشاعر أن يستحسن منه ما يستقبح من غيره الكذب، وكلما زاد كذبه زاد استحسانه، ثم لا يكفيه ذلك إلا بقول السامع: أحسنت والله، فلا يشهد له شهادة إلا ومعها يمين.

ومن أخباره ما رواه بعض أصحابه قال: أخبرنا دعبل، قال: كنا يوماً عند سهل بن هارون الكاتب، وكان مشهوراً بالبخل، فأطلقنا الحديث فاضطره الجوع إلى أن دعا بغدائه، فأتي بقصعة فيها ديك هرم لا تعمل فيه سكين، ولا يؤثر فيه ضرر، فأخذ قطعة خبز فخاض بها مرقته، وقلّب جميع ما في القصعة ففقه الرأس فبقي مطرقاً ساعة ثم رفع رأسه فقال للطباخ: أين الرأس؟ قال: رميت به، قال: ولم فعلت؟ قال: ظننت أنك لا تأكله، قال: بثما ظننت، ويحك والله إنني لأمقت من يرمي برجليه، كيف من يرمي برأسه، أما علمت أن الرأس رئيس وفيه الحواس الأربع، ومنه يصيح، ولولا صوته لما فضل، وفيه عرفه الذي يتبرك به، وعيناه وبهما يضرب المثل فيقال شراب كعين الديك، ودماغه عجيب لوجع الكليتين، ولم يُرَ عظم أهش من عظم رأسه، أو ما علمت أنه خير من طرف

(١) الأغاني ٢٠/١٣٤.

الجناح ومن الساق والرجلين، فإن كان قد بلغ من نيلك إنك لا تأكله فانظر أين رميت به؟ قال: لا أدري! قال: لكنني أدري، رميت به والله في بطنك، والله حسبك.

قلت: لقد أفاد بخل سهل فوائد طيبة، وأمثال تحبب أكل رؤوس الديوك مع ظرف المحاوررة، وإنه مجد، ولهذا إن من البيان لسحراً.

ومما يتعلق بالديك ودعبل: ما حدث أحمد بن خالد الكاتب البغدادي قال: كنا يوماً في دار رجل اسمه صالح بن علي من عبد القيس ببغداد، ومعنا جماعة من أصحابنا فسقط على السطح ديك من دار دعبل، فلما رأيناه قلنا هذا صيد فأخذناه، فقال صالح: ما تصنع به، قلنا نذبحه فذبحناه وشوينا، وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح فطلبه منا فجددناه وشربنا يومنا، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة وجلس على باب المسجد وكان مجتمعاً يجتمع فيه العلماء والأدباء ويتابهم الناس فقال:

أسر المؤذن صالح وضيقه	أسر الكمي القرن ديك الحائط ^(١)
يتنازعون، كأنهم قد أوثقوا	خاقان! أو هزموا كتائب ناعط ^(٢)
بعثوا عليه بناتهم وبنيتهم	من بين يانعة وآخر ساقط
نهشوه، فانتزعت له أسنانتهم	وتهشمث أقفاؤهم بالحائط ^(٣)

فكتبها الناس عنه ومضوا، فقال لي وقد رجع إلى البيت: ويحكم ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا سوى ديك دعبل، ثم أنشدني في الشعر وقال: لا تدع ديكاً ولا دجاجة إلا اشتريته لدعبل وبعثت به إليه وإلا وقعنا في لسانه، ففعلت ذلك.

وبات دعبل ليلة عند صديق له من أهل الشام وبات عندهم رجل من أهل بيت لهيا اسمه حوى بن عمر السكوني وكان جميل الوجه، ندب عليه صاحب البيت، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حين من الدهر، فقال دعبل:

(١) يريد بالمؤذن، الديك، الكمي: الشجاع وجمعها كماء.

(٢) ناعط: قبيلة من همدان، وأصله جيل نزلوا به فنسبوا إليه.

(٣) الأغاني ١٤١/٢٠، معاهد التنصيص ٢٧٠.

لولا حوى من بيت لهيانٍ ما قام أير العزب الفاني^(١)
له دواة في سراويله يليقها النازح والداني^(٢)

فشاعت وهرب حوي من البلد وافتضح الشيخ، وكان يسبُّ دعبلًا^(٣).

وقال دعبل: بينا أنا بباب الكرخ أتتزه إذ مرت بي جارية لم أر أحسن منها
وجهاً ولا قدأً، فقلت متعرضاً لها:

دموع عيني به انبساطٌ ونوم جفني به انقباض^(٤)
فقلت مسرعة:

وذا قليل لمن دهثه بلحظها الأعين المراضُ

فما داخلني أحلى من كلامها، فمضيت أمامها وهي تتعثر إلى دار مسلم بن
الوليد الأنصاري^(٥)، فصادفت عنده عسرة فدفعت إليّ منديلاً وقالت: اذهب فبعه
وخذ لنا ما يصلحنا وعُد، فمضيت مسرعاً وعُدت، فوجدت مسلماً قد خلى بها
في سرداب وذهبت، فلما أحسَّ بي وثب إليّ وقال: عرفك الله يا أبا علي ثواب
ما عملت وجعله أحسن حسنة لك، فغاظني طنزه بي وقوله، وجعلت أفكر أي
شيء أعمل له فقال لي: بحياتي يا أبا علي من الذي يقول:

بت في درعها وبات رفيقي جنب القلب طاهر الأطراف

(١) في الأصل: «لو لي حق بي» وما صوّبناه من الديوان.

(٢) لاق الدواة: جعل لها ليقة، والليقة صوقة الدواة أو إذا بلت.

(٣) الأغاني ٢٠/١٥٠، معاهد التنصيص ٢٧١.

(٤) الأبيات مع القصة في: ابن عساكر ٥/٢٣٠، أعيان الشيعة ٣٠/٢٥٤، العقد الفريد ط لجنة
التأليف ٦/٣٩٧.

(٥) هو صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري. من متقدمي شعراء الدولة العباسية. مولده ونشأته
بالكوفة. جل مدائحه في يزيد بن يزيد وداود بن يزيد المهلب والبرامكة. لقبه الرشيد بصريع
الغواني، وكان يكره هذا اللقب. ولاء المأمون بريد جرجان، فلم يزل بها حتى مات سنة
٢٠٨هـ. له ديوان شعر طبع بليدن سنة ١٨٧٥م ثم طبع بمصر بدار المعارف.

ترجمته في: الأغاني ١٨/٣١٥، الشعر والشعراء/٧١٢، دائرة الشعراء وجدي ٥/٤٦٩ - ٤٧٧،
معاهد التنصيص ٢/١٠، طبقات الشعراء لابن المعتز/٢٣٥، تاريخ بغداد ١٣/٩٦، معجم
الشعراء/٢٧٧، النجوم الزاهرة ٢/١٧٦، الموشح/٤٤٤، مقدمة الديوان لسامي الدهان، أنوار
الربيع ١/٢٢٦هـ.

فقلت:

من له في دماغه ألف قرنٍ قد أنافت على علو منافٍ
فجعلت أشتمه وأثب عليه، فقال: يا أحمق متزلي دخلت، ومنديلي بعت،
ودراهمي أنفقت، لأي شيء حردك يا قواد، فقلت: مهما كذبت في شيء فما
تكذب في الحمق والقيادة.

وقال علي بن عبد الله بن سعيد: قال لي دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن
خارجة^(١) في عيسى بن البراء النصراني ومنها:

زُنارُهُ في خصره معقودٌ كأنه من كيدي مقود^(٢)

والله ما أعلم إني حسدت أحداً كما حسدت بكراً في بيته هذا.

قال الأصبهاني: وكان بكر ورّاماً ضيق المعيشة، معاقراً للشراب، وكان
مليح الشعر ومطبوعه، ماجناً خليعاً^(٣)، وكانت الخمرة أفسدت عقله، فصار يمدح
ويهجو بالدرهم والدرهمين، فاطرح^(٤).

وقال بعض الكوفيين: حضرنا دعوة ليحيى بن أبي يوسف القاضي وبُتنا
عنده، فنمت فما نبهني إلا صياح بكر يستغيث من العطش، فقلت له ثلاثاً: قم
فاشرب، فالدار ملاء من الماء، قال: أخاف، قلت: من أي شيء؟ قال: في
الدار كلب كبير، فأخاف أن يظني غزلاً فيشب عليّ ويقطعني ويأكلني، فقلت له:
خرب بيتك أنت والله بالخنازير أشبه منك بالغزلان، قم فاشرب إن كنت عطشان،
وأنت آمن^(٥).

وقال دعبل: لما هجوت أبا سعد المخزومي بقولي:

يا أبا سعد قوَصِرْه زاني الأخت والممره

(١) ترجمته في الأغاني ٢٣/١٩٧ - ٢٠١.

(٢) الأغاني ٢٣/١٩٨.

(٣) الأغاني ٢٣/١٩٧.

(٤) الأغاني ٢٣/١٩٩.

(٥) الأغاني ٢٣/١٩٩ - ٢٠٠.

لو تسراه مكيبياً
أو تىرى الأير فى استه
خلسته عقد قنطره
خلت ساقاً بمعصره^(١)

أخذت معى جُرْزاً ودعوت الصبيان فأعطيتهم منه، وقلت: صيحوا يا أبا
سعد قوصره، فصاحوا به فغلبته^(٢).

وقال أبو جعفر النحوي مؤدب آل طاهر، دخل دعبل على عبد الله بن طاهر
وهو يتغدى فأنشده:

جئتُ بلا حُرمة ولا سببٍ
فأقصر دىونى فإننى رجلٌ
إليك، إلا بحرمة الأدب
غير ملح عليك فى الطلب^(٣)

فانتعل عبد الله ودخل إلى الحرم ووجه إليه بصره فيها ألف درهم وكتب
معها:

عاجلتنا فأتاك عاجلُ برنا
فأخذ القليل وكن كأنك لم تسلُ
ولو انتظرت كثيره لم يقلل
ونكون نحن كأننا لم نفعل^(٤)

ومن شعره:

إنما العيشُ فى مُنادمة الإخوا
وسكر كأنها ألسن البرق
أن تكونوا تركتم لذة العيش
فدعوني وما ألتذ وأهوى
ن لا فى الجلوس عند الكعاب^(٥)
إذا استصرخت متون السحاب
حذار العقاب يوم العقاب
وارفعوا بي فى صدر يوم الحساب^(٦)

ومن أشهر شعره فى المطلب بن عبد الله الخزاعي^(٧) أمير مصر:

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ١٤٠، الأغاني ١٨٩/٢٠، معاهد التنصيص ٢٧٥.

(٢) الأغاني ١٩٩/٢٠.

(٣) الأغاني ١٩٩/٢٠، تاريخ بغداد ٣٨٤/٨، أعيان الشيعة ٢٩٣/٣٠.

(٤) الأغاني ١٩٩/٢٠.

(٥) الكعاب: المرأة التى نهد ثديها.

(٦) الأغاني ١٦٢/٢٠ - ١٩٧، ديوانه ١٢٣.

(٧) المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي: وال. كان فى مكة. وولى إمرة مصر للمأمون (سنة ١٩٨هـ) فقدم إليها، والثورات قائمة، وأهلها فريقان: فريق من حزب الأمين وفريق من حزب المأمون. فقام الشدائد؛ وعزل بعد نيف وسبعة أشهر من ولايته، وأمر المأمون بالقبض عليه، =

زمني بمطلب سقيت زماناً
كلّ السدى، إلا نذاك تكلف
أصلحتني بالبرّ بل أفسدتني
ما كنت إلا روضةً وجناناً
لم أرض غيرك كائناً من كانا
وتركتني أتسخط الإحساناً^(١)

وهذا المعنى المليح قد مرّ مثله للبحثري، خاطب به علي بن محمد القمي والله أعلم أيهما السابق إليه، إلا أن دعبلأ مات قبل البحتري، ثم أن دعبلأ هجى المطلب بعد ذلك وكان سبب موته أنه قصد مالك بن طوق التغلبي أمير الحويزة فلم يرض ثوابه فهجاه بقوله:

إن ابن طوقٍ وبني مالك^(٢)
لم يأخذوا من دية درهماً
دماؤهم ليس لها طالب
وجوههم سودّ، وأجسامهم
لو قتلوا أو جرحوا قسره^(٣)
يوماً، ولا من إرشهم بعره^(٤)
مطلولة مثل دم العذرة
بيض، وفي آذانهم صفرة^(٥)

ثم هرب إلى الأهواز فبعث مالك رجلاً إلى هنالك فاغتاله، بأن ضرب قدمه بزج عكاز مسموم بعد العتمة فمات من الغد بالسوس.

وكانت ولادته سنة ثمان وأربعين ومائة.

وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين، رحمه الله تعالى.

= فحبس مدة. وثار أهل مصر في أيام خلفه (العباس بن موسى) فأطلقوا المطلب وأعادوه إلى الإمارة في أوائل سنة ١٩٩ فأحسن السياسة، وأقره المأمون إلى سنة ٢٠٠ وعزله، فأوقد الفتنة، فلم يفلح، فخرج هارباً إلى مكة توفي بعد سنة ٢٠٠ هـ. ترجمته في:

النجوم الزاهرة ٢: ١٥٧ و١٦٢ والمقريزي ١: ١٧٢ - ١٧٣ والولاء والقضاة ١٥٢ و١٥٤، الاعلام ط ٢٥٢/٧/٤.

(١) الأغاني ١٧٨/٢٠، روضات الجنات، مرآة الجنان ١٤٦/٢، وفيات الأعيان ١٧٩/١، لسان الميزان ٤٣١/٢، أعيان الشيعة ٣٣٩/٣.

(٢) في الأغاني: «بني تغلب».

(٣) القسر: القوة.

(٤) الارش؛ دية الجراحات.

(٥) الأغاني ١٩٨/٢٠، معاهد التنصيص ٢٧٦، المنتحل ١٣٩، أعيان الشيعة ٣٤٣/٣٠، ديوانه ١٥٩.

وقال البحري يرثيه، وذكر أبا تمام وكان مات قبله بالموصل:

قد زادني قلقي وأوقد لوعتي مثنوى حبيب يوم مات ودعبل
أخوي لا زال السماء مخيلة نعشاً كما بسماء مزن مسبل
جدث على الأهواز يبعد دونه مسرى النعي ورمسه بالموصل^(١)
وقيل: إن دعبلأ مات حتف أنفه.

والدعبل: في غريب اللغة، الناقة معها ولدها.

والسوس: بالمهملتين معرب عن المعجمتين بينهما. وأورد الأولى
مضمومة: مدينة مشهورة من الأهواز، وهو خوزستان أيضاً وهو إقليم مشهور بين
عمل البصرة وفارس وبعسكر مكرم منه توجد العقارب الجرارة، ومنه جيد
السكر، وقصبته اليوم الحويزة، مدينة محدثة.

وبيت لُهيّا: بضم اللام وإسكان الهاء ثم ياء مثناة من تحت ثم ألف، قرية
من غوطة دمشق مشهورة.

(١) وفيات الأعيان ١/١٨٠.

حرفُ الذال

أبو المطاع، ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي الظفر، حمدان بن ناصر الدولة، أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي، الملقب وجاه الدولة(*) .

فاضل شعره كالشذور لذات القرطين، بلغ به مشارق الأرض ومغاربها لأنه ذو القرنين، فلولا السحر يمسكه لسال من الرقة، ومن رام نسج مثل ديباجه بعدت عليه الشقة .

وذكر الأمير المختار المعروف بالمسجي في تأريخ مصر: إنه ورد من دمشق إلى مصر في خلافة الظاهر بن الحاكم فولاه الإسكندرية وعملها وذلك في رجب سنة ٤١٤ فلبث بها سنة ثم عاد إلى دمشق .

وكان فاضلاً، ولعبد العزيز بن نباتة في والده غرر القصائد .

(*) له ديوان شعر حققه د. محسن غياض ونشر في مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٢٤ و ٢٥ لسنة ١٣٥٤هـ / ١٩٧٤م .

ترجمته في: معجم الأدباء ١١٩/١١ - ١٢١، وفيات الأعيان ٢٧٩ - ٢٨١، تهذيب ابن عساكر ٢٥٩/٥، شذرات الذهب ٣/٢٣٨، النجوم الزاهرة ٥/٢٧، يتيمة الدهر ١/١٠٦ - ١٠٧، أعيان الشيعة ٧/١٣٨، ٣١/٦٣، مجلد المجمع العلمي العراقي ٢٤/٢٦٣ - ٢٨٤، ٢٥/١١٥ - ١٤١، الاعلام ط ٤/٣/٨ .

وكان ذو القرنين شاعراً أديباً، وكان آل حمدان على مذهب الأمير أبي الحسين سيف الدولة في التشيع.

فمن شعره الرباب، الحالي لجيد الكعاب، أو نمير الرضاب:

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا
أيقنت أن من الدموع محدثاً
وله أيضاً:

لَمَّا التَقِينَا مَعَاً وَاللَّيْلُ يَسْتَرِنَا
بِتِنَا أَعْفَ مَبِيَّتِ بَاتُهُ بَشْرُ
فَلَا مَشَى مَن وَشَى عِنْدَ الْعَدُوِّ بِنَا
فِي جَنَحِ ظُلْمَاءٍ مَا فِي طِيَّهَا نَعْمُ
وَلَا مِرَاقِبِ إِلَّا الطَّرْفُ وَالْكَرْمُ
وَلَا سَعَتْ بِالَّذِي يَسْعَى بِنَا قَدَمٌ^(٢)

وصدر البيت الثاني هو بعينه قول الشريف الرضي كما يأتي إن شاء الله تعالى، وكيف ما كان فقد أحسن غاية الإحسان.

وله أيضاً:

تَقْوُلُ لَمَّا رَأَيْتَنِي
هَذَا اللَّقَاءَ مَنَامٌ
فَقَلَّتْ كَلًّا وَلَسْكَنُ
فَلَيْسَ تَعْرِفُ مِنِّي
وَمِنْ مَشْهُورِ شَعْرِهِ [مِنَ الْبَسِيطِ]:

إِذَا رَأَيْتُ اعْتِنَاقَ اللَّامِ لِلْأَلْفِ
إِنِّي لِأَحْسُدُ «لَا» فِي أُسْطَرِ الصُّحُفِ

(١) معجم الأدباء ٢٠١/٤، ١٢٠/١١، وفيات الأعيان ٢٨٠/٢، تنمة اليتيمة ٥/١، تاريخ ابن عساكر ٥٩/٥، ديوانه/القطعة ٨.

(٢) وفيات الأعيان ٤٥/٢، ٢٨٠، خاص الخامس ١٤٥، تنمة اليتيمة ٣/١/من غاب عنه المطرب ١١٦، دمية القصر ٢٢١/١، الاعجاز والايجاز ٢١٢، الوافي بالوفيات ٥٨/٨، ديوانه/القطعة ٤١.

(٣) وفيات الأعيان ٢٨٠/٢، تنمة اليتيمة ٣/١، الوافي بالوفيات ٥٩/٨، أعيان الشيعة ٢١٨/٧، ديوانه القطعة ٢٤.

وما أظنُّهُمَا طَالَ اغْتِنَاقُهُمَا إلا لما لَقِيََا مِنْ شِدَّةِ الشَّعْفِ^(١)
وله أيضاً:

أفدي الذي زُرْتُهُ بالسيف مُشْتَمِلاً ولحظُ عينيه أمضي من مَضَارِيهِ
فَمَا خَلَعْتُ نِجَادِي فِي العِنَاقِ لَهُ حَتَّى لَبِسْتُ نِجَاداً مِنْ ذَوَائِبِهِ^(٢)
وهذا معنى يهز الأعطاف ولا يدع معنى للسلاف.

وله في غادة تبلى معاجزها بسرعة:

أرى الثياب من الكثان يلمحها ضوء من البدر أحياناً فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى غلائلها والبدر في كل حين طالعٌ فيها^(٣)

قلت: المعنى مليح، وهو ادعى الشيء ببرهان، وأخذه هو والشريف أبو الحسن بن طباطبا - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى^(٤) - من قول الشريف الرضي من قصيدة أولها:

أسقني فاليسوم نشوان
ومنها:

كيف لا تبلى غلائله وهو بدر وهي كثنان
وأهل البيان يوردون قول ابن طباطبا مستحسنين له ذاهلين عن قول الرضي وهو:

(١) يتيمة الدهر ٩١/١ - ٩٢، وفيات الأعيان ٢/٢٧٩، أنوار الربيع ٤/٨٦، شذرات الذهب ٣/٣٣٨، المنتحل للثعالبي ٥٠، مرآة الجنان ٣/٥١، ١٠٧، الوافي بالوفيات ٨/٥٩، أعيان الشيعة ٧/٣٣٧، ٣١/٧٠، المستطرف ٢/١٥٩، وقد نسبتها بعض المصادر إلى الشريف ابن طباطبا، ديوانه/قطعة ٤٢.

(٢) يتيمة الدهر ٩٢/١، وفيات الأعيان ٢/٢٧٩، تنمة اليتيمة ١/٣، خاص الخاص ١٤٤، الأعجاز والايجاز ٢١١، معجم الأدباء ٤/٢٠١، تاريخ ابن عساكر ٥/٢٥٩، الوافي بالوفيات ٨/٥٩، حماسة ابن الشجري ١٨٣، أعيان الشيعة ٧/٢١٧، معاهد التنصيص ٣/١٣٧، ديوانه/القطعة ١٢.

(٣) يتيمة الدهر ٩٢/١، وفيات الأعيان ٢/٢٨٠، تنمة اليتيمة ١/٤، الوافي بالوفيات ٨/٥٨، أعيان الشيعة ٧/٢١٧، ٣١/٧٠، معاهد التنصيص ٢/١٣٠، ديوانه/القطعة ٩.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٩.

لا تعجبوا من بلا غلالته قد زرَّ أزراره على القمر
 مع أنه قصر في الاختلاس، والرضي حلق، فإنه لم يذكر في البيت
 الأصل، الكتان التي اختص القمر بإبلائه. وفي رواية قليلة قد زر كتانها وهو
 أولى إن كان لا بد من الأخذ وتأثير العلويات في كثير من السفليات مما يؤيده
 ارتباطها بحكمة الحكيم المبدع، وقد مرَّ في أول الكتاب شيء من هجاء ابن سناء
 الملك للشمس تبعاً لابن الرومي في هجاء القمر وفيها زيادة أوردتها هاهنا ففيها
 دليل على خفة عقله حيث تكلف معاييب لمادة حياة العالم، وأما ابن الرومي
 فمذهبه في ذلك معروف وهي:

لا كانت الشمس فكم أصدأت
 وكم وكم صدت بوادي الكرى
 وأعدمتني من نجوم الدجى
 تكذب في الوعد وبرهانه
 وتحسب النهر حساماً فتر
 إن صدى الطرف فما مقله
 وهي إذا أبصرها مُبصر
 يا علة المهموم، يل جلدة الـ
 يا قرحة المشرق وقت الضحى
 أنت عجوز لم تبرجت لي
 أنت وبالشيطان مقرونة
 صفحة خذ كالحسام الصقيل
 طيف خيال جاءني من خليل
 ومنه روضاً بين ظل ظليل
 إن لعاب الفقر منها يسيل
 ناع وتحكي فيه قلب الذليل
 إلا التجلي بمحيا جميل
 حديد طوق عاد منها كليل
 مهوم، يا زفرة صبّ نحيل
 وسلحة المغرب وقت الأصيل
 وقد بدا منك لعاب يسيل
 فكيف تهدينا سواء السبيل

والظاهر أنه شيطانها الشرى، طالت قرونها لنطحها بالذم.



رجع، ولذي القرنين:

خذوا بدمي ذاك الغزال فإته
 ولا تقتلوه إنني أنا عبده
 رماني بسهمي مقلتيه على عمد
 وفي مذهبي لا يقتل الحرّ بالعبد^(١)

(١) أعيان الشيعة ٧٣/٣١، يتيمة الدهر ١٠٥/١، وفيه: أنها لبعض بني حمدان، ديوانه - المستدرک/ القطعة ٢.

وله أيضاً [من المتقارب]:

أيام من صبرت على فقده وإن كان بي مؤلماً موجعا
لقد نال كل الذي يشتهي حسودٌ علينا ببين دعا^(١)

ونسب له الثعاليبي في اليتيمة ما نسبه للشريف أبي القاسم أحمد بن طباطبا -
الماضي في الهمزة^(٢) - [من البسيط]:

قالت لطيف خيالٍ زارني وقضى باللهِ صِفهُ ولا تنقصُ ولا تزدِ

وشعره سلسلة ذهبية وطريقة وإن عجمت على اللاحق غريبة.

وذكر ابن خلكان: إنه توفي بمصر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة^(٣)، رحمه

الله تعالى.

(١) يتيمة*الدهر ١/٩٢.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٩.

(٣) وفيات الأعيان ١/١٢٩، ٢/٢٨١.

حرفُ الرَّاءِ

أبو الوفا، راجح بن إسماعيل بن أبي الهيثم الأسدي الحلبي الأصل،
الحلبي، المنعوت بشرف الدين، الشاعر^(*).

فاضل، ميزان شعره كاسمه راجح، عُلاً وأضياء بمعانيه فحكى السماء
الوامح، وكان الظاهر غازي بشعره ذا عجب، والله درّه من شاعر أدرّ غمامة
القريحة بدمشق وحلب وكان شاعره والمعظم شعائره.

وأصله من الحلة، وأهلها إمامية على الإطلاق.

ورأيت بخط والدي رحمه الله تعالى، نقل المقرئزي: أن الأفرنج لما
ارتحلوا عن حصار مدينة عكا برأً وبحراً على يد الملك الكامل محمد وأخويه
الأشرف موسى، والمعظم عيسى، واجتمعوا ليلة على الأُنس في مجلس الكامل،

(*) توفي في شهر شعبان سنة ٦٢٧هـ.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٧/٤ - ٩ ضمن ترجمة الملك الظاهر صاحب حلب وفيه اسم جده:
«أبي القاسم»، فوات الوفيات ٢١٨/١ - ٢١٩، شذرات الذهب ١٢٣/٥، النجوم الزاهرة ٦/
٢٧٥، تاريخ مصر لابن اياس ٨٠/١ - ٨١، مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، حلبة الكميت
للنواجي، الخطط المقرئزية، إنسان العيون، ذيل مرآة الزمان للبونيني ٢/٢٠٥، العسجد
المسبوك ٤٤٣، خزانة الأدب ٢٤٦، مفرج الكروب لابن واصل ٣/١٨٥، معاهد التنصيص ٣/
٣٩، أعيان الشيعة ٧٥/٣١، شعراء الحلة ٤٤٨/٢ - ٤٦٤، التكملة لوفيات النقلة، البابليات ١/
٤٧ - ٥٢، الاعلام ط ١٠/٣/٤.

فأمر الأشرف جاريته ست الفخر فغنت على العود:

ولما طغى فرعون عكا ببغيه
أتى نحوهم موسى وفي كفه العصي
وجاء إلى مصر ليفسد في الأرض
فأغرقهم في اليمّ بعضاً على بعض

فطرب الأشرف وقال لها: كرّري، فشقّ على الملك الكامل فأمرها
فسكتت، وقال لجاريته: غنّ أنت، فخفت عوداً وغنّت:

أيا أهل دين الكفر قوموا لتنظروا
أعباد عيسى إن عيسى وقومه
إلى ما جرى في وقتنا وتجددا
وموسى جميعاً ينصرون محمداً

فطرب الكامل واشتد سروره بها وأمر لها بخمسمائة دينار ولجارية أخيه
الأشرف بمثلها، فنهض القاضي الأجل هبة الله بن محاسن قاضي غزة وكان في
جملتهم، فأنشد:

حبانا إله الخلق فتحاً لنا بدا
تهلّل وجه الدهر بعد قطوبه
فلما طغى البحر الخضم بأهله
أقام لهذا الدين مرسل عزمه
صقيلاً كما سلّ الحسام مجرّداً
فلم ترَ إلاّ كل شلو مجدّل
ثوى منهم أو من تراه مقيّداً
ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً
عقيرته في الخافقين ومنشداً
وموسى جميعاً ينصرون محمداً
(أعباد عيسى إن عيسى وقومه

ونسب الحافظ الذهبي في العبر البيتين الأخيرين من شعر القاضي، لشرف
الدين راجح الحلبي المذكور^(١).

قال المقرئزي: وكان هذا المجلس بالمنصورة وهي من أعمال مصر. وأما
أدب الجاريتين فأرقّ من خديهما، واسم الملك المعظم عيسى وكان ملك دمشق،
وكان حنفياً فاضلاً، والأشرف موسى وكان ملك خلاط والجزيرة، وهو ممدوح
ابن النبيه.

ومن المنسوب إلى الشرف راجح من الشعر:

(١) العبر ٧٢/٥.

نَبّه بحَيِّ هَلَا عَلَى الصَّهْبَاءِ
فَالشَّرْقُ قَدْ قَبِضَ الدُّجَنَّةَ بِاسْطَاً
وَالغَرْبُ مِنْهُ طَعِينَةٌ أَحْشَاؤُهُ
فَانهَضُ إِلَى خَلْسِ الصُّبُوحِ فَقَدْ جَلَا
وَالتَّرْبُ مَصْقُولُ التَّرَائِبِ نَشْرُهُ
وَالأَرْضُ ذَاتُ خَمَائِلٍ تَمْشِي الصَّبَا
رَقِصَتْ قَدُودَ الدُّوْحِ نَصَبَ عَيْونِهَا
وَاعْتَلَّ خَفَاقُ النِّسِيمِ وَقَدْ جَرَى
فَكَأَنَّ عَيْنَ الشَّمْسِ قَبْلَ ذُرُورٍ^(١)
وَالوَرْدُ يَقْطُرُ مِائَةً مِنْ حَوْلِهِ
وَغَصُونِهَا نَشْوَى رِضَاعِ غَمَامَةٍ
فَانهَضُ إِلَى فِرْعَانَ النِّعِيمِ وَخَلَّ عَنْ
وَإِغْنَمِ عَلَى وَجْهِ الرِّبِيعِ وَحَسَنِهِ
وَاسْتَعْجَلَ السَّاقِي الأَغْنَى يَدِيرُهَا

مَنْ كَانَ قَدْ أَغْفَى مِنَ التُّدْمَاءِ
لِسُلْفَجِرِ طَرَّةَ رَايَةِ حَمْرَاءِ
بِأَسْنَةِ مَنْ أَنْجَمَ الْجُوزَاءِ
وَرَدَ الصَّبَاحُ بِنَفْسِجِ الظُّلْمَاءِ
مَتَأَرَجٌ يَثْنِي عَلَى الأَنْوَاءِ
فِيهَا فَتَثْنِيهَا مِنَ الخِيَالِ
وَيَكْتُ جَفُونَ الدِّيمَةِ الوَطْفَاءِ
مَتَعَسَّرًا بِمَسَاقِطِ الأَنْدَاءِ
فِيهِ تَتِيهِ بِمَقْلَعَةِ رَمْدَاءِ
وَالجَوَّ لَا بَسَّ حَلَّةَ دَكْنَاءِ
وَسَمَاعِ شَدُو حَمَامَةِ وِرْقَاءِ
أَمْرَ النِّدِيمِ بِمَطْلَقِ الأَسْرَاءِ
فِي سَدْرِ يَوْمِكَ بِهَجَّةِ الصَّهْبَاءِ
فِي مَسْتَنِيرِ الرُّوضَةِ الغِنَاءِ^(٢)

وفيها زيادة، وليست من جيد الشعر، لكن الذي يعجبني من الأوصاف
وقافية الهمزة قول المعتمد على الله صاحب أشيلية:

وَلَقَدْ شَرِبْتَ الرِّاحَ يَصْدَعُ نُورُهَا
حَتَّى تَبَدَّى البَدْرُ فِي جُوزَائِهِ
لَمَّا أَرَادَ تَنْزَهُاً فِي غَرْبِهِ
وَتَنَاهَضْتَ زَهْرَ النُّجُومِ يَحْفَهُ
وَتَرَى الكَوَاكِبَ كَالْمَوَاكِبِ حَوْلِهِ
وَحَكِيئَتَهُ فِي الأَرْضِ بَيْنَ مَوَاكِبِ
إِنْ نَشَرْتَ تَلْكَ الغَمَامَ حَنَادِئاً

وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ الظُّلَامَ رَدَاءاً
مَلِكُ تَنَاهِى بِهَجَّةِ وَبِهَاءِ
جَعَلَ المِظْلَةَ فَوْقَهُ الْجُوزَاءِ
لِالأَوْهَامِ فَاسْتَكْمَلَ الأَلَاءِ
رَفَعْتَ ثَرِيَاهَا عَلَيْهِ لَوَاءِ
وَكَوَاعِبِ جَمَعْتَ سَنّاً وَسَنَاءِ
مَلَأْتَ لَنَا هَذَا الكُؤُسَ ضِيَاءِ

وذكر ابن خلكان: إن الظاهر غازي بن صلاح الدين بن أيوب توفي بقلعة

(١) كذا في الأصل.

(٢) شعراء الحلة ط ٢ / ٢ / ٤٥١.

حلب ليلة العشرين من جمادى الآخرة سنة [ثلاث عشرة وستمائة]^(١) ورثاه شاعره
الحلي المذكور بقصيدة أحسن فيها ومنها:

بمَنْ عَلِقَتْ أُنْيَابُهُ وَمَخَالِبُهُ
وَإِنْ كَانَ نَائِي السَّمْعِ عَمَّنْ يُعَاتِبُهُ
إِلَى أَفْقٍ مَجْدٍ قَدْ تَهَاوَتْ كُتَاكِبُهُ
عَلَيَّ دُجَى لَا تَسْتَنِيرُ غِيَاهِبُهُ
أَبِيحَ وَعَادَتْ خَائِبَاتٍ مُوَائِكِبُهُ
سَمَاءُ الْعُلَا وَالنَّجْحُ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ
قَوَاعِدُهُ أَمْ لَأَنَّ لِلْخَطْبِ جَانِبَهُ
بَرِيحَ الْمَنَايَا الْعَاصِفَاتِ مَنَاكِبَهُ
وَوَطْمَتْ لَجَنَاتِ الْبِلَادِ غَوَارِبَهُ
بِرَغْمِ الْعُلَا سَلَّتْ وَقُلَّتْ مَضَارِبَهُ
فَقَدْ سَحَبَتْ فِي كُلِّ قَطْرِ سَحَائِبَهُ
وَمِنْ مُسْتَبَاحٍ قَدْ حَمَتَهُ كَتَائِبَهُ
أَمَا فَيْكُمْ مِنْ مَخْبِرٍ أَيْنَ صَاحِبِهِ؟
لَعَلَّ فُؤَادِي بِالْوَجِيبِ يُجَاوِبُهُ
مَنْ الْغَيْثِ سَارِيهِ الْمَلْتُ وَسَارِبُهُ
فِي طَالَمَا جَلَى دُجَى اللَّيْلِ ثَاقِبُهُ^(٢)

سَلِ الْخَطْبَ إِنْ أَضْغَى إِلَى مَنْ يَخَاطِبُهُ
نَشَدْتُكَ عَاتِبُهُ عَلَى مَا أَتَى بِهِ
لِيَ اللَّهُ كَمْ أَرْمِي بِظَرْفِي ضَلَالَةً
فَمَا لِي أَرَى الشَّهْبَاءَ قَدْ حَالَ صُبْحُهَا
أَحَقًّا حَمَى الْغَازِي الْغِيَاثِ بْنِ يَوْسُفِ
نَعَمْ كُوِّرَتْ شَمْسُ الْمَدَائِحِ وَانطَوَتْ
فَمَنْ مُخْبِرِي عَنْ ذَلِكَ الطُّوْدِ هَلْ وَهَتْ
أَجَلَ ضُعْضِعَتْ بَعْدَ الثَّبَاتِ وَزُعْزِعَتْ
وَعُيُضَ ذَاكَ الْبَحْرُ مِنْ بَعْدِ مَا طَمَأَ
فَشَلَّتْ يَمِينُ الْخَطْبِ أَيُّ مُهَنِّدِ
لِثَنِ حَبَسَ الْغَيْثُ الْغِيَاثِي قَطْرَهُ
فَكَمْ مِنْ حِمَى صَغَبٍ أَبَاحَتْ سُيُوفُهُ
أَرَى الْيَوْمَ دَسَّتَ الْمَلِكُ أَصْبَحَ خَالِيًا
فَمَنْ سَائِلِي عَنْ سَائِلِ الدَّمْعِ لِمَ جَرَى؟
سَقَّتْ قَبْرَكَ الْغُرُّ الْعَوَادِي وَجَادَهُ
فَإِنْ يَكُ نَوْرٌ مِنْ شِهَابِكَ قَدْ خَبَا

وهي طويلة، وأغار فيها على كثير من مرثية عمارة اليميني - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى^(٣) - للصالح بن رزّيك^(٤).

عَكَا، بفتح المهملة وتشديد الكاف ثم ألف: مدينة بساحل الشام، كثر الاستيلاء عليها في أيام الدولة الأيوبية.

غَزَّة، بفتح العين المعجمة وتشديد الزاي ثم تاء التأنيث: من أمهات مدن

(١) في الأصل: ٤٣١٣٦ وما أثبتنا من وفيات الأعيان ٧/٤.

(٢) كاملة في وفيات الأعيان ٧/٤ - ٩.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٢٦.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٨٧.

الشام، ومنها إبراهيم الغزي الشاعر المشهور، وبها ولد الشافعي علي أحد الأقال، وبها مات هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ تاجراً.

[٧٣]

الرباب بنت امريء القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم
ابن كلب الكلبية، زوجة الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي ﷺ (*).

وكانت من خيار النساء جمالاً وأدباً وعقلاً، وأسلم والدها في خلافة عمر
ابن الخطاب، فما صلى لله صلاة حتى ولأه عمر علي من أسلم بالشام من
قضاة، وما أمسى حتى خطب إليه علي ﷺ ابنته الرباب علي ابنه الحسين فزوجه
إياها، فولدت له السيدة سكيئة عقيلة قريش، وعبد الله بن الحسين^(١).

وخطبت بعد استشهاد الحسين ﷺ فأبت وقالت: ما كنت لأتخذ بعد رسول
الله ﷺ حمواً، وقالت ترثيه:

إن الذي كان نوراً يستضاء به بكر بلاء قتيلاً غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحه عنا وجنبت خسران الموازين
من لليتامى ومن للسائلين ومن يغني ويأوي إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين

وكان الإمام أبو عبد الله الحسين ﷺ يحبها، ومن شعره فيها وهو أحد
الأصوات المشهورة للأغاني:

لُعْمرك إنني لأحب داراً تكون بها سُكينة والربابُ
أحبهما وأبذل كُلِّ مالي ليس لعاتب عندي عتابُ^(٢)

ولم أسمع للرباب بغير هذه الأبيات التي رثت بها زوجها الشهيد، والقليل

(*) ترجمتها في:

المحبر ٣٩٦، الكامل لابن الأثير/آخر مقتل الحسين، أعلام النساء ١/٣٧٨، الأعلام ط ٤/٣/١٣ وفيه أنها توفيت سنة ٦٢ هـ.

(١) الأغاني ١٦/١٤٧ - ١٤٨.

(٢) الأغاني ١٦/١٤٣.

من الشعر من المرأة كثير.

وكانت سكينه وعائشه بنت طلحة تعرفان بعقيلتي قريش لجمالهما، والعقيلة من كل شيء النفيسة.

وذكر أبو الفرج: إن عبد الله بن الحسين^(١) سئل عن اسم سكينه فقال: أمينة، فقيل له: إن ابن الكلبي يقول أمينة^(٢)، فقال: سلوا الكلبي عن أمه وسلوني عن أمي^(٣).

ولها أخبار ونوادير الله يعلم حقائقها، وإنما انفرد بأكثرها الأصبهاني وقد قال الذهبي فيه أنه يضع الأخبار، فمما رواه: إنها حضرت مأتماً فيه بنت لعثمان، فقالت: أنا بنت الشهيد، فسكتت سكينه، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت سكينه: أهذا أبي أم أبوك؟ قالت العثمانية: لا جرم لا أفخر عليكم أبداً.

وإلى ذلك يشير الشريف الحماني^(٤) بقوله وأخذ المعنى [من الطويل]:

لقد فاخرتنا من قريش عصابة بمط حدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا عليهم بما نهوى نداء الصوامع^(٥)
[بأن رسول الله أحمد جدنا ونحن بنوه كالنجوم الطوالع]^(٦)

وكانت ممن سبى ابن زياد لعنه الله تعالى من حريم الحسين عليه السلام، وخاطبت يزيد بخطاب فصيح، ثم أحسن إلى السبايا وردهم، فسئلت عنه فقالت: ما رأيت كافراً أحسن من يزيد.

وقال أبو الفرج: إنها لما كانت في عصمة زيد بن عمرو بن عثمان بعد عمر ابن حكيم بن حزام، وكان زيد بخيلاً فحجَّ وهي معه فلم تدع إوزة ولا دجاجة

(١) في الأغاني: «الحسن».

(٢) في الأغاني: «أمينة».

(٣) الأغاني ١٦/١٤٧.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ١١٨.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٣/٥١٠، شرح نهج البلاغة ١٩/٣٥٥، المعاني ٨٧، المحاسن والمساويء

١/١٥٧، الغدير ٣/٥٨، أعيان الشيعة ٤٢/٥١، ديوانه صنعه الأعرجي قطعة ٤٩.

(٦) هذا البيت من نسخة ب.

ولا خبيصاً إلا حملته معه، فنزلوا بالسيالة^(١)، فأمر زيد بالطعام أن يُقدّم، فلما جيء بالأطباق أقبل أغيلمة من الأنصار ليسلموا على زيد، فلما رأهم صاح: أوآه إرفعوا إرفعوا وهلموا الماء الحار، فلما كان الغد أمر بتقديمه، فأسخن وجيء به فإذا مشيخة من قريش قد جاؤه مسلمين، فأمر برفعه، فلما انصرفوا أمر برده وقد بَرَد، فقال لأشعب: هل يمكن أن تسخن هذه الدجاج، فقال: أخبرني عن دجاجك؟ هذه هي من آل فرعون فهي تُعرض على النار بكرة وعشياً^(٢).

وأسند أبو الفرج: عن إبراهيم بن المهدي بن المنصور قال: لما ولاني الرشيد خراسان استصحبت معي عبدة بن أشعب المدني صاحب النوادر في الطمع، فركبت في الطريق حمارة وهو عديلي، فاشتد البرد ذات ليلة فدعوت بدوّاج^(٣) لاستدفيء به، ثم قلت لابن أشعب: ما بلغ من طمع أبيك؟ فقال: خل طمع أبي فأعجب منه طمع ابنه، قلت: وما ذلك؟ قال: لما استدعيت آنفاً بالدوّاج لم أشك إنك تجعله علي فغلبني الضحك وخلعت عليه الدوّاج، ثم قلت: ما أحسب أن لك قرابة بالمدينة، قال: اللهم اغفر لي بالمدينة قرابات وقرابات، قلت: أيكونون عشرة قال: وما عشرة؟ قلت: فعشرين؟ قال: لا تذكر العشرات ولا المثين وتجاوزهما إلى الألف، وما أكثر من ذلك، قلت: كيف وليس بينك وبين أشعب أحد، فقالت: إن زيد بن عمرو بن عثمان تزوج سكينه بنت الحسين عليه السلام ثم استأذنها في الحج فأبت أن تأذن له إلا أن يخرج معه أشعب فيكون عيناً لها عليه لثلا يتخذ جارية أو يعرج على جواريه بالعرج، وكان أشعب يخف على قلبها ويختص بخدمتها، فخرج وخرج أبي معه، وكان لزيد فرس بهي المنظر، حظي عنده وله سرج وحلة لا يركب بهما إلا في يوم زينة وله طيب كذلك، فنزل زيد بقرية من العرج^(٤)، فاستدعى أبي وأحضر صرة فيها أربعمائة

(١) السيالة: أرض يطؤها طريق الحاج، قيل: هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة، قال ابن الكلبي: هرتبع بها بعد رجوعه من قتال أهل المدينة وواديها يسيل فسموها السيالة. «معجم البلدان ٢٩٢/٣».

(٢) الأغاني ١٦٦/١٦ - ١٦٧.

(٣) الدوّاج: ضرب من الثياب «لسان العرب ٢٧٧/٢».

(٤) العرج: قرية جامعة في واد من نواحي الطائف، إليها ينسب الشاعر العرجي «معجم البلدان ٤/٤».

دينار فقال له: هذه لك على أن تأذن لي بالمسير إلى العَرَج والمبيت به وأغلس^(١) عليك، على أن تكتم ذلك من سكينه، فأذن له وحلف على كتمان الأمر، فما سار قدر نصف ميل حتى وثب أشعب إلى خرسة فأسرجه بأسرجه الحفيل ولبس الحلة، وتطيب بالطيب، ومضى إلى الحي الذين كانوا بأزائهم، وكان رجالهم غيباً فأقام في محادثة النساء إلى العصر، ثم انصرف رجال الحي من وجهتهم فأقبلوا يمرّون عليه فيقولون: من الرجل؟ فينتسب في نسب زيد، فيقولون: ما نرى بأساً، إلى أن مرّ عليه شيخ فانّ على حجرة هرمة فأخبره كما أخبر غيره. قال أشعب: ثم رأيت الشيخ قد وقف ووضع يده اليسرى تحت حاجبه وجعل يتفرّس في فأوحشت منه، فاستويت على الفرس فسمعتة يقول: أقسم بالله ما هذا بوجه قرشي، وما هذا إلا وجه عبد، فركبت الفرس وهو يتبعني ويقول: من أنت؟ فلما أيس من اللحاق أخرج سهماً فرماني، فوقع في مؤخر السرج فكسره، ودخلتني روعة أحدثت لها في الحلة، ووافيت الرجل وقد غشي الظلام فغسلت الحلة ونشرتها فلم يجف، وغلس زيد من العَرَج فرأى الحلة مغسولة والسرج مكسوراً، والفرس قد أضرب به الركض وسقط الطيب مخضوضاً، فسألني فصدقته، وقال: ويحك ما كفى ما فعلت بي حتى انتسبت في نسبي فجعلتني حباشاً^(٢) عند أشراف قوم من العرب وسكت عني.

فلما قفلنا سأله سكينه عن خبره، فقال: يا بنت رسول الله وما سؤالك إياي هذا ثققتك فسليه، فأخبر بها إني لم أنكر عليه شيئاً ولم أطلق له الاجتياز بالعَرَج، وحلفت لها بالأيمان المحرّجة وبالطلاق، فلما فرغت قام بين يديها وقال: والله يا بنت رسول الله لقد كذبتك العليج، ولقد أخذ مني أربعمئة دينار إلى أن أذن لي بالمبيت بالعرج والمقام بها يوماً وليلة، وغشيت به عدّة من جواربي وأنا تائب مما كان مني، وقد وهبتهم لك وهنّ موافيات الليلة، وأنت أعلم بما ترين في عبد السوء.

قال أشعب: فأمرتني بإحضار الأربعمئة دينار واشترت بالجميع بيضاً وتبناً

(١) غلس عليه: ذهب إليه في الغلس، والغلس ظلمة آخر الليل، والجمع أغلاس.

(٢) في الأغاني: «جماشاً». والجمش: المغازلة، ضرب بقرص ولعب، وقد جمشه وهو يجمشها أي يقرصها ويلاعبها، والجماش الذي يغازل النساء ويلاعبهن، والتجميش، المغازلة «لسان العرب»: مادة جمش.

وسرجنا^(١) واتخذت بيتاً من خشب، وأمرتني أن أحضر البيض فيه، وحلفت لا أخرج منه إلا من الفراخ، فجاء من تلك الحضنة آلاف من الفراريج رمين في دار سكيئة، وكانت تقول من بنات أشعب ونسل أشعب، فبالمدينة اليوم من هذا النسل ما لا يحصيه إلا الله تعالى، فكلمهم قرابة لي.

قال إبراهيم: فضحكت منه حتى استلقيت، وأمرت له بعشرة آلاف درهم^(٢).

وحكى سليمان بن حرب قال: رأيت سكيئة بنت الحسين رضي الله عنهما^(٣) ترمي الحجار فسقطت من يدها الحصاة السابعة فرمت بخاتمها عوضاً عنها.

وكان مصعب بن الزبير يتمنى أن يُرزقها ويجمع معها العقيلة الأخرى عائشة بنت طلحة التيمية^(٤)، فنالهما وبلغ أمنيته وأمهر كل واحدة منهما ألف ألف درهم، ولما بلغ أخاه عبد الله ما أمهر به عائشة قال: إن مصعباً قدّم أيره وأخّر خيره^(٥).

فقال مصعب: لكن والله أخّر خيره وأيره.

وقال فيه الشاعر:

مهر الفتاة بألف ألفٍ كاملٍ ويبيت سادات الجيوش جياعا
وفي نكاح السيدة سكيئة من نكحت من قريش؟ دليل أن الثابت كفاة قريش
بعضها لبعض.

وكانت عائشة هذه لا تستر وجهها عن أحد، فلامها مصعب فقالت: إن الله وسّمني بميسم جمالٍ، أحبُّ أن يراه الناس، وما يقدر أحد أن يرميني بوصمة، وكانت لا تمكّن مصعباً من نفسها إلا بعد تعب، فاحتال لها بحيلة طويلة ذكرها

(١) كذا في الأصل.

(٢) الأغاني ١٥٣/١٦ - ١٥٨.

(٣) حول سكيئة بنت الحسين أنظر ما كتبه توفيق الفكيكي في «سكيئة بنت الحسين» والسيد عبد الرزاق المقدم بنفس العنوان.

(٤) أفرد الأصبهاني في الأغاني فصلاً في «أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها» ١٨٠/١١ - ٢٠٠.

(٥) أنظر: الأغاني ١٨٦/١١.

الأصبهاني كعادته في بسط الأخبار التي تتعلق بالمخنثين، لأنها كانت شكسة الخلق، وكذاك نساء تيم وكانت أختها أم طلحة تحت الإمام أبي محمد الحسن ابن علي، وكان يقول: والله لربما حملت ووضعت وهي لي مُصَارِمَةٌ^(١).

ولما قُتِلَ عبد الملك بن مروان مصعباً تزوج عائشة عمر بن عبد الله بن معمر فحمل إليها خمسمائة ألف درهم مهراً، ومثلها هدية وقال لمولاتها: لكِ عليّ ألف دينار إن دخلت عليها الليلة، وأمر بالمال فحمل وألقي في الدار، وغظي بالثياب، فقالت لمولاتها: ما هذا أفرش أم ثياب؟ قالت: انظري إليه، فنظرت فإذا المال، فتبسمت فقالت لمولاتها: أجزاء من ساق هذا أن يببت عَزَباً؟^(٢) قالت: لا، ولكن لم أتزين ولم أستعد، قالت: «بم ذا، فوالله لو وجهك أحسن من كل زينة وما تمُدِّين يدك إلى طيب أو ثياب إلا وهو عندك، وقد عزمت عليك أن تأذني الليلة! قالت: نعم، فذهبت إليه، فقالت: بت بنا الليلة، فجاءهم عند العشاء الآخرة فأدنى له طعام فأكله كله حتى أعرى الخوان فسأل عن المتوضأ فأخبرته، ثم قام يصلي حتى ضاق صدر المولاة^(٣) ونامت، ثم قال: عليكم إذا فأدخلته وأسبلت السر عليهما وعدت له في بقية الليلة على قصرها سبعة عشر مرة دخل المتوضأ فيها، فلما أصبح وقفت على رأسيهما فقال: أتقولين شيئاً؟ قالت: نعم، والله ما رأيت مثلك أكلت أكل سبعة، وصليت صلاة سبعة، ونكثت نيك سبعة، فضحك وضرب بيده على منكب عائشة وقال: كيف رأيت ابن عمك، فضحكك، وغظت وجهها وقالت:

قد رأيناك فلم تحل لنا واختبرناك فلم نرض الخبير

ذكر ذلك الأصبهاني في الأغاني^(٤)، وقد ذكرت أنه يرتاح للأخبار المؤنثة حتى كأنه مخنثاً عفى الله عنه.

قال: ولما تأيمت كانت تقيم بالمدينة عاماً وبمكة عاماً، وتخرج إلى مال لها بالطائف فتجلس بالعشيات في قصر لها وتناضل بين الرُماة، فمرّ بها

(١) المصارمة: المقاطعة، الاغاني ١١/١٨١.

(٢) العزب: من لا زوج له، رجلاً كان أو امرأة.

(٣) في هامش الأصل: «المولاتها».

(٤) ١٨٩/١١ - ١٩٠.

النَّمِيرِيَّ^(١) الشاعر فقالت: أنشدني مما قلت في زينب^(٢)، فامتنع وقال: ابنة عمي وقد صارت عظاماً بالية، فأقسمت عليه فأنشدها:

مَرَرْنَ بِفَخٍّ ثُمَّ رُحْنَ عَشِيَّةً يُلَبِّينَ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتِ^(٣)
يَخْمِرْنَ أَطْرَافَ الثِّيَابِ مِنَ الثَّقَى وَيُخْرِجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ^(٤)
تَضْوَعُ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفِرَاتِ

قالت: والله ما ذكرت إلا جميلاً، ولا قلت إلا كرمًا وطيباً، اعطوه ألف درهم، وتعرض لها في الجمعة الآخرة فقالت: عليّ به، ثم قالت: انشدني من شعرك في زينب قال: أو أنشدك من شعر الحارث^(٥) فيك؟ فوثب مواليتها إليه، فقالت: دعوه، فإنه استقاد لابنة عمه، هات فأنشدها قول الحارث بن خالد المخزومي فيها لما رَحَلَ بها مصعب عن مكة:

رَحَلَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ وَغَدَوْا بُلْبُكَ مَطْلَعِ الشَّرْقِ
وَتَنُوءُ تُثْقِلُهَا عَجِيزَتُهَا نَهَضَ الضَّعِيفُ يَنْوُءُ بِالْوَسْقِ^(٦)

(١) هو محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة النميري: شاعر غزل، من شعراء العصر الأموي، كان كثير التشبيب بزينب أخت الحجاج، تهدده الحجاج، فلم يأبه له النميري، توفي في الطائف نحو سنة ٩٠ هـ.

(٢) هي زينب بنت يوسف، أخت الحجاج بن يوسف الثقفي - راجع الهامش السابق.

(٣) فَخٌّ: واد بمكة «معجم البلدان: مادة فخ»، الاعتماد في الشرع: زيارة البيت الحرام، بشروط مخصوصة.

(٤) اعتجر فلان بالعمامة: لَقَّها على رأسه ورد طرفها على وجهه، وفي الحديث: «أنه دخل مكة يوم الفتح معتجراً بعمامة سوداء».

(٥) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، من قريش: شاعر غزل، من أهل مكة. نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة. وكان يذهب مذهبه، لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء. وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها. وله معها أخبار كثيرة، وكان ذا خطر وقدر ومنظر في قريش، ولاء يزيد بن معاوية إمارة مكة، فظهرت دعوة عبد الله بن الزبير، فاستتر الحارث خوفاً، ثم رحل إلى دمشق وافتدأ على عبد الملك بن مروان، فلم ير عنده ما يحب، فعاد إلى مكة، وتوفي بها نحو سنة ٨٠ هـ. جمع الدكتور يحيى الجبوري ما وجد من شعره في كتاب «شعر الحارث بن خالد المخزومي - ط»

ترجمته في:

الأغاني ٣/ ٣٠٨ - ٣٣٩، و ٩: ٢٢٧ وتهذيب ابن عساكر ٣: ٤٣٧ وخزانة البغدادي ١: ٢١٧ ومجلة الأديب: يناير ١٩٧٣، الاعلام ط ٤/ ٢/ ١٥٤.

(٦) الوسق: مكيلة معلومة، وهي ستون صاعاً، والصاع خمسة أرطال وثلاث.

ما صبَّحت زوجاً بظلمعتها إلا غداً بكواكب الظُّلُق
قُرشيَّةً عبقَّ العبيرُ بها عَبَقَ الدَّهَانِ بِجَانِبِ الحُقِّ^(١)
بيضاءُ من تيمٍ كَلِفْتُ بها هذا الجنون وليس بالعشيق^(٢)

قالت: والله ما ذكر إلا جميلاً، إعطوه إلف درهم وحلتين ولا تعد بعدهما يا نميري. وكان الحارث كلفاً بعائشة، وخيره عبد الملك بين مائة ألف دينار أو يوليه مكة سنة، فاختر ولاية الموسم لما علم أن عائشة تحج ذلك العام، ولما حجت أرسلت إليه أن أخر صلاة العصر حتى أفرغ من طوافي فأخرها حتى كادت الشمس أن تجب، وجعل الناس يضجون، فما صلى بهم حتى فرغت وقال: لو لم تفرغ إلا الليل لأخرت الصلاة إلى الليل.

والعُرج، بفتح العين المهملة وإسكان الراء ويعدها جيم: ناحية بين الحرمين تكون تهامة من غربتها، وإليها ينسب العُرجي العثماني الشاعر.
وقد طغى القلم، والله يغفر لنا.

(١) الحق: وعاء صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرها.

(٢) الأغاني ١١/١٩٦.

حرفُ الزَّاي

[٧٤]

أبو المعالي ضياء الدين، زيد بن يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله أبي
الحسين محمد بن المنصور بالله أبي محمد القاسم بن محمد، السيد
الجليل الأديب، الشاعر المشهور، الحسيني الصنعاني المولد
والوفاة(*) .

أخ لي معسول الضمير وبعضهم حميم على إخوانه وغساق
فاضل يعجز عن تقريضه قلبي ولساني، ويكاد يغزو بناني، على عدم
تصديره في هذه الحلبة جناني، يذكرني النسيم إذا سرى، والبرق الملوح سحر
أباح الكرى وشرى، فإذا تذكرت عهده وذكاه تذكرت ما بين العذيب وبارق، وإذا
رويت خبره فاضل دمعي فتحار في مجرى عوالينا ومجرى السوابق، ومتى تقلدت
بجوهر شعره المنضد، لم أعوذ عليه بغير الصلاة على جدّه محمد، وأقسم بمعجز
شعره المكنون، وإنه لقسم عظيم لو تعلمون، إن واجب قلبي عليه ولو كان نائحة
العرب لا تقوم من قدره بالمسنون، وإن كل بليغ تحت رايته ولو أنه ابن زيدون،
لو عارضه بعلاء الدين الوداعي لتحقق جنونه بالسودا، ولو أدركه السراج لعدت
عينه بضيائه زمدا، أو ابن نباته لمرّ نباته، أو ابن الوكيل تعطلت خزاناته، أو
محاسن الشوا لخبث ناره، أو ابن الصائغ لتنحس نظاره، أو البدر بن لؤلؤ لعاد

(*) تمام نسه في ترجمة المؤلف بقلم المحقق في المقدمة.

ترجمته في: نفحات العنبر - خ -، البدر الطالع ٢٥٦/١، نشر العرف ٧٠٠/١ - ٧٠١.

لؤلؤه جزعا، أو صردر لسمع في نفسه ما قيل في والده ووعا، أو لبيد لهام في البيد، أو ابن الأبرص رأى الفرق بين السادات وعيد، فما روضة بكى الغمام شوقاً لها فضحكت، وعرفها عنبر النسيم فرقست أغصانها طرباً واهتزت وربت، وغنت الورق على عيدانها سحرا، وصاغ الطل الأنامل أغصانها خواتم دررا، بأبهي من شعره التنظيم، وعمده الخضر وإن صير قلب الخليل بفراقه كالحميم:

وكنت كندماني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتسطعا

وكان من أذكيا العالم، فلو أدركه ابن الجوزي جعله لكتاب الأذكيا حسن الختام، أو صاحب الذخيرة عيس وتولى حسدا وإن كان ابن بسام، وكان بيني وبينه بعد الأخوة النسبية والأدبية كما بين النسيم والأغصان، فلما فارقت واصلت لبنيه أعاصير الأحزان:

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر

ولقد مات وما زاد على أن فرق بين الأخوان.

وكانت ولادته بمدينة صنعاء وقت الضحى من يوم الخميس لخمس ليال بقين من ذي الحجة سنة سبع وسبعين وألف.

وولدت بعده بخمسة أشهر.

وأمه ابنة عم أبيه نفيسة بنت السيد الخطير أمير صنعاء أبي الحسن علي بن المؤيد بالله، فهو ذو الحسين، فلذا بات بالشعر والهمة، وهو الرضي.

قال القاضي الأديب الحسن بن علي بن جابر الهبل رحمه الله السابق في حرف الحاء يهنى والذي بحدوثه:

كنانة عز فوقت للعدي نضلاً
وأفق فخارٍ أطلع البدر زاهراً
وروضةً فضلي أنبتت غصن سؤددٍ
وغايةً مجدٍ أطلعت للعلى شبلًا^(١)
يُنير قَيْملاً نورُهُ الحزنَ والسَّهلاً
علاً فوق دوحات المكارم واستغلى^(٢)

(١) الكنانة جمعة السهام. وفوق السهم: جعل له فوقاً، والفوق. مشق رأس السهم حيث يقع الوتر.

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة.

ونجلاً لخير الرسل أكرم به نجلاً^(١)
 فيا حبذا فرعاً، ويا حبذا أضلاً
 يقود إلى أعدائه الخيل والرجلاً^(٢)
 ويجمع للدين الحنيف به شملاً^(٣)
 ويوسع أهل الأرض من حكمه عدلاً^(٤)
 قصور للناس السماحة والفضلاً^(٥)
 جواداً إذا صلت فوارسها جلى^(٦)
 به جمع الله السيادة والنبلاً^(٧)
 إذا كانت الأملاك في ساقها حجلاً^(٨)
 يبين لنا - من نهجه الواضح - السبلاً^(٩)

ونجم به ترمى حواسد مجده،
 وفرع كمال أضله سيد الورى
 وملك نضاه الله سيفاً لدينه
 يشتت شمل الكافرين بعزمه،
 ويهدم ربع الظلم بالبيض والقنا،
 أرى الله منه الخلق باهر صنعه
 وأبرزه في حلبة المجد والعلى
 ليهن عماد الدين منه مسود
 غدا للمعالي قبله في جبينها
 فلا زال فينا ما أقام «يلملم»

وهي طويلة كقدره، ولا أقول كعمره، فإنه كزمن الورد.

ونشأ بصنعاء فحفظ غيباً القرآن، وحير بذكائه قبل اشتعال يفاعه الأذهان،
 وكنت رفيقه في تعلم المثاني، ومن بحره انسجت لي بحر هذه المعاني، وبه
 انتفعت وبنهر أدبه انتفعت.

وأخذ النحو عن شيخنا الإمام الحسن بن الحسين بن المنصور الصوفي
 المذكور في الحاء^(١٠)، وعن القاضي الفاضل أحد الأذكىاء الحسين بن عبد الله
 المسعودي الشبامي أيضاً.

(١) النجل: الولد، والنسل.

(٢) الرجل: جمع راجل: من يمشي على رجله لا راكباً.

(٣) الشمل: ضد ما اجتمع من الأمر وما تفرق منه حسب السياق؛ يقال: شئت الله شملهم: أي ما
 اجتمع من أمرهم، و«جمع الله شملهم»، أي ما تشتت من أمرهم.

(٤) الربع: الموضع يرتبعون فيه، وارتبع بالمكان: أقام فيه زمن الربيع.

(٥) باهر صنعه: عجيب صنعه.

(٦) جلى الفرس: سبق في الميدان، وصلى: تلا السابق فالأول: المجلي؛ والذي يليه المصلى.

(٧) عماد الدين: يدعى به من اسمه «بحيى» مثل صفى الدين، لأحمد و«فخر الدين» لعبد الله، و
 «وجيه الدين» لعبد الرحمن، الخ.

(٨) الحجلى: الخللخال.

(٩) يلملم: جبل على مرحلتين من مكة. وهو ميقات أهل اليمن، والقصيدة في ديوان الهبل ٢٢٦ -

٢٢٨.

(١٠) ترجمه المؤلف برقم ٤٥.

لا ينسى شيئاً مع إتقان الحفظ، ونظم الشعر قبل بلوغ العشر السنين،
وشعره ربيع القلوب ونزهة الخواطر، ما لحقه فيه حبيب، ولا تبلى مثله محبوب،
وجمعت منه ما كان أنشدني أو كاتبني به وهو اليسير وشذني منه الطيب الكثير،
وسميت المجموع: «طلوع الضياء» ولم يتزوج.

وإنما اخترت له هذه الكنية لمناسبتها حاله، فقد كانت الدنيا إلا المعالي
عنده أهون على الحجاج من تباله، فمما أماس في غلائل الرقة، وأشبهه سحر
العيون بمعانيه والحضور في الدقة، ما كتبه إليَّ أيام التلاقي، وقرّة العيون
والمآقي:

واكتسى الأفق حلة الأنوار
من سنا الشمس بعد در الدرار
فطارت بجومه كالشرار
ينفض الشهب قبلها كالنثار
نقلت نحوها النجوم السواري
قد دعتنا بالسن الأطيّار
بغنا عند ليبها والهزار
خيما فوقنا من الأشجار
س وفي جيدها حلى الأزهار
حساماً لقطع محل الديار
يلتهى بالجنان والأنوار
تحت ظل الغصون ذات الثمار
وشقيقتي وسوسني وبهار
ويحظي من ورده بالنظار
لا على درهم ولا دينار
غير أوصاف يوسف ذي الفخار
عن محلّ الشموس والأقمار
نداه كغيثه الممدّار
كسفا الشمس لاح للنظار
يهتدي من سنائه بالأنوار

قم فقد ألممت صبا الأبرار
واحتلى جیده قلادة تبر
دب جمر الصباح في فحمة الليل
خال شمس الضحى عروساً فأضحى
وانجلى الزهر في الرياض فقلنا
فأجبني إلى رياض زواه
وكفتنا عن مزهر ورباب
فرشت تحتنا النبات وأرخت
شجر كالحسان أوراقها اللب
ويسيل النسيم فيها من النهر
فاز من بات في الربيع وأضحى
يعقد الأنس فوق بعض السواقي
بين وردٍ وندرجسٍ وأقاح
يحتوي فضة من النرجس الغض
إن ذوى نرجس وورد بكاه
ما لفضل الربيع في الحسن شبه
نجم أفق العلى الذي قد تسامى
خلقه كالنسيم والخلق كالزهر
مفرد العصر في فخار جليّ
وأمام البيان فالكل منا

فكره جمرة فسبحان ربي
هاكها بنت فكرة زفها الفهم
طالباً في صداقها صدق ودُّ
دمت ما قال ناشق الروض صباحاً

قد قضى للخليل برد النارِ
إلى كفؤها زفاف الجوارِ
كودادي في سره والجهارِ
قم فقد ألممت صبا الأبيكار^(١)

تأمل هذا الشعر، وتمسك برقى هذا السحر، فلو رآه الحسن بن هاني لرأى
بهجة نيسان وترك مرحباً بالربيع في آذار.

وأما تشبيهاته الروضية والأفقية فيعوّذها ابن شبل والصنوبري بالنجم والتين،
ويستيقن الدارمي أنه عن معارضتها مسكين، واشتهرت هذه العقيلة لحسنها اشتها
فضل ناظمها.

وأنشدني روض الله روحه من شعره المعجز:

ماذا روت لك عنه النسمة العطره
وما أسرت إليك الورق إذ هتفت
تلك الحمام حكاني نوحهن ولو
بعت التصبر من ورق الغصون ضحي
أضححت تذكر بالمحبوب ذا
بدر من الإنس يحكي حسنه ملكا
وكم نهى جاهل عن غضبن قامته
قبحاً له عدل المضمي ولو عرفت
أهواه معتدلاً لم يبق معطفه
ذو طلعة لو أطاف الأفق حين بدت
لما استقل بملك الحسن صار إذا
بالعين اسقمتني والبراء ضم يدي
نومي بمبسمه المنظوم شرده
قد كان بواء ظل الوصل عاشقه

حتى علقت بأسباب الشجا الخطره
صبحاً فاسبلت من غم البكامطره
حاكت ضنائي غدت بالصدق مشتهره
أرجو فلاح الهوى في بيعة الشجره
وليه ما زاره الرشأ الأحوى ولا ذكره
كم لام فيه شياطين الهوى الفجره
وليس عندي لذاك القول من ثمره
نفس المملح بما يلقا به غدره
في الروض حظاً لأغصان اللوا النظره
لما جلى شمسه يوماً ولا قمره
واقاه مني كثير الصبوة احتقره
للخصر منك ورشف الريقة الخضره
عن مقلتي ومضى صبر الحشا أثره
واليوم حل هجير الشوق إذ هجره^(٢)

(١) نشر العرف ١/٧٠٢ - ٧٠٣.

(٢) نشر العرف ١/٧٠٣ - ٧٠٤.

قلت: بيعة الشجرة بها أعطاه الأدب بيعة الرضوان، فرقصت فرحاً حتى
القضب بالعيدان، ولم يسبق إليها شاعر ولا حشرج، والله أو من آخرون وخرج.
وأنشدني من شعره الجامع بين ظبا الكناس، وأسود الأجناس في الحماسة
المدمجة بالغزل وهو الإفتان:

وبها يغلب الفتى الغلابُ
وما رعنه الظبا والحرابُ
فغدت تستقي بها الأعشابُ
قلت عني وما أنا الكذابُ
ظامياً في لظى البقاع السرابُ
أسود بهم يعزّ الجنابُ
صدّني عنه لا الحماة الغضابُ
سيوفاً يموج منها العبابُ
رؤع الأسد من شباه الذئابُ
مثلما جد باللسان السبابُ
أشهد البدر حوله الأترابُ
أين ذاك الحجاب والحجابُ
عبرتي واعتري جنابي التهابُ
رة مرقاً وللدموع انصبابُ
در بما ضم برده والنقابُ
س كما غصّ من سناها السحابُ^(١)

هاب عينيك عاشق لا يهابُ
ذل قلبي لمقلتيك وعطفيك
أعين قد أسلننها من جفون
وقوام سئلت هل فيه ميل
غرني وعده كما غريوماً
كيف لي باللقا ودون حما الظبي
صون عرضي وخوف سخط حبيبي
كنت لو يرتضي أزور ولو خضت
بيدي صارم متى ما انتضته
وأصمّ الكعوب يبدي سناناً
بهما أخرق الصفوف إلى أن
وتقول الوشاة عند دخولي
غاض صبري عن المليح وفاضت
فرق ما بين حالتي فلللف
همت وجرماً بفاضح الغصن والب
قمر تختفي لدى وجهه الشم

وله من قصيدة كتبها إلى السيد علي بن قاسم العادل الأديب:

إن صدها عنكم الواشي فلا سلمت
رقت ولا عادها النوم الذي عدت
عنكم ولكن جفوني بالبكا كرمت
تلك القريحة نثر الدمع وانسجمت

نفس المحب من اللوام قد ألمت
والعين إن شبهتكم بالملاح فلا
أما الحشا فهي بالسلووان باخلة
تنثي الدموع لكم عيني فقد ألفت

(١) بعضها في نشر العرف ٧٠٤/١.

فالأدمع انسكبت كالتبر وانسبكت
لا تغبطوا مقلتي ريثاً بمدمعها
أحبابنا هل يعود الوصل مقتبلاً
والآن قام لتعليق الفراق بنا
لي في حماكم مليح عَلَّمُوهُ بِهِ
أهواه وهو إلى الأهواء منجذب
محتجب وحماء في حشاي فلو
لو شاء نضى لهم سيف الرنا وثنى
أفديه من قمر من قاس طلعتة
تاه الهلال بأن حاكي قلامته
ليت الترائب مني صيرت أبدأ
لما نأى رحلت تلقاء ساحته
إذا ألم به نشر النسيم سلى
كم طرف نرجسة يبكي بدمع ندى
لولا له لم يخلق الله الجمال ولا
حزت الغرام برغم العاشقين كما

والأضلع انضمرت بالشوق وانصرفت
فلم تكن لمنام بعدكم طمعت
إذ نلت منكم قبولا حليه انتظمت
قوم إذا شرحت أقوالهم فهمت
قبح الصدود وفيه صبوتي علمت
يصغي لأقوال حساد لنا رغمت
تدري بخيبتها حرّاسه ندمت
رمح القوام فألقاه وقد هزمت
بالشمس أنصف يوماً وهي قد ظلمت
والكشب حين حكّت أردافه عظمت
ضمير المعاطف دأباً منه والتزمت
مسرّتي وإذا ردّ اللقا قدمت
بقده عن غصون في الربى نعمت
إن لاح طلع ثناياه التي بسمت
أرى الصبابة لولا مهجتي قسمت
حوى عليّ العلى والصيد قد رغمت^(١)

ثم خرج إلى المديح، وإذا تأملت هذه الطريقة، وسرّحت الحدقة في
الحديقة، وكنت بدمعاً منصفاً، علمت أنه شفى الأدب وكان على شفا.

وأما قوله:

تنثي الدموع لكم عيني فقد ألفت
فترك القريحة فريحة، والجوارح
تلك القريحة نثر الدمع وانسجمت
حسداً جريحة.
وأشيدني رحمه الله لنفسه إجازة:

من قدر الليث لظبي الصريم
ومن يقضى رب القنا والظبا
ذلك تقدير العزيز الرحيم
للابس العقد ولاوي البريم^(٢)

(١) بعض آياتها في نشر العرف ٧٠٥/١.

(٢) هذين البيتين في نشر العرف ٧٠٥/١.

وصير الفاتك في درعه
أسير حجل قد سبى مطلقا
بات سليماً عن هواي الذي
من لي به محتجباً قد غدا
بالبيض والسمر حموه وقد
مبسمه قد عزّ عن لائم
حكم الهوى صيرني طوعه
يشبه عنه الوجه في شعره
فاعجب لبدر دام في تمه
كم من رقيب وعذول لنا
لم يقدر الكل على سلوتي
يحمل تسليمي إليه فإن

طوع جبان في رداه الرقيم
حل به سجن الغرام الغريم
بتّ به في مثل ليل السليم
تلقاء عيني وثوى بالصميم
كفت رناه والقوام القويم
فاعجب له كيف يعزّ اليتيم
والحب قد يسلب لبّ الحلِيم
صبحاً بهياً وظلاماً بهيم
وصرت كالمرجون فيه القديم
فيه وواشٍ قد مشى بالنمِيم
ولم يبُخ سرّي لغير النسِيم
ردّ سلاماً عاد طيب الشمِيم

وأنشدني من لفظه لنفسه في قهوة البنّ الشرسِي^(١):

لله قهوة قشر في الإناء بدت
أهدى لنا شرسٌ منها لطافته
كالمسك في لونها المرموق والنفس
فاعجب للطف حوينا من الشرسِي^(٢)

وما أحسن قول محمد الرومي الشهير بمآماي^(٣) نزيل الخيال^(٤)، أحد
شعراء الريحانة في قهوة البنّ على لسانها:

أنا المعشوقة السّمرا
وأجلى في الفنّاجين

(١) الشرسِي: نسبة إلى شرس بفتح الشين المعجمة وكسر الراء وبالسّين المهملة: وهو واد ببلاد حجة غربي صنعاء.

(٢) نشر العرف ٧٠٢/١.

(٣) وهو محمد بن أحمد الرومي المعروف بمامية (ماماي) الشاعر المشهور، أصله من الروم، وقدم إلى دمشق في حال صغره، وكان في أول أمره يتكرجيا، ثم عزل، واهتم بالأدب وقول الشعر، ثم تولى الترجمة بمحكمة الصالحية، ثم بالكبرى وعزل منها، ثم تولى القسمة فأثرى، كان إليه المنتهى في الزجل والموال والموشحات، توفي سنة سبع وثمانين وتسعمائة.

ترجمته في: خبايا الزوايا، ديوان الاسلام - شذرات الذهب ٤١٣/٨، الكواكب السائرة ٥٠/٣، ريحانة الألبا ١٥٨/١ - ١٦٤.

(٤) في الريحانة: «ابن أخت الخيالي».

ومسك الشُّرك في لون وصيتي شاع في الصَّين^(١)

وأنشدني السيد علي بن قاسم العادل لأخي ضياء الدين المذكور في
الاقتباس:

إذا قبَّلَتْهَا خجلت فيسري على وجناتها البيض إحمرارُ
كأنَّ بخدَّها مصباح نور يكاد يضي ولم تمسه نار^(٢)

وأنشدني رحمه الله من لفظه لنفسه مع التورية:

لقد حدثت بذور الضرب أمور تسخط الخالق
أخفَّ الوزن طارقها وما أدراك ما الطارق
وأنشدني أيضاً:

أراد أهلي سلوي عن هوى رشاً من سحر عينيه لاقت مهجتي وصبا
فصار يعصيهم قلبي الحزين وما أطاع أماً عليه في الهوى وأبا^(٣)

وما أحسن قول يحيى الخباز الحموي:

أصبحت في العالم إعجوبة عند أولي المعقول والفهم
جدي حموي فاسمعوا واعجبوا وما كفى حتى أبي أُمِّي



رجع، وأنشدني لنفسه أيضاً في تضمين قول الحماسي مع نقل معناه:

الجو حاد على الرياض بوبله وغدا يقول لها وقد ذهب الصدا
لسحابتي فضل عليك ومئة وإذا صحوت فما اقصر عن ندا

المضمّن عجز الأخير، وقد أبدع كعاداته.

والندي، بالقصر والمد: اسم للجود والماء القليل، وأصله:

وإذا سكرت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

(١) نشر العرف ٤١٩/١.

(٢) نشر العرف ٧٠٢/١.

(٣) نشر العرف ٧٠٢/١.

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائي وتكرمي

وله رحمه الله تعالى في فرس وهبه له أخوه جمال الدين علي بن يحيى :

احذر تقيس على علي غيره ليس الأسافل والأعالي تستوي
لو لم يكن بحر المكارم والندی ما جاد لي من فيضه بالثلوي

والبيت الذي صدرت به ذكره وهو :

أخ لي معسول الضمير وبعضهم حميم على إخوانه وغساق

وهو من قصيدة كتبها إليّ، وقد كاتبني بقصائد طنانة ضمنها ديوانه، وهو
مجيد سباق في فنون الشعر الأربعة، وله موشحات.

ورأيت بخطه في الشعر الموّال :

يا خل لا تعتقد إني أباريقك سامزج رضابك مع خمرة أباريقك
راضي بحبك على ظلمك وداعي لك من قبل نبيك وفي ساعة وداعي لك

ومن منشوره رحمه الله تعالى في أثناء تقرّظ ديوان، وأودعه من شعره ما
يغني به البديع، يرتد مسلم لو وعاه عن قول الشعر ويتوب عن المعاودة للخليع،
فلو نظم في الزمن القديم لأخرج الخليل عن الكعبة الملعقات السبع، ولما روى
غيره شيئاً من قوافي الشعر وفقرات السجع، ولو رآه صاحب الريحانة لعد ريحانته
بالنظر إليه من القول، أو صاحب قلائد العقيان لنشر قلائده بين الحصى في
مجارى السيول، ولو شامه صاحب القطر النبائي^(١) لصناع قطره على لَج بحره
الفائض، أو صاحب الغيث لقال كان كتابي هذا كامل حتى أصابه هذا العارض،
ولو تلي على الحسناء لأظهر بها رقيق ألفاظه كما تطرب بصوتها الرخيم،
ولتوهمته سرق من حلية جيدها فجعلت كما قال المنازي: «تلمس جانب العقد
النظيم».

وكانت وفاته يوم عيد النحر سنة أربع ومائة وألف بصنعاء، ودفن بحربة
الروض. رحمه الله تعالى وتجاوز عنه وقدس سره :

وإذا الشرى عفى على حسنٍ فعفى الشرى عن وجهه الحسن

(١) كذا في الأصل.

فكأنما عناه العزيز بالله نزار^(١) حيث قال:

أولنا مُبْتَلَىً وآخِرنا
طراً وأعيادنا مآتمنا^(٢)

نحن بنو المصطفى أولوا محنٍ
يفرح هذا الوري بعيدهم

وما بلغ عمره ثلاثين سنة.

وقلت أرثيه:

يا وارد الخلد والأحشاء في السَّعْرِ
لو كوشفوا لرأوا جبريل بالبصرِ
وعزَّت الشهب أفق المجد في القمرِ
رجا الإياب كما يرجي أخو السَّفرِ
أو كالذي نظمت عيناك من درر^(٣)
من بعض نظمك سلك الزهر والزهرِ
وداع مرتحل ما لذَّ بالعمرِ
وكيف يسفر وجهه عن حلاك عري
مما بفضلك قد قلدته فكري
فخصصت عمرك الأيام بالقصرِ
هذا وخذك لم يلتف بالشعرِ

سقى ثراك غزير الدمع لا المطرِ
راحوا بنعشك والأملك تحمله
وقطعت عقدها الجوزاء من أسفِ
رحلت عنا على كرهٍ وليس لنا
أبكيتنا بدموع كالعقيق جرت
لهفي لأحجار لحدٍ فوقك انتظمت
دجى سروري وقد ودعتني عجلًا
يا زيد بعدك وجه الأنس منكسف
تنشي رثاءك أشعاري ولؤلؤها
بلغت غاية ما تعلو الكرام به
حليت جيد الليالي بالنظام حلاً

(١) نزار (العزيز بالله) ابن معد (المعز لدين الله) ابن المنصور العبيدي الفاطمي، أبو منصور: صاحب مصر والمغرب. ولد في المهديّة سنة ٢٤٤هـ، وببيع بعد وفاة أبيه (سنة ٣٦٥هـ) وكانت في أيامه فتن وقلاقل. وكان كريم الأخلاق، حليماً، يكره سفك الدماء، مغرّياً بصيد السباع، أديباً، فاضلاً. وفي زمنه بني قصر البحر وقصر الذهب وجامع القرافة، في القاهرة. وهو الذي اختط أساس الجامع فيها، مما يلي باب الفتوح، وبدأ بعمارته (سنة ٣٨٠) وخطب له بمكة. وطالت مدته، إلى أن خرج يريد غزو الروم، فلما كان في مدينة بليس أدركته الوفاة سنة ٣٨٦هـ. ترجمته في:

مورد اللطافة لابن تغري بردي ٤ - ٦ وفيات الأعيان ٥/٢٧١ - ٣٧٦، المنتظم ٧/١٩٠، الدرّة المضيئة ١٧٤، وخطط المقرئزي ١/٣٥٤، ٢: ٢٨٤ وبلغة الظرفاء ٧١، مرآة الجنان ٢/٤٣٠، العبر للذهبي ٣/٣٤، شذرات الذهب ٣/١٢١، ابن خلدون ٤: ٥١ وابن الأثير ٨: ٢٢٠ و٩: ٤٠ الاعلام ط ٤/١٦/٨.

(٢) وفيات الأعيان ٥/٣٧٢.

(٣) نشر العرف ١/٧٠٧.

أنت الفقيد الذي أنست محاسنه
وكننت حجة أهل البيت قاطبة
أبكي عليك وقلبي يلتظي حزناً
يا سفح صنعا تعزّي عن سناك فقد
يا جربة الروض طيبي بالربيع ثرى
لا تطلبي الغيم سقياً قد كفاك هما
ما بعد فقدك في صنعاء من إرب
كانت بك الجنة الخضراء مثمرة
قد كنت ماء حياة النازلين بها
عليك فلتُبك عين المجد ما بقيت
تقصفت بعدك السمر اللدان وما
وأي عين عليه غير باكية
لكنه الدهر لا يبقي على أحد
لم ينج منه الذي ما بات يرقبه

ما خلّد الأذكيا في سالف العصر
وكيف أمسيت فيهم غير منتظر
أجارك الله من بجري^(*) ومن شرري
دعاه بالرغم منا داعي القدر
فقد تزينت بعد الجذب بالنهر
دمعي عن البحر والفياضة الغدر
لذي الحجى ولا في ريعها النضر
ومذ ثوى نهرها أقوت من الضجر
ولهى قعدتها جيرة الخضير
وتلطم الخد كفت العلم والنظر
أرضى المجالد حد الصارم الذكر
وأي قلب عليه غير منقطر
وإنما عيشنا من جملة الغرر
وليس يسلم منه صاحب الحذر

رحمه الله وعوّضه عن قصير عمره بجنة عرضها السموات والأرض، إنه

كريم.

[٧٥]

السيد العلامة ضياء الدين، أبو محمد، زيد بن الحسن بن الإمام
المنصور بالله أبي محمد القاسم بن محمد الحسيني الصنعاني المولد^(*).

فاضل تزين العصر بوجوده تزين الشرق بالفجر، وحمل له الجد على
المفידين بين أفاضل الدنيا راية الفخر، وتبسمت العلياء بفضله تبسم ثغر الروض
عن شنب القطر، ودبت علومه إلى طلابه ديب عذار الطلّ في وجنة الزهر،

(*) تمام نسه في الترجمة رقم ١٣.

ذوب الذهب، نضحات الأسرار المكية، طيب السمر، طبقات الزيدية، البدر الطالع ١/٢٥٣، نشر
العرف ١/٦٨٩ - ٦٩٩، الاعلام ط ٤/٣/٦١.

وأصبح الدهر من نتائج فكرته الذكيّة لأنباته قابسا، ولو ومضت برقة من أشعة علومه باليمن أضاءت قابسا، وأيقنا أنه المجد إذ ذقنا من حديثه العتيق، وتنزهنا من علومه بين رياض وردية ليس لها سواه شقيق، كم ردت فكرته عن ابن معين والواقدي فأروت الصادق، وكم قرّ بعينها من لأمه على كثرة دورانه حتى العيس والحادي، إلى أدب يتكدر بحسنه عيش الصفي، ويتمنى حبيب الطائي لو قيل سماعه طوي، وشعر كأنه عذبات البان، ومن لها أن يتحلى بعذباته التيجان، ودّته على أطواقها الورقا، وحسدته الرياض إذ حلاها إلى زهر الزرقا، فسجع المطوق بنسيبه، وثمرات الأوراق ما يجتنيه السامع من حلاوته وطيبه، وعلم لو رآه ابن باديس لاعترف لابن محمد، ولو أدركه النعمان لساح وترك الخورنق وتزهد، ولقال: مالك أنا عبد هذا النبوي المحتد، ولو دّ لو رآه أنه مات في المحنة أحمد، جمع علمي العقل والنقل وأجلى بطريق العود والعقل فأصبح وهو المجتهد المطلق، وكم رام شأوه أسيراً لبلاده فقصر، وأما هو مخلوق، فالمعالي إليه بعد هذا الكمال أشوق، من يعقوب إلى يوسف، ومن ادّعى بقيافته أنه يساويه فقل أحاديث القيافة زخرف، وألف المجاز إلى حقيقة الإيجاز في علم البيان، كتاب يترك ابن أبي الأصعب بغير بنان، فاتباعه عليه يجتمعون، وكالفراس على نار سنائه يقعون، وأما أخلاقه فتترك برد النسيم أخلاقاً، فهي أرقّ من عتاب جحظة والزمان، وألطف من شمائل مخضوب البنان، فمن شعره:

<p>أتراه يكتّم ما تجن ضلوغُه صب ينم بما يكتّم دمعُه يجري العقيق من الدموع إذا سرى لم يثنه قول العذول وقلّ من يهدى له نشر الصبا في طيه فيزيده وجداً إلى وجدٍ كمن وبمهجتي من وجهت الحاظه بدر يحف بليل شعر فاحم أحوى لعاشقه الصبابة كلها إن فوقت أسهام لحظيه إلى ولربما لم تغن رب شجاعة</p>	<p>ويصح عن دين الغرام رجوعُه ويبث منه شجونه ويذيعُه برق عليه فيستبين ولوغُه في الحب إن عذل المحب يطيعُه عرفاً تعطر من ذكاه ربوعُه يشجيه نوح مطوق وسجوعُه جيشاً عليّ فلم تفل جموعُه والبدر في الليل البهيم طلوعُه وله من الحسن البديع جميعُه صب فليس سوى الفؤاد صريعُه من فتك ناظره الضعيف دروعُه</p>
--	--

فالحسن لفظ وهو معنى لفظه
ظلماً يروم البرق يحكي ثغره
ومن شعره أيضاً:

من لي برشف رحيق حل في فيكا
سل المدامع عن جفني فليس سوى
أفديك من شادن أسحار مقلته
وفاتن ما تبدى نور غرته
وفاضح الغصن قد منه ذو هيف
بدر لفظك قد صيرت كل فتى
ولا محاسن للظبي الغرير ففي
إن قلت تفديك روعي وهي قاصرة
حللت عقد اصطباري بالبعاد وقد
ولم تمن بوصول للمحب فما
رضيت ما ترتضيه من تلافى إن
فكن كما شئت إنني لا أزال على
وأسلك بصبك ما تختار من طرق
فليس عندي بديل في الملاح ولا
عذب بما شئت واصنع ما تريد سوى

وبزهر خديه النضير ربيعه
أين الشنيب وأين منه لموعه^(١)

ففي الفؤاد حريق من تچنيكا
نجيعها بغرام العتب ينبيكا
لا تستطيع لها الأفكار تفكيكا
ألا وأصبح نور البدر مشكوكا
دم المحب به قد صار مسفوكا
حراً على كل ما يرضيك مملوكا
سموط جيدك ما عن ذاك يغينكا
فمن على الأرض بالأرواح تفديكا
حللت قلبي وقلت حيلتي فيكا
قد نال من زفرات الهجر يكفيكا
كان التلاف لمن يهواك يرضيكا
عهدي القديم وقلبي ليس يسلكا
مسلوكة أو طريق ليس مسلكا
أرى الملاح بمعنى الحسن تحكيكا
تحريق قلب محب فهو بأويكا^(٢)

ومن شعره الرقيق، نقلته من خطه وقال نظمته في شهر جمادى الآخرة سنة
أربع وتسعين وألف:

وهمت عليه هواطل السُخب
ما بين منهل ومنصب
تهدي شميم المندل الرطب
والحال ان محلهم قلبي
سلبوا الفؤاد فهمت في السلب

سقت العهد معاهد السُخب
وفدت على أرجائه ديم
وله نسيم الصبح لا برحت
فبسفحه لأحبتي خيم
أوجبت حبهم عليّ وقد

(١) نشر العرف ١/ ٦٩٦ - ٦٩٧.

(٢) نشر العرف ١/ ٦٩٥ - ٦٩٦.

فارقتهم جسماً وعندهم
وبمهجتي في سفحهم قمر
نضح الأهله طلعة وزهت
في ريقه خمراً معتقة
ودعته والقلب متقد
والحال تنشد والدموع دم
وظننت أني بعد فرقته
فجنحت عن تذكاره وغدا

روحي وأدمع مقلتي تنبي
تغنيه مقلته عن العضب
هيفاء قامته على القضب
تزري بخمرة أكؤوس الشرب
ومدامعي تنهل بالسكب
دمعي عليك مجانس قلبي
أقضى وجوباً عندها نحبي
لي مذهباً مدح الفتى التذب

وله من قصيدة كاتب بها القاضي محمد بن إبراهيم السحولي - الآتي ذكره
إن شاء الله تعالى^(١) :-

بانوا فسالت على خديه أدمعه
وقوضوا خيماً عنه وإن لهم
وفارقوه فلا يدري أودعهم
يستنبيء الريح طوراً عنهم خيراً
ويسأل الركب عنهم أين أم بهم
ما كان يحسب تفريق الزمان لما
وفيهم رشاً ما زارني حذباً
كم ليلة بثت أجنبي ورد وجنته
ولا رقيب سوى صبح يتم بنا
أفديه من خوط بان مثمراً قمراً
ورب فتية عذال تعنفني
تغري بتجذيرها قلبي فأنشدها

مورق الجفن مغرى القلب مولعه
مضارباً قد حوتها منه اضلعه
أم روحه قد غدا جهراً يودعه
وتارة سره المكتوم يودعه
حادي المطي فلا ينبي فيسمعه
قد كان من قبل أن يقضيه يجمعه
إلا ونور محياه يروعه
ولست أدري ما الأيام تصنعه
(وأدمعي مستهللات وأدمعه)
في قلب مغرمه المشتاق مطلعته
على هواه ولا أقوى فأدفعه
(لا تعذليه فإن العذل يولعه)^(٢)

والنصف من هذا البيت ومن البيت التاسع مودع من القصيدة السائرة لابن

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤٦.

(٢) نشر العرف ٦٩٧/١.

زريق البغدادي الكرخي الكاتب^(١)، وأنا أستجيدها.

وقال ابن السبكي الشافعي في الطبقات: من قرأ لأبي عمرو بن العلاء، وتفقه للشافعي، وتختّم بالعقيق، وروى قصيدة ابن زريق فقد كمل ظرفه وأدبه، وهي:

لا تعذليه فإن العذل يولعه
جاوزت في لومه حدّ أضربه
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلاً
قد كان مضطرباً للبين يحمله
يكفيه من لوعة التفنيد أن له
ما أب من سفرٍ إلا وأزعجه
كأنما هو من حلٍّ ومرتحلٍ
إذا الزماع أراه في الرحيل غنى
تأبى المطامع إلا أن تجشمه
وما مجاهدة الإنسان موصلة
والله قسم بين الخلق رزقهم
لكنهم ملأوا حرصاً فليست ترى
والحرص في الرزق والأرزاق قد قسمت
والدهر يعطي الفتى من حيث يمنعه
استودع الله في بغداد لي قمرأ
ودعته ويودّي أن يودعني
وكم تشبّث بي يوم الرحيل ضحى
وكم تشفّع بي ألا أفارقه
لا أكذب الله ثوب العذر منخرق
إني أوسّع عذري في خيانتته
أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته
ومن غدا لا بساً ثوب النعيم بلا

قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
من حيث قدّرت أن الطوم ينفعه
من عنقه فهو مضنى القلب موجعه
فضلّعت بخطوب البين أضلعه
من النوى كل يوم ما يروّعه
رأي إلى سفر بالرغم يزمعه
موكل بفضاء الأرض يذرعه
ولو إلى السند أضحى وهو يزمعه
للرزق كذاً وكم ممن تروّعه
رزقاً ولا دعة الإنسان تقطعه
لم يخلق الله مخلوقاً يضيّعه
مسترزقاً وسوى الغايات تقنعه
بغى إلا أن بغى المرء يصرعه
يوماً ويمنعه من حيث يطمعه
بالكرخ من فلك الأزارار مطلقه
صفو الحياة وإنّي لا أودعه
وأدمعي مستهلّات وأدمعه
وللضرورات حال لا تشفّعه
عني بفرقتته لكن سأرقعه
بالبين عني وقلبي لا يوسعه
وكل من لا يسوس الملك يخلعه
شكر عليه فعنه الله ينزعه

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

اعتضت من وجه خلّي بعد فرقته
 كم قائل لي: ذقت البين، قلت له:
 إني لأقطع أيامي وأنفدها
 ممن إذا هجع النّوأم بتّ له
 لا يطمئن بجنبي مضجع وكذا
 ما كنت أحسب ريب البين يفجعني
 حتى جرى البين فيما بيننا بيد
 بالله يا منزل القصر الذي درست
 هل الزمان معيد فيك لذتنا
 في ذمة الله من أصبحت منزله
 من عنده لي عهد لا أضيّعه
 ومن يصدّع قلبي ذكره وإذا
 لأصبرن لدهرٍ لا يمتّعني
 علماً بأن اصطباري معقب فرجاً
 عسى الليالي التي أضنت بفرقتنا
 وإن تنل أحداً منا منيّته

كأساً أجرع منها ما أجرعهُ
 الذنّب والله ذنبي لست أدفعهُ
 بحسرة منه في قلبي تقطعه
 بلوعة منه ليلى لست أهجعه
 لا يطمئن به مذ بنت مضجعه
 به ولا أن بي الأيام تفجعه
 عراء تمنعني حظي وتمنعه
 آثاره وعفى مذ بنت أربعة
 أم الليالي التي أمضيت ترجعه
 وجاد غيث على مغناك يمرعه
 كما له عهد صدق لا يضيّعه
 جرى على قلبه ذكري يصدعه
 به كما أنه بي لا يمتّعه
 وأضيق الأمر إن فكرت أوسعه
 جسمي تجمعي يوماً وتجمعه
 فما الذي بقضاء الله يصنعه

هذه القصيدة غرّة في جبهة جواد الشعر.



رجع، ولصاحب الترجمة:

جمع الحسن فأضحى
 بأبي جامع حسن
 وله أيضاً:

نسيم اليبسا إن جزت سلعاً عليلة

ساكناً بين ضلوعي
 وقفُّه جاري دموعي^(١)

صفي بعض ما يلقاه من سقم جسمي

(١) نشر العرف ١/٦٩٧.

وإياك والأخبار عما وراءه فأصدق أخبار العليل من السقم^(١)
أجاد وأجاد.

وله في ثقیل:

ومثقل لو حلّ عدنا لم يكن فيها السكون لمن سواه تمكّنا
إن لم يكن في النار كان عذابها للساكنين بها يسيراً هبّنا
أحسن في هذه المبالغة ما شاء.
وله فيه أيضاً:

مثقل يدعونه ترترا من دونه في الثقل فاق المحيط
لا يحمل الإنسان من ثقله شيئاً ولو قلّ عليه السليط
الترتر: عبارة عن دهن الخردل وهو السليط، وتعبّر به العامة عن العقل،
لأنه سراج البدن.

ولا يخفى حسن سنائه هنا، وشعاع توريته.

وأما سجعه فيترك سجع المطوّق بغير جمال، وما هو إلاّ السحر فلذا ينشط
الفهم من عقال فمته ما كتبه بخطه في مسودة هذا المؤلف:

سرحت الطرف في رياض من هذا التأليف مغدقة، وتنزهت في زهور منه
ذات أنواع معجبة مونقة، تقصر عنها قاصرات الطرف، ويحفّ بها اللطف من
يمين وشمال وقدام وخلف، يأخذ بمجامع القلب، ويقع من ذي الفطرة السليمة
موقع الوصل بعد الهجر من الصبّ، لا يصد عن الحكيم بأنها سحر إلاّ أنها
حلال، كما لا يمنع عن القول بأنها خمر إلاّ ذلك، وخلّوها عن وصمة الاغتيال،
يحير اللب ويميل الطبع المستقيم تميل النسيم للقضب ما عناق الخرد الكعاب،
ما عود شرخ الشباب، ما ارتشاف ريقه الثنايا العذاب، ما نسمة السحر، ما نعمة
الوتر، ما نفحة العنبر، ما عرف المسك الأذفر، سمط اللال لديه منقصم، وعقد
ابن عبد ربه عنده غير منتظم، لو رآها الخفاجي لألغى ريحانته زاوية، وعلم إنها
عن طيب الرائحة خالية، أو بلغت الثعاليبي لتيقن أن اسم اليتيمة لكتابه لا يسوغ،

(١) نشر العرف ١/٦٩٧.

ولرجع عن استحقاقها إياه عند بلوغ ذلك الكتاب، ولا غرو فلا يتم بعد بلوغ، أو القطب المكي لما دارت له رحاء أدب، ولخاطب برقة اليميني (لقد حكيت ولكن فاتك الشنب)، بل لا يستحي برقه أن يبدي ومضاً، وعاد كليلاً لا يحسن له نبضاً، أو المتنبى لأرته آيات يوسف إن دعواه كاذبة، أو متنبى الغرب لاستبان إن نجوم آدابه غاربة، أو صاحب الخريدة لتيقن أنه يستحق القصر، أو صاحب الذخيرة لقطع بها غير ذخر، أو الصفدي لما أطربته ألحان السواجع، أو ابن نباتة لكان إلى سجع المطوق غير مصغ ولا سامع، أو العنباياتي لما نفعته عنايته، أو صاحب نفخ الصور لقامت قيامته، أو سمع بمثله ابن حجة لما قامت للنواحي عليه الحجة، أو صاحب المثل السائر لما دار عليه الفلك الداير، وبينه وبين مقامات الحريري ما بين منسوج الذهب ومنسوج الحرير، ونسبته من بسامة ابن الوزير نسبة الوزير من الأمير.

وبالجملة، فلا أستطيع التعبير عما في النفس من فخامة هذا الكتاب الخطير، فلو دنت إلى الكواكب الزاهرة، وصفتها ما عدتها إلا قاصرة، فلا يجري بتمني دنوها قلبي. ولا أقول:

ليت الكواكب تدنولي فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمي
فإن ثمة شيئاً لا يقوم بوصفه العبارات، ولا يلوح إلى مكنون سرّه
الإشارات.

كتبه زيد بن محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين.

نقلته من خطه البديع في حامية الكتاب، وهو منشور يخجل الورد ابتساماً،
يجعل اللآلئ في النحور يتامى، ومناقبه لا تحصى^(١).

(١) في هامش ب: «وفاته بصنعاء في ربيع الأول سنة أربع وعشرين ومائة وألف».

أبو اليمن، زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي، البغدادي المولد والمنشأ، الدمشقي الدار والوفاء، المصري الشيخ الأديب. أحد أئمة النحو، تاج الدين^(*).

فاضل جمع بين العلوم وأحاط بنسجها إحاطة الأطلس بالنجوم، أصلح بين زيد وعمرو بعد طول الضراب، وطالما قاما به، وقيدهما بالكتاب، وتخرج بالشريف أبو السعادات ابن الشجري - الآتي ذكره^(١) - وكان زيدياً، وكان الشيخ أبو اليمن أحد أفاضل الدنيا المشهورين، وأئمة النحو المفيدين. وذكره ابن خلكان فقال: هو.

أوحد عصره في علوم الأدب وعلوم السماع، وشهرته تغني عن الإطناب في وصفه، وكان قد لقي جُملة من المشايخ وأخذ عنهم، منهم الشريف أبو السعادات ابن الشجري، وأبو محمد بن الخشاب، وأبو منصور الجواليقي، وسافر عن بغداد في شبابه، واستوطن حلب وبَحَرَ منها إلى بلاد الروم، ثم انتقل منها إلى دمشق، وصحب الأمير عز الدين قُروخ شاه بن شاهنشاه^(٢)، ابن أخي

(*) ترجمته في:

وفيات الأعيان ٢/٣٣٩ - ٣٤٢، إنباه الرواة ٢/١٠، ذيل الروضتين ٩٥، غاية النهاية ١/٢٩٧، معجم الأدباء ١١/١٧١ - ١٧٥، النجوم الزاهرة ٦/٢١٦، خريدة القصر/ قسم الشام ١/١٠٠، بغية الوعاة ٢٤٩، الجواهر المضية ١/٢٤٦، مرآة الزمان ٨/٥٧٥، مجلة المجمع العلمي العراقي ٢١/٢٤٨، الاعلام ط ٤/٣/٥٧ - ٥٨.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٨٦.

(٢) فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب، أبو سعد، عز الدين، الملك المنصور ابن أخي السلطان صلاح الدين: من سلاطين الأيوبيين، صاحب بعلبك. كان على دمشق وأعمالها، استنابه فيها عمه صلاح الدين، لما عاد منها إلى الديار المصرية، فقام بضبط أمورها وإصلاح أحوالها أحسن قيام. وكان موصوفاً بالكرم والشجاعة، له وقائع مع الإفرنج في ساحل الشام، وله علم بالأدب، ونظم ونثر فيهما جودة. وهو أخو صاحب حماة تقي الدين «المظفر» توفي سنة ٥٧٨ هـ.

ترجمته في:

كتاب الروضتين ٢: ٣٣ وأبو الفداء ٣: ٦٤ و٦٥ وابن الأثير ١١: ١٨٥ وابن الوردي ٢: ٩٢ والدارس ١: ١٦٩ و٥٦١ ومرآة الزمان ٨: ٣٧٢ ومنتخبات من كتاب التاريخ، لتاج الدين =

صلاح الدين بن أيوب واختصَّ به وتقدم عنده وسافر معه إلى مصر، واقتنى من كتب خزائنها كل نفيس، وعاد إلى دمشق واستوطنها، وقصده الناس وأخذوا عنه، وله في النجوم مؤلف كبير على حروف المعجم، وكان قد رأى الزمخشري صاحب التفسير، وأخبر بعض أصحاب أبي اليمن أنه حدّثه قال: كنت قاعداً على باب أبي محمد عبد الله بن الخشاب النحوي ببغداد، وقد خرج من عنده أبو القاسم الزمخشري، وهو يمشي في جاون خشب فإن إحدى رجله كانت قد سقطت من الثلج، والناس يقولون: هذا الزمخشري.

قال: ونقل من خط أبي اليمن المذكور: كان الزمخشري أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه، وأكثرهم اكتساباً وإطلاعاً على كتبها، وبه ختم فضلاؤهم، وكان متحققاً بالاعتزال، وقدم علينا بغداد سنة ثلاث وثلاثين وخمسائة، ورأيتُه عند شيخنا أبي منصور الجواليقي، مرتين قارئاً عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزاً لها منه، لأنه لم يكن له - على ما عنده من العلم - لقاء ولا رواية، عفا الله عنه وعنّا^(١).

قلت: أراد أنه لم يلق المشايخ فيأخذ العلم عنهم، وإنما حصله بالمطالعة والاجتهاد، ولأن القوم كانت همّتهم عليّة في تحقيق العلوم، وكانت العلوم غضة طرية، فالعالم عند أولئك الرئيس المطلق، وأما زماننا وبلدنا وأهله فإن العلم عندهم سخرية وهزؤ، وصاحبه لا يرمق إلا بالحمق والإهانة، نعم، عذرهم واضح لأنهم جهلوا خاصة علم الأدب، فإنه باليمن في الحضيض الأوهد، فالله يتدارك أهله بلطفه.

= شاهنشاه ٢٥٣ - ٣١١ والنجوم الزاهرة ٦ : ٩٣ وسماء ابن خلكان في ترجمة أبيه شاهنشاه: «فروخشاه» وتابعه صاحب شذرات الذهب ٤ : ٢٦٢ ومثله في الاعلام - خ. ورجحت ما في المصادر الأولى، لأن صاحب «الدارس» سمى في جملة مدارس دمشق «المدرسة الفرخشاهية» وعلق الواقف على طبعه بما يفيد بقاء شيء من هذه المدرسة إلى الآن، وهي منسوبة إلى المترجم له. وفي كتاب الروضتين ٢ : ٣٤ من قصيدة:

حَتّامٌ جَذبكَ لِلزَّمَامِ، فَأَرخه فَلَقد أَنحت إلى ذرى فرخشاه
وفيه ٢ : ٣٥.

عبد لعز الدين ذي الشرف الذي ذل المملوك لعز عبد فرخشاه
يستفاد من هذين البيتين، أن الرأء في «فرخشاه» تشدد وتخفف، مع سكون الخاء، الاعلام ط ٤ / ١٤١/٥.

(١) وفيات الأعيان ٢ / ٣٤٠.

قال ابن خلكان: وأخبرني الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف بابن الخيمي^(١) بالقاهرة المحروسة قال: كتب إليّ الشيخ تاج الدين الكندي من دمشق من جملة أبيات:

أيها الصاحبُ المحافظُ قد حَمَّ
نحن بالشام زَهْنُ شوقِ إليكم
قد غلبنا بما حرمننا عليكم
فَعَجَزْنَا عَنْ أن ترونا لديكم
حَفِظَ اللهُ عَهْدَ مَنْ حَفِظَ الْعَهْدَ
لُتْنَا مِنْ وفاءِ عَهْدِكُمْ دَيْنَا
هل لديكم بمضَرَّ شوقِ إلينا
وغلبتم بما رزقتهم علينا
وعجزتم عن أن تراكم لدينا
د وأوفى به كما قد وقَّينا

قال: فكتبتُ في جوابه أبياتاً ومنها:

أيها الساكنون بالشام من كُنْ
لو قَضَيْنَا حَقَّ الْمَوَدَّةِ كُنَّا
وَالنَّحْبُ لَيْسَ خَاصًّا بِالْأَجَلِ، بَلْ يُقَالُ: قَضَى نَحْبَهُ، أَي إِرْبَهُ.
دَةَ إِنَّا بَعَثْنَاكُمْ مَا وَقَّيْنَا
نَحْبِنَا بَعْدَ بُعْدِكُمْ قَدْ قَضَيْنَا^(٢)

قال: وأنشدني الشيخ مهذب الدين لأبي اليمن المذكور:

دع المنجمَ يكْبُو في ضلالته
تفرَّدَ اللهُ بِالْعِلْمِ الْقَدِيمِ قَلَّ الـ
ما أحسن قول الشاعر:
إِنْ ادَّعَى عِلْمَ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلْبُ
بِإِنْسَانٍ يَشْرُكُهُ فِيهِ وَلَا الْمَلِكُ^(٣)

(١) محمد بن علي بن علي بن المفضل بن التامغاز، أبو طالب، مهذب الدين الحلبي، المعروف بابن الخيمي: عالم بالأدب. ولد بالحلة المزيديّة سنة ٥٤٩هـ، ورحل إلى بغداد وسورية. وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٢هـ. من كتبه «أمثال القرآن» و«المؤانسة في المقايسة» و«المخلص الديواني» في الأدب والحساب، و«المطاول» في الرد على المعري، و«نزهة الملك في وصف الكلب والمكاليين - خ» في الظاهرية (١٦ أدب) قال الميمني: قرئت على مصنفها سنة ٦٤٠هـ وعليها خطه. و«الرد على الوزير المغربي».

ترجمته في: وفيات الأعيان ٣٤٢/٢، بغية الوعاة ٧٨ ومذكرات الميمني - خ. والوافي ٤: ١٨١ والفوات ٢: ٤٨٣ الطبعة الثانية، الاعلام ط ٤/٦/٢٨٢.

(٢) وفيات الأعيان ٢/٣٤٠ - ٣٤١.

(٣) وفيات الأعيان ٢/٣٤١ وفيه بعده:

«أعد للرزق من اشراكه شركاً ويشتت العدتان الشرك والشرك».

لأن كان حكم النجم لا شك واقعاً فما سعيينا في رده بنجيج
وإن كان بالتدبير يبطل حكمه فقد صَحَّ إن الحكم غير صحيح
وكان شخص يعرف بابن بشران مرجفاً بمصر، فمنعه الحاكم الخليفة،
فادعى التنجيم، فقال فيه الشاعر:

إن ابن بشران ولست أومه من خيفة السلطان صار منجماً
طبع المشوم على الفضول فلم يطق في الأرض إرجافاً فأرجف في السما
وقد مرّ قول الرئيس: إن علم التنجيم من أقسام الطبيعي الفرعية، وقال:
هو علم تخميني لا تحقيقي.

وما أحسن قول القاضي الحسن بن علي الهبل^(١):

لخالقنا - سبحانه - الحلُّ والعقدُ فلا زحلُّ نحسُّ، ولا المشتري سعدُ
شقاء وسعدُ؛ ذو الجلالِ قضاهما على العبدِ؛ ما مِن واحدٍ منهما بدُ
وقد جعلَ «التخييرَ» غيرَ مُضَيِّقٍ إلى العبدِ؛ فليذهبْ بما شاءه العبدُ
فبعداً وسحقاً للمنجمِ إنه أتى بمقالٍ يَشْعِرُ له الجلدُ^(٢)
وما هي يا مغرورٌ إلا كواكبٌ؛ يُسَيِّرهنَّ الواحدُ الصَّمَدُ الفردُ^(٣)

ليس يلزم المنجم الكفران، قال: إن الله خلقها مريده، أو أحياء، أو
مؤثرة، نعم يلزمه القول بقدمها كما هو مذهب اليونان.

وحكى الشيخ صلاح الدين الصفدي في الغيث: إن الشيخ تاج الدين
المذكور كان ممتحناً بكثرة السؤالات المشككة.

رأيت بخط الشيخ علاء الدين الكندي الوداعي: إنها حضرت إلى الشيخ
تاج الدين أسئلة من مصر في قول القائل: اللهم إني أسألك خيراً ما سأل العبد
ربه، هل ينتصب ربه أو يرتفع، فكتب: ينتصب، والشيخ علم الدين السخاوي
حاضر، فرأى ما كتب وخاف أن يخرج الجواب عن الشيخ بالخطأ، فقال: يا
مولانا، تثبت في الجواب، فقال: النصب. فقال: على ماذا رفعت خيراً؟ قال:

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

(٢) فبعداً وسحقاً، السحق: البعد؛ يقال سحقاً له: أي أبعده الله عن رحمته.

(٣) كاملة في ديوان الهبل ١٠١.

على المبتدأ، قال: أين الخبر؟ ففطن للجواب، فقال: يرفع.

قال ابن خلكان: وكتب أبو شجاع الفرضي ابن الدهان^(١) إلى الشيخ تاج الدين:

يا زَيْدُ زَادَكَ رَبِّي مِنْ مَوَاهِبِهِ نعمى يقصُرُ عَنْ إدْرَاكِهَا الِهْمَلُ^(٢)
لا غَيْرَ اللهِ حَالاً قَدْ حَبَاكَ بِهَا ما دَارَ بَيْنَ النِّحَاةِ النُّحُوِّ وَالْبَدَلُ
النُّحُوُّ أَنْتَ أَحَقُّ الْعَالَمِينَ بِهِ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ فِيهِ يُضْرِبُ الْمَثَلُ^(٣)

ومن شعر الشيخ تاج الدين حين كُبر:

أَرَى الْمَرْءَ يَهْوَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ وفي طولها إزهاقُ نفسٍ وإزهاقُ
تَمَنِّيْتُ فِي عَضْرِ الشَّبِيبَةِ أَنْنِي أَعْمَزُ وَالْأَعْمَارُ لَا شَكَّ أَرْزَاقُ
فَلَمَّا أَتَانِي مَا تَمَنِّيْتُ سَاءَنِي مِنَ الْعُمُرِ مَا قَدْ كُنْتُ أَهْوَى وَأَشْتَاقُ
يُخَيِّلُ لِي فِكْرِي إِذَا كُنْتُ خَالِيَاً رُكُوبِي عَلَى الْأَعْنَاقِ وَالسَّيْرِ إِعْنَاقُ
وَيَذْكُرُنِي مَرُّ النَّسِيمِ وَرَوْحُهُ حَفَائِرَ يَعْطُرُونَهَا مِنَ التُّرْبِ أَطْبَاقُ
وَمَا أَنَا فِي إِحْدَى وَتَسْعِينَ حِجَّةً لَهَا فِي إِزْعَادِ مَخُوفٍ وَإِسْرَاقُ
يَقُولُونَ تَرِيَاقُ لِمِثْلِكَ نَافِعٌ وَمَا لِي إِلَّا رَحْمَةُ اللَّهِ تَرِيَاقُ^(٤)

(١) هو أبو شجاع فخر الدين (وقيل برهان الدين) واسمه محمد بن علي بن شعيب المعروف بابن الدهان البغدادي. كان فقيهاً فرضياً محدثاً مؤرخاً نحويّاً أديباً شاعراً حاسباً منجماً مهندساً، وكان قلمه أبلغ من لسانه. انتقل إلى الموصل ومنها إلى دمشق، ثم ارتحل إلى مصر، ومنها عاد إلى دمشق فجعلها دار إقامته. توفي بالعراق، بالحلة السيفية سنة ٥٩٠ هـ (وقيل ٥٩٢ والأول أشهر) وذلك أنه كان ماراً بالحلة عند عودته من حج بيت الله الحرام، فسقط من البعير فمات لوقته. من مؤلفاته: غيب الحديث في ستة عشر مجلداً، وتقويم النظر في الخلاف، والمنير في الفرائض وغيرها.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١٢/٥ - ١٣، الكنى والألقاب ٧١/٢، شذرات الذهب ٣٠٤/٤، بغية الوعاة ١/١٨٠، خريدة القصر - قسم العراق - ٣١٧/٢، ذيل الروضتين تراجم رجال القرنين السادس والسابع/٩، النجوم الزاهرة ٦/١٣٩، هدية العارفين ٢/١٠٣، روضات الجنات/٦٩٨، أنوار الربيع ٢/٢٧١.

(٢) في الوفيات: «الامل».

(٣) وفيات الأعيان ٢/٣٤١.

(٤) وفيات الأعيان ٢/٣٤١ - ٣٤٢.

وكانت ولادة الشيخ تاج الدين ببغداد في شهر شعبان سنة عشرين وخمسمائة .

وتوفي بدمشق سادس شوال سنة ثلاث عشرة وستمائة . رحمه الله تعالى ، ودفن بسفح قاسيون .



وأنا في طلب أخبار ابن الخيمي وعسى أجدها فأذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى ، فإنه الفصيح ويكفيه بائته التي سارت مسير الشمس التي أولها :
يا مطلباً ليس لي في غيره أربُ إليك آل التقصي وانتهى الطلبُ
سألني القاضي محمد بن الحسن الخيمي ، رحمه الله بشبام سنة ١١٠٩ ، هل التقصي بالمعجمة أو المهملة ، فإنه طال فيه اللجاج ؟ قلت : إنه بالمعجمة أوضح ، ويجوز أن يكون بالمهملة ، لأنه لم يأت شيخ من مصر يرويها مقيدة عن الشيخ مهذب الدين ، وأصله من الحلة وهم شيعة .



وقاسيون ، بالقاف بعدها ألف وسين مهملة ، مكسورة ، والياء المثناة التحتية المضمومة وبعد الواو نون : جبل مطلق على دمشق من شماليها ، وبه جامع ومدارس وربط ، وفيه مقابر المدينة ، وفيه نهران ثوراً ويزيد ، وذكره أبو المحاسن ابن عنين^(١) لما نفي عن دمشق في اللامية المشهورة التي تشوقها فيها ، وذكر نزهها بقوله :

وفي كبدي من قاسيون حرارة تزول رواسيه وليس يزولُ

(١) هو أبو المحاسن ، شرف الدين محمد بن نصر الله (وقيل نصر الدين) بن عنين - بضم العين - الأنصاري الكوفي ولد بدمشق سنة ٥٤٩ . أديب شاعر لغوي ، فقيه مؤرخ : مولع بالهجاء ، له قصيدة طويلة جداً ، سماها مقراض الأعراض ، جمع فيها خلقاً كثيراً من رؤساء دمشق . نفاه صلاح الدين الأيوبي ، فجال في العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وما وراء النهر واليمن ومصر والهند ، وعاد إلى دمشق بعد وفاة صلاح الدين . تولى الوزارة للملك المعظم بدمشق ، وانفصل عنها في أيام الملك الأشرف . توفي سنة ٦٣٠ وقيل ٦٣٣ هـ . له ديوان شعر مطبوع بدمشق حققه خليل مردم .

ترجمته في : النجوم الزاهرة ٢٩٣/٦ ، وفيات الأعيان ١٤/٥ - ١٩ ، الكنى والألقاب ٣٦١/١ ، شذرات الذهب ١٤٠/٥ ، هدية العارفين ١١٣/٢ ، أنوار الربيع ١/١ هـ ٣٣٨ - ٣٣٩ .

الفقيه زيد بن صالح بن أبي الرجال اليمني المرهبي الضوراني الشاعر،
ويعرف بالقاضي أيضاً*).

شاعر حسن الشعر، إلا أن معانيه لا تلوح برقّة الألفاظ في ستر فهو أبو
الخنساء، إن لم يكن قريضه منه أقسى، كسهيل يعارض الكواكب ولا يجري
مجراها، وإذا اطلقت حلبة الشعراء جاء في أخرها، ولا عجب فهو البدر إذا
تكلّف، وإن تخلف عن أولئك المتصرفين فالنوء قد يتخلف، خاطبه القريض
بلسان القلم السوداء ولم يتّق، وقال لقريحته وقد صفقت الجناح إنك من طير الله
فانطقي، وشرح مفرد الأديب محمد بن الحسين المرهبي^(١) في سيرة الإمام
الناصر شرحاً ما أقصر فيه، إلا أنه ما فهم بعض البديع الذي فيها فشرحه بفهمه،
وكان بينه وبين القاضي الشرفي الحسن بن علي الهبل^(٢) مكاتبات ومراجعات،
ونقلت من «قلائد الجواهر» ديوان الحسن بن علي بن جابر الذي جمعه القاضي
العلامة أحمد بن ناصر بن عبد الحق^(٣): إن القاضي الحسن كتب إلى القاضي
زيد المذكور مبادياً مع مداد أهداه له:

يا أخا السؤدد والمجـ	يد، ويا زاكى النُّجَارِ ^(٤)
هاكُّهُ «أسود» لا يَبْرُحُ	في السُّخْدَمَةِ جَارِي
«كاتبٌ» بِالْفِعْلِ لَكِن	لَوْنُهُ الْأَسْوَدُ «قَارِي» ^(٥)
يكتفي بالماء مَهْمَا	مَسَّه حَسْرُ الْأَوَارِ ^(٦)

(*) ترجمته في:

مراجع تاريخ اليمن ١٦٦، نشر العرف ١/٦٤٨ - ٦٥٠، وترجمه الشيخ عبد الرحمن بن محمد
الذهبي الشامي، ديوان الهبل/أعلام الديوان ٥٩٤، الاعلام ط ٥٩/٣/٤.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤٣.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

(٤) زاكى النجار: طيب الأصل.

(٥) القار والقير: شيء أسود يظلى به السفن والأبل؛ أو هما: الزفت.

(٦) الأوار: حر النار والشمس.

قد حكي أوجه حُسا
أبصرث منك «ارتفاعاً»
طالما من غير ذنب
فلكم يوم تمنني
وَضَلَّ خَمْسٍ^(١) منك قد أز

دك في يوم فخار
فأثنت ذات «انكسار»
حيسوه في القسوي
وهو في قيد الإسار
رت نوالاً بالبحار^(٢)

بيت الأسود القاري لم يشيد لغير مثله، ويصلح أن يكون لغزاً في المداد. وشعر المذكور على علته مليح.

واخترت له مما كتبه بخطه:

ترفق بصب لا يزال لما به
ولا انفك مذ حلت بين ضلوعه
له كل يوم منك موعده زور
أما والهوى العذري ما شبت صبوتي
ولا انفصمت يوماً لأفكة كاشح
لك الخير لا شوقي المقيم بنازح
ولا الروح إن ساومتنيها بساعة
ونقلته من خطه أيضاً:

من الشوق في نار الصبابة صال
يكابد أهوال الهوى ويصالي
يُشان بخلف مؤلم ومطال
بغدير ولا مرّ السلو ببالي
عراي ولا رثت هناك حبالي
إليك ولا وجدي القديم ببالي
من الوصل عندي إن مننت بغالي

بسأبي أهيف التأود حلو الدل ظبي يطيب فيه الغرام
عن لي فائق الملاحة لم أد
ونضى صارم اللحاظ فلم أد
فهو خاتم لدائرة الحسن
حين فگوا سلاسل الصدغ عنه
ر أغصن النقا انثنى أم قوام
ر لحاظ رمى بها أم سهام
أجاز اقتسامها الأيتام
حسن الذنب فيه والآثام^(٣)

(١) أراد بالخمس: الأصابع.

(٢) ديوان الهبل ٤٣٥.

(٣) نشر العرف ١/٦٤٩.

سبحان مانحة هذه القطعة التي هي كالماء، بل كنار الخليل لدى الظلماء .
وله رحمه الله تعالى من أبيات :

سرى طيفها والنجم في الأفق كالعقد
سرى فسرى منه العبير بعنبر
وبت نديماً للسهي ذا ندامة
وما بيننا والحمد لله ريبة
وكيف ولي في المجد أي مكانة
أبيت ويأبى لي الخنا طيب محتد
فكاد سناء للعواذل أن يهدي
وفاح شذاه بالفتيق وتالنيد
كثيب فؤاد لا أعيد ولا أبدي
أبى الله ما فعل الدنية من قصدي
تلاحظها عين الغزالة من بعد
كريم وجد في العلى أيما جد^(١)

كاد البيت الثاني أن يكون دكان عطار، وأما ملاحظة عين الغزالة من بعد فهو كذلك تحصيل حاصل، والله يقول: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾^(٢)، وكان البحثري أوصف الناس للخيال حتى قيل خيال البحثري وهو ما يتخيّله النائم من مجيء أشخاص محبوبة وغيرها إليه .

وقال الرئيس أبو علي في خبره: هو الاستدلال من المخيّلات العلمية على ما شاهدهته النفس من عالم الغيب مخيلته القوة المخيّلة التي محلها مقدم الدماغ بمثال غيره .

قرأت ذلك على شيخنا العلامة الحسن بن الحسين بن المنصور بالله رحمه الله، فإني كتبت ذكره في حرف الحاء^(٣)، في شهر صفر وهو حي، ثم عرضت له علة الاستسقاء فترددت إليه فأعطيته شيئاً من دهن الياسمين العتيق ودهن البابونج فذكر أنه انتفع به وتحلّل ورم كان بعينه، ثم بلغني أن بعض جهال المتطبية تردد إليه ودهن قدميه بدهن أحسب أنه بارد رطب فهاج به الورم في يوم وتصاعد في بعض يوم فضغط روح قلبه المقدس فتوفي بعد عصر يوم الاثنين تاسع ربيع الأول من عامنا هذا سنة أربع عشرة ومائة وألف، وكان أنفع علاجه الأيارج الذي يدخل فيه الأفريون، ولكنه كما أخبرني ابن أخيه السيد العلامة محمد بن عبد الله

(١) نشر العرف ١/٦٤٩ .

(٢) سورة الطلاق: الآية ٧ .

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٤٥ .

الآتي ذكره^(١): إنه قال قد اشتقت إلى لقاء الله فقد تنغصت أحوال آل المنصور،
وكان ذلك الاثنين، كما قلت في رثائه من قصيدة:

اثنين بالواحد الميمون روّعنا وما رضى بخميس دونه شرس
يا بحر قد كنت من ذي النون مقتبسا فانعم بذاك السرى في حضرة القدس



وذكر الفقيه في الشعر أنه عَفَّ من الخيال، وتلك العفة لا تكون إرادية،
وإنما كانت الشهوة والقلب ضعيفين والعهد بالجماع قريباً لم ينشر العضو فيخيل
للنائم أنه عَفَّ، ولكن الشعراء يدعون العفة حتى في المنام، ولم أسمع أقوى ولا
أبلغ في هذه المادة من قول الشاعر، وأحسبه الشريف الرضي:

ماذا يعيب الناس من رجلٍ خلص العفاف من الأنام له
يقظانه ومنامه شرع كلّ بكلّ منه مشتبه
إن همّ في حلم بفاحشة زجرته عفته فينتبه

وقول الشريف الرضي هو الشعر أيضاً:

بتنا أعفّ مبيت بآته بشرٌ يلقنا الشوق من قرن إلى قدم

ولفظ بشر له من سحر البلاغة ما لا يأتي به إلا أولو العزم من أهلها.

وذكر الحافظ الذهبي في سير النبلاء في ترجمة أبي بكر محمد بن داود
الظاهري^(٢) الإمام بن الإمام الفقيه الأديب أحد أئمة الظاهر أنه مات عشقاً لوهب
ابن جامع الصيدلاني وعفّ عنه.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٥٤.

(٢) محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري، أبو بكر: أديب، مناظر، شاعر، قال الصفدي:
الإمام ابن الإمام، من أذكى العالم. أصله من أصبهان. ولد ببغداد سنة ٢٥٥هـ، وعاش فيها،
وتوفي بها مقتولاً سنة ٢٩٦هـ. كان يلقب بعصفور الشوك لنحافته وصفرة لونه. له كتب، منها
«الزهرة - ط» الأول منه، في الأدب، و«أوراق - من ديوانه - ط» و«الوصول إلى معرفة الأصول»
«الانتصار على محمد بن جرير وعبد الله بن شرشير وعيسى بن إبراهيم الضرير» و«اختلاف مسائل
الصحابة». وهو ابن الإمام داود الظاهري الذي ينسب إليه المذهب الظاهري.

ترجمته في: النجوم الزاهرة ٣: ١٧١ وفيات الأعيان ٢٥٩/٤ - ٢٦١ والمسعودي، طبعة باريس =

عن محمد بن إبراهيم بن سكرة القاضي قال: كان وهب بن جامع محبوب محمد بن داود وكان يتفق عليه، وما عرف معشوق يتفق على عاشقه سواه.

وقال إبراهيم بن عرفة نفظويه: دخلت على محمد بن داود في مرضه فقلت: كيف نجدك؟ فقال: حب من تعلم أورثني ما ترى، فقلت: ما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال: الاستمتاع على وجهين: أحدهما: النظر وهو أورثني ما ترى، والثاني: اللذة المحقورة منعي منها ما حدثني أبي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مسهر عن ابن يحيى، عن مجاهد عن ابن عباس رفعه قال: من عشق وعفت وكنتم وصبر غفر الله له وأدخله الجنة، ثم أنشدنا له:

انظر إلى السحر بجري في لواحظه وانظر إلى دعج في طرفه الساجي
وانظر إلى شعرات فوق عارضه كأنهن نمال دبّ في عاج

قال نفظويه: ومات من ليلته أو من اليوم الثاني.

قال أبو زيد علي بن محمد: كنت عند يحيى بن معين فذكرت له حديثاً سمعته من سويد بن سعيد، فذكر الحديث المذكور، فقال: والله لو كان عندي فرس لغزوت سويداً في هذا الحديث.

قال الذهبي: هو مما نقموا على سويد به.

وأخبرنا أبو العباس بن الظاهري عن ابن النجار قال: وهب بن جامع بن وهب العطار الصيدلاني صاحب محمد بن داود وكان أحب وشغف به حتى مات من حبه ومن أجله صنّف كتاب «الزهرة».

وقال عبد الكريم بن محمد الحافظ: نا عبد الرحمن بن الحسين الفارسي

= ٨ : ٢٥٤ وفيه: وفاته سنة ٢٩٦ وتاريخ بغداد ٥ : ٢٥٦ والمنتظم ٦ : ٩٣ ودار الكتب ٧ : ١٦١ والوافي بالوفيات ٣ : ٥٨ - ٦١ واللباب ٢ : ١٠٠ وصلة الطبري ٣٣ و Brock. S.I: 2٥٩ يقول المشرف: في تاريخ بغداد (١٦٢/٥) والمنتظم (٩٤/٦) ما يفيد موت الظاهري حتف أنفه، لا قتلاً، الاعلام ط ٤/٦/١٢٠.

الواعظ املاءً بالري، نا محمد بن إسماعيل العلوي، حدثني جدي، سمعت وهب بن جامع العطار صديق ابن داود، قال: دخلت على المتقي لله فسألني عن أبي بكر بن داود هل رأيت منه ما تكره، قلت: لا يا أمير المؤمنين، إلا إني بتّ عنده ليلة فكان يكشف عن وجهي ثم يقول: اللهم إنك تعلم أنني أحبه وأني لأراقبك فيه، قال: فما بلغ من رعايتك لحقه؟ قلت: دخلت الحمام فلما خرجت نظرت في المرأة فاستحسنت صورتني فوق ما أعهد فغطيت وجهي وآليت لا ينظر في وجهي أحد قبله، وبادرت إليه فكشف وجهي ففرح وسرّ وقال: سبحان خالقه ومصوره وتلى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّاكَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١).

قال الذهبي: كان ابن داود أحد أذكى العالم، وكان أحد أئمة الظاهر ببغداد بعد أبيه، وله المؤلفات على مذهبه، وكتاب الزهرة في الأدب، وكان خصم ابن سريح في المناظرة.

وقال أبو علي التنوخي: حدثنا أحمد بن عبد الله بن البخاري الداودي، حدثني أبو الحسن بن المفلس الداودي، قال: كان محمد بن داود بن سريح إذا حضر بمجلس أبو عمرو القاضي لم يجر بين اثنين فيما يتفاوضانه أحسن مما يجري بينهما، قال: فسأل أبا بكر عن العود الموجب لكفارة الظهار، فقال: إعادة القول ثانياً وهو مذهبه ومذهب أبيه، فطالبه بالدليل فشرع فيه، فقال ابن سريح: يا أبا بكر هذا قول من من المسلمين؟ فغضب أبو بكر، فقال: أتظن إن من اعتقدت قولهم إجماعاً في هذه المسألة عندي إجماعاً أحسن إخوانهم أن أعدهم خلافاً، فغضب ابن سريح فقال: أنت بكتاب الزهرة أمهر منك بهذه الطريقة، فقال: والله ما تحسن شتم قراءة قرأت^(٢) من يفهم، وإنه لمن إحدى المناقب لي إذ أقول فيه:

وأمنع نفسي أن تنال محرماً
فلولا اختلاسي رده لتكلما
فما إن أرى حياً صحيحاً مسلماً

انزه في روض المحاسن مقلتي
وينطق سرّي عن مترجم خاطري
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦.

(٢) كذا في الأصل.

فقال ابن سريح: وأنا الذي أقول:

ومشاهد بالغنج من لحظاته
ضناً بحسن حديثه وعتابه
حتى إذا ما الصبح لاح عموده
قد بت أمنعه لذيذ سناته
وأكرر اللحظات في وجناته
ولّى بخاتم ربّه وبسراته

فقال أبو بكر: أيد الله القاضي، قد أخبر بحاله، ثم ادعى البراءة، ما توجه فعلية البيّنة، فقال ابن سريح: مذهبي أن المقرّ إذا أقرّ إقراراً أناطه بصفة كان إقراره موكولاً بصفته تلك.

قال الذهبي: ذاك أبو بكر بالأدب وله عشر سنين، وكان يشاهد في مجلسه أربعمئة صاحب محبرة، وكان من أجمل الناس، وعاش ٤٣ سنة. وتوفي ببغداد في شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين.



وممن قتله العشق من الأعيان: قاضي القضاة شهاب الدين بن خلكان^(١)، كان يحب الملك الزاهر بن الكامل فقتله حبه، وله قصة طويلة ذكرتها في هذا الكتاب.



وما بخاطري من شعر الفقيه زيد بن صالح غير ما ذكرت فهو أجود ما سمعته له، وكان مقامه بضوران، ونقلت ذلك من خطه إلا الدالية فمن خط

(١) هو قاضي القضاة شمس الدين، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الشافعي، صاحب كتاب وفيات الأعيان. ولد سنة ٦٠٨هـ بمدينة أربل. استوطن القاهرة وبها صنف كتابه المذكور وكان من كبار قضاتها، ثم تولى قضاء دمشق، وعزل مرتين، كان أديباً فاضلاً فصيحاً فقيهاً حلو المذاكرة، عارفاً بأيام الناس. له عناية خاصة بشعر يزيد بن معاوية، فقد قال عن نفسه في وفيات الأعيان ٤٧٦/٣ أثناء ترجمة المرزباني (وكنيت حفظت جميع ديوان يزيد لشدة غرامي به وذلك سنة ٦٣٣هـ بمدينة دمشق، وعرفت صحيحه من المنسوب إليه). توفي سنة ٦٨١هـ بدمشق ودفن بالصالحية.

ترجمته في: النجوم الزاهرة ٣٥٣/٧، هدية العارفين ٩٩/١، كشف الظنون/٢٠١٧، الكنى والألقاب ٢٧٣/١، روضات الجنات/٨٧، تاريخ دمشق/٧٦، شذرات الذهب ٣٧١/٥، أنوار الربيع ٢/٢هـ ٢٥٦ - ٢٥٧.

القاضي العلامة أحمد بن عبد الحق .

وتوفي الفقيه المذكور في سنة سبع عشرة ومائة وألف، وكان يتعلق بخدمة الإمام المهدي أحياناً في الأعمال، ثم غضب عليه فأخرجه ومعه جماعة عن بابه إلى صنعا، فمات بها رحمه الله تعالى .

والمرهبي نسبة إلى مرهبة .

ذكر السيد المحدث يحيى بن الحسين بن المنصور بالله أخو شيخنا الحسن ابن الحسين في تاريخ له، انتسابهم إليها، وهي قبيلة من حاشد بن جبران بن نوف بن همدان، وقيل إنهم ينتسبون إلى الإمام أبي حفص عمر بن الخطاب، والله أعلم .

وذكر أهل أخبار صفين: أنه كان لهمدان بلاء عظيم بصفين .

قال ابن أبي الحديد: ومن الشعر الذي لا يشك أنه قاله علي عليه السلام لكثرة الرواة له [من الكامل]:

دعوت فلباني من القوم عصبه	فوارس من همدان غير لئام
فوارس من همدان ليسوا بعزل	غداة الوغى من شاكر وشبام
بكل رديني وعضب كأنه	إذا اختلف الأقوام شغل ضرام
لهمدان أخلاق كرام تزينهم	وبأس إذا لاقوا وحّد خصام
وجد صدق في الحروب ونجدة	وقول إذا قالوا بغير أثم
متى تأتيهم في دارهم تستضيفهم	تبث ناعماً في خدمة وطعام
جزى الله همدان الجنان فإنهم	سهام العدى في كل جمام
فلو كنت بواباً على باب جنة	لقلت لهمدان ادخلوا بسلام ^(١)

(١) وقعة صفين ٣٧٤ - ٤٣٧، شرح نهج البلاغة ٧٨/٨، مجاني الأدب ٢٠٠/٤، أنوار العقول/قطعة

الإمام أبو الحسين، زيد بن الإمام السجّاد ذي الثقات أبي الحسن علي
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. الإمام المشهور، الذي تنتمي
إليه الزيدية (*).

وهو أشهر من الشمس في الزهد والعلم والمحبة لإحياء علوم جدّه، فلا
حاجة إلى تقريبه، وكان شاعراً خطيباً.

وقيل: إنه كان معدوداً في فصحاء قريش والعرب، وله القصة الشهيرة في
مجلس هشام، وقال فيها وقد همّ بالخروج:

(*) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: الإمام، أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي.
ويقال له «زيد الشهيد» عده الجاحظ من خطباء بني هاشم. وقال أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه
أفقه منه ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً ولد سنة ٧٩هـ. وكانت إقامته بالكوفة، وأشخص إلى
الشام، فضيق عليه هشام بن عبد الملك، وحبس خمسة أشهر. وعاد إلى العراق ثم إلى المدينة،
فلحق به بعض أهل الكوفة بحرّضونه على قتال الأمويين، ورجعوا به إلى الكوفة سنة ١٢٠هـ،
فبايعه أربعون ألفاً على الدعوة إلى الكتاب والسنة، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين،
وإعطاء المحرومين، والعدل في قسمة الفيء، ورد المظالم، ونصر أهل البيت. وكان العامل على
العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي، فكتب إلى الحكم بن الصلت وهو في الكوفة أن يقاتل
زيداً، ففعل. ونشبت معارك انتهت بمقتل زيد، في الكوفة، وحمل رأسه إلى الشام فنصب على
باب دمشق. ثم أرسل إلى المدينة فنصب عند قبر النبي صلى الله عليه وآله يوماً وليلة، وحمل إلى مصر فنصب
بالجامع، فسرقه أهل مصر ودفنوه. ووقف المجمع العلمي في ميلانو مؤخراً على «مجموع في
الفقه - ط» رواه أبو خالد الواسطي عن زيد بن علي، فإن صحت النسبة كان هذا الكتاب أول
كتاب دَوّن في الفقه الإسلامي، ومثله «تفسير غريب القرآن - خ» ولا بد من التثبت من صحة نسبه
إليه. وإلى صاحب الترجمة نسبت الطوائف «الزيدية» ولإبراهيم ابن محمد الثقفي المتوفى سنة
٢٨٣ كتاب «أخبار زيد بن علي» ومثله للجلودي. ومثله أيضاً لابن بابويه القمي، ومثله للسيد عبد
الرزاق المقرم.

ترجمته في:

مقاتل الطالبيين ١٢٧ - ١٥١، وأنظر فهرسته. وتاريخ الكوفة ٣٢٧ والفرق بين الفرق ٢٥ وفوات
الوفيات ١: ٣٣٣ والطبري ٨: ٢٦٠ و٢٧١ ذكره في وفيات سنة ١٢١ ثم في وفيات ١٢٢هـ.
وتهذيب ابن عساكر ٦: ١٥ والبعثة المصرية ١٨ وذيل المذيل ٩٧ وابن خلدون ٣: ٩٨ وابن
الأثير ٥: ٨٤ والدر الفريد ٤٠ والذريعة ١: ٣٣١ و٣٣٢ واليعقوبي ٣: ٦٦، الاعلام ط ٣/٤/
٥٩، وغيرها.

ذلّ الحياة وذلّ الممات وكل أراه طعاماً وبيلاً
فإن كان لا بد من واحد فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

والذي اشمأزت له الإمامية منه ما تذكره جماعة من أتباعه: إن جماعة من أصحابه كانوا إمامية، فقالوا له: تبرء من فلان وفلان، فقال: بل أتولاهما وأترحم عليهما، قالوا: فقيم ننصرك إن كانا لم يظلماك، فهشام لم يظلمك، وفارقوه، فسماهم الرافضة.

وقد ذكر هذا الخبر جماعة من علماء الزيدية كالفاضل أحمد بن محمد الشرفي الحسيني وأورده في «شرح الأساس»، وأحمد بن يحيى المهدي في مله^(١)، ولست أعجب من الشرفي فإنه ربما لم تكن له ملكة في الإطلاع على أخبار الناس، بل العجب من المهدي فإنه أوحده العلماء في مذهبي الزيدية والمعتزلة، والكلام باطل قطعاً من قولهم، لأنهم أجمعوا إن مذهب الإمامية اختلقه، ودسه أبو جعفر المنصور لما خشي من تفاقم الأمر بسبب الأئمة الحسينيين الثائرين عليه، فأراد إلّا يثور التشيع إذا اعتقدوا إمامة معين، فيقال لهذا الزاعم فكيف أمن المنصور جانب الصادق والكاظم إذا ما سمعت الخراسانية الذين من أكثرهم الإمامية وبهم قامت الدولة العباسية، ثم ذكروا حديث الإمام أبي الحسين مع الإمامية فأثبتوا مذهبهم في أيام هشام بن عبد الملك مع القول بدسيسة المنصور.

وما أحسب من ذكر هذا الكلام إلا حاسباً دولة المنصور قبل دولة هشام، فافتري ذلك، ولو عكس لما انكشف فبطلت الدعوى وليس قصدي التعصب. والله يعلم نيتي والحق يحمد على أن المحققين من الإمامية يعظمون زيدا، وألف أبو جعفر القمي محدث الإمامية «عيون أخبار الرضا» للصاحب أبي القاسم وذكر

(١) في هامش الأصل: «هي المنية والأمل شرح الملل والنحل، وقول المواف في الأبطال، لأنهم أجمعوا إن مذهب الإمامية اختلقه ودسه أبو جعفر المنصور... من الذين أجمعوا على ما ذكر برد ذلك، وما ذكره هو أن رحمه الداعي الحسن بن إدريس الإسماعيلي ولفظه وهو منسوب بصنعه اسم الفاعل إلى الدعوة الإسماعيلية، وهم فرقة من الشيعة ظهر مذهبهم بعد موت الإمام جعفر الصادق، الذي تبع موسى بن جعفر فهو الإمامي، ومن قال أن النص سبق لإسماعيل بن جعفر فهو إسماعيلي، انتهى بلفظه، يعني إن المنصور اختلقه ودسه، وزمانه متأخر على موسى، وإسماعيل وهشام لمدة مديدة فعوله أن الكلام باطل قطعاً، باطل قطعاً».

اعتقادهم فيه، فإذا هو جيد جميل ومن أجله ذكر الاعتقاد.

وقال بعض الإمامية: إنه خرج داعياً إلى ابن أخيه الصادق، وهو كذب لا أصل له، ولم أجد لذلك نقلاً أطمئن إليه.

وكان الإمام أبو الحسين من السلف الصالح الأول، وكان يتولّى الخلفاء الثلاثة على الصحيح.

قال المقرئ في سكن المدينة وروى عن أبيه وعن أبان بن عثمان وعبيد الله بن أبي رافع وعروة بن الزبير، وروى عنه الزهري محمد بن شهاب وزكريا بن أبي زائدة وخلق.

وذكره ابن حبان في الثقات وقال: رأى جماعة من الصحابة، وقيل لجعفر الصادق: إن جماعة تبراوا من عمك، فقال: برىء الله ممن برىء من عمي، ثم أثنى عليه جيداً.

وقال أبو إسحاق السبيعي: رأيت زيد بن علي، فلم أر في أهله مثله، ولا أعلم منه ولا أفضل، وكان أفصحهم لساناً، وأكثرهم زهداً وبياناً.

وقال الشعبي: ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد.

وقال الإمام أبو حنيفة: شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله، فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جواباً، ولا أبين قولاً، لقد كان منقطع القرين.

وقال الأعمش: ما كان في أهل زيد بن علي مثل زيد، ولا رأيت فيهم أفضل منه ولا أفصح ولا أعلم ولا أشجع، ولقد وفا له من تابعه لاقامتهم على المنهج الواضح.

وقال عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: لقد أصيب فيكم رجل ما كان في زمانكم أفضل منه وما كان في زمانكم مثله، لقد رأيتته وهو غلام حدث وهو يسمع الشيء من ذكر الله فيغشى عليه حتى يقول القائل ما هو بعائد إلى

الدنيا، وكان يقال له حليف القرآن، وقال: خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة اقرأه وأتدبره فما وجدت في طلب الرزق رخصة، وما وجدت ابتغوا من فضل الله إلا العبادة والفقه.

وكان نقش خاتمه: إصبر تؤجر، إصدق تنج.
وقرأ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾^(١) فقال: إن هذا الوعيد وتهديد. ثم قال: «اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلاً».

وكان إذا كلمه إنسان وخاف أن يهجم على أمر يخاف منه مأثماً قال له: يا عبد الله إمسيك، إمسيك، كُفْ، كُفْ، إليك، إليك، عليك بالنظر لنفسك، ثم يكف عنه ولا يكلمه.

قال: وقد اختلف في سبب قيام زيد، فقيل: إن داود بن علي بن عبد الله ابن عباس، وزيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قدموا على خالد بن عبد الله القسري بالعراق، فأجارهم ورجعوا إلى المدينة، فلما ولي يوسف بن عمر بن خالد كتب إلى هشام بن عبد الملك: إن خالد إبتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار، ثم رد الأرض إليه، فكتب هشام إلى والي المدينة أن يسيرهم إليه، ففعل، فسألهم هشام فأقروا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك، وحلفوا فصدقهم هشام وعادوا نحو المدينة، فلما صاروا بالقادسية كاتب أهل الكوفة زيداً.

وقيل: بل ادعى خالد القسري أنه أودع زيداً وداوداً ونفراً من قريش مالاً، فكتب يوسف إلى هشام بذلك فسيرهم هشام من المدينة إلى يوسف ليجمعهم وخالداً، فقدموا عليه، فقال يوسف لزيد: إن خالداً زعم أنه أودع عندك مالاً، فقال زيد: كيف يودعني وهو يشتم آبائي على منبره، فأرسل إلى خالد فأحضره في عباة وقال: هذا زيد قد أنكرك إنك أودعته شيئاً، فنظر خالد إليه وإلى داود وقال لخالد: أتريد أن تجمع مع إثمك فيّ إثمياً في هذا، كيف أودعه وأنا أشتم أباه، وأشتمه على المنبر، فقال زيد: ما دعاك إلى ما صنعت؟ قال: شدد عليّ العذاب، فادعيت ذلك وأملت أن يأتي الله بفرج قبل قدومك.

(١) سورة محمد: الآية ٣٨.

وقيل: إن مدعي المال عندهم يزيد بن خالد، وإن هشاماً استدعاهم إليه ثم أمرهم بالسير إلى يوسف بن عمر، فاستقالوه خوفاً من شرّ يوسف وظلمه، فقال: أنا أكتب إليه بالكفت عنكم، وألزمهم بذلك فساروا على كره، فجمع يوسف بينهم وبين يزيد، فقال: ليس لي عندهم قليل ولا كثير، فقال يوسف: أبي كنت تهزأ أم بأمير المؤمنين؟ فعذبه يومئذ عذاباً كاد يهلكه، ثم استخلف زيداً وعصبة وأطلقهم، فأقام زيد بالكوفة، وكان قد قال لهشام: والله ما آمن بأن بعثني إليه أن نجتمع أنا وأنت حينئذ، قال: لا بد من المسير إليه.

وقيل: بل السبب أن الإمام زيد بن علي كان يخاصم ابن عمّه جعفر بن الحسين بن الحسن بن علي عليه السلام في وقف علي عليه السلام فزيد يخاصم عن بني حسين، وجعفر عن بني حسن، فكانا يبلغان كل غاية، ويقومان فلا يعيدان ما بينهما هرقا، فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن بن الحسن، فتنازعا يوماً بين يدي خالد بن عبد الملك بن الحارث بالمدينة، فاغلظ عبد الله لزيد وقال: يا بن السندية، فضحك زيد وقال: قد كان إسماعيل عليه السلام لأمة، ومع ذلك فقد صبرت أمي بعد وفاة سيدها ولم يصبر غيرها، يعني فاطمة بنت الحسين أم عبد الله، فإنها تزوّجت بعد أبيه الحسن بن الحسن.

قلت: الجواب شرّ من الابتداء، والبيادي أظلم، فبلغ فاطمة، فأرسلت إلى زيد: يا ابن أخي لنعم دخيلة القوم كانت أمك، وإني لأعلم أن أمك عندك كأم عبد الله عنده، ثم أن زيدا ندم واستحى من فاطمة فلم يدخل عليها زماناً.

وذكر أن خالداً قال لهم: إغدوا علينا غداً فلست لعبد الملك إن لم أفصل بينكما، فباتت المدينة تغلي كالمرجل، يقول قائل قال زيد كذا، ويقول قائل قال عبد الله كذا، فلما كان الغد جلس خالد في المجلس، واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم، فدعى خالد وهو يحب أن يتشامتاً، فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد: لا تعجل يا أبا محمد، أعتق زيد كلما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً، ثم أقبل على خالد فقال: لقد جمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر ما كان يجمعهم أبو بكر ولا عمر.

قلت: يؤخذ من عبارة الإمام أبي الحسين تصويب آراء العمرين لا كما ترويه عنه الجارودية إن صحّت هذه الرواية، وإلا فقد جمعا لحمة رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء وزوجها لخصومة الميراث والنحلة، وجمع عمر بين علي والعباس لخصومة الصدقة.

وروى المهدي أحمد بن يحيى السيد الحسيني الظفيري عن زيد بن علي أنه قال: لو كنت مكان أبي بكر ثم جئتني فاطمة لم أحكم في فدك إلا بحكمه، ذكر ذلك في كثير من كتبه. فمن ثم قالت الإمامية ما قالت. لأن المهدي رضي الله عنه كان يميل إلى رأي أبي هاشم المعتزلي كثيراً.



رجع، فقال خالد: أما لهذا السفية أحد؟ فقام رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزام فقال: يا بن أبي تراب وابن حسين السفية، أما ترى لوالٍ عليك سمعاً وطاعة، فقال زيد: أسكت أيها القحطان، فأنا لا نجيب مثلك، قال: ولم ترغب عني، فوالله..... لخير منك، وأبي خير من أبيك، وإمي خير من أمك، فتضحك زيد وقال: يا معشر قريش هذا الدين قد ذهب، أفتذهب الأحساب، فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم، فتكلم عبد الله بن واقد ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال: كذبت والله أيها القحطاني، فوالله لهو خير منك نفساً وأباً وأماً ومحتدأً، وتناوله بكلام كثير، وأخذ كفاً من حصبا وضرب بها الأرض، وقال: إنه والله ما لنا على هذا من صبر، وقام.

ثم شخص زيد إلى هشام فجعل هشام لا يأذن له وهو يرفع إليه القصص، وكلما رفع قصة كتب هشام في أسفلها: ارجع إلى منزلك، فيقول زيد: والله لا أرجع إلى خالد أبداً، ثم أذن له يوماً بعد طول حبس، فصعد زيد وكان بادناً، فوقف في بعض الدرج وهو يقول: «والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذل»، ثم صعد وقد جمع له هشام أهل الشام، فسلم ثم جلس، فحلف لهشام على شيء، فقال له: لا أصدقك، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرفع أحداً عن أن يرضى بالله، ولم يضع أحداً على أن لا يرضى بذلك منه، فقال هشام: أنت زيد المؤتمل للخلافة، وما أنت والخلافة، لا أم لك، وأنت ابن أمة؟، فقال زيد: لا أعلم أحداً أفضل عند الله من نبي بعثه، ولقد بعث الله نبياً وهو ابن أمة، ولو كان به تقصير عن منتهى غاية لم يُبعث وهو إسماعيل بن إبراهيم، فالنبوة أعظم منزلة من الخلافة عند الله، ثم لم يمنع الله منه أن جعله أبا العرب، وأباً لخير البشر محمد ﷺ، وما يقصر برجل أبوه رسول الله، وبعد أمي فاطمة لا أفخر بأم.

فوثب هشام من مجلسه وتفرق الشاميون، وقال لأصحابه: لا يبيت هذا في عسكري أبداً، فخرج زيد وهو يقول: «ما كره قوم قط حرّ السيف إلا ذلوا».

قلت: وإلى قوله هذا يشير ولده يحيى بن زيد^(١) المقتول بالجوزجان:

يا ابن زيد أليس قد قال زيد: من أحب الحياة عاش ذليلاً
كن كزيد فأنت نجلٌ لزيد واتخذ في الجنان ظلاً ظليلاً

فسار الإمام أبو الحسين إلى الكوفة، فقال له محمد بن عمر بن علي: اذكرك الله يا زيد إلا لحقت بأهلك، ولا تثق بأهل الكوفة، فإنهم لا يفون لك، فلم يقبل.

(١) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أحد الأبطال الأشداء. ولد سنة ٩٨هـ، وثار مع أبيه علي بن مروان. وقتل أبوه وصلب بالكوفة، فانصرف إلى بلخ، ودعا إلى نفسه سراً، فطلبه أمير العراق (يوسف بن عمر) فقبض عليه نصر بن سيار. وكتب يوسف إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخبره، فكتب الوليد يأمره بأن يؤمنه ويخلي سبيله، فأطلقه نصر، وأمره أن يلحق بالوليد، فسار إلى سرخس وأبطأ بها، فكتب نصر إلى عامل سرخس أن يسيره عنها، فانتقل يحيى إلى بيهق ثم إلى نيسابور، وامتنع، فقاتله واليها عمرو بن زرارة وهو في عشرة آلاف ويحيى في سبعين رجلاً، فهزمهم يحيى، وقتل عمراً، وانصرف إلى هراة. ثم سار عنها، فبعث نصر بن سيار صاحب شرطته سلم بن أحوز المازني التميمي في طلبه، فلحقه في الجوزجان فقاتله قتالاً شديداً، ورمي يحيى بسهم أصاب جبهته فسقط قتيلاً سنة ١٢٥هـ، في قرية يقال لها «أرغوية» وحمل رأسه إلى الوليد، وصلب جسده بالجوزجان. وبقي مصلوباً إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني واستولى على خراسان، فقتل سلم بن أحوز وأنزل جثة يحيى فصلى عليها ودفنت هناك. قال الذهبي: وكل من ولد في تلك السنة بخراسان، من أولاد الأعيان، سمي يحيى. وقال المسعودي: كان يحيى، يوم قتل، يكثر من التمثل بشعر الخنساء.

ترجمته في:

غريبال الزمان - خ. والفرق بين الفرق ٣٤، ٣٥ والروض المعطار - خ. وفيه: «قتل وصلب في الجوزجان فأظهرت شيعة بني العباس لبس السواد بسببه» والبيدانية والنهاية ١٠: ٥ وجمهرة الأنساب ٢٠١ ومقاتل الطالبين ١٥٢ - ١٥٨ وابن خلدون ٣: ١٠٤ وابن الأثير ٥: ٩٩ والطبري ٨: ٢٩٩ وفيهما وفي تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٨١ وفي الروض المعطار: مقتله سنة ١٢٥ وهناك رواية ثانية في مقتله: سنة ١٢٦ في رمضان. وانفرد صاحب «الإفادة في تاريخ الأئمة السادة - خ» برواية ثالثة، خلاصتها أن الذي رماه بالسهم، هو داود بن سليمان ابن كيسان، من أصحاب يوسف بن عمر، في آخر المحرم سنة ١٢٢هـ وزاد ما مؤداه: «واستخرجه يوسف بن عمر، فحز رأسه، وأرسله إلى هشام ابن عبد الملك، وصلب جسده بالكناسة. سنة وشهراً، ولما ظهرت آيات بني العباس في خراسان، كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف أن ينزله عن خشبته ويحرقه، ففعل، وذر رماده في القرات، وكان عمره يوم قتل ٤٦ سنة - كذا - ولما ظهر أبو مسلم تتبع قتله. فقتل أكثرهم». وشرح ديوان الخنساء ٢١٥ والمحجر ٤٩٢، الاعلام ط ٤/٨/١٤٦.

وقال: خرج بنا هشام أسرى من غير ذنب من الحجاز إلى الشام ثم إلى الجزيرة ثم إلى العراق ثم إلى قيس ثقيف يلعب بنا، وأنشد [من الكامل]:

بكرت تخوفني الحتوف كأنني أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل لا بد أن أسقى بكأس المنهل
إن المنية لو تمثّل مُثلت مثلي إذا نزلوا بفنك^(١) المنزل
فأفني حياءك لا أبأ لك واعلمي إنسي امرؤ ساموت إن لم أقتل
وهذا الشعر إنما مثل به الإمام، وهو مما أورده أبو تمام في حماسته^(٢)،
وفي ذهني أنه لعنرة العبي^(٣).

ثم قال لعمر: استودعك، وإني أعطي الله عهداً إن أدخلت يدي في طاعة هؤلاء ما عشت، وفارقه، وأقبل إلى الكوفة مستخفياً يدور في المنازل، فأقبلت الشيعة تختلف إليه تبايعه، فبايعه جماعة من الوجوه، وكانت بيعته: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وجهاد الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين أهله على السواء، وردّ المظالم، ونصرنا أهل البيت، أتبايعون على ذلك، فإذا قالوا: نعم، وضع يده على أيديهم ويقول: عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله، لتفین بييعتي، ولتقاتلنّ عدوي ولتنصحنّ لي في السرّ والعلانية، فإذا قال: نعم، مسح بيده، ثم يقول: اللهم أشهد.

فبايعه خمسة عشر ألفاً، وقيل أربعون ألفاً، وأمر أصحابه بالاستعداد، فأقبل من يريد أن يفي يستعد ويتهيأ، فشاع أمره في الناس.

وقال آخرون: أنه أتى الكوفة لموافقة خالد القسري أو ابنه يزيد عند يوسف ابن عمر، وأنه أقام بالكوفة ظاهراً ومعه داود بن علي، وأقبلت الشيعة تختلف إليه ويحسّنون له الخروج ويقولون: أنا لنرجو أن تكون أنت المنصور، وإن هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية، فأقام بالكوفة ويوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو هاهنا، ويبعث إليه لیسير، فيقول: نعم ويعتلّ بالوجع، فمكث ما شاء الله، ثم أرسل إليه يوسف بالمسير فاحتج أنه يحاكم آل طلحة بن عبيد الله بملك بينهما

(١) كذا في الأصل.

(٢) لم أعثر عليها في كتاب الحماسة لأبي تمام.

(٣) كاملة في ديوان عنرة ٧٨ - ٨٩ ط دار الجيل.

بالمدينة، فأرسل إليه ليوثل وكيلاً، يرحل عنها، فلما رأى الجد من يوسف في أمره سار حتى أتى القادسية وقيل الثعلبية فتبعه أهل الكوفة، وقالوا: نحن أربعون ألفاً لم يتخلف عنك أحد، نضرب معك بسيوفنا وليس ها هنا من أهل الشام إلا عدّة يسيرة، وبعض قبائلنا تكفيهم بإذن الله تعالى، وحلفوا له بالأيمان المغلظة، فجعل يقول: إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدّي! فيحلفون له.

فقال داود بن علي: لا يغرّك يا ابن عم هؤلاء، أليس قد خذلوا من كان أعزّ عليهم منك جدك علي بن أبي طالب حتى قتل، والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداه وجرحوه، أو ليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له ثم خذلوه وأسلموه، ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه فلا ترجع إليهم أبداً.

فقالوا: يا زيد إن هذا لا يريد أن تظهر أنت ويزعم أنه وأهل بيته أولى بهذا الأمر منكم.

فقال لداود: إن علياً كان يقاتله معاوية بذهبه، وإن الحسين قاتله يزيد والأمر مقبل عليهم، فقال له داود: إني أخاف إن رجعت إليهم أن لا يكون أحد أشدّ عليك منهم وأنت أعلم، ومضى داود للمدينة.

ورجع زيد إلى الكوفة، فأتاه سلمة بن كهيل فذكر له قرابته من رسول الله ﷺ وحقّه فأحسن، ثم قال له: أنشدك الله كم بايعك؟ فقال: أربعون ألفاً، قال: فكم بايع جدك؟ قال: ثمانون ألفاً، قال: فكم حصل معه؟ قال: ثلثمائة، قال: أنشدك الله أنت خير أم جدك؟ قال: جدّي، قال: فهذا القرن خير أم ذلك القرن؟ قال: بل ذلك، قال: فتطمع أن يفي لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك، قال: بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم، قال: فتأذن لي أن أخرج من هذا البلد، فإني أخاف أن يحدث حدث فأهلك نفسي، فأذن له، فخرج إلى اليمامة.

وكتب إليه عبد الله بن الحسن بن الحسن:

أما بعد، فإن أهل الكوفة نفخ العلانية، خول السريرة، هوج في الردا، أجزع عند اللقاء، تقدّمهم ألسنهم، ولا تشايهم قلوبهم، ولقد تواترت كتبهم اليّ بدعوتهم، فصمّت عن ندائهم، وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم، ياساً منهم، وأطراها لهم، وما لهم مثل إلا كما قال علي بن أبي طالب عليه السلام: إن أهملتم

خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعتهم، وإن أجبتم إلى مشاقّة نكصتم.

فلم يصغ زيد إلى شيء من ذلك، وأقام على حاله يبايع الناس، ويتجهّز للخروج.

وتزوّج بالكوفة امرأتين، وكان يتنقل تارة عند هذه في بني سلمة، وتارة في الأزد عند الأخرى، وتارة في بني عبس، وآونة في بني تغلب إلى أن ظهر سنة اثنتين وعشرين ومائة، وأمر أصحابه بالاستعداد وأخذ من نيّته الوفاء في ذلك، فبلغ يوسف بن عمر فبعث في طلب زيد فلم يوجد، وخاف الإمام زيد أن يؤخذ قبل الموعد الذي بينه وبين الناس وعلى الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت في ناس من أهل الشام، ويوسف بن عمر بالحيرة.

فلما رأى أصحاب زيد أن يوسف بن عمر قد بلغه الخبر، اجتمع إلى زيد جماعة من رؤوسهم فقالوا: رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يقول فيهما إلاّ خيراً، وإن أشدّ ما أقول فيمن ذكرتم إنا كنا أحقّ بسُلطان رسول الله ﷺ عن الناس أجمعين، فدفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا كفراً، وقد ولوا فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنة.

قالوا: فلم يظلمك هؤلاء، إن كان أولئك لم يظلموا، وإن كان هؤلاء لم يظلموا، فلم تدعونا إلى قتالهم؟

فقال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، هؤلاء ظالمون لي ولأنفسهم ولكم، وإنما ندعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى السنن أن تحيي، وإلى البدع أن تطفى، فإن أجبتمونا سعدتم، وإن أبيتم عليكم بوكيل.

ففارقوه وقالوا: قد سبق الإمام - يعنون الباقر - وجعفر ابنه إمامنا اليوم، فسماهم زيد الرافضة، وقيل سماهم الرافضة المغيرة العجلي حين رفضوه لقلّة خيره.

قلت: كلام الإمام أبي الحسين رضوان الله عليه أشكل ما في أصول الزيدية، وأما سيرة الخليفيتين السيرة المرضية فهو في نهج البلاغة في كثير من خطب أمير المؤمنين رواية الشريف أبي الحسن الرضي، ثم إن قصة فدك وأخذها

وما جرى من القول والفعل من الزهراء ومن علي عليه السلام يضاف ما في بعض الخطب العلوية، فدونك فانظر واختر لنفسك ما يحلو.

وخلاصة الأمر: إن أهل الكوفة فشلوا واغلق عليهم مسجدهم وبعضهم خذل، وجاء يوسف من الحيرة وجرى قتال وقتل، ثم بعث يوسف جماعة من الخراسانية الناشبة قدر خمسة آلاف فرشقوهم بالنشاب وقت المساء، والإمام زيد بجبانة الكوفة، فرمى بسهم في جبهته اليسرى ثبت في دماغه، ورجع أصحابه، ولا يظن أهل الشام إلا أنهم عادوا للمبيت، فأتوا بطبيب فتزع السهم فضج الإمام زيد ومات رضوان الله عليه لليلتين خلتا من صفر سنة ١٢٢.

وعمره اثنتان وأربعون سنة.

فلما مات اختلف أصحابه في أمره، فقال بعضهم نظرحة في الماء، وقال بعضهم نحز رأسه ونلقيه في القتلى، فقال ابنه يحيى: والله لا تأكل لحم أبي الكلاب، وقال بعضهم: نلقيه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ونرسل عليه الماء ففعلوا ذلك، وكان معه مولى له سندي فدلّ عليه، وقيل رأهم، فصار فدلاً عليه، ففترق الناس وسار ابنه يحيى نحو كربلا.

وتتبع يوسف بن عمر الجرحى في البيوت حتى دلّ على زيد في يوم الجمعة فأخرجه وقطع رأسه وبعثه إلى هشام، فدفع للواصل به عشرة آلاف درهم ونصبه في باب دمشق ثم أرسله إلى المدينة ومنها إلى مصر، وصلب يوسف جسده بالكناسة ومعه ثلاثة من أصحابه، وأقام الحرس فمكث مصلوباً أكثر من سنتين حتى مات هشام وتولى الوليد فأرسل إلى يوسف أن أنزل زيدا وأحرقه بالنار، فأحرقه وذرى رماده في الرياح، وكان صلبه عرياناً، فاسترخى بطنه على عورته فلم يرَ منها شيء.

وقال عبد الله بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي: سمعت أبي يقول: اللهم إن هشاماً رضى بصلب زيد فاسلبه ملكه، وإن يوسف بن عمر أحرق زيد فسلب عليه من لا يرحمه، اللهم فاحرق هشاماً في حياته إن شئت وإلا فاحرقه بعد موته.

قال: فرأيت والله هشاماً محرّقاً لما أخذ بنو العباس دمشق، ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطّعاً على كل باب من أبواب دمشق منه عضواً.

فقلت: يا أبتاه، وافقت دعوتك ليلة القدر، فقال: يا بني بل صمت ثلاثة

أيام من شهر رجب، وثلاثة أيام من شعبان وثلاثة أيام من رمضان، كنت أصوم الأربعاء والخميس والجمعة، ثم أدعو عليهما من صلاة العصر يوم الجمعة حتى أصلي المغرب.

قال المقرئ، ومن خطه نقلت الترجمة إلا ما استدركته لنفسي وهو ظاهرة وبعد قتل زيد انتقض ملك بني أمية وتلاشى إلى أن أزالهم بني العباس.

قال: ومشهد رأسه بين كيما وقراب يقصده الناس للبركة، لا سيما يوم عاشوراء ويعرفونه بزین العابدين، وليس كذلك، وسوّدت الشيعة عليه، وكان أول من سوّد عليه شيخ بني هاشم في وقته، الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم^(١) ورثاه بقصيدة طويلة، وشعر الفضل حجة احتجّ به سيويه، وتوفي الفضل سنة ١٢٩^(٢).

ورأيت في بعض التواريخ: إن بعض الخوارج قال يرثي الإمام زيداً عليه السلام:

أبا حسين والأمور إلى مدى
أبا حسين إن شر عصابة
أولاد درزة أسلموك وطاروا
حضرتك كان لوردها إصدار
ومن شعر الإمام أيضاً:

يقولون زيد لا يزكي بماله
إذا حال حول لم يكن في أكفنا
وكيف يزكي المال من هو باذله
من المال إلا رسمه وفواضله

(١) الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب: شيخ بني هاشم في وقته، وشاعرهم وعالمهم. وهو أول من لبس «السواد» على زيد بن علي بن الحسين. ورثاه بقصيدة طويلة حسنة. وشعره حجة، احتج به سيويه. كان نازلاً عند بعض «بني تميم» بالبصرة. ولما اشتد هارون الرشيد في طلب بني هاشم استخفى، فدل التميميون عليه، ونهبوه، فهجاهم بأبيات، منها قوله:

إذا ما كنت متخذاً خليلاً
فلا تجعل خليلك من تميم
توفي نحو سنة ١٧٣هـ

ترجمته في:

المرزباني ٣١٠ ونسب قریش ٨٩ وفي مقاتل الطالبين ٢٥٤ ما استفاد منه أن عبد الله بن الحسن المثنى، المولود سنة ٧٠هـ، كان أصغر سناً من صاحب الترجمة، فإن صح هذا وصح أنه أدرك أيام الرشيد، فيكون قد عاش أكثر من مئة عام، الاعلام ط ١٥٠/٥/٤.

(٢) ورد في كثير من المصادر: «أنه توفي سنة ١٧٣هـ».

والذي ينبغي لكل محب لله ورسوله اعتقاد وولاية الإمام زيد وتعظيمه، فإنه من أفضل السلف الصالح، وكلما نسب إليه مما يؤثر في القلب من قبل الاعتقادات، فالواجب الوقف فيه أو تأويله، فإنها جاءت روايات مختلفة متناقضة، وقد كثرت الدسائس في الأخبار.

ورحم الله الحافظ أبو زكريا يحيى بن معين، فلولا قيامه في الجرح والتعديل لما عرف الكاذب من الصادق.

وفي جهال الشيعة من لا يبالي بنقل الأكاذيب تقليداً أو قصوراً* . وكان ولده يحيى بن زيد شاعراً كثير الفضل شاباً شجاعاً، وقتله سلم بن أحور المازني بالجوزجان أيام الوليد بن يزيد بأمر نصر بن سيار الفزاري أمير خراسان، وكان ثأر بطلب دم أبيه، وصلبه بعد القتل.

وأظهر أبو مسلم الخراساني القيام بثأره وسود ومن معه من شيعة العباسية، وأمر بتسمية كل مولود تلك السنة في خراسان يحيى . .

والجوزجان، بضم الجيم وإسكان الواو وفتح الزاي وبعد الجيم الثانية ألف ونون: مدينة عظيمة من بلاد خراسان. والله أعلم.

[٧٩]

السيدة الجليلة زينب ابنة السيد الجليل محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود الحسنية اليمنية المولدة* .

فاضلة تحلت بالأدب في عصابتها، ونظمت ما اشتبه حسناً بقلادتها، فلو رأتها ولادة رأت عن الصواحب العقيمة، وهتكت عقودها الشعرية والنحوية قائلة

(*) زينب بنت محمد بن أحمد بن الناصر الحسن، بن علي بن داود بن الحسن بن عزالدين بن الحسن بن علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى ابن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم المختار بن أحمد الناصر بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام، اليمنية الشهارية. «نشر العرف ١/٧٠٩».

ترجمتها في: طيب السمر - خ -، ذوب الذهب - خ -، نضجات العنبر - خ -، البدر الطالع ١/ ٥٨، نزهة الجليس ٤١/٢، نشر العرف ١/٧٠٩ - ٧١٩، وفيه وفاتها في محرم سنة ١١١٤، الاعلام ط ٤/٣/٦٧.

ما الحلية إلا مثل هذه الخريدة اليتيمة، أو شهدت الكاتبة مرّت حلاوتها، أو محبوبة المتوكلية ذهبت طلاوتها، أشبهت وهي ثالثة القمرين في المعارف رابعة، خلا أنها خلت من سهوات الفضل وإن كانت شمساً في السابعة، لم يدر أشعرها أم وجهها أم حليها أجمل، ولما كانت من الطيبات كتبت وفاتها بالمندل، فهي للغواني جمال، ولو كانت النساء مثلها لفضّلت النساء على الرجال، وكانت تعرف النحو والأصول والمنطق وشيئاً من النجوم والرمل والسيميا، وترتاض كثيراً آخر أيامها.

وأما الأدب فهي حليته، وكانت تذاكر بالأدب والعلوم ولا يُملُّ حديثها مع العفة والخفر والسكينة وشعرها قويّ المباني، له في الفكر فعل المثاني، وهو كثير في فنّي العربي والموشح، وتزوجها أولاً علي بن المتوكل ثم فارقها، ثم تزوّجها غيره.

وأُنشدني ابن أخيها السيد بدر الدين محمد بن علي بن محمد، ومن شعرها ما كتبه لأخيه إسماعيل بن علي وكان وفد إليها إلى شهارة ثم أراد المسير إلى علي بن المتوكل وهو باليمن، فأرسلت معه قصيدة توصيه به وذلك بعد أن طلقها بمدّة وأولها:

<p>أصخ لي أيها الملك الهمام إليك ركائب الآمال أمت أتيتك شاكياً من ريب دهر به غاض الوفاء فلا وفاء ولا الآباء والأبناء فيه وفدت علي كريم أريحي يجود بصافنات الخيل تزهو يجود ببيعملات العيش تنئوا بكم لا شك تنتظم المعالي وأنت أبو الحسين أجل قدراً علوت عليهم كرماً وفضلاً تلذ لك المروءة وهي تؤذي</p>	<p>عليك صلاة ربك والسلام تيقن أن متجرها أمام به عز المعين فلا يرام به فقد الذمام فلا ذمام ولا الأخوان بينهم التئام سخي ليس يعروه السئام بعسجدها إذا شخّ اللئام بأثقال يجاذبها الزمام كسلك الدر يجمعه النظام من الأكفا وإن جحدوا ولا موا وما استوت المناسم والسنام ومن يعشق يلذ له الغرام</p>
--	--

لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك في فم الدهر ابتسام^(١)
الأخيران من مشهور شعر أبي الطيب، ولقد كاد يشتبه شعر هذه العقيلة
بشعره.

وما أحسن قول مجير الدين بن تميم الدمشقي الأشغردى^(٢) في تضمين
الآخر:

أزهر اللوز أنت لكل زهرٍ
لقد حسنت بك الأيام حتى
وكتبت إلى بعض الأعيان تعاتبه:

من الأزهار يأتينا إماماً
كأنك في فم الدهر ابتساماً
يا بهجة النادي ونور المكان
والحال ما امتاز بعطف البيان
حين التذاني والزمان الزمان
لأمره فيما مضى الخافقان
كان من الرحمن حقاً معان
إليه والهند وأقصى عمان
تنهل ما دارت صروف الزمان
والأنس في تلك المغاني الحسان
وذلك العهد وذاك الأوان
وما لذاك الصدق بي الودمان
يدني إلى السلوان بعد امتحان
الراحم الديان ذو الامتنان
في كل يوم منه أمر وشان
من أين لي أنظركم بالعيان
حتى تنال السبق يوم الرهان

سبحان مانحها هذه الرقة والانسجام.

(١) نشر العرف ٧١٧/١ - ٧١٨.

(٢) مَرَّت ترجمته بهامش سابق.

وسمعت لها بيتاً مفرداً في التورية، والنساء يتناشدنه، فَضَلَّت فيه شهارة
على صنعاء لأنها توطنت شهارة بسبب أن أمها أسماء بنت الإمام المؤيد هناك،
ولم أسمع له بأول، فنظمت له أولٌ من شعري لاستحساني له ورعاية لأدبها
ولأنها عمّة للوالد من الرضاعة وهو:

وقائل لي أزال ليس تشبهها شهارة قلت قف لي واستمع مثلي
أليس صنعاء تحت الظهر مع ضلع أمّا شهارة فوق النحر والمقل

ولا تخفى حلاوة النحر والمقل وهما بعقبة شهارة، النحر: أحد أبوابها،
والمقل: ماء فيه كروم ومسجد بزه أسفل منه، والظهر^(١): وادي ظهر الذي أشرنا
إليه في ترجمة الداعي في حرف الحاء^(٢).

وضلع، كجمع، جمع ضلعة: محل قريب الوادي المذكور، به كروم وماء.

وما رأيت أقوى من هذا التفضيل مع قوة التورية في الأربع المحلات.

ولما مات المتوكل ودعى القاسم بن المؤيد وهو خالها، ودعى المهدي
أحمد بن الحسن قالت تمدح خالها وتعرض بالمهدي:

إن الإمامة^(٣) زينت إكليلها للقاسم بن محمد بن القاسم
لا كالذي جعل الجواري همه وشفى بحرب إمامه من قادم^(٤)

لأن المهدي رحمه الله كان خرج أولاً على المؤيد بن المنصور أيام صباه،
ثم تاب وأتاب وهيئات أن يسمح الدهر بمثله، ولا يخفى ما في البيتين من
البدع.

ورأيت في «كتاب ميزان السياسة» عند قول صاحبه: من الكرم العفو من
سهو الذنوب، وترك البحث عن نشر العيوب، بخطها عقدت الكاتبة سامحها الله
هذا الكلام في متن الكتاب في العفو وترك تتبع العثرات في ذين البيتين:

(١) في هامش ب: «ولعله المراد بالظهر في البيت الأكمة المشرفة على صنعاء من جهة شرق بقبله
المسماة ظهر الحمار».

(٢) ترجمه المؤلف برقم.

(٣) في هامش الأصل: «الخلافة».

(٤) نشر العرف ٧١٧/١.

من شيمة الحرّ الكريم الـ
ومن المروءة تركه
عفو عن سهو الذنوب
للبحث عن نشر العيوب
وبعدهما كتبت:

أمة الله الفقيرة إليه، الطالبة عفوه ورحمته، زينب بنت محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي.

ولها موشح أنفس من وشاح الجوزاء، ولا أقول وشاحها ولم امتحضه.
وكانت عالمة أخذ عنها جماعة كما أخبرني ابن عمي العماد يحيى بن إبراهيم بن الحسين، ولمحبّتها علم السيمياء والروحانية عكفت على المندل وارتاضت له فأصابها سكون ومرض، الظاهر أنه بسبب الروحانية، وبقيت ملقاة نحو شهر فقدرت وفاة تلك الطيبة بالمندل في شهر المحرم افتتح سنة أربع عشرة ومائة وألف بشهارة، رحمهما الله تعالى.

وكان آخر من تزوجته طالب بن المهدي وكان غدا في الفعل واللون فلم ترتض الشمس زحل، والوردة لا يعاشرها الجعل، ففارقته فراق الحليّة ذا ناجب^(١) بأمر ابن زائدة، ومضى والعين قرحا يبعده جامدة.

والمندل كتاب معروف يتوصّل به إلى استحضار الروحانية.

وما أحسن قول شهاب الدين الحاجبي المصري من أبيات:

يا صاح علّني بكأس مدامية
صهباء إن جُن الفتى بخمارها
عن ذكره إن الحبيب معلل
منها شفاء في شذاها المندل

والمندل في المعنى البعيد أحد أصناف العود الهندي، وهو من أجوده، وهو حار يابس في الثانية، ترياق يقرّو القلب ويسكّن الخفقان البارد، ويقوّي الأحشاء، وينفع الخلفة السوداوية والدماغ البارد، وقد يضرّ المحرور ويصدعه.

وكان والد السيدة زينب فاضلاً عالماً، وله شعر ومصنفات، وتولى العدين والمخا.

وجدها الإمام الحسن أحد أئمة الزيدية، وكان غزير العلم، كثير الفضل،

(١) كذا في الأصل.

حليماً خليقاً بالإمامة، وما رأيت أفصح من رسائله، وظهر باليمن، وأجابه أهل
الجبال، ثم أسره الأجناد الرومية، وأرسله الوزير مع أولاده، المطهر بن الإمام
شرف الدين إلى بلاد الروم فاعتقل معهم، وكان مسكنه بذي قُلَّة، وانقطع خبره،
وقيل إنه أعقب هناك. والله أعلم.

حرفُ السّين

[٨٠]

أبو العباس، سُديف بن ميمون، مولى أبي الحسن علي بن الحسين
السَّجَّاد^(*).

وقال أبو الفرج: إنه مولى خزاعة، وتزوج مولاة لآل أبي لهب، فانتمى إلى
بني هاشم^(١).

فاضل، شعره والصارم على سواء، فلا يبالي بأتهما على عدوه انتضى،
أشبه شعره سيف السَّقَّاح، فكلا الماضيين جراح.

وقال الذهبي في الميزان: سديف بن ميمون المكي، رافضي خرج مع ابن
حسن^(٢).

قلت: يعني الإمام إبراهيم بن عبد الله بن حسن وأخاه محمد، فظفر به
المنصور فقتله.

(*) ترجمته في:

الأغاني ١٤١/١٩ - ١٤٤، ميزان الاعتدال، تهذيب ابن عساكر ٦/٦٦، الشعر والشعراء ٢٩٣،
المحبر ٤٨٦، التاج ٦/١٣٦، العقد الفريد، أعيان الشيعة ٤/٣٤، الاعلام ط ٤/٣/٨٠، مقدمة
«شعر سديف...» وجمع شعره وحققه رضوان مهدي العبود بعنوان «شعر سديف بن ميمون» ط في
النجف ١٩٧٤.

(١) الأغاني ١٦/١٤٢.

(٢) ميزان الاعتدال.

قال العقيلي: كان من الغلاة في الرفض.

قال الذهبي: نا إسحاق بن يحيى الدسان^(١)، نا حرب بن الحسن الطحّان، نا حسان بن سدس^(٢)، نا سديف المكي، ثنا محمد بن علي الباقر: وما رأيت محمدياً قط يشبهه.

ثنا جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله ﷺ قال: من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً وإن صام وصلى، إن الله علّمني أسماء أمّتي كما علّم آدم الأسماء كلها، ومثل لي في الطين فمرّ بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعلي وشيعته.

قال ابن حبان: فدخلت مع أبي علي جعفر بن محمد فذكر له أبي هذا فقال: ما كنت أظن أني أحدث بهذا أبداً.

وقال ابن عبد ربه في العقد: لما قدم القمر بن يزيد بن عبد الملك، علي أبي العباس في ثمانين رجلاً من بني أمية فوضعت لهم كراسي، وطرحت لهم نمارق، فأجلسوا عليها، ثم أذن لشيعته فدخلوا ودخل فيهم سديف بن ميمون وهو متوشح سيفاً، متنكب قوساً، وكان طويلاً أسود أدلم فقام خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه: أتزعم الضلال حبطت أعمالهم أن غير آل محمد أولى بالخلافة قلم وبم أيها الناس، ألكم الفضل بالصحابة دون القرابة، الشركاء في النسب، الأكفياء في الحسب، الخاصة في الحياة، الولاة عند الوفاة، مع ضربهم على الدين جاهلكم، وإطعامهم في الأواء جائعكم، فكم قصم الله بهم من جبار باغ وفاسق طاغ، لم يسمع بمثل العباس، لم تخضع لهم أمة بواجب حق الحرمة، أبو رسول الله ﷺ بعد أبيه، وجلدة ما بين عينيه، أمينه ليلة العقبة، ورسوله إلى أهل مكة وحاميه يوم حنين لا يرد له كلفاً، ولا يخاف له قسماً، إنكم والله معشر قريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث اختار الله لكم، فكم تيمي مرة، وعدوي مرة، وأسدي مرة، وكنتم بين ظهرائي قوم قد آثروا العاجل على الآجل، والفاني على الباقي، وجعلوا الصدقات في الشهوات، والفني في الغنى، واللذات والمغانم في المحارم، إذا ذكروا الله لم يذكروا، وإذا قوموا بالحق

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

أدبروا، فذلك كان زمانهم، وبذلك كان يعمل سلطانهم، فلما كان من الغد دخلوا.

ودخل سديف، فأنشد القصيدة الآتية.

وقال ابن عبد ربه أيضاً: وكان سبب قتل سديف أنه قال أبياتاً ميمية وكتب بها إلى أبي جعفر وهي [من الكامل]:

أسرفت في قتل الرعية ظالماً فاكفف يديك أظلمها مهديها
فلتأتينك راية حسنية جرارة يقاتدها حسنيها^(١)

فَأْتَعَبْتُ أبا جعفر، فلم يزل يتجسس عن قائلها حتى علمه، وكتب إلى عبد الصمد بن علي، وكان سديف في حبسه فدفنه حياً.

وقال أبو الفرج في الأغاني: وكان سديف شاعراً مطبوعاً، وكان شديد التعصب لبني هاشم مظهراً لذلك في زمن بني أمية، وهو حجازي مخضرم، أدرك الدولتين، وكان يخرج إلى أحجار صفا بظاهر مكة تسمى صفا السباب، ويخرج مولى لبني أمية يسمى سلبا معه فيتسابان ويذكران المثالب والمعائب، ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا ولهذا فلا يبرحون حتى يقع الشجاج والجراح، ويخرج السلطان إليهم فيفرقهم ويعاقب الجناة، حتى شاعت عصيتهم في السفلة والعامية، وكانوا فريقين سديفية وسلبية طوال أيام بني أمية، ثم صارت العصبية في أيام بني هاشم بين الحناتين والجزارين^(٢) بمكة.

ومن شعره المختار للخلفاء في غناء المائة الصوت [من المتقارب]:

علامَ هَجرتِ ولم تُهْجِري ومثلكِ في الهجر لم يُعْذِرِ
قطعتِ حبالك من شادنٍ أغنَّ قَطوفِ الخطا أحور^(٣)

(١) يشير بحسنيها إلى محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي صاحب الثورة على المنصور.

العقد الفريد ٨٨/٥، تهذيب ابن عساكر ٦٨/٦، أعيان الشيعة ٤/٣٤، شعر سديف ٢٩.

(٢) في الأغاني ١٤٢/١٦: «الجزارين»، أي صناع الحرير.

(٣) الشادن: ولد الظبية، والشادن من أولاد الظباء الذي قد قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه،

«اللسان: مادة شدن». قطوف الخطا: المتقارب الخطو البطيء، والقطوف من الدواب: البطيء، والجمع قطف «اللسان: مادة قطف».

الأغاني ١٤١/١٦، شعر سديف ٢١.

والغناء فيهما لأبي العباس الصيمري البغدادي النديم .
وكان سديف شديد العداوة لبني أمية .

وذكر غير أبي الفرج : إن سليمان بن هشام بن عبد الملك كان له هوى مع بني هاشم ، وكان أبو العباس السفاح لما قتل من وجد من بني أمية آمن سليمان وثمانين رجلاً منهم ، وكان سديف يحرضه على قتلهم ، فمما قال في ذلك [من الخفيف] :

ظهر الحق واستبان مضيّاً إذ رأينا الخليفة الهاشميّا
قد أتتك الوفود من عبد شمس مستكينين قد أجدوا المطيّا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويّا^(١)
وله في ذلك يخاطب أبا العباس [من الوافر] :

عَلامَ وفيَمَ تترك عبد شمس لها في كل راعية ثغاء
أمير المؤمنين أبح دماهم فإن تفعل فعادتك المضاء^(٢)

وروى أبو الفرج : إن أبا العباس كان جالساً يوماً على سريرته وبنو هاشم دونه على كراسي ، وبنو أمية على الوسائد قد ثنيت لهم ، إذ دخل عليه سديف مولاه مثلثاً ، وكان حين قدم من المدينة ، فلما رأى بني أمية حوله حسر اللثام ثم قال [من الخفيف] :

أصبح الدين^(٣) ثابت الأساس بالبهايل من بني العباس^(٤)
بالصدور المقدمين قديماً والرؤوس القماقم الرؤاس^(٥)
يا أمير المطهرين من الذم ويا رأس منتهى كل رأس

(١) الشعر والشعراء ٦٤٧ ، الكامل للمبرد ١١٧٨ ، العقد الفريد ٤/٤٨٦ ، شذرات الذهب ١/١٨٧ ،
النجوم الزاهرة ١/١٣١ ، أعيان الشيعة ١٧/٣٤ ، شعر سديف ٢٩ - ٣٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٦/٣٢٦ ، شذرات الذهب ١/١٨٧ ، أعيان الشيعة ٢٠/٣٤ ، أشعار أولاد الخلفاء
٢٩٩ ، شعر سديف ١٧ .

(٣) في هامش الأصل : «الملك» .

(٤) الأساس : واحدها أس وقد يقال للواحد أساس وجمعه أسس ، البهايل : جمع بهلول وهو
الضحاك ويريد به هنا السيد الجامع لكل خير .

(٥) القماقم والقماقم : أي السيد .

كم أناس رجوك بعد اياس
واقطعن كل دفسلة و غراس^(١)
بدار الهوان والاتعاس
وبهم منكم كحز المواسي
عنك بالسيف شافة الأرجاس
وقتيلاً بجانب المهراس
رهن قبر في غربة وتناسي
قربهم من نمارق وكراسي
لونجى من حبائل الإفلاس^(٢)

أنت مهدي هاشم وهداها
لا تقيلن عبد شمس عشاراً
أنزلوها بحيث انزلها اللد
خوفهم أظهر التودد منهم
إقصهم أيها الخليفة واحسم
واذكرن مصرع الحسين وزيد
والإمام الذي بحران أمسى
فلقد ساءني وساء سوائي
نعم شبل الهراس مولاك شبل،

والظاهر إنه ارتجل الأبيات فتغير لون أبي العباس وأخذه الزمع، فقال بعض
ولد سليمان بن عبد الملك لرجل كان إلى جنبه: قتلنا والله هذا العبد، ثم أقبل
عليهم، فقال: يا بني المقارع والعصي إني أرى قتلى كثيراً من أهل بيتي قد
سلفوا، وأنتم أحياء تتلذذون، خذوهم، فأخذتهم الخراسانية بالمقارع حتى قتلوهم
شدخاً، وبسطت البسط عليهم وجيء بالطعام فأكل أهل المجلس، وإنه ليسمع
أنين بعضهم من تحت البسط، وقال لسديف: لولا أنك خلطت شعرك بالمسألة
لأغنمتك أموالهم، ولعقدت لك على جميع موالي بني هاشم.

وذكر بعض الرواة الواقعة والشعر لشبل بن معبد وهو أيضاً شاعر من موالي
بني هاشم وكتب إلى عماله بالنواحي بقتل بني أمية.

وقال غير أبي الفرج: إنه أجاز سديفاً بألف دينار ثم قال له أخوه المنصور:
كأنني بك يا سديف قد قدمت المدينة فقلت لعبد الله بن الحسن: يا بن رسول الله
إنما ندهن بني العباس لأجل عطائهم نقوم به أودنا، وأقسم بالله لئن فعلت
لأقتلنك، ففعل سديف ذلك، فأنتهى خبره إليه، فلما ولي الخلافة ضربه حتى
مات، وقيل دفنه حياً سنة اثنتين وثلاثين ومائة^(٣)، رحمه الله تعالى.

(١) في ديوانه: «رقلة» والرقلة: النخلة الطويلة.

(٢) الكامل للمبرد ١١٧٨/٣، طبقات ابن المعتز ٣٩، أخبار شعراء الشيعة ٧٦، ديوانه.

(٣) في هامش الأصل عبارة «ينظر في هذا»، أقول: أجمعت المصادر التي أوردت خبر سديف، إن
وفاته سنة ١٤٦.

وذكر أبو الفرج: إن المنصور لما حبس عبد الله بن الحسن وقتل ولديه محمد وإبراهيم أنشد سديف قصيدة رائية مدحه بها وذكر خبر ابن عبد الله بقوله [من الكامل]:

يا سوئتا للقوم لا إذ لم يَلُو كفواً ولا كانوا من الأحرارِ

فقال: أتحضض عليّ يا سديف، قال: بلا أوّنبهم يا أمير المؤمنين.

وقتل المهراس: هو يحيى بن زيد^(١)، وقد مرّت الإشارة إليه عند ذكر أبيه.

وقتل حران: هو إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أشخصه مروان بن محمد عن الحميمة إلى حران حين بلغه أن المسوّدّة تدعو إليه، ثم أدخل رأسه في جراب فيه نورة وشده عليه حتى مات، ثم صلبه.

ورأيت في بعض المجاميع أن إبراهيم بن المهدي ركب مع أخيه الرشيد في زورق للنزهة في الدجلة، وكان الرشيد يحب منادته لعلمه، فقال له: يا إبراهيم أي الأسماء أشرف وأسعد؟ قال: يا أمير المؤمنين اسم محمد رسول الله، ثم قال: من قال اسم هارون خليفته؟ قال: فأي الأسماء أشأم؟ قال: إبراهيم، قال: فزبرني وقال: يا جاهل أليس هو خليل الرحمن، قلت بشؤم: اسمه لقي من النمرود ما لقي حتى رماه بالمنجنيق إلى النار، لولا أن جعلها الله برداً وسلاماً، قال: ويحك فهو اسم إبراهيم بن رسول الله، قلت بشؤم: اسمه لم يعمره، قال: فهو اسم إبراهيم الإمام، قلت: بشؤمه حبسه مروان ثم غمّه في جراب النورة، وأزيدك يا أمير المؤمنين، إبراهيم بن الأشرق قُتل، وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن قُتل، قال إبراهيم: فبيننا أنا في حديثه إذ صاح ينادي آخر: يا إبراهيم عدّ ويلك، ثم نادى يا إبراهيم، يا عاض بظر أمه، ويلك مُدّ، فالتفتُ إلى الرشيد فقلت: بقي لك شيء بعد هذا، والله ما في الدنيا اسم أشأم منه، والسلام، فضحك الرشيد حتى استلقى، وأمر لي بمائة ألف درهم.

قلت: ما في شؤم إبراهيم بن المهدي شك، فإنه حُرِمَ الخلافة، وأهين وكان ناصبياً، ولقد تتبعت أنا من اسمه إبراهيم فما وجدته نال سعادة دنيوية ولا

(١) الأغاني ١٦/١٤٣، أعيان الشيعة ٢٤/٢٤، شعر سديف ٢١.

(٢) في هامش الأصل: «وقيل: حمزة بن عبد المطلب».

ملكاً قاهراً، وإبراهيم المتقي لله سملت عينه، وإبراهيم الغزي الشاعر مات غريباً، وإبراهيم اليافعي، وإبراهيم الهندي الشاعران اليمانيان ماتا فقيرين عليين، وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم. وخواص الحروف من الأسرار، وهذا الصابي مع فضله امتحن بعض الدولة المحنة المشهورة.

وقال الأصفهاني: إن سديفاً كان حاضر الجواب، سلم مرة على رجل من بني عبد الدار فقال له: من أنت؟ قال: أنا رجل من قومك، أنا سديف بن ميمون. قال العبدري: يا هذا ما في قومي سديف ولا ميمون، قال: صدقت والله، ما كان فيهم قط ميمون ولا مبارك^(١).

قلت: هذا من القول الموجب.

وسُدَيْف، بضم السين وفتح الدال المهملتين وإسكان الياء المثناة من تحت، ثم فاء وهو تصغير ترخيم سدفة، فإن كان أسود فمنقول، وإلا فمرتجل، والله أعلم.

[٨١]

أبو الحسن، السري بن أحمد بن السري الرفاء الموصلي، الشاعر المشهور^(*).

أحد الشعراء المجيدين المشاهير، فاضل إذا تصرف في القريض فلا يزن إلا الدنانير، وإذا انضد القوافي لم تبسم إلا الأزاهير، يتصرف بالمعاني تصرف النسيم بالأغصان، ويأتي من بحر الفكرة باللؤلؤ والمرجان، وإنما عرف بالرفاء

(١) الأغاني ١٤٣/٦.

(*) ترجمته في:

يتيمة الدهر ١١٧/٢ - ١٨٢، وفيات الأعيان ٣٥٩/٢ - ٣٦٢، معجم الأدباء ١٨٢/١١ - ١٨٩، معاهد التنصيص ٢٨٠/٣، تاريخ بغداد ١٩٤/٩، النجوم الزاهرة ٦٧/٤، كشف الظنون ١٦١١، شذرات الذهب ٧٣/٣، الكنى والألقاب ٢/٢٥٣، الفهرست لابن النديم ٢٤٧، روضات الجنات ٣٠٧، أنوار الربيع ٢٧٣/١، أعيان الشيعة ٣٥/٣٤ - ١٣٦، الاعلام ط ٨١/٣/٤، أدب الطف ٣٦/٢ - ٣٩، ٢٨٤/٣ - ٢٩٢، الطليعة - خ - ترجمته رقم ١٠٦، له ديوان شعر بتحقيق ودراسة د. حبيب حسين الحسني طبع ببغداد وبيروت ١٩٨١.

لأنه كان في بداية أمره يرفو أو يعالج الخياطة ويطرف بالموصل، وتعلق بالأدب فملكه العنان، فما زال حتى فني به الخالديان.

وقال في وصف عيشه بالأبرة أو حال حاله [من السريع]:

وَكَانَتْ الْإِبْرَةُ فِيمَا مَضَى صَائِنَةً وَجْهِي وَأَشْعَارِي
فَأَضْبَحَ الرِّزْقُ بِهَا ضَيْقًا كَأَنَّهُ مِنْ ثَقْبِهَا جَارِي^(١)

ثم امتدح الأمير سيف الدولة واختص به وأثرى بجوده، ونال الرغائب، وكان يستجيد شعره ويعرف قدره.

وذكره الثعالبي في يتيمة الدهر وأثنى عليه وحلى شعره جيد تلك اليتيمة، وكم باتت به وكأنما على خذها من المسك لطيمة، وأورد من مطرب شعره [من الطويل]:

أَقُولُ لِحَنَّانِ الْعَشِيِّ الْمُغْرِدِ يَهْزُ صَفِيحَ الْبَارِقِ الْمُتَوَقِّدِ
تَبَسَّمْ عَنْ رِيِّ الْبِلَادِ حَبِيَّةُ وَلَمْ يَبْتَسِمْ إِلَّا لِإِنْجَازِ مَوْعِدِ^(٢)
وَيَا ذَيْرَهَا الشَّرْقِيِّ لَا زَالَ رَائِحُ يَحُلُّ عُقُودَ الْمُزْنِ فِيكَ وَيَعْتَدِي
تُحْيِيهِ أَنْفَاسَ الشَّمَالِ كَأَنَّمَا يُعَلُّ بِمَاءِ الْمِسْكِ عَنَبَهَا النَّدِي
يَهِيجُ حَنِينِ الْوَرَقِ فِي شَجَرَاتِهَا نَسِيمَ مَتَى يَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ يَبْرُدِ^(٣)

وكان السري زيدياً، وله قصائد في أهل البيت رضي الله عنهم ومراثي في الحسين عليه السلام، واعترضه ابن حجة في قصيدة رثى بها الحسين عليه السلام استفتحها بقوله:

نطوي الليالي علماً أن ستطوينا فشعشعها بماء المزن واسقينا

فقال: إنه لم يراع المناسبة حيث استسقى المدام، والمقام مقام حزن.

قلت: قد أشعر بذكر طي الليالي، وجرت عادة العرب بعدم ملاحظة ما ذكره المتأخرون إلا القليل كأبي ذؤيب الهذلي^(٤) في مرثيته لبنيه:

(١) يتيمة الدهر ٢/٢٨٩، معجم الأدباء ١١/١٨٣ - ١٨٤، معاهد التنصيص ٤٧٧، كاملة في ديوانه ٢٨٩/٢.

(٢) الحبي: السحاب الذي يعترض اعتراض الجبل قبل أن يطبق السماء.

(٣) يتيمة الدهر ٢/١٢٠، معاهد التنصيص ٤٧٨، ديوانه ١٣٧/٢ - ١٣٩.

(٤) هو أبو ذؤيب خويلد بن خالد بن محرث الهذلي. شاعر مخضرم هلك له خمسة أولاد في الطاعون فأكثر من رثائهم.

أللدهر تبكي أم على الدهر تجزَعُ وما صاحب الأيتام إلا مَفَجَعُ
وذكر أن خالد بن الوليد طرق السماوة في جيش الفتح فصَبَحَ حياً من
تغلب، فوجد رجل من أصحابه فتى منهم بين يديه خابية نبيذ وهو يشرب منها
ويقول:

ألا عَلَّلاني قبل جيش أبي بكرٍ لعلَّ منايانا قريبٌ وما ندري
فضرب رأسه فوق الرأس في الخابية.
وقال الحماسي^(١):

ألا عَلَّلاني قَبْلَ نَوْحِ النَّوَائِحِ وَقَبْلَ حُضُورِ النَّفْسِ بَيْنَ الْجَوَائِحِ^(٢)
وَقَبْلَ غَدِي يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدِي إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَائِحِ^(٣)
وبكاء النفس أشد من بكاء غيرها.

وقال أبو الحسن علي بن الناصر الأطروش الآتي ذكره يرثي الداعي محمد
ابن زيد:

نأت دار ليلي بسكَّانها وأوحش معهد جيرانها
فبهذا تبطل حجَّة أبي بكر.
ومن شعر السري الرفاء [من الوافر]:

بَلَانِي الْحُبُّ مِنْكَ بِمَا بَلَانِي فَشَأْنِي أَنْ يَفِيضَ غُرُوبُ شَأْنِي^(٤)
أَبِيْتُ اللَّيْلَ مَرْتَقِباً أَنَا جِي بِصِدْقِ الْوَدِّ كَاذِبَةً الْأَمَانِي

= خرج مع عبد الله بن الزبير في مغزى نحو المغرب فمات، وقيل مات في خلافة عثمان بطريق مكة، فدفنه ابن الزبير.

ترجمته في: أسد الغابة ١٨٨/٥، والشعر والشعراء/٥٤٧، والأغاني ٢٧٩/٦ - ٢٩٣، وديوان الهذليين تحقيق لایل/٨٤٩، أنوار الربيع ١/١ هـ ٢٥٢.

(١) وهو أبو الطمحان القيني.

(٢) التعليل: تطيب النفس بذكر ما تحب، والجوانح: ضلوع الصدر، وارتقاء النفس: بلوغها التراقي.

(٣) الحماسة لأبي تمام ٣٨٠ - ٣٨١.

(٤) بلاني: اختبرني، بلاني الثانية: من البلية والكارثة. غروب شاني: أصله شأن وهو موصل قبائل الرأس وملتقاها وتجيء منه الدموع، والغروب: الحدود.

وَيَعْلَمُ مَا أَجِنُّ الْفَرُقْدَانِ
بِذَاكَ الْخَيْمِ وَالْخَيْمِ الدَّوَابِي (١)
وَبَيْنَ عِمَادِهَا أَغْصَانُ بَانَ
وَحَيَّانَا بِأَوْجُهِكِ الْحَيَّانِ
دُمُوعٌ فِيكَ تَلْحَقُ مَنْ لَحَائِي
جُنُونُ الْحُبِّ أَحْلَى فِي جَنَائِي (٢)

ومن شعره، وذكره الثعالبي أنه يتغنى به [من البسيط]:

وَمُقَلَّتِي بَيْنَ فَيْضِ الدَّمْعِ وَالسُّهْدِ
بَيْنَ الْهَيْلَالِ وَبَيْنَ الْغُضَنِ وَالغَيْدِ
بَيْنَ الْعَيُونِ وَبَرْقِ الْأَخِ مِنْ بَرْدِ
بُخْلًا وَقَدْ لَذَعَتْ نِيرَانُهَا كَبِيدِي
أَبْقَى الْغَرَامُ عَلَى صَبْرِي وَلَا جَلْدِي؟ (٣)

فَتَشْهَدُ لِي عَلَى الْأَفْقِ الثُّرَيَّا
إِذَا دَنَّتِ الْخِيَامُ بِهِمْ فَأَهْلًا
فَتَحْتِ سُجُوفِهَا أَقْمَارُ تَمِّ
سَقَانَا اللَّهُ مِنْ رَبِّكَ رِيًّا
سَتَّصِرْفُ طَاعَتِي عَمَّنْ نَهَانِي
وَلَمْ أَجْهَلُ نَصِيحَتَهُ وَلَكِنْ

قَسَمْتُ قَلْبِي بَيْنَ الْهَمِّ وَالْكَمَدِ
وَرُحْتُ فِي الْحُسْنِ أَشْكَالًا مُقْسَمَةً
أَرَيْتَنِي مَظْرَأً يَنْهَلُ سَاكِنُهُ
وَوَجْنَةً لَا يُرَوِّي مَائُهَا ظَمْمِي
فَكَيْفَ أَبْقَى عَلَى مَاءِ الشُّؤُونِ وَمَا
لِحَقِيقِ هَذَا الْجَوْهَرِ بِالتَّغْنِي.

وله من قصيدة كسلاسل العسجد [من الكامل]:

وَهَنَا فَرَشَحَ رَوْضَهُ بِسُلَاسِلِ (٤)
وَالْعَيْشِ فِي سِنَةِ الزَّمَانِ الْعَافِلِ
عَمْدًا وَأَسْرِقُ لَدَّتِي مِنْ عَاذِلِ (٥)

أَسْلَاسِلَ الْبَرْقِ الَّذِي لَحَظَ الثُّرَى
أَذْكَرْتَنَا النَّشَوَاتِ فِي ظِلِّ الصُّبَا
أَيَّامَ اسْتُرُّ صَبُوتِي مِنْ كَاشِحِ

وله من قصيدة يتشوق فيها الموصل، وهو بحلب [من الكامل]:

يَرْتَاخُ مِنْكَ إِلَى الْهَوَى الْمُؤْمُوقِ
سَلَكُوا إِلَى اللَّذَاتِ كُلِّ طَرِيقِ؟

أَمَحَلَّ صَبُوتَنَا دُعَاءَ مَشُوقِ
هَلْ أَطْرُقَنَّ الْعُمَرَ بَيْنَ عِصَابَةِ (٦)

(١) دنت الخيام به فأهلاً: الخيم بكسر أوله وتسكين ثانيه: الخلق.

(٢) يتيمة الدهر ١٥٩/٢، معجم الأدباء ١٨٦/١١ - ١٨٧، مرآة الزمان/حوادث سنة ٣٦٢، شرح المقامات ٢٧٧/١، كاملة في ديوانه ٧١١/٢ - ٧١٢.

(٣) يتيمة الدهر ١٥٨/٢، من غاب عنه المطرب ٧٧، كاملة في ديوانه ١٢١/٢.

(٤) السلاسل: الماء العذب السلسل.

(٥) يتيمة الدهر ١٢١/٢، ١٦٠، ١٦١، كاملة في ديوانه ٥٣١/٢ - ٥٣٤.

(٦) العمر: اسم مكان في الموصل وهو أحد نواحيها وربما كان فيه دير باسمه.

أَمْ هَلْ أَرَى الْقَصْرَ الْمُنِيفَ مُعَمَّمًا
وَعَلَالِي الدَّيْرِ الَّتِي لَوْلَا الْهَوَى
مُحَمَّرَةً الْجُدْرَانِ يَنْفُخُ طَيْبُهَا
وَمَحَلَّ حَاشِئَةَ الْقُلُوبِ تَفَرَّقُوا
أَغْشَاءَ بَيْنَ مُنَافِقٍ مُتَجَمِّلٍ
وَأَغْنُ تَحْسِبُ خَدَّهُ إِبْرِيْقَهُ
يَتَنَازَعُونَ عَلَى الرَّحِيقِ غَرَائِبًا
صَدَرَتْ عَنِ الْأَفْكَارِ وَهِيَ كَأَنَّهَا
دَهْرٌ تَرَفَّقَ بِي فَوَافِي صَرْفِهِ
فَمَتَى أَزُورُ قِبَابَ مُشْرِفَةِ الذُّرَا
وَأَرَى الصَّوَامِعَ فِي غَوَارِبِ أَكْمِهَا

بِرِدَاءِ غَنِيمٍ كَالرِّدَاءِ رَقِيقٍ؟
لَمْ أَرْمِهَا بِعَلَالِي وَعُقُوقِ
فَكَأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ بِخَلُوقِ
بِالذِّكْرِ بَيْنَ فَرُوقَةٍ وَفَرُوقِ^(١)
وَمُنَاضِلٍ عَنِ دَيْسِهِ زُنْدِيْقِ
مَا دَامَ يَسْتَفْحُ عَبْرَةَ الْإِبْرِيْقِ
يَخْسِبُنْ زَاهِرَهُ كُؤُوسَ رَجِيقِ
رَقْرَاقُ صَادِرَةٌ عَنِ الْأِبْرِيْقِ
وَسَطَا عَلَيَّ فَكَانَ غَيْرَ رَفِيقِ
فَأَرُودُ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْعَيْوُقِ^(٢)
مِثْلَ الْهَوَادِجِ فِي غَوَارِبِ نُوقِ^(٣)

قال الثعالبي: ما وافيت نيسابور قافلاً من سفر فرأيت الصوامع إلا تذكرت هذا البيت واستأنفت التعجب من حسن هذا التشبيه وبراعته وفصاحته.

وله أيضاً كان بعض الأصدقاء يستحسنها [من الوافر]:

أَلَا عُذْلِي بِبَاطِيَةِ وَكَاسِ
وَعَلَّلَنِي بِشَعْرِ أَبِي نُوَاسِ
وَعَنِيمَ مُرْسِلَاتِ الْبَبْرِقِ فِيهِ
وَلَاخَ لَنَا الْهَلَالُ كَشَطْرِ طَرْقِ
وَقَدْ سَلَّتْ جُيُوشُ الْفِطْرِ فِيهِ
وَزُغَ هَمِّي بِإِبْرِيْقِ وَطَاسِ
عَلَى رَوْضِ كَشَعْرِ أَبِي فِرَاسِ
غَوَارِ وَالرِّيَاضِ بِسِ كَوَاسِي
عَلَى لَبَّاتِ زَرْقَاءِ اللَّبَّاسِ
عَلَى شَهْرِ الصِّيَامِ سُيُوفَ بَاسِ^(٤)

وله فيما يتعلق بتشبيه هلال الفطر [من المنسرح]:

جَاءَكَ شَهْرُ السُّرُورِ شَوَّالُ
أَمَا رَأَيْتَ الْهَلَالَ يَرْمِقُهُ
وَإِغْتَالَ شَهْرَ الصِّيَامِ مُغْتَالُ
قَوْمٌ لَهُمْ إِنْ رَأَوْهُ إِهْلَالُ؟

(١) فروقه وفروق: شديد الفزع.

(٢) النسر والعيوق: نجمان، مشرفة الذرا: عالية الذوائب.

(٣) يتيمة الدهر ١٦١/٢، كاملة في ديوانه ٤٧٣/٢ - ٤٧٤.

(٤) يتيمة الدهر ١٧٨/٢، كاملة في ديوانه ٣٢٧/٢.

كَأَنَّهُ قَيْدُ فِضَّةٍ حَرِجٌ فُضَّ عَنْ الصَّائِمِينَ فَاخْتَالُوا^(١)

وإذا تأملت ما شبه المتأخرون به الهلال وجدت السابقين قد فرغوا منه إلا
الينبعي المذكور في الهمزة^(٢)، فإنه سبق إلى وصال تلك البكر المشاطة فرعها
بالهلال كل عاشق.

وله في قواد اسمه إدريس [من المنسرح]:

مَنْ ذَمَّ إِدْرِيْسَ فِي قِيَادَتِهِ فَإِنِّي حَامِدٌ لِإِدْرِيْسِ
كَلَّمْ لِي عَاصِيَا فَكَانَ لَهُ أَطْوَعُ مِنْ آدَمَ لِإِبْلِيسِ
وَكَانَ فِي سُرْعَةِ الْمَجِيءِ بِهِ أَصْفَ فِي حَمَلِ عَرْشِ بَلْقِيْسِ^(٣)

وذكره ابن خلكان فقال: كان شاعراً مطبوعاً، عذب الألفاظ، مليح
السبك، كثير الافتتان في ضروب الشعر، قد عمل شعره قبل وفاته نحو ثلثمائة
ورقة، ثم زاد بعد ذلك، ثم عمله بعض المحدثين الأدباء على حروف
المعجم^(٤)

ومن محاسن شعره في المديح [من الكامل]:

يَلْقَى السُّدَى بِرَقِيقِ وَجْهِ مُسْفِرٍ فَإِذَا التَّقَى الْجَمْعَانَ عَادَ صَفِيْقَا
رَحْبُ الْمَنَازِلِ مَا أَقَامَ فَإِنْ سَرَى فِي جَحْفَلٍ تَرَكَ الْفَضَاءَ مَضِيْقَا^(٥)
قلت: لعمرى، لقد أحسن وأجاد.

وأورد له الثعالبي في كتاب «المتحل»، هذين البيتين [من الكامل]:

أَلْبَسْتَنِي نَعْمًا رَأَيْتُ بِهَا الدُّجَا صُبْحًا وَكُنْتُ أَرَى الصَّبَاحَ بِهِمَا
فَعَدَوْتُ يَحْمُدُنِي الصَّدِيقُ وَقَبْلَهَا قَدْ كَانَ يَلْقَانِي الْعَدُوُّ رَحِيمًا^(٦)

- (١) يتيمة الدهر ١٧٨/٢، من غاب عنه المطرب ٥٧، أسرار البلاغة ٣٣٠، كاملة في ديوانه ٥٨٤/٢.
- (٢) ترجمه المؤلف برقم ٦.
- (٣) ثمار القلوب ٢٤٥، ديوان المعاني ٢٤٦/٢، ديوانه ٣٢٩/٢.
- (٤) وفيات الأعيان ٣٦٠/٢.
- (٥) يتيمة الدهر ١٢١/٢، ١٣٥، ١٦٢، ١٦٥، شذرات الذهب ٧٤/٣، النجوم الزاهرة ٦٧/٤، وفيات الأعيان ٢٥٢/١، كاملة في ديوانه ٤٨١/٢ - ٤٨٣.
- (٦) يتيمة الدهر ١٢١/٢، المتحل، شذرات الذهب ٧٤/٣، كاملة في ديوانه ٦٢٨/٢ - ٦٣٠.

وهما كالأول في الجودة .

ومن غرره في التشيب [من الوافر]:

بِنَفْسِي مَنْ أَجُودُ لَهُ بِنَفْسِي وَيَبْخُلُ بِالتَّجِيَّةِ وَالسَّلَامِ
وَحَتْفِي كَامِنٌ فِي مُقْلَتَيْهِ كُمُونَ المَوْتِ فِي حَدِّ الحُسَامِ^(١)

وصنف كتاب «المحب والمحبوب»، وكتاب «المشموم والمشروب»،
وكتاب «الدرّة» .

وكان بينه وبين أبي بكر وأبي عثمان سعيد إبنني هاشم الأخوين الخالديين
الشاعرين المشهورين منافسة، وكان يدعي عليهما سرقة شعره، ووردا بغداد وهو
بها في حضرة الوزير المهلبى فعمل فيهما من قصيدة طويلة [من الكامل]:

بَكَرَتْ عَلَيْكَ مُغِيرَةُ الأَغْرَابِ فاحْفَظْ ثِيَابَكَ يَا أبا الحَطَّابِ
وَرَدَّ العِراقَ ربيعاً بِنُ مُكْدَمِ وَعُتَيْبَةَ بِنُ الحَارِثِ بِنِ شِهَابِ
أَفَعِنْدَنَا شَكٌّ بِأَنَّهُمَا هُمَا فِي السَّرْقِ لا فِي صِحَّةِ الأَنسابِ؟^(٢)

وهي طويلة أجاد فيها، وقد ذكرها صاحب اليتيمة، وعندني إنهم طبقة
واحدة في جودة الشعر، وكان لا يبرح يذكرهما في شعره على سبيل الاستطراد
كقوله [من الطويل]:

لَنَا رَوْضَةٌ فِي الدَّارِ ضِيَعٌ لِزَهْرِهَا قَلَائِدُ مِنْ حَبِكَ النَّدَى وَشُنُوفُ
يَطُوفُ بِهَا مَنَا إِذَا مَا تَبَسَّمَتْ نَسِيمٌ كَعَقْلِ الخَالِدِيِّ ضَعِيفُ
وَنُدْمَانٌ صِدْقٍ نَثْرُهُ وَنِظَامُهُ رَبِيعٌ إِذَا فَاوَضْتَهُ وَخَرِيفُ
وَقَدْرَقٌ ثَوْبُ الغَيْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا تُنَشِّرُ دُونَ الأَفْقِ مِنْهُ شُفُوفُ^(٣)

وتوفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ببغداد، رحمه الله تعالى، وقال ابن
الأثير: سنة ستين وثلاثمائة .

(١) يتيمة الدهر ١٣٧/٢، خاص الخاص ١٢١، شذرات الذهب ٧٤/٣، النجوم الزاهرة ٦٧/٤،
وفيات الأعيان ٢٥٢/١، ديوانه ٦٨٦/٢ .

(٢) يتيمة الدهر ١٤٥/٢ - ١٤٦، معاهد التنصيص ٤٩٩ - ٥٠٠، كاملة في ديوانه ٤١٠/١ - ٤١٨ .

(٣) يتيمة الدهر ١٧٧/٢ - ١٧٩، معاهد التنصيص ١٧٤ وقد نسيهما خطأ لأبي الفرج البيهقي، كاملة
في ديوان السري ٤١٤/٢ .

والموصل، بفتح الميم وإسكان الواو وكسر الصاد المهملة وبعدها لام:
مدينة مشهورة، وهي كرسي مملكة الجزيرة الفراتية.

[٨٢]

الفقيه أبو محمد، سعيد بن محمد السمحي الصنعاني الشاعر
المشهور^(*).

أحد العصرين المحسنين، فاضل أحيى ذكرى حبيب ومعجز أحمد،
وحسدت قلائد فكرته الكواكب فحققنا أنه المتنبي وشعره محتد، أشبه شعره
وحاشاه من السقم العيون، ولم تكن له حواجب عن جوب سهل البلاد
والحزون، لانت له صعاب القوافي كما يريد، ودنا له عقد الجوزا فتصرف فيه
لأنه سعيد، ونشا بصنعا وأتقن الأدب وأجاد نظم الشعر، وشعره قويّ المباني،
يذهب فيه مذهب أبي تمام، ويتشبه به وانفرد من بين شعراء الزمان بمعرفة اللغة
فاستعملها في شعره كعادة الفصحاء وسبكها في قالب حسن كابن نباتة السعدي،
وسبط ابن التعاويذي، وأبي الحسين الحيص بيص، وابن الرومي وجميع العراقيين
وقبلهم الطائيين حبيب والوليد، وشعراء المغاربة كابن هانيء وابن خفاجة وابن
الحداد وابن زيدون وابن بقي، بل لا ينبغي للشاعر الفصيح استعمال المبتدل إلا
مضطراً في المقاطيع مع قصد البديع، ولا يعبأ بعدم فهم العامة معانيها، فإنه
ينبغي سترها عمّن لم يبحث في أصول الأدب.

وكتب كثيراً من نسخ ديوان أبي تمام، وله ديوان شعر، قال لي: إنه ذهب
منه هذه الأيام مع ثياب سرقت معه أيضاً، وقد أوقفني عليه ولم يقدر لي أن أنقل
منه إلا ما ذكر الآن، وله مع هذا الأدب نك وصلاح، ومن شعره بسبب ظاهر:

لقد حرم الشعر الحلال إمامنا ولكنه ما حرم الجود والبراً
هو الشمس إشراقاً علينا وبهجة فغير عجيب أن يطمس الشعرا

(*) ترجمته في:

ذوب الذهب، ملحق البدر الطالع ٨٢، نشر العرف ١/٧٣٧ - ٧٤٢ وفيه عن طيب السمر إن
إسمه «سعيد بن صالح السمحي» وقال إن هذا هو الأصح.

وأشدني الأديب شعبان سليم^(١) للسمحي:

ومخضوب البنان، كحيل طرف
كان بنانه قضبان درّ
وأشدني أيضاً له:

لقد غلى الصابون في دهرنا
فحق للعالم أن يلبسوا
رزية في الناس من أجلها
واستجادهما شعبان.

وله وقد ركب الحسن بن المتوكل بحر اللحية مجتازاً إلى جدة:

قد أوحش اليمن الخضيب وما بقي
ولقد شجتنا غربة الحسن الذي
في عيشه أنس ولا سلوان
طارت به وبأهله الغربان

أحد معني الغربان جمع غراب وهو السفينة الصغيرة التي هي الخرافة، وقد علمت أنه مدحه وإنما قصد التورية، وله فيه رقة:

الله في مهجة ذابت عليك أسى
فلا قربت فشمّل الوصل يجمعنا
وله من قصيدة:

ومغرم شقه التبريح والوصب
ولا بعدت فتسعى بيننا الكتب^(٢)
فيا أيها الركب المجدون عرسوا
ولا تجهدوا العيس المراسيل بالسرى
وإننا وإن كنا مقيمين إنها
وما الكد يغني في نصيب زيادة

نوائم: جمع نائم، خلافاً لبعض النحاة فإنه يخصه بالمؤنث.

قال متمم بن نويرة يخاطب خالد بن الوليد لما قتل أخاه مالكا بسبب امرأته
الحسنة على ما قيل:

(١) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

(٢) نشر العرف ٧٣٨/١.

فأصبحت ذا أهل وأصبح مالك على غير شيء هالكاً في الهوالك^(١)

ذكرت بخالد قولي في تضمين بيت المتنبى لأن خالداً كان شجاعاً:

أقول لمن بابن الوليد تشبهه
نهبت من الأعمار ما لو حويته
وللسمحي من قصيدة:

وإني لأهوى صوت ديباجة الحيا
وألبس من درع القناعة سابغاً
وكم أتحسى الثمد من كل محسن
ولكنني والحمد لله لم أجد
قريض كما الدر النضيد أصوغه
يطاوعني هذا القريض صناعة

وأرغب في هجر القريض وأطمع
برد سهام الغيظ^(٢) عني ويدفع
وحوض المنى منه لمثلي مترع
لمثلي رزقا غير ما كنت أصنع
وكالروض بالعذب النمير يوسع
وأكثر من وافى به يتصنع^(٣)

وله من قصيدة في مدح أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب^(ع):

لو كنت من أسر الهوى بمكاني
وعلمت أن لا خود إلا ما قضت
تفتير لحظ مثل ضرب مهند
فاشدد يدك على فؤادك واسترح
انحت على جسدي بلابل صبوة
لا تحسبنّ نحول جسمي خلقة
إن الثلاثين التي ناهزتها
أعوام سنّي في الشبيبة والصبأ
فكأنما ذهب الشباب مغاضباً
ما حال من عبث الفراق بقلبه

لرحمت كل متيم ولهان
في العاشقين محاجر الغزلان
ومراح قد مثل طعن سنان
مما يقاسي المستهام العاني
تركت جسيم مفاصلي كبناني
قد كنت ذا روح وذا جثمان
قد شئت فؤديّ قبل أوان
وبياض ناصيتي من الشيبان
إذ لم تمل بنسيمه عيدان
ونأى به من ساحة الأوطان

(١) في هامش ب: «وقد استثنى النحاة الهوالك ونحوه من قاعدة الجمع».

(٢) في هامش الأصل: «الضيم»، وفي هامش ب: الغيظ بالعناد أي النقص، ومنه قوله تعالى: «وغيض الماء».

(٣) نشر العرف ١/٧٤٢.

لا أهل دار إقامتي أهلي ولا
 هل تسمح الدنيا تدير يدي على
 لو شاء من كنز الغنى بيمينه
 وأغنّ ساجي المقلتين مهفهف
 فبشغره نور الإقحاح مفلجاً
 أهون ببيض الهند عند لحاظه
 لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى
 شلال أشلاء الفوارس بالقنا
 من أفرح الدين الحنيف بظله
 المرتضى صنو النبي المصطفى
 فاروق ما بين الضلالة والهدى
 إذ ليس من أخذ اسمه وزها به
 ومدينة العلم الذي هو بابها
 من يقتبس نور الشريعة والهدى
 ولمن تعامى عنه آخر صفقة
 البايع البيت الحرام بتافه
 الله ألبسه الخلافة راعياً

جيران عاري رحلتي جيران
 خصر وتجعلها وشاحاً ثاني
 لظفرت من شمس الضحى بقران
 مهما انثنى أزرى بغصن البان
 وبوجنتيه شقائق النعمان
 وبما تضمّ عوالي السمران
 إلا علي قاتل الأقران
 ومبيد جمع الكفر والطغيان
 وعلى يديه عز بالطيران
 وحسامه الماضي على الحدثان
 ومبين كل مؤيد البرهان
 بين البرايا قاريء القرآن
 تمتاز منه حقائق الإيمان
 منه فقد أوفى على رضوان
 وأقلّ ربحاً من أبي عيشان
 من خمر عانة كان عنه عاني
 وكساه منها سابغ الأردن^(١)

وهي طويلة، عدّد فيها مناقب الإمام عليه السلام.



وأبو عيشان: المشار إليه رجل من خزاعة، كان يلي مفاتيح البيت الحرام، فشرّب يوماً مع قصي بن كلاب، فلما سكر باع مفاتيح البيت من قصي بزقّ خمر، فطار قصي بها من الطائف إلى مكة وجمع قريشاً وقال: يا بني لؤي هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل قد ردّها الله عليكم بلا ظلم ولا عدوان. فلما أفاق أبو عيشان ندم، فقالت العرب: «أخسر صفقة من أبي عيشان».

قال الشاعر:

(١) بعضها في نشر العرف ٧٤٢/١.

أبو عيشان أظلم من قصي وأخسر من بني فهر خزاعه
فلا تلموا قصياً في شراه ولوموا شيخكم إذ كان باعه

وخمر عانة: يضرب به المثل، وهي مدينة بالديار البكرية.

وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار: إن شخصاً أهدى لشخص خمرأ رديئة
وقال هي من خمر عانة، فقال: بل تحت عانة بأربع أصابع.

والسّمحي، بكسر السين المهملة، وإسكان الميم وكسر الحاء المهملة ثم
ياء: النسبة إلى سَمح وهي ناحية من عمل أنس^(١).

(١) في هامش ب: «وفاته بصنعاء سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف».

حرفُ الشَّينِ

أبو الغريضة، شعبة بن الغريضة بن عاديا الهاروني الأصل،
الحجازي^(*).

وكان تابعياً، ورأى أمير المؤمنين علياً عليه السلام ومن كان في ذلك العصر من الصحابة رضي الله عنهم، وكان شاعراً مجيداً وشهد مشاهد علي عليه السلام صفيين والجمل والنهروان، وهو أحد شعراء الأغاني.

قال أبو الفرج الأصبهاني: إن بني عاديا أهل الأبلق الفرد من ولد الكاهن ابن هارون عليه السلام وسبب خروجهم من الشام، إن موسى عليه السلام وجه جيشاً إلى العماليق، وكانوا قد طغوا وأمرهم بقتلهم أجمعين أين ظفروا بهم فقتلوهم أجمعين إلا ملكهم فإنه كان غلاماً جميلاً فرحموه واستبقوه وقدموا الشام بعد وفاة موسى عليه السلام فقال لهم إسرائيل: أنتم عصاة بما فعلتم ولا تدخلون الشام علينا أبداً، فقالوا: ما لنا إلا الموضع الذي قتلنا أهله فرجعوا إلى يثرب فأقاموا بها قبل ورود الأوس والخزرج من اليمن عند وقوع سيل العرم، فمن هؤلاء اليهود بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع وغيرهم^(١).

(*) ترجمته في:

الأغاني ١٢٧/٢٢ - ١٣٠ وفيه اسمه: «سعية بن عريض» وترجمه أبيه في الأغاني أيضاً ١١٠/٣ - ١١٢.

(١) الأغاني ١١٠/٣.

والسموأل بن عاديا الشاعر صاحب الأبلق أخو شعبة المذكور، وكان شعبة من الشيعة الأول، ومن شعره الجيد البديع:

لُبَابُ يَا أَخْتَ بَنِي مَالِكِ لَا تَشْتَرِي الْعَاجِلَ بِالْأَجْلِ
لِبَابِ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ نَائِلِ لِعَاشِقِ ذِي حَاجَةٍ سَائِلِ
لُسَابُ دَاوِينَي وَلَا تَقْتُلِي قَدْ فَضَّلَ الشَّافِي عَلَى الْقَاتِلِ
عَلَّلْتَهُ مِنْكَ بِمَا لَمْ يَنْلِ يَا رَبِّمَا عَلَّلْتَ بِالْبَاطِلِ
إِنْ تَسْأَلِي بِي فَاسْأَلِي خَابِرًا وَالْعِلْمُ قَدْ يَكْفِي لَدَى السَّائِلِ^(١)
يُنْبِيكَ مَنْ كَانَ بِنَا عَالِمًا عَنَّا وَمَا الْعَالِمُ كَالْجَاهِلِ
أَنَا إِذَا حَارَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعَ لِلْقَائِلِ
وَاعْتَلَجَ الْقَوْمُ بِالْبَابِهِمْ فِي الْمَنْطِقِ الْفَاصِلِ وَالنَّائِلِ^(٢)
لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نَلُظُّ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ^(٣)
نَخَافُ أَنْ تَسْفَةَ أَحْلَامُنَا فَتُخْمَلِ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ^(٤)

تالله ما كتبت قبل هذه الأبيات في مكارم الأخلاق وحلاوة الغزل مثلها.

وقال أبو الفرج: وكان لشعبة قوم يألّفونه وينادمونه، فأغار عليه بعض ملوك اليمن بالشام فانتسف^(٥) ماله فافتقر ففرقوا عنه، فلما أخصب تراجعت حاله عاودوه، فقال:

أرى الخُلَّانَ لِمَا قَلَّ مَالِي وَأَجْحَفَتِ النَّوَائِبُ وَدَعَوْنِي
وَكَانَ الْقَوْمُ خُلَّانًا لِمَالِي وَإِخْوَانًا لِمَا خُوِّلْتُ دُونِي
فَلَمَّا مَرَّ مَالِي بِأَعْدُونِي وَلَمَّا عَادَ مَالِي عَاوِدُونِي^(٦)

(١) خابراً: خبيراً مجرباً.

(٢) اعتلج القوم: اقتتلوا واصطرعوا.

(٣) نلظ: نتمسك. من لظ بالشيء: لزمه.

(٤) الأغاني ٢٢/١٢٨.

(٥) انتسف ماله: من فرق ماله وأذراه.

(٦) الأغاني ٢٢/١٣٠.

وما أحسن ودّعوني وعاودوني، وفي الأبيات الأولى الفاضل والفاضل.

وأسند أبو الفرج في الأغاني: أن معاوية حجّ فرأى شخصاً يصلي في المسجد الحرام، فقال: من هذا؟ فقالوا: شعبة بن غريص، فأرسل إليه يدعوه فأتاه رسوله فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: أو ليس قد مات أمير المؤمنين؟ يعني علياً عليه السلام، قالوا: أجب معاوية، فأتاه فلم يسلم بالخلافة، فقال له معاوية: ما فعلت ضيعتك التي بتيماء؟ فقال: نكسي منها العاري، ويرد فضلها على الجار، فقال: إنشد لي شعر أبيك يرثي نفسه فأنشده:

يا ليت شعري حين يذكر صالحني ما تؤنّبني به أنواحي
أثقلن لا تبعد فربّ كريهة فرجتها ببسالة وسماح
وإذا دُعيت لصعبة سهلتها تدعى بأفلاح حاجة ونجاح

وقد رويت هذه الأبيات لشعبة المذكور ولأبيه الغريص، فقال معاوية: أنت كنت أحق بهذا الشعر من أبيك، قال: كذبت ولؤمت، قال: أما كذبت فنعم، وأما لؤمت فكيف ولم؟ قال: لأنك كنت ميتاً بحق في الجاهلية والإسلام، أما في الجاهلية فقاتلت النبي صلى الله عليه وآله والوحي حتى جعل الله كيدك المردود، وأما في الإسلام فمنعت ولد رسول الله صلى الله عليه وآله الخلافة، وما أنت وهي، إنما أنت طليق بن طليق، فقال معاوية: خرف الشيخ فأقيموه.

والطلاق: هم الذين أطلقهم نبي الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح سنة منه، وكان له قتلهم واسترقاقهم على قول من يقول: فتحت مكة عنوة وهو الصحيح، أو صلحاً فكذا، إذ قد صح أنه قال بهم: اذهبوا أنتم الطلقاء، لواحد طليق.

ولامية السموأل أخي شعبة^(١) من الجيّدات المعجزات وهي:

(١) السموأل بن غريص بن عادياء الأزودي: شاعر جاهلي حكيم، من سكان خيبر (في شمالي المدينة) كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه «الأبلق»، توفي نحو ٦٥ ق.هـ، له ديوان شعر صغير - ط - وهو الذي تنسب إليه قصة الوفاء مع امرئ القيس الشاعر.

ترجمته في: معاهد التنصيص ١/٣٨٨، سمط اللآلي ٥٩٥، شرح الشواهد ١٨٠، التبريزي ١/٥٥، طبقات الشعراء لابن سلام ٢٣٥، المرزوقي ١/١١٠، العيني ٧٦/٢، الشريشي ١/٣٩٠، الاعلام ط ٤/٣/١٤٠.

إذا المرء لم يذنس من اللؤم عرضه
 وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها
 وقائلة ما بال أسرة عاديها
 وما ضرنا أنا قليل، وجارنا
 وإنا لقوم ما نرى القتل سبة
 يقرب حب الموت آجالنا لنا
 وما مات منا سيد في فراشه
 وأيامنا مشهورة في عدونا
 وأسيافنا في كل شرق ومغرب
 معودة أن لا تسأل نصالها
 وما قل من كانت بقاياها مثلنا
 لنا جبل يحتله من نجيره
 رسا أصله تحت الثرى وسما به
 تسيل على حد الطبات نفوسنا
 صفونا فلم نكدر وأخلص سيرنا
 علونا إلى خير الظهور وحطنا
 فنحن كماء المزن ما في نصابنا
 وننكر إن شئنا على الناس قولهم
 إذا سيدنا خلا قام سيد
 وما أحمدت نار لنا دون طارق

فكل رداء يرتديه جميل
 فليس إلى حسن الثناء سبيل
 تبارى وفيها قلة وخمول
 عزيز، وجار الأكرين ذليل
 إذا ما رأته عامر وسلول
 وتكرهه آجالهم فتطول
 ولا ظل منا حيث كان قبيل^(١)
 لها غرر مطرورة وحجول^(٢)
 بها من قراع الدارعين فلول^(٣)
 فتغمد حتى يستباح قبيل^(٤)
 شباب تسمى للعلى وكهول
 مبيع يرد الطرف وهو كليل
 إلى النجم فرع لا ينال طويل
 وليست على غير الطبات تسيل^(٥)
 إننا أطابت حملنا وفحول
 لوقت إلى خير البطون نزول
 كهام ولا فينا يعد بخيل^(٦)
 ولا ينكرون القول حين نقول
 قؤول لما قال الكرام فعول
 ولا دمننا في النازلين نزول

(١) ظل منا قبيل: أي يذهب دمه هدراً.

(٢) الحجول: جمع حجل، وهو البياض يكون في قوائم الفرس.

(٣) القراع: - بكسر القاف - المضاربة. والدارعين: أصحاب الدروع - والفلول: جمع فل، وهو الثلم في حد السيف.

(٤) القبيل: الجماعة من آباء شتى، وجمعه قبل.

(٥) الطباة: جمع طبة، وهي حد السيف.

(٦) الكهام: الكليل الحد، ويريد به هنا: الضعف.

سلي إن جهلتِ الناسَ عنا وعنهمُ فليسَ سِواءَ عالمٍ وجَهولُ
فإنَّ بني الدِّيَّانِ قُظِبَ لِقَوْمِهِمْ تَدورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ^(١)

والجبل المذكور في الشعر هو تيماء، ويعرف بالأبلق لأن حجارتة سود وبيض وهو منبع مشهور، وكان امرئ القيس الشاعر أودع السموأل الحلقة وهي الصلاح لما اجتاز به سائراً إلى قيصر فقصده عمرو بن هند الملك أحد عمال كسرى على الحيرة فلم يقدر على الحصن، وكان للسموأل ولد يقنص خارج الحصن فأسره عمرو ونادى السموأل: أما أن تسلم الحلقة أو أقتل الصبي، ففكر السموأل قليلاً ثم ناداه: والله لا أسلم أمانتي فاصنع بأسيرك ما شئت، فضرب عنق الصبي وأبوه ينظر إليه، وانصرف، وقال السموأل في ذلك:

وفئْتُ بأدرُع الكِنديِّ^(٢) إني إذا ما خان أقوامٌ وفئْتُ
بني لي عادياً حصناً حصيناً وبئراً كلما شئتُ استقيتُ^(٣)

فقالَت العرب: أوفى من السموأل.

وكانت الزباء ملكة ما بين الشام والجزيرة أرادت حصن تيماء المذكور.

وما ورد: وهو حصين دومة الجندل، فامتنعاً عليها، فقالت: تمرّد مارذ وعزّ الأبلق.

والزباء هي صاحبة نضير بن عمرو اللخمي وقصتها معه شهيرة، وقالت من قصيدة:

وأروم أنجو من طويل مطاله منجى قصير بالعراق على العصي
والعصي اسم فرسه.

قال أبو هلال العسكري في الجمهرة: وعزّ الأبلق: أي امتنع من الضيم، وسمّى الله تعالى عزيزاً لأن الضيم لا يلحقه.

(١) القطب: الحديد الذي في أسفل الرحى يدور عليه الطبق الأعلى. ديوان الحماسة لأبي تمام ٤٢ - ٤٤.

(٢) هو امرؤ القيس منسوباً إلى كندة موطنه.

(٣) الأغاني ١٢٤/٢٢ - ١٢٥.

قال أبو كثير الهذلي:

حتى انتهيت إلى فراش عزيزة شعواء روبة أنفها كالمخصف
يعني عقاباً ممتنعة على جبل، ويجوز أن يكون من العزيز من قولهم: «من
عزّ بزّ» أي «من غلب سلب»، فيكون العزيز الغالب، والعزيز أيضاً القليل، يقال
شيء عزيز، وعزّ إذا قلّ، وقيل أصل العزيز من الأرض العزاز وهي الأرض
الصلبة التي لا تؤثر فيها الأقدام ولا تعمل فيها المناقير، والعزيز الذي لا يؤثر فيه
الضيم.

وتمرّد يقال تمرّد إذا تجرّد من الخير، وأصله من قولهم شجرة رمداء، إذا
لم يكن عليها ورق، وغلام أمرد لا شعر على وجهه، وكانوا يقولون للأبلق:
الأبلق الفرد، قال الأعشى:

بالأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار
قلت: الأبلق: بناحية تبوك في آخر الحجاز مما يلي الشام، وهو بالإقليم
الثالث من خط جزيرة العرب، ودومة الجندل مشهورة.

القاضي أبو أمية، شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور وهو كندة بن مُرْتَع الكوفي الكندي.

وقد يلتبس عند الرواة بشريح بن هاني وهو غلط، والفرق بينهما النسب والقضاء، فإن المذكور قضى لعمر ثم لعلي عليه السلام، وابن هاني لم يقضٍ وقيل إن القاضي شريحاً من القرس وعداده في كندة (*) .

هكذا نسبه أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني^(١).

وذكر ابن خلكان أنه استقضى خمساً وسبعين سنة من أيام عمر إلى آخر أيام الحجّاج واستعفى^(٢).

وكان من وجوه أصحاب علي عليه السلام ولم يستقضه ذلك النقاد إلا عن خبرة به، وقد كان في الشيعة من عمل لأبي حفص عمر كسلمان الفارسي وسهل بن حنيف وغيرهما، إذ لم تكن العصبية والعداوة قد تمكنت.

وكان المذكور تابعياً، وكان شاعراً فصيحاً وله أجوبة صادرة عن ذهن وقاد، وقال له رجل: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ابن مائة وست، قضيت منها ستين سنة^(٣).

قلت: لو سمعه الفارابي لقال: إنه أجاب عن الكيفية بالكمية.

قال: وكان سبب قضائه لعمر، إن عمر أخذ من رجل فرساً على سوم

(*) ترجمته في:

الأغاني ٢١٥/١٧ - ٢٢٠، وفيات الأعيان ٤٦٠/٢ - ٤٦٣، طبقات ابن سعد ٩٠/٦ - ١٠٠، ١٣١، طبقات الشيرازي، حلية الأولياء ١٧٢/٤، شذرات الذهب ٨٥/١، المعارف لابن قتيبة ٤٣٣، تذكرة الحفاظ ٥٩، العقد الفريد ٨٩/١ - ٩١، ١٠/٥.

(١) الأغاني ٢١٦/١٧.

(٢) وفيات الأعيان ٤٦٠/٢.

(٣) الأغاني ٢١٨/١٧.

فحمل عليه رجلاً فعطب الفرس، فقال عمر: اجعل بيني وبينك شريحاً العراقي، فقال شريح: أخذته صحيحاً سليماً على سوم، فعليك أن تردّه كما أخذته، فأعجبه ما قاله، وبعثه قاضياً^(١).

وذكر أبو الفرج: أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام عرف درعاً له عند يهودي أيام خلافته بالكوفة فقال له: يا يهودي هذا درعي سقطت مني يوم كذا وكذا، فقال اليهودي: ما أدري ما تقول، درعي في يدي، بيني وبينك قاضي المسلمين، فانطلقا إلى شريح، فلما رآه شريح قام له عن مجلسه، فجلس مع شريح في مجلسه، وقال: إن خصمي لو كان مسلماً لجلست معه بين يديك، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تساووهم في المجلس، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشيعوا جنائزهم، واضظروهم إلى أضيّق الطرق، فإن سبّوكم فاضربوهم، وإن ضربوكم فاقتلوهم، ثم قال: درعي عرفتها عند هذا اليهودي، فقال شريح لليهودي: ما تقول؟ قال: درعي في يدي، قال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها درعك كما تقول، ولكن لا بدّ لك من شاهدين، فدعى قبر والحسين فشهدا له، فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد قبلتها، وأما شهادة ابنك لك، فقال أمير المؤمنين: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، قال: نعم، قال: أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة! لتخرجن إلى شاهيا لموضع في السواد فلتقضين بين أهله أربعين يوماً، ثم سلّم الدرع إلى اليهودي، فقال اليهودي: أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه فقضى عليه، فرضي به، صدقت والله وأنها لدرعك سقطت منك يوم كذا على جمل لك أورق، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال علي عليه السلام: فالدرع لك وهذا الفرس، وفرض له سبعمائة، فلم يزل معه حتى قتل بصفين^(٢).

قلت: اشتملت الحكاية على حديثين نفيسين عن رواية الإمام الأكبر أبي الحسن عليه السلام وآداب بها، فليقتدي من كان ذا سلطان حق، وإنما جعل أدب القاضي القضاء في السواد لأنهم بادية الفرس ولهم غلظة الفلاحين، فكان من

(١) الأغاني ٢١٨/١٧.

(٢) الأغاني ٢١٩/١٧ - ٢٢٠.

المناسب لغفلة شريح عن حديث عصمة الحسين أن يحبس مع الأضداد، فأضيق
السجون معاشرة الأضداد.

وأخبر عامر الشعبي قال: قال لي شريح القاضي: عليكم بنساء بني تميم
فإنهن النساء. قلت: وكيف ذلك؟ قال: انصرفت من حسابان ذات يوم مطير، فإذا
امرأة جالسة في سقيفة لها على وسادة وأمامها جارية رود ذات ذؤابة على ظهرها
فاستسقيت، فقالت: أي الشراب أحب إليك، النبيذ أم اللبن أم الماء؟ قلت: أي
ذلك تيسر، قالت: اسقوا الرجل لبناً، فإني أخاله غريباً، فلما شربت نظرت إلى
الجارية فاعجبني، فقلت: من هذه؟ قالت: ابنتي، قلت: ومن هي؟ قالت: بنت
جرير، إحدى نساء بني تميم، قلت: أفارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلت:
أتزوجينها؟، قالت: نعم، إن كنت كفواً، ولها عم فاقصده، فانصرفت فخطبتها
إلى عمها فزوجنيها فمكثت أياماً ثم أقبل بها نساؤها، فلما جلست في البيت
أخذت بناصيتها فبركت وأخلى في البيت فقلت: يا هذه إن من السنة إذا دخلت
المرأة على الرجل أن يصلي ركعتين وتصلّي ركعتين يسألان الله خير ليلتهما
ويتعوذان به من شرّها، ثم التفت فإذا هي خلفي فصلّيت ثم التفت فإذا هي على
فراشها فمددت يدي، فقالت: على رسلك، فقلت: إحدى الدواهي منيت بها، ثم
قالت: إن الحمد لله وحده استعينه، إني امرأة غريبة، ولا والله ما سرت مسيراً
قط هو أشد عليّ منه وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك، فحدثني بما تحب
فأتيه، وبما تكره فأنزجر عنه، فقلت: الحمد لله وصلى الله على محمد، قدمت
خير مقدم على أهل دار زوجك، سيد رجالهم، وأنت سيّدة نساءهم إن شاء الله
تعالى أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، قالت: فأخبرني عن أختانك^(١) أتحب
أن يزوروك؟ قلت: إني رجل قاضي وما أحب أن يملوني، فبت بأنعم عيش
ليلتي، وكنت بعد ذلك لا أرى يوماً إلا وهو أفضل من الذي قبله، حتى كان عند
رأس الحول فدخلت منزلي فإذا عجوز تأمر وتنهى، فقلت: يا زينب من هذه؟
فقالت: أمي فلانة، فرحبت بها، فقالت: يا أبا أمية كيف رأيت زوجتك؟ فقلت:
كخير زوج، فقالت: إن المرأة لا ترى في حال أسوء منها خلقاً في حالين: إذا
خطبت عند زوجها، وإذا ولدت غلاماً، فإذا أرابك منها ريب فالتوسط، فإن

(١) أختان: جمع ختن، الصهر من قبل الزوجة.

الرجال ما حازت إلى بيوتها شراً من الورهاء^(١) المتدللة، قلت: أشهد إنها ابنتك وقد كفيتها الرياضة.

قال: وكانت تأتيني في كل حول مرة، فتذكر هذا ثم تنصرف، فما غضبت عليها قط إلا مرة وكنت لها ظالماً، لما كنت أمام قوم فسمعت الإقامة، وركعت ركعتي الفجر، فأبصرت عقرباً فأعجلت عن قتلها فأكفأت عليها إناء فلما كنت عند الباب قلت: يا زينب لا تحركي الإناء حتى أجيء، فعجلت فحرّكت الإناء فلسعتها العقرب، وجئت فإذا هي تلوى فلا رأيتني يا شعبي وأنا أفرك لسبّتها بالماء والملح وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب، وان لي جار، وكان لا يزال يضرب امرأته فقلت:

رَأَيْتُ رَجَالاً يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ
أَضْرِبُهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ أَتَتْ بِهِ
فَتَاةُ تَزِينُ الْحَلِيَّ إِنْ هِيَ زَيْنَتْ
فَزَيْنِبُ شَمْسٍ وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبُ
فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ زَيْنَبَا
إِلَيَّ، فَمَا عَذْرِي إِذَا كُنْتُ مَذْنَبَا!
كَأَنَّ فِيهَا الْمَسْكَ خَالِطَ مَحَلْبَا^(٢)
إِذَا طَلَعَتْ لَمْ تَرَ مِنْهُنَّ كَوَكْبَا^(٣)

أخذ القاضي، الرابع من قول النابغة: «فإنك شمس والملوك كواكب» وقد مرّ. إلا أن شمس القاضي أبهى من شمس النابغة بحكمه.

وللقاضي أبي أمية المذكور في زينب^(٤) وهو من أصوات الأغاني المختارة [من المتقارب]:

إِذَا زَيْنِبُ زَارَهَا أَهْلُهَا
وَإِنْ هِيَ زَارَتْ بِهِمْ زُرْتُهُمْ
فَسَلِمِي إِنْ سَالِمْتَ زَيْنِبُ
وَمَا زِلْتُ أُرْعَى لَهَا عَهْدَهَا
حَشَدْتُ وَأَكْرَمْتُ زَوَارَهَا
وَلَمْ أَتَّخِذْ لِي هَوَى دَارَهَا
وَحَزْنِي إِنْ أَشْعَلْتَ نَارَهَا
وَلَمْ أَتَّبِعْ سَاعَةَ عَارَهَا^(٥)

وذكر ابن خلكان وأبو هلال العسكري: إن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية:

(١) الورهاء: الحمقاء.

(٢) المحلب: العسل.

(٣) الأغاني ٢٢٤/١٧، وفيات الأعيان ٤٦٢/٢.

(٤) زينب بنت حدير التميمية وهي زوجته، وأخبارها في الأغاني ٢٢١/١٧ - ٢٢٥.

(٥) الأغاني ٢١٥/١٧.

قد ضبطت لك العراق بشمالي ويميني فارغة، فولّني الحجاز، فبلغ ذلك ابن عمر، وكان مقيماً بمكة، فقال: اللهم إشغل عنا يمين زياد، فأصابه الطاعون في يمينه، فجمع الأطباء واستشارهم، فأشاروا عليه بقطعها، فدعى شريحاً فعرض عليه ما أشار به الأطباء، فقال له: رزق مقسوم، وأجل محتوم، وإني أكره إن كانت لك مدّة أن تعيش في الدنيا بلا يمين، وإن كان قد دنى أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد، فإذا سألك لم قطعتها؟ قلت بغضاً في لقائك، وفراراً من قضائك، فمات زياد إلى غضب الله من يومه، فلام الناس شريحاً على منعه من القطع لبغضهم زياداً، فقال: إنه استشارني والمستشار مؤتمن، ولولا ذلك لوددت إن الله قطع يده يوماً ورجله يوماً وسائر جسده يوماً^(١).

قلت: بل إشارته بإبقائها كان أنفع للإسلام، لأنها لو قطعت ربما كان يسلم من ذلك الداء، وكان شريحاً مخضراً أدرك الجاهلية والإسلام وعاش عشرين ومائة سنة، وتوفي سنة سبع وثمانين من الهجرة بالكوفة، رحمه الله.

وكان أحد السادة الطلس، والأطلس الذي لا لحية له وهم أربعة: شريح، والأحنف بن قيس، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن الزبير^(٢).

إنما لقب ثور بن مرتع كندة لأنه كِنِدَ أباه نعمته أي كفرها، وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^(٣).

والطاعون: ورم دموي قتال، شديد الالتهاب، وسببه تغير كيفية الدم إلى الشمية، ويكثر في المواضع والفصول الحارة الرطبة مثل مصر وأيام الربيع، وهو من المعديات، وأقتله ما كان في الأبط والعنق لقربهما من الرئتين والقلب والدماغ، ومتى حصل فالغالب أنه يقتل، وإنما يداوى سببه قبل حصوله بالمبرّدات ومغلظات الدم، وبإخراجه، وغالبه يقع بالروم والشام ومصر لإفراط الخصب وكثرة المياه والفاكهة.

(١) وفيات الأعيان ٤٦٢/٢ - ٤٦٣.

(٢) أنظر: وفيات الأعيان ٤٦١/٢.

(٣) سورة العاديات: الآية ٦.

الشيخ الأديب شعبان بن سليم بن عثمان الصنعاني المولد والنشأة،
الرومي الأصل^(*).

أحد الأدباء المجيدين المعاصرين، فاضل لو جرى القمر لأنصف، أو
الفلك المحيط لرآه لإحاطته بالأدب أعرف، يقول مجاربه فضل شعبان على
محرم، ولا جرم فالديياج المنسوب إلى الروم أنفس والنسيب مقدم، به بان فضل
ابن الرومي على العرب، وأتى بمثل العجم من جراه، وأما هو فجاء بمثل
الرطب، فمعانيه غوالي تميم من الألفاظ في الحلل، وما هو إلا الشمس ومن
جراه أما الجدي وأما الحمل، وله في الطب يد لا يقوى عليها بقراط، تخفق
لها العلل خفقان قلب العاشق بالأقراط.

وهو من أبناء الأجناد الرومية الذين بعثهم السلطان سليمان بن سليم خان
إلى بلاد اليمن، ومنهم من لم يعد مع الوزير حيدر كما ذكرناه فيما سلف، وكان
والده جندياً من أتباع الأمير السيد الجليل علي بن المؤيد بالله أمير صنعاء، كما
ذكر لي ولده المذكور، وأما هو فتكسب بالتجارة أولاً والخياطة، ثم بالطب، وله
مع الأدب صلاح تام وحسن عشرة، وصمت ووقار، وقد جمع شعره في سفينة
من رآها بات بها صياً، وأشبه الجلندي في أخذ كل سفينة غصباً، وقد مرّ لي في
أثناء الكتاب كثيراً من شعره، وله وهو مما سار مسير نوح، وترك الحاسد بالدمع
في طوفان نوح:

يا أسرة الحب إن عز التخلص من أسر الغرام وذقتم في الهوى الهونا
قيلوا بنا عند من بعنا بحبهم نفوسنا فعساهم أن يقللونا^(١)

(*) شعبان بن سليم بن عثمان حاشكي.

ترجمته في: نفحات العنبر - خ -، ذوب الذهب - خ -، البدر الطالع ٢٨١/١، نشر العرف ١/١
٧٥٢ - ٧٦٥، الاعلام ط ١٦٤/٣/٤.

(١) نشر العرف ٧٥٧/١.

وله أيضاً:

أن تخل من فضة كفي، ومن ذهب
وفضتي من بياض الشيب خالصة

وله فيمن اسم رقيه يحيى:

يا صفى الديدن هل ير
إنني مت غراماً

فلست أدعي لعمري من ذوي العدم
والتبر من أدمعي والدر من كلمي^(١)

ضيك يا باهي المحيا
ورقيبي فيك يحيا^(٢)

وله في الثور الرقيب، وقد مضى شيء من عبثه به، وكان يحب من اسمه
الحبّتين:

سرت أسراره في الخافقين
تكفى ثورنا بالحبّتين^(٣)

لقد أبدى الزمان لنا عجيباً
نمت فيه لنا البركات حتى

وله أيضاً مراجعاً:

من نظمك الرائق عقداً نظيم
فهو على الحالين مني يتيم^(٤)

قلدت جيدي يا جمال العلى
هذا وإنني لست من أهله

وله يخاطب إسماعيل وقد هويه حنظل:

إن جيش الحسن عنه ارتحلا^(٥)
فلهذا مرّ منه ما حلا^(٦)

قل لإسماعيل عني مخبراً
وانقضى إذ هام فيه حنظل

وله:

لديك ولكن ساء ذلك عذالي
لعمركم كان انتصابي على الحال^(٧)

وما زلت مذ أرشفتني الشجر قائماً
فقلت لهم لا تنكروا ذاك إنما

(١) نشر العرف ٧٥٦/١.

(٢) نشر العرف ٧٥٦/١.

(٣) نشر العرف ٧٥٧/١.

(٤) نشر العرف ٧٥٥/١.

(٥) في نشر العرف: «منه رحلا».

(٦) نشر العرف ٧٥٥/١. وفيه: «عنه ما حلا».

(٧) نشر العرف ٧٥٨/١.

وله في القرش العطار:

قالت معذبتي وقد
أفلّ حسد لـقـاك أو

أفهمتها بالقرش شغلي
ما القرش قُل لي قلت فلي^(١)

ومن هذه المادّة الحلوة قول القاضي زين الدين بن الوردي الحلبي^(٢):

أقول لها وقد جاءت صباحاً
يسرّك أن أروح إليه أخرى

تخبرني عن الظبي الجموح
فقلت لها خذي مالعي وروحي

ومما نظمته أنا قديماً في هذه المادّة:

للابسة السوسي دلّ خطبته
أسوسك بالتعذيب ترضى وما الذي

فقلت بألباب تباح وروسي:
دعاك إلى عشقي؟ فقلت لها: سوسي

ولشعبان في القرش والربيع:

للقرش والربيع البدري قد حُجبا
وقد خلت خضرات الإنس فهي إذا

عنا فليس لنا في زورة طمعا
دوارس لا نرى قرشاً ولا ربعا^(٣)

وله أيضاً:

وشادن يقرأ في معشر
فقلت: إن الحال هذا الذي

يسألهم ما الحال والماضي؟
تري بنا من طرفك الماضي^(٤)

وكتب إليّ في شهر محرم من عامنا هذا سنة أربع عشر ومائة وألف:

مزورك قد أشفى فهل قبلة تشفي
نصبت له من ذابل القدّ أسمراً
وأرسلت نبلاً من جفون مريضة
فواتك لا يرتد نافذ سهمها
حوارس جنات بخديك زهرها

فليس به إلا التعلّل بالرشف
يميل به ساري النسيم على حقف
أسالت نفوساً وهي تشكو من الضعف
ولا يتقي بالسابرية والزعف
جناها عزيز ليس يدرك بالقطف

(١) نشر العرف ٧٥٨/١.

(٢) وهو عمر بن المظفر، مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٣) نشر العرف ٧٥٨/١.

(٤) نشر العرف ٧٥٦/١.

تكداد إذا ما خامر الفكر لشمها
إذا قابلت إنسان عيني خلته
وبالشعر ما لو كان يمكن رشفه
يجل عن التشبيه بالدرّ لم يكن
وما البرق إلا من سناه وإنه
وأين لماء الحلو والشنب الذي
إذا قيل إن الظبي يحكيه لفته
ولا عجب إن همت فيه صبابة
بدا قمرأ في غصن بان يحفه
حظيت به والليل مرخ حجابه
ولا كاشح إلا الوشاح بخصره
وبي مثلما بالخصر والردف من ضني
كما لا يحد الواصفون مكارماً
فليس لها إلا القلوب منازلأ
فتى جمع الآداب والعلم والحجا
أيدرك شمس الأفق بالكفت لامر
يروقك أخلاقاً يفيدك حكمة
ويدرء عنك الرزء إلا عن القضا
يعد لألف المشكلات إذا دجت
إذا اشتجرت سمر الرماح وحمحمت
وأمرت الهيحاء ما نبت صوبه
تراع به حسب القلوب وإنها
إذا عبس الفرسان يبسم ضاحكاً
ثبات جنان كم يكن في سوائه
ولو أن جالينوس عمّر لم يكن
يؤلف بين الماء والنار لو يشأ
بتعديل أمزاج ورأي وحكمة
نمى غصنه من دوحة هاشمية
من العصبة الزهرى وناهيك عصبة

تسيل دماً وهي المصونة للطف
بصفحتها حالاً واسده عن طرفي
لما كان معنى للمعتقة الصرف
ليحكيه إلا بالصقالة والوصف
معيب بسكناه مع الديم الوطف
يروق لمستحل ويحلو لمستصف
وجيداً فهل يحكيه بالقرط والشف
وأفصح دمعي عن هواه بما أخفي
لحتف الورى ليل من الشعر الوحف
علينا وطرف النجم قد كاد أن يغفي
يدور فيشكو ما يلاقي من الردف
سوى أن ما بي لا يعبر بالوصف
ليوسف قد جلت عن الرسم في الصحف
وحسبك سكتها القلوب فهل يكفي
فقل لمجاريه اتئد لست بالملفي
لقد بعدت شمس النهار عن الكف
بغيثك ملهوفاً بصونك عن خسف
كأنك تأوي من حماه إلى كهف
كذلك في الهيحاء يقيد للألف
فحول مذاكيها اشتياقاً إلى الرجف
على ماله عند الحصادة من خلف
لدى الضعف لا تخلو هنالك من ضعف
ويشرق مثل البدر في ليلة النصف
وشدة عزم لا تحول عن الصف
ليأخذ إلا عنه علماً لمستشف
ويجمع ما بين الغضنفر والحشف
تدل على معنى النباهة والظرف
سماتهم فعل المروة والعطف
يرجيهم الملهوف في الكرب للكشف

فخذها ابن يحيى لا عدمتك إنها
ودم ما تغنى صادق في فروعه

عقيلة ذكر كنزها في الحشى مخفي
لكل مهم عن أخي مقمة تنفي^(١)

ولما وجب الثواب أما بالحباء أو الجواب، وكان الثاني بحكم ارتفاع الأندال
هو الممكن، أجبته، وإن كان في الشعر والثناء هو المحسن، فكأنه زهير ولو الإيهام
لقلت وهرم بن سنان، وإن كان في السبك الجيد لا يساوي كعب شعبان، فقلت:

وحقك ما يطفى لهيبي سوى الرشف
فإن جدت نلت الأجر أو كنت باخلا
هويتك ظيباً قد حُرست بعصبة
وبدر له في القلب برج مشيد
تري الشفق القاني يلوح بخده
وقد أينع التفاح فيه وإن يمل
ألاقي به الأحزاب ما بين كاشح
أمامي اللحاظ البابلية شرعاً
وقد ذهبت نفسي شعاعاً وزادها
فإن ترني أهوى النسيم فإتما
وفي ضمنه مرّوا وما كنت بايحاً
وذي أدب ألفاظه مثل خده
إذا قرأت عيناك أسطر صدغه
لشهب الدجى ما نصه فوق جیده
وللبدر ما أرخى عليه نقابه
فليت لقاء عاد مثل زماننا
ليالي لا واش سوى جرس حلية
ولا ستر إلا للخميطة فوقنا
ولم أدري لما أن جلت لي مدامها
أمن خدها كاسي عليه عقودها
أم الشفق الأفقي به النجم دار لي

وصرفك ذاك المنع عن مشتهي العطف
ففي الحل مني أنت لو قدت لي حتفي
أسود أما خافوا الأسود على الخشف
وحاشاه من نقص عليه ومن خسف
والآ فمن دمعي ومن خمرة الصرف
إليّ بذاك الغصن أرفق في القطف
وواش فما أنفك للحرب في الصف
والسنة الواشي الأسته من خلفي
أشعة ما بين السوالف والشنف
يساعدني في صبوتي من به ضعف
بسر الهوى بعد الوثيقة والحلف
رقاق ولكن صدّه الصعب كالردف
تزيدت إيقاناً بمعجزة الصحف
وما نصّ غير القلب بالقسر والطرف
ولكنه ما شأنه حُلُكة السدف
بشرقي اللوى دون الأراكة والحقف
ولا عين إلا من جداوله الوطف
غلطت بلى من شعره الفاحم الوحف
وقد ضاع منها النشر في حالة اللّف
فواقع أم درّ تَضوُّع في كفي
والا تجلى بدر شعبان في النصف

(١) بعضها في نشر العرف ١/ ٧٦٠ - ٧٦١.

أديب حكى الدينار خالص نظمه
حباني بأبيات نسيت لحسنها
غدا خلفاً للشعر من بعد أهله
نظام كمثل البرق لوّح سحره
ومذ صَحَّ لي أن النظران نظامه
إذا عُذَّ أهل الشعر جاء محلّقاً
وأحسب عيسى حين ودّع خصّه
فأصبح فرداً في الصنّاعة دافعاً
يخبّره النبض الخفّيات مثلما
وليس لبطليموس في الشهب حدسه
فذاك بفتّر علمه ولذي الفتى
أظن إليه النيّرين تدلّسيا
ومن عجب إن الجواهر شعره
وحب نقّي الخدّ ما زال لائقاً
ودونك مني مثلما لي بعثته
بعثت يواقيتاً وقابلت حسنّها
وأسبل على هذا الرقيم غلالة
ودم راقياً في متن فضلك سابقاً

وكم شاعر يهوى من الجهل في حرف
همومي وسلّتني حنيني إلى إلفي
ومن يدّعيه غيره كاد كالخلف
وحاشاه من خوف الصواعق والخطف
أنفت لمثلي أن يميل إلى الجعفي
ولم يبق للأعشى وطرفة من طرف
بما كان عن لقياه بقراط كالخلف
عن الروح ما يخشاه من روعة العصف
يشير فصيح اللفظ بالمضمر المخفي
ولا يبلغ التحقيق فيها ولا يلفي
ذراع ذكاء فضّل^(١) الزبر في السقف
خضوعاً ودلاه لمن جاز من طرف
وحاز إليها الرمل بالسعي واللفف
ولا سيما بالكامل الفضل والعفّ
وإن لم يحاكي درّ سمطك في الوصف
بحصباء فاعذرني فمثلك من يعفي
من الستر وأنزله في ظلك الكهف
بطرف من الإحسان بورك من طرف^(٢)

ولشعبان مراجعاً لأحمد بن حسين الرقيحي الشاعر المذكور في الهمزة^(٣) :

قلب صبّ ندبه قد وجبا
فقضى لم يقض منه إربا
جعل الدمع إليهم سببا
فهي تكفيهم وتروي النجبا
إنما أسقيهم ما عذبا

لتباريح الجوى قد وجبا
حال من دون تلافيه النوى
ليت حادي العيس لَمَّا رحلوا
وسقى عيسهم من أدمعي
لست يوماً بدمي أمزجها

(١) في هامش الأصل: «وصل» أي السماء.

(٢) بعضها في نشر العرف ٧٦١/١.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٥.

كحللوا بالسهد عيني عندما
فأنا اليوم على شرط الهوى
أسفح الدمع على أطلالهم
وإذا مرَّ بسمعي ذكرهم
وحمامات اللوى إن سجعت
يعتريها بعض وجدي فتري
مركب الحجب خطير وبه
يترك الأسد على صولتها
ربَّ ليك أسرته دموية
ما وقاه نابه عن بطشها
فأرح قلبك عن حبِّ الدُمى
ليس من مات عزيزاً ذكره
يخلد الذكر له ما بقيت
وهو مطويّ بأطباق الثرى
قضت الأيام إلا شرف
إنما يشرف من أولى الندى
من أخي وذَهفي فأنزعجت
كصفي الدين إذ وافى بما

میلوا الأعطاف واختاروا الربى
مقللة عبرى، وعقل ذهباً
وأناجي ربعمهم والكشبا
من عذول زاد وجدي ظرباً
وأمالت بالسجوع القضباً
تندب الألف وتبدي الكرباً
كم يقاسي الصبَّ فيها الوصباً
حائرات دون أجفان الظباً
لم يجد عن حبها منقلباً
لا ولا مخلبه ماضي الشباً
وابتني المجد وأعلي الرتباً
مثل من مات فلن يحتسباً
سمة منه تزين الكتباً
وثناه نشره لن يحجباً
لفتى يطلب منها نشباً
وأجاز العذر مهما غلباً
مهجة منه وأبدي تعباً
يوجب العفو على من أذنباً

وهي طويلة، وكأنما هي صيب الماء في الانسجام، وقصيدة أحمد يستعته
فيها سبب وجده عليه [لا] لشيء لأنه أستاذه.

وله في الموشح الملحون اليد القويّة، فمن ذلك:

يا متلفي بالصدّ والتّيه
ونشر ما قد كنت أطويه
وكم حويسد لامني فيه
ونرجس الألحاظ يكفيه



أقام عذري فيك لام العذارِ
لذا حلّ لي فيك خلع العذارِ
عاذل قومي إذ تثنيت جارِ
حقيت جنة ورد خدك بنارِ

فليس له في الحسن ثاني

يا من تفرّد في الملاحه وفاق

عيون عشاقك لخصرك نطاق
ومبسمك قد رقّ فيه وراق
ومن خدوده يجتنى الجلنار
مهما ترى للعطف ثاني
خمر المشيب والأقحوان
لكن يحرق قلب جانيه



الحسن كله قد جمع لك جميع
فكل كلّي للصبا مطيع
مالي سوى حسنك إليك من شفيح
عساك تنعم لي بقرب المزار
وأنا غرامك قد قسم لي
فيها قد استحليت ذلي
ساعي إليك في جمع شملي
فالعصن قد يخضر زاويه



ما كان أحلى جمعنا في زروذ
وأنت مثل العصن تحت البرود
فليت شعري ما تقضى يعود
أبديت من بعد التجافي نفار
ما بين هاتيك الأثيلات
ولك إلى الأحباب ميلات
هيهات ولى ذاك هيهات
وودنا كذرت صافيه



والناس يتغنون بأكثر شعره في الموشح لرقته. ومحاسن شعبان كقمره^(١).

(١) في هامش ب: «موت شعبان بن سليم سنة تسع وأربعين ومائة وألف».

حرفُ الضَّادِ

أبو بحر، الضحّاك بن قيس بن معاوية بن حصن^(١) بن عبادة بن نزار^(٢)
ابن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن
تميم التميمي، الشهير بالأحنف، السيد الحلیم المشهور^(*).

سيد بني تميم، وكان رئيساً مسوداً، من التابعين، وأدرك رسول الله ﷺ ولم
يصحبه، وصحب علياً عليه السلام وشهد معه صفين والنهروان ولم يشهد الجمل لأنه قعد.
لتسكين ثورة بني تميم لما دعاهم طلحة والزبير وعائشة إلى حرب أمير المؤمنين،
وكتب إلى علي عليه السلام: إن أحببت جثتك ناصراً في خمسمائة من بني عمي، وإن
اخترت خذلت عنك سبعة آلاف من بني تميم، فأجابه: أن كفى بقعودك هذا
ناصرأ.

ثم كتب إلى بني سعد: إنه ليس أحد من تميم إلا وقد شقى برأي سيده
غيري، فإنكم لا تزالوا تحمدوا عقبي رأبي، وأمرهم بالسكون فسكنوا، وكان

(*) ترجمته في:

وفيات الأعيان ٤٩٩/٢ - ٥٠٦، طبقات ابن سعد ٩٣/٧، تهذيب ابن عساكر ١٠/٧، تهذيب
التهذيب ١٩١/١، سرح العيون ٥٤، ذكر أخبار أصبهان ٢٢٤/١، جمهرة الأنساب ٢٠٦، السير
٨١، تاريخ الخميس ٣٠٩/٢، تاريخ الإسلام للذهبي ١٢٩/٣، ألف باء البلوي ٣٤٣/٢،
الاعلام ط ٢٧٧/١/٤، وأخبار حلمه والحكايات عنه مشورة في كتب الأدب.

(١) في الوفيات: «حصين».

(٢) في الوفيات: «النزال».

يتبعه مائة ألف من بني تميم - كما قيل - لأن تميمًا أكثر القبائل رجالاتاً، ومما فُتح على يديه بلخ وهراة وطخارستان أيام الفتوح.

وقال ابن حمدون في التذكرة: وكان الأحنف سيِّداً حليماً يضرب به المثل، وقد عُذَّت له سقطات، فمن ذلك: إنه نظر إلى خيل لبني مازن فقال: هذه خيل ما أدركت الثار، ولا نقضت الأوتار، فقال له سعيد بن العلقم المازني: أما يوم قتلت أباك فقد أدركت بثأرها، فقال الأحنف: لشيء ما قيل دع الكلام حذر الجواب، وكانت مازن قتلت أبا الأحنف في الجاهلية.

قال: ولما خرج الأحنف مع مصعب بن الزبير أرسل إليه بمائة ألف درهم ولم يرسل إلى زبراء جاريتة بشيء، فجاءت حتى تقدّمت بين يدي الأحنف، ثم أرسلت عينها، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: مالي لا أبكي عليك إذ لم تبك على نفسك، أبعد نهاوند ومرو الروذ تجمع بين غارين من المسلمين، فقال: نصحتني والله في ديني إذ لم أتنبه في ذلك، ثم أمر بفسطاطه فقوّضت، فبلغ ذلك مصعباً فقال: ويلكم من دهاني في الأحنف، فقيل زبرا، فبعث إليها ثلاثين ألف درهم فجاءت حتى أرخت عينها بين يديه، فقال: مالك يا زبرا؟ قالت: جئت بإخوانك من البصرة تزفهم كما تزفت العروس حتى إذا صيرتهم في نحر أعدائهم أردت أن تفت في أعضادهم، قال: صدقت والله، يا غلام دع الفساطيط، فاضطرب العسكر بمجيء زبرا مرتين وذهبت مثلاً.

وقال أيضاً: قيل لم ير الأحنف ضجراً إلا مرة واحدة، أعطى خياطاً قميصاً يخيطه له فحبسه حولين، فأخذ الأحنف بيد ابنه بحر فأتى به إلى الخياط، وقال: إذا مت فادفع القميص إلى هذا.

وكان خطيباً يعدّ من خطباء مضر، شاعراً أيضاً.

وقال أبو هلال العسكري في الأوائل: لما قدمت أم المؤمنين البصرة بعد قتل عثمان ومعها طلحة والزبير ومروان، وخطبت خطبتها المشهورة تخط على طاعتها ونكث بيعة علي عليه السلام، فانطلق رجل سمع مقالتها إلى الأحنف وهو معتزل في بني سعد، فقال الأحنف:

لشتان ما بين المقامين تارة
تضاري وطوراً عذرة تستقبلها
فلو كانت الأكنان دونك لم تجد
عليك مقالاً ذو أناة يقولها

وقفت بمستن السيول وقل من
فخضت سقائي غدره وملامه
إلما ترى أن الأمور بفترة
حجابك أخفى للذي تسترينها
فلا تسلكن الوعر ضيقاً مجازه
يقوم بها إلا علاه بليها
وكلتاها ما كادت تغولك غولها
من الشر لا يغشى بليل دليلها
وصدرك أوعى للتي لا أقولها
فتغبر من سحب الملاة ذيولها

فلما بلغ عائشة مقالة الأحنف، قالت: لقد استفرغ حلم الأحنف هجاؤه
إيائي، إلى الله أشكو من عقوق ابني، ثم قالت:

بني اتعظ إن المواعظ سهلة
ولا تنسين في الله حق إمامتي
ولا تنطقن في أمة لي بالخنا
ويوشك أن يكتان وعرأ سبيلها
فإنك أولى الناس ألا تقولها
حنيفية قد كان بعلي رسولها

والثاني من هذه ملحون وفيه سناد، لأن الخليل يقول: إن القافية لامية هنا.

وروي أبو هلال أيضاً: عن شيخة أبي أحمد العسكري عن عمرو بن بشير
عن عمته أم زيد قالت: كنت مع عائشة بمكة، فأتاها إن عثمان قُتل، فقالت:
أبعده الله بما قَدِّمت يده، يا معشر قريش لا يشومكم عثمان كما شام حمير ثمود
قومه، إن أحقَّ الناس بهذا الأمر ذو الإصبع، تعني طلحة لأنه من رهطها، ثم
أتاها إن علياً استخلف بعده، فقالت: تعسوا لا يؤمرون بني تميم أبداً. أيها
الناس: إن عثمان قتل مظلوماً، وإن علياً أخذ الأمر بغير شوري، والله لا نرضى،
لنقاتلنه.

فقالت أم سلمة: أيها الناس: إن عثمان قُتل، وإن الناس بايعوا علياً خيراً
من تعلمون، وقد بايعنا، فبايعوا.

وقال العسكري: أخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا أبو بكر بن دريد قال:
حدثنا الرياشي قال: حدثنا عمر بن بكير قال: حدثنا الهيثم بن عدي بن عيَّاش
عن الشعبي قال: لما قدم علينا الأحنف بن قيس مع مصعب بن الزبير فما رأيت
شيئاً يستقبح إلا وقد رأيت في وجه الأحنف منه شيئاً، كان أصلع الرأس، أحجن
الأنف، أغضف الأذن، باحق العين، ناتي الوجه، مائل الشدق، متراكب
الأسنان، خفيف العارضين، أحنف الرجل، ولكنه إذا تكلم جلى عن نفسه،
وأقبل يفاخرنا ذات يوم بالبصرة ونفاخره بالكوفة، فقلنا: الكوفة أعلى وأفسح،

فقال له رجل: والله ما أشبه الكوفة إلا بشابة صبيحة الوجه، كريمة النسب، لا مال لها، فإذا ذكرت وذكرت حاجتها كفّ عنها، وما أشبه البصرة إلا بعجوز ذات عوارض موشرة موسرة، فإذا ذكرت ذكر يسارها رغب فيها.

فقال الأحنف: أما البصرة فأسفلها قصب، وأوسطها خشب، وأعلىها رطب، نحن أكثر عاجاً وساجاً وديباجاً وجارية مغناجاً وبرذوناً هملاجاً، والله ما أتى أحد البصرة إلا طائعاً، وما خرج منها إلا كارهاً يجرجر.

فقام شاب من بكر بن وائل فقال: يا أبا بحر بما بلغت في الناس ما بلغت، فوالله ما أنت بأحملهم ولا بأشرفهم ولا بأشجعهم، فقال: يا بن أخي بخلاف ما أنت فيه، قال: وما أنا فيه؟ قال بتركي ما لا يعنيني من أمرك إذ شغلت بما لا يعينك في أمري.

ولما قتل أمير المؤمنين عليه السلام وخذِل ولده الحسن عليه السلام وفد الأحنف على معاوية فسأله عن رأيه في علي عليه السلام فتكلم بفضله، فقال معاوية: لتصعدن المنبر فلتلعن علياً، فقال الأحنف: لو تعفني من ذلك، ولئن أبيت لأتكلمن بما لم تَسْتَطِيع أن تردّه، قال: عليّ ذلك، فصعد الأحنف المنبر فقال: أيها الناس إن علياً ومعاوية تنازعا هذا الأمر واقتتلا عليه، وإني داع فأمنوا رحمكم الله، ثم قال: اللهم إعن أقلهما إيماناً وسابقة، وأظهرهما نفاقاً. فقال الناس من جوانب المسجد: آمين^(١).

قال أبو الفرج: وهو مورد الخبر عن الحافظ ابن معين، قال ابن معين: وأنا أقول آمين.

قال أبو الفرج: وأنا أقول، آمين.

قال الفاضل عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد: وأنا أقول، آمين.

قال القاضي العلامة أحمد بن ناصر بن عبد الحق المخلافي^(٢): وأنا أقول، آمين.

(١) وفيات ٥٠٥/٢.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

ويقول المؤلف يوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله بن المنصور:
وأنا أقول، آمين.

وروى ابن الأثير: إنه كان للأحنف جارية وكان مطيعاً لها، فقال له الناس:
أنت سيد قومك ونراك تتبع هوى هذه الجارية؟ قال: كيف لا أطيع من لي إليه
كل يوم حاجة.

وقال أبو هلال في جمهرة الأمثال: أخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن
إبراهيم، ثنا العقدي قال: ثنا أبو جعفر أحمد بن الحارث عن المدائني عن شيخه
عن محارب بن عبد الرحمن بن سكرة عن أبيه: إن الأحنف لم يتعلق عليه إلا
ست خصال:

قوله في أمر الزبير لما أتاه الحماني فقال له: هذا الزبير قد مرّ أنفأ، قال:
ما أصنع به قد جمع بين غارين، فقتل بعضهم بعضاً، ثم يريد أن ينجو إلى أهله
فتبعه ابن جرموز فقتله، فقال الناس: قتله الأحنف.

وإنه لما أتاه كتاب الحسن عليه السلام لم يجبه.

وقوله أيام مسعود بن عمر الأزدي للمرأة التي أتته بمجمر فقالت: تجمّر
فقال: أست المرأة أحق بالجمر.

والرابعة: قوله للحتات بن زيد: إسكت يا أدبئر، وكان أدبئر.

وقوله لقطري بن الفجاءة: إن أبا نعامة أن أشار على القوم فركبوا البغال،
وجنبوا الخيل، فأصبحوا ببلد، وأمسوا بغيره، فأقمن أن يطول أمرهم، فأخذ
قطري بقوله. وأتاه رجل فلطمه فقال: بسم الله ولم لطمتني؟ قال: جعل لي أن
ألطم سيد بني تميم، قال: فإنك أخطأت سيدهم حارثة بن قدامة، فلطم الرجل
حارثة فقطع به، فقال الناس: إنما قطع يده الأحنف.

قلت: إنما قالت له المرأة تجمّر لأنه أبطأ في تلك الحرب فكانها قالت له:
إنما أنت امرأة وليس المحارب بالمطياب والمكحال.

ولما أنشد مسلم بن الوليد بن يزيد بن مزيد الشيباني القصيدة منها:

لا يعبق الطيب خُدَّيه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل
رمى المشط من يده وقال: حرّم مسلم الطيب علينا، وأراد لشهامته أن لا
يكذب مادحه.

وقوله: «أست المرأة أتحق بالمجمر» مثل مشهور.

ومما يتعلق به ما حكاه العسكري أيضاً: عن أبي أحمد قال: أخبرنا
المبرمان قال: أخبرنا أبو جعفر بن المثنى قال: أول خليفة أخذ الجار بالجار
والولي بالولي، سليمان بن عبد الملك، فدخل عليه فتى ظريف، وعلى رأس
سليمان وصيفة حسناء قائمة، فجعل الفتى يديم النظر إليها، فقال للفتى: هات
سبعة أمثال في الأست^(١) وهي لك، فقال الفتى: أست لم تعود الجمر قال:
واحد، قال: أستى أخبثي، قال: اثنان، قال: أست المسؤول أضيّق، قال:
ثلاثة، قال: أست البايّن أعلم، قال: أربعة.

قلت: البايّن: حالب الناقة من جانبها الأيمن.

قال الفتى: من الله عليك وأستك، قال: خمسة.

قال: الحر يعطي والعبد ينجع أسته.

قال: ستة.

قال الفتى: لا ماؤك أبقيت ولا حرّك أنقيت.

قال سليمان: ليس هذا من ذلك.

قال: أخذت الجار بالجار كما يفعل أمير المؤمنين.

قال: خُذها، لا بارك الله لك قوماً.

قلت: الصحيح، إن أول من أخذ الجار بالجار زياد بن أبيه قبّحه الله
تعالى.

(١) الأست: العجز، ويقال للرجل الذي يستدلّ ويستضعف: إست أمك أضيّق وإستك أضيّق من أن
تفعل كذا وكذا، ويقال للقوم إذا استدلوا واستخف بهم: بأست بني فلان، وهو شتم للعرب.
«لسان العرب: مادة ست».

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في أخبار الحطيئة الشاعر واسمه جرول^(١): إن الوفاة لما حضرته اجتمع إليه عشيرته، وقالوا: أوص يا أبا مليكة لليتامى.

قال: كُلُوا أموالهم، ونيكوا أمهاتهم.

قالوا: فما تقول في عبيدك؟

قال: هم عبيد ما تعاقب الملوان.

قالوا: فأوص للمساكين.

قال: أوصيتهم بالمسألة، فإنها تجارة لن تبور، وأستُ المسؤول أضيئ.

قالوا: فما تقول في مالك؟

قال: للأثني من ولدي مثل الذكر.

قالوا: ما كذا قال الله.

قال: لكنني كذا قلت.

قالوا: فمن أشعر الناس؟

قال: هذا الحُجَّير إذا طَمِعَ في خير [يعني فمه] ومدَّ لسانه، ويكى.

وقال: أبلغوا أهل ضاييء، أنه أشعر الناس حيث يقول:

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنَّنِي وجدتُ جَدِيدَ المَوْتِ غَيْرَ لَذِيدِ
لَهُ نَكْهَةٌ لَيْسَتْ بِطَعْمِ سَفَرِجَلٍ وَلَا طَعْمِ تَفْجَاحٍ وَلَا بَنْبِيذِ^(٢)

(١) هو أبو ملكية جرول بن أوس بن مالك العبسي، ولقب بالحطيئة لقصره. قيل إنه أشعر الناس بعد زهير بن أبي سلمى «الراجح أنه أسلم في خلافة أبي بكر (رض)»، وبقي رقيق الإسلام إلى آخر حياته. كان هجاءً بذيء اللسان لم يسلم من هجائه أحد حتى أمه. كان سؤولا ملحفاً دميماً بخيلاً، وقد رويت عنه في هذا الباب حكايات طريفة، منها وصيته لأهله وقومه قبيل وفاته. له ديوان شعر بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، حققه نعمان أمين طه، وطبع بمصر سنة ١٩٥٨م. يوجد اختلاف في تاريخ وفاته.

ترجمته في: الأغاني ١٤٩/٢ - ١٩٤، فوات الوفيات ١٩٢/١ - ١٩٥ وفيه أنه توفي في حدود سنة (٣٠)هـ. شرح شواهد المغني/٩١٦، الشعر والشعراء/٢٣٨، روضات الجنات/١٥٨ وفيه أنه توفي سنة (٥٩)هـ، أنوار الربيع ١/٧٩.

(٢) ديوان الحطيئة.

قالوا: أوصنا.

قال: ويلٌ للشعراء من رواة السوء، ثم أغمي عليه ساعة وأفاق، فقالوا:
قل لا إله إلا الله، فقال:

قالت وفيها حَيْدَةٌ وَذُعْرُ عَوْدٌ بِرَبِّي مِنْكُمْ وَحُجْرٌ^(١)

فقالوا: أوص رحمتك الله، قال: من الذي يقول:

إذا أُنْبِضَ الرَّامُونَ عَنْهَا تَرَنَّمْتُ تَرْتَمُ تَكْلَى أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِزُ؟^(٢)

قالوا: الطرماح^(٣)، قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب.

قالوا له: ويحك: أوص بما ينفعك!

قال: أبلغوا امرئ القيس أنه أشعر إذ يقول:

فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْوَمَهُ بِكَلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شَدَّ بِيَذْبُلِ^(٤)

قالوا: اتق الله ودع عنك هذا.

قال: أبلغوا الأنصار إن صاحبهم أشعر الناس إذ يقول:

يُغَشُونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

(١) حاد جيداً وحيدة عن الطريق: مال عنه وعدل. حجر: أي دفع، والعرب تقول عند الأمر تنكره: حجراً له بالضم.

(٢) أنبض القوس مثل أنضبها: جذب وترها لتصوت، وأنبض بالوتر إذا جذبته ثم أرسله ليزن، وأنبض الوتر أيضاً: جذبته بغير سهم ثم أرسله، والأنباض أن تمد الوتر ثم ترسله فتسمع له صوتاً «السان العرب ٧/٢٣٥».

(٣) هو أبو تفر، وأبو ضبيبة الطرماح بن حكيم بن الحكم من طيء. كان شاعراً فحلاً وخطيباً مفوهماً. نشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة. قيل أنه اعتقد مذهب الخوارج الأزارقة. كان معاصراً للكلميت ابن زيد، وتربطه معه صداقة وثيقة. قيل للكلميت: كيف انفقتما وأنت كوفي نزارى شيعي، وهو شامي قحطاني خارجي؟ فقال اتفقنا على بغض العامة. توفي سنة ١٠٠ هـ ويحتمل بعد هذا التاريخ. له ديوان شعر صغير طبع يانكلترا مع ديوان الطفيل بن عوف.

ترجمته في: الأغاني ٣١/١٢، الشعر والشعراء/٤٨٩، تاريخ آداب اللغة لزيدان ٣١٦/١، جمهرة أشعار العرب/٣٥٦، حماسة أبي تمام - مختصر شرح التبريزي ١١٦/١، أنوار الربيع ١/٩٠ هـ.

(٤) مغار الفتل: محكمه وهو اسم مفعول من أغار الحبل إغارة وغارة: أي شد فتله. يذبل: بالفتح ثم السكون، هو جبل مشهور الذكر بنجد في طريقها. قال أبو زياد: يذبل، جبل لباهلة مضارع ذبل إذا استرخى، وله ذكر في شعرهم. «معجم البلدان ٥/٤٣٣».

قالوا: إن هذا لا يغني عنك، فهل غير ما أنت فيه؟ فقال [من الرجز]:

الشُّغْرُ ضَغْبٌ وطويلٌ كَرْمَةٌ
إذا ارتقى فيه الذي لا يَغْلُمُهُ
زَلْتُ به إلى الحَضِيضِ قَدَمُهُ
يريدُ أن يعرِّبه فَيُغْجِمُهُ

فقالوا: يا أبا مليكة ألك حاجة؟

قال: لا، ولكن أخرج علي المديح الجيد مدح به من ليس له أهلاً.

قالوا: هذا مما كنت فيه، فقال [من الرجز]:

كنتُ أحياناً شديداً المعتمداً
وكننتُ ذا غربٍ على الحَضْمِ الألد^(١)
وَرَدَّتْ نَفْسِي وما كانت تُسْرِدُ^(٢)

قالوا: فهل متى تعهد إلينا فيه؟

قال: نعم، تحملوني على أتان وتركوني راكبها حتى أموت، فإن الكريم لا يموت على فراشه، والأتان ما لم يمت عليه كريم قط، فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون حتى مات، وهو يقول [من الرجز]:

لا أَخِذْ أَلْتَمُ مِنْ حُطِيئَةٍ
هَجَى بِنِيهِ وَهَجَى الْمُرِيئَةِ
مِنْ لَوْمِهِ مَاتَ عَلَي قُرِيئَةٍ^(٣)

وأقول: إنما أراد إنه كريم، وإذا حمل على الأتان فعسى أن يسلم من الموت لشدة جفائه.

(١) كنت ذا غرب: أي كنت ذا حد، ومنه غرب السيف: أي حده.

(٢) وردت: أشرفت.

(٣) الأغاني ٢/١٨٧ - ١٩٠.

وعاش أبو بحر الأحنف سبعين سنة، وكانت إحدى عينيه ذهبت في فتح سمرقند.

وتوفي بالكوفة لما وردها مصعب بن الزبير سنة سبع أو ثمان وستين من الهجرة، رحمه الله تعالى، وقيل إنه كبر جداً.

وحكى ابن يونس في تاريخ مصر المختص بالغرباء: إن عُتْبَةَ بن أبي معيط قال: كنت ممن نزل في قبر الأحنف فلما سَوَيْتَهُ رأيتَه قد فسح له مدٌّ بصره^(١).



وطُخارستان، بفتح الطاء المهملة والخاء المعجمة والألف والراء والسين المهملة الساكنة والتاء المثناة الفوقية بعد الألف ثم نون: إقليم متسع من وراء نهر جيحون، ما بينه وبين الصُّغْد، ويعرف ببلاد الهياطلة.

وحسبنا الله ونستغفره ونتوب إليه عما طغى به القلم إنه هو التواب الرحيم، لا إله إلا هو وإليه المصير.

[خاتمة الجزء الأول من تجزئة المؤلف]

انتهى الجزء الأول من «نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر».

ومن أثناء حرف الجيم إلى هنا بخط جامعه العبد الفقير يوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله محمد بن المنصور بالله، غفر الله له وسامحه.

انتهت كتابته يوم الجمعة ٢٩ شهر جمادى الأولى سنة ١١١٩ هـ.

ويتلوه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى^(٢)

(١) وفيات الأعيان ٥٠٤/٢.

(٢) جاء في آخر نسخة - ب - ما نصه:

وافق الفراغ من زبر هذا، آخر نهار الخميس ٧ شهر الله محمد الحرام.

(٣) وفي آخر نسخة - ج - ما نصه:

«كتبه ابن محمد حسين، عبد الله التبريزي في الغري، على مشرفها آلاف التحية، في شهر جمادى الثاني سنة ١٣٥١».

حرفُ الطَّاءِ

الملك الصّالح أبو الفارات طلايع بن رُزَيْك^(*) ويلقب أيضاً فارس
المسلمين نصير الدين.

فاضل اجتمعت فيه متفرقات المحاسن، فكان ينظم اللؤلؤ في أجياد ظبا
المعاني نظمه المرّان، في أسود الجواش بهمة لا يطيقها المريخ وان علا، وفضل
يقصر مقول سبحان عن وصفه وان غلا، وجود يكسو خذه الغمام حمرة، ويجعل
الحياة آية إذا أرسل الغبره، وعلم موشع بالأدب، توشيع العقود بالذهب.
وكان فاضلاً عالماً حسن السياسة، جواداً شجاعاً شاعراً مجيداً، وله كل
معنى بديع وله ديوان شعر.

وقال أحمد بن علي المقرئ في أخباره أنه قدم في أول أمره إلى زيارة
مشهد الإمام علي عليه السلام بأرض النجف من العراق في جماعة من الفقراء، وإمام
مشهد الإمام علي عليه السلام يومئذ السيد ابن المعصوم، فزار طلايع وأصحابه، وباتوا

(*) ترجمته في:

وفيات الأعيان ٥٢٦/٢ - ٥٣٠، الخطط المقرئية ٢/٢٩٣، دول الإسلام ٥١/٢، مرآة الزمان
٢٣٧/٨، خريدة القصر - قسم شعراء مصر ١/١٧٣ وفيه: يقال: ان المهذب بن الزبير كان ينظم
له^١ يعني شعره. الاعلام ط ٤/٣/٢٢٨، الطليعة - خ - ترجمة ١٣٣، النكت العصرية ١/٣٢ وما
بعدها، النجوم الزاهرة ٥/٣٤٥، شذرات الذهب ٤/١٧٧، الغدير ٤/٣٤١، أعيان الشيعة ٣٦/
٣٢٨ - ٣٣٥، أدب الطف ٣/٩٤ - ١٢٥. وقد جمع د. أحمد أحمد بدوي ديوانه بمصر أدت^٢،
كما جمع د. محمد هادي الأميني ديوانه ط النجف ١٩٦٤، وألحق بمقدمته ثبناً مفصلاً عن
مصادر ترجمته.

هناك فرأى ابن معصوم في منامه الإمام علياً عليه السلام يقول له: قد ورد عليك الليلة أربعون فقيراً من جملتهم رجل اسمه طلايع بن رزيك من أكابر محبينا فقل له: اذهب فقد وليناك مصر، فلما أصبح أمر من ينادي: من فيكم اسمه طلايع بن رزيك فليقم إلى السيد ابن المعصوم، فجاء طلايع وسلم عليه فقصر عليه ما رأى، فسار حينئذٍ إلى مصر وترقى في الخدم حتى ولي منية ابن خصيب، فلما قتل نصر بن عباس الخليفة الظافر إسماعيل بعث نساء القصر إلى طلايع ليستعنَّ به في الأخذ بثأره وجعلن في طي الكتاب شعور النساء، فجمع طلايع الناس وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير عباس، فلما قرب من البلد فرَّ عباس ودخل طلايع القاهرة، فخلعت عليه خلع الوزارة ونعت بالملك الصالح، فارس المسلمين، نصير الدين، فباشر البلاد أحسن مباشرة، واستبدَّ بالأمر لصغر سنَّ الخليفة الفائز بنصر الله إلى أن مات الفائز، وقام بالأمر العاضد لدين الله عبد الله بن محمد وبايع له وكان صغيراً لم يبلغ الحلم، فقويت حرمة طلايع وازداد تمكُّنه من الدولة، فثقل على أهل القصر لكثرة تمكُّنه واستبداده بالأمر، فوقف رجال بدهليز القصر وضربوه بأسيافهم حتى سقط على وجهه وحمل جريحاً لا يعي إلى داره فمات يوم الاثنين تاسع عشر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة.

وكان شجاعاً كريماً جواداً فاضلاً، محباً لأهل الأدب، جيّد الشعر، رجل وقته فضلاً وعقلاً وسياسة وتدبيراً، وكان مهاباً في شكله، عظيماً في سطوته، وجمع أموالاً عظيمة، وكان محافظاً على الصلوات فرائضها ونوافلها، شديد المغالاة في التشيع، صنّف كتاب «الاعتماد في الرد على أهل العناد» وناظرهم عليه وهو يتضمّن إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والكلام على الأحاديث الواردة في ذلك، وله شعر يشتمل على مجلدين في كل فنّ، فمنه في اعتقاده.

يا أُمَّة، سَلَكْتَ ضَالًّا بَيْنَنَا
قُلْتُمْ إِلَىٰ أَنْ الْمَعَاصِي لَمْ تَكُنْ
لَوْ صَحَّ ذَا كَانَ إِلَهُ بَزْعِمِكُمْ
حَاشَا وَكَلَّا أَنْ يَكُونَ إِلَهُنَا
حَتَّىٰ اسْتَوَىٰ إِفْرَارُهَا وَجُحُودُهَا
إِلَّا بِتَقْدِيرِ الْإِلَهِ وَجُودُهَا
مَنْعَ الشَّرِيعَةَ أَنْ تُقَامَ حُدُودُهَا
يَنْهَىٰ عَنِ الْمَحْشَاءِ، ثُمَّ يُرِيدُهَا^(١)

(١) الخطط المقرزية ٣/ ٢٦٠ - ٢٦١، ديوانه ط بدوي ٤٦، ديوانه ط الأميني ٧٢.

قلت: وذكرها الصفدي في تذكرته أيضاً.

قال المقرئزي: وله قصيدة سماها «الجوهريّة، في الردّ على القدرية»، وجدد الجامع الذي بالقرافة الكبرى ووقف ناحية المفس^(١) على أن يكون ثلثها على الأشراف من بني الحسن والحسين بن علي^{عليه السلام} وتسعة قراريط منها على اشراف المدينة النبوية، وجعل منها قيراطاً على مسجد أمين الدولة، واطهر مذهب الإمامية وهو مخالف القوم، وباع ولايات الأعمال للأمرء بأسعار مقررة وجعل مدة كل متولٍ ستة أشهر، فتضرر الناس من كثرة تردد الولاة على البلاد وتعبوا من

(١) في الخطط المقرئزية: «ناحية بلقيس».

في هامش نسخة ب:

«قال ضامن بن شدقم: وهذا الوقف أعني «بلقيس» باقٍ إلى يومنا هذا يأتي مغله كل زمن إلى الحرميين المحترمين ويفرق على يد نقيب السادة الأشراف بني حسين أهل المدينة كبيراً وصغيراً غنياً وضعيفاً، ولا يعلمون موقفه إلا الخاص منهم فيدعون لواقفه، ومنهم من يعتقد أنه من السلطة العثمانية، واعتقادهم ليس بصواب، فلم يزل يجري هذا الوقف على السادة بني حسين إلى سنة... فحصل بين السادة مضاعفة وعداوة في منصب النقابة فبذلوه لملك الحرميين المحترمين الشريف إدريس بن حسن الحسيني».

وفي سنة ١٠٣٩ توجه محمد بن صالح بن عامر الحيارى الحسيني المدني إلى خدمة السلطان مراد خان ملتماً منه إعادة هذا الوقف إلى مستحقه مع أربعة آلاف أردب حنطة مصرية وألف وخمسمائة أحرر أشرفي أوقفها جده السلطان مراد خان بسعي النقيب أحمد بن سعد بن علي بن شدقم الحسيني المدني فأمر بإجراء الجميع كما قال رسول الله ﷺ: «شرط الواقف كنصر الشارع» وذلك بعد المراجعة منه إلى الدفاتر السلطانية، فعاد محمد بن صالح إلى المدينة المنورة مستر الخاطر في شعبان سنة ١٠٣٩.

وفي شهر ذي القعدة لهذا العام وصلت الدراهم مع الحاج الشامي واستلمها محمد فطلب السادة الأشراف بني حسين الفاطميين بالمدينة ليفرقها عليهم، فامتنعوا عنها خوفاً ورعباً من الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي الحسيني، ففرقها على شيوخ بني حسين البادية، وأخذ منهم عهداً ومواثيق على كتاب الله عز وجل على أن يكونوا تحت أمره وطاعته على ما أمر الله سبحانه ورسوله ﷺ، وسافر لهذا العام مع الحاج الشامي لمراجعة السلطان مراد، فأعطاه جميع ما أراد منه، وتوجه إلى مصر بأوامر سلطانية للباشا، فأتت إلى الباشا خطوط بني حسين الناكثين للعهد، ونفيه للسيادة وذلك طمعاً لبدو المصلحة الفورية وترك الأخرى، فصارت الألف والخمسمائة مناصفة بين الشريف وبين بني حسين مختصة بالقاطنين بالمدينة، فعتنوا لمحمد من خاصتهم مأتي أحرر كل سنة.

وفي سنة... إحتوى الشريف على الماتين للبغي والحسد بينهم». تحفة الأزهار - خ - ٢٩١/٣ - ٢٩٢.

ذلك، وكان له مجلس بالليل يحضره أهل العلم ويدونون شعره، ولم يترك مدة أيامه غزو الفرنج وتسيير الجيوش لقتالهم في البر والبحر، فكان يخرج البعوث في كل سنة مراراً، وكان يحمل لأهل الحرمين من الأشراف كل سنة سائر ما يحتاجون إليه من الكسوة وغيرها حتى إنه يحمل إليهم ألواح الصبيان التي يكتب فيها والأقلام وآلات النسخ، ويحمل كل سنة إلى العلويين الذين بالمشاهد جملاً كثيرة، فرحمه الله ورضي عنه.

وكان أهل العلم يقدون عليه من كل جانب من سائر البلاد فلا يخيب أمل قاصد منهم، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قال: هذه الليلة ضرب في مثلها الإمام عليّ، وأمر بقراءة مقتله واغتسل وصلى على رأي الأمامية مائة وعشرين ركعة أحى بها ليله، وخرج ليركب فعر وسقطت عمامته عن رأسه وتشوش لذلك، فقعده في دهليز دار الوزارة فأمر فاحضر ابن الصيف. وكان يتعمم للخلفاء والوزراء وله على ذلك الجاري الثقيل فلما أخذ في إصلاح العمامة قال رجل للصالح: [نعيد بالله] مولانا ويكفيه مثل هذا الذي جرى يتطير منه، فإن رأى مولانا أن يؤخر الركوب فعل، فقال: الطيرة من الشيطان، ليس إلى تأخير الركوب سبيل، ثم ركب فكان من ضربه ما كان^(١) رحمه الله تعالى وعفى عنه ورضي.

وقال الصلاح الصفدي في شرح الجهورية: كان الصالح بن رزيك قد أُلزم الأثير بن بيان بمال رفع عليه لكونه كان يتولى أموالاً له فأرسل إليه يمتّ بتقديم الخدمة والتشيع الموافق لمذهبه فقال الصالح:

أتى ابن بيان ببهتانه يحصن بالدين ما في يديه
بريت من السرفض إلا له وتبت من النصب إلا عليه^(٢)
فكان المال ستين ألف دينار فأخذ منه اثني عشر ألفاً وترك له الثاني.

قلت: لو بذل نصراني الإسلام في زماننا على أن يحط عنه خمسون ديناراً لما قبل منه فرحمة الله على الصالح وبركاته.

وما أحوال أم الليالي تلد مثله فهو سعيد الدارين، وكأنما نُشر المسك من

(١) الخطط المقرزية ٣/ ٢٦١ - ٢٦٢.

(٢) ديوانه.

مناقبه، وهكذا فلتكن شيعة وصي رسول الله ﷺ .

وذكر ابن خلكان: أنه ولد في التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسمائة^(١) وأورد من بديع اغزاله:

وَمُهْفَهْفٍ، تَمِلُ الْقَوَامِ، سَرَتْ إِلَى
مَاضِي اللَّحَاطِ كَأَنَّمَا سَلَّتْ يَدِي
فَدُقْتُ إِذْ خَطَّ الْعِذَارُ بِمِسْكِهِ
مَا الشَّعْرُ دَبَّ بِعَارِضِيهِ، وَإِنَّمَا
النَّاسُ طَوْعُ يَدِي، وَأَمْرِي نَافِذٌ
فَاعْجَبْ لِسُلْطَانِ يَعْثُمُ بِعَدْلِهِ
أَعْطَافِهِ النَّشَوَاتِ مِنْ عَيْنِيهِ^(٢)
سَيْفِي غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنْ جَفْنِيهِ
فِي خَدِّهِ الْفَيْهِ لَأَ لَأَمِيهِ:
أَضْدَاغُهُ نَفَضَتْ عَلَيَّ خَدِّيهِ
فِيهِمْ، وَقَلْبِي الْآنَ طَوْعُ يَدِيهِ
وَيَجُورُ سُلْطَانُ الْغَرَامِ عَلَيْهِ^(٣)

هذا الشعر لا تلحق كميته حسناً ومتانة وحلاوة ورقة، ويعرف من تركيبه أنه شعر ملك، والبيت الثاني والخامس مشتمل على إدماج الحماسة في الغزل وهو الافتتان، والخامس يشبه شعر الرشيد في حظاياه الثلاث وهنّ خنث وتلقب ذات الخال لخال كان على شفقتها، وسحر وضيا.

قال الأصبهاني: لما حج الرشيد آخر حجّاته كان الناس يتناشدون قوله في جواريه المذكورات:

ملك الثلاث الأنسات عناني
مالي تطاوعني البرية كلّها
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى
وحللن من قلبي بكل مكان
وأطيعهن وهنّ في عصيان
وبه قوين أعزّ من سلطاني

(١) وهم المؤلف في نقل النص من وفيات الأعيان، والنص هو «وكانت ولايته - لاولادته - في التاسع عشر... الخ» أنظر الوفيات ٥٢٦/٢ .

والصواب من الوفيات ٥٢٨/٢: «وكانت ولادته سنة خمس وتسعين وأربعمائة».

(٢) المهفهف: الضامر البطن، الدقيق الخصر. والشمل: السكران.. والأعطاف: الجوانب، والنشوات: جمع نشوة، وهي السكر.

(٣) خريدة القصر ١٧٧/١، وفيات ٥٢٧/٢، شذرات الذهب ١٧٧/٤، الوافي بالوفيات ١/ق/٥/١١٣، ديوانه ط بدوي ٣٦، ديوانه ط الأميني ١٧٤.

وقال المستعين بالله المرواني^(١) صاحب قرطبة^(٢) يعارضها:

وأخاف لحظ فواتر الأجفان
منها سوى الأعراض والهجران
زهر الوجوه نواعم الأبدان
حسنا وهذي أخت غصن البان
فقضى بسلطان علي سلطان
ذل الهوى عزّ وملك ثاني
كلفاً بهن فليست من مروان^(٣)

عجباً يهاب الليث حد سناني
وأقارع الأهوال لا متهيّباً
وتملك قلبى ثلاث كالدمى
هذي الهلال وتلك أخت المشتري
حاكمت فيهنّ السلو إلى الضبا
لا تعذلوا ملكاً تذلل في الهوى
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى

وذكر الثعالبي: إنه كان للرشيد في بعض قصوره عشرون مقصرة، في كل

(١) في الأصل: «المرواني» وما أثبتناه من المراجع الأخرى.

(٢) إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، أبو سالم؛ السلطان المستعين بالله: من ملوك بني مرين في المغرب الأقصى، من بني عبد الحق بن محيو، كان أخوه أبو عنان (فارساً) قد بعثه إلى الأندلس، فاستقر بها إلى أن مات أبو عنان ويبيع لابنه الطفل (أبي بكر السعيد بالله) فركب أبو سالم البحر إلى ساحل بلاد غمارة، ودعا أهل المغرب لمبايعته، فأقبلوا عليه. وكان يدير مملكة أبي بكر وزير اسمه «حسن بن عمر الفودوي» فخلع صاحبه، واستقبل أبا سالم مبايعاً (سنة ٧٦٠هـ) فاستقر في فاس الجديدة. وكان من رجاله المؤرخ الأشهر «ابن خلدون» فولاه توقيعه وكتابة سره. وارتاب بحسن الفودوي، بما في نفس السلطان فترك مراكش ولحق بتادلة خارجاً عليه بجماعة من بني جشم، فأرسل السلطان من جاءه به فشهره ثم قتله. ونهض إلى تلمسان فاستولى عليها وأخضع «بني زيان» ورأى أن يجعل مقامه في قسبة فاس القديمة، فانتقل إليها، وخلف أحد وزرائه (عمر بن عبد الله الفودوي) أميناً على فاس الجديدة، وكان في صدر هذا حزازات على السلطان، فلما خلا له الجو اتفق مع قائد جند «التصارى» واسمه «غرسية بن أنطول» «Garcia fils d'Anatole» على خلعه، وعمداً إلى موسوس من بني مرين اسمه تاشفين (من أبناء السلطان علي بن عثمان) فألبسها شعار الملك، وأعلن عمر الفودوي الثورة على أبي سالم ومبايعة تاشفين (الموسوس) وأمر بالطبول فقرعت. وهجم الجند على بيت المال فنهبوه. وعمت البلد الفوضى، فوصل الخبر إلى أبي سالم، فأقبل يريد الدخول، فلم يستطع، وتفرق عنه رجاله، فغير لباسه وأوى إلى وادي «ورغة» فعرفه بعض رجال الفودوي فقبضوا عليه وحملوه على بغل، فأمر الفودوي بقتله فقتل سنة ٧٦٢هـ وحمل إليه رأسه في مخلاة. قال لسان الدين ابن الخطيب: كان السلطان أبو سالم بقية البيت - يعني المريني - وآخر القوم دماً وحياءاً وبعداً عن الشرور. مدته ستان و٣ أشهر و٥ أيام.

ترجمته في: الاستقصا ٢: ١٠٤ - ١٢٣ والحلل الموشية ١٣٥ وجذوة الاقتباس ٨٣، الاعلام ط ٥٢/١/٤.

(٣) خريدة القصر/ قسم الشام ٢٨٦/٢.

مقصورة عشر حظايا من حذاريه، فأحسن إحداهن تترنم فإذا هي تضرب بعودها
وتقول:

ألا يا داركم تحويين من ظرف ومن غلمه
أبى وأحد فسيك يكافي ماءتي حرمة
متى يرقع طيسان ضعيف ماءتي ثلمه

فدخل عليها فاستحيت، فقال: لا عليك أعيدي فأعادت، فقال: والله ما
بي الشعر ولكن أن جعلتني طياناً ضعيفاً ثم قربها منه بعد ذلك.

وللملك الصالح طلائع المذكور:

كَمْ ذَا يُرِينَا الدَّهْرُ مِنْ أَحْدَاثِهِ عَبْرًا، وَفِينَا الضَّدُّ وَالْإِعْرَاضُ؟!
نَنْسَى المَمَاتَ، وَلَيْسَ تَجْرِي ذِكْرُهُ فِينَا، فَتُذَكِّرُنَا بِهِ الْأَمْرَاضُ^(١)

وروى ابن خلكان عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم
الأنصاري الملقب زين الدين الحنبلي المعروف بابن نُجَيْة^(٢) الواعظ الدمشقي^(٣)
المشهور قال: انشدني طلائع بن رزيك لنفسه بمصر:

مَشِيبُكَ قَدْ نَفَا صِبْغَ الشَّبَابِ وَحَلَّ البَّازُ فِي وَكْرِ العُرَابِ
تَنَامٌ وَمُقْلَةُ الحَدَثَانِ تَقْضَى وَمَا نَابُ النَّوَائِبِ عَنكَ نَابِي
وَكَيْفَ بَقَاءِ عَمْرِكَ وَهُوَ كَنْزُ وَقَدْ أَنْفَقْتَ مِنْهُ بِلاَ جِسَابِ^(٤)

قال: وممن قصده المهذب عبد الله بن أسعد الموصلني نزيل حمص من

(١) وفيات الأعيان ٥٢٦/٢، النجوم الزاهرة ٣١٤/٥، البداية والنهاية ٢٤٤/١٢، الوافي بالوفيات ٥/١/٢١٤، ديوانه بدوي ٤٢.

(٢) في الأصل: «نخبة» وما أثبتنا من الوفيات.

(٣) زين الدين، علي بن إبراهيم الواعظ المعروف بابن نُجَيْة، ولد سنة ٥٠٨ هـ بدمشق ونشأ بها وقدم
بغداد مزاراً، وصاهر أبا الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد البلنسي الأنصاري
الأندلسي على ابنته أم عبد الكريم فاطمة، وانتقل قبل وفاته إلى مصر، وحدث بها، وتوفي يوم
الأربعاء ٨ رمضان سنة ٥٩٩ بمصر.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٥٣٠/٢، ذيل الروضتين ٣٤، ذيل ابن رجب ٤٣٦/١.

(٤) وفيات الأعيان ٥٢٧/٢، الوافي بالوفيات ٥/١/٢١٤، خريدة القصر ١/١٧٥، النجوم الزاهرة ٥/١٤، البداية والنهاية ٢٤٤/١٢، ديوانه ط بدوي ٣٩.

الموصل ومدحه بقصيدة كافية أبدع فيها وأولها:

أما كَفَاكَ تَلَا فِي فِي تَلَا فِي كَا وَلَسْتَ تَنْقِمُ إِلَّا فَرُطَ حُبِّي كَا
وَفِي مِ تَغْضَبُ أَنْ قَالَ الْوُشَاةَ سَلَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَسْلُوكَا

ومنها

لَا نِلْتُ وَضَلَّكَ إِنْ كَانَ الَّذِي زَعَمُوا وَلَا شَفَى ظَمْئِي جُودُ ابْنِ رُزَيْكَا^(١)
أَمْدَحَ التَّرِكَ أَبْغَى الْجُودَ عِنْدَهُمْ وَالشَّعْرَ مَا زَالَ عِنْدَ التَّرِكَ مَتْرُوكَا



فأجاد جائزته كعادته.

قال: وكان المهذب^(٢) فقيهاً شافعيّاً أديباً فاضلاً شاعراً ولما ضاقت به الحال بالموصل عزم على قصد الصالح وعجزت قدرته عن استصحاب زوجته فكتب إلى الشريف ضياء الدين أبي طاهر محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني نقيب العلويين بالموصل هذه الأبيات:

وَذَاتُ شَجْوٍ أَسَالُ الْبَيْنُ عَبْرَتَهَا بَاتَتْ تَوَّمَلُ بِالتَّفْنِيدِ إِمْسَاكِي
لَجَّتْ فَلَمَّا رَأْتَنِي لَا أُصِيخُ لَهَا بَكَتْ فَأَقْرَحَ قَلْبِي جَفْنُهَا الْبَاكِي
قَالَتْ وَقَدْ رَأَيْتِ الْأَجْمَالَ مُخَدَّجَةً وَالْبَيْنُ قَدْ جَمَعَ الْمَشْكُورَ وَالشَّاكِي
مَنْ لِي إِذَا غَبْتُ فِي ذَاتِ الْمَحَلِّ قَلْتُ لَهَا اللَّهُ ثُمَّ وَابْنُ عَبِيدِ اللَّهِ مَوْلَاكَ
لَا تَجْزِعِي بَانْحِبَاسِ الْغَيْثِ عِنْدِكَ فَقَدْ سَأَلْتُ نَوْءَ الشَّرِيَا جَوْدَ مَعْنَاكَ^(٣)

فتكفل الشريف لزوجته بجميع ما تحتاج إليه مدة غيبته.

قال العماد: وكان في المهذب تمتمة تسفر عن فصاحة تامة، أذكرني قوله: «والشعر ما زال عند الترك متروكا» قول أبي إسحاق إبراهيم الغزي الشاعر المشهور في مدحهم بالشجاعة والجمال ولم أسمع بمثله:

(١) وفيات الأعيان ٥٢٧/٢.

(٢) ترجمته في: وفيات الأعيان ٥٧/٣ - ٦١، خريدة القصر - قسم الشام ٢٧٩/٢، طبقات الشافعية للسبكي ٢٣٣/٤، تهذيب ابن عساكر ٢٩٢/٧، العبر للذهبي ٢٤٣/٤، شذرات الذهب ٢٧٠/٤، وقد نشر ديوانه الأستاذ عبد الله الجبوري ط بغداد ١٩٦٨.

(٣) وفيات الأعيان ٥٧/٣، ديوانه ١٨٢.

وفتية من كماء الترك ما تركت
قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة
مدّت إلى النهب أيديهم وأعينهم
للرعد صولاتهم صوتاً ولا صيتاً
حُسنأ وإن قوتلوا كانوا عفاريتاً
وزادهم صغراً الأحداق تشبيتاً



وذكر ابن خلكان صفة قتل الصالح بأبسط مما ذكر المقرئزي فإنه قال: لما مات الفايز بالله وتولّى العاضد استوزره وبسط يده واستولى على الحلّ والعقد، وكان العاضد في حكم الأسير معه فأعمل الحيلة في قتله، واتفق مع قوم من أجناد الدولة يُعرفون بأولاد الراعي وتقرّر ذلك بينهم وعين لهم موضعاً في القصر يجلسون فيه مجتمعين فإذا مرّ بهم الصالح ليلاً أو نهاراً قتلوه، فقعدوا له ليلة وخرج من القصر فقاموا فخرجوا إليه وأراد أحدهم أن يفتح الباب فأغلقه وما علم فلم يحصل مقصودهم تلك الليلة لأمر أراه الله في تأخير الأجل، ثم جلسوا له يوماً آخر فدخل القصر نهاراً فوثبوا عليه فجرحوه جراحات عديدة بعضها في رأسه فوق الصوت فعاد أصحابه، فقتلوا الذين جرحوه، وحمل إلى داره مجروحاً ودمه يسيل فأقام بعض يوم، ومات يوم الاثنين في التاريخ المذكور، وخرجت الخلع لولده العادل أبي شجاع فتولى الوزارة^(١).

وقال الفقيه: أبو محمد عمارة اليمني^(٢) يرثيه من قصيدة أجاد فيها وأولها

[من الطويل]:

أفي أهلِ ذا النّادي عَلِيمٌ أُسَائِلُهُ
سَمِعْتُ حَدِيثاً تَخْرُسُ الصُّمُّ عِنْدَهُ
وَقَدْ رَابِنِي مِنْ شَاهِدِ الْحَالِ أَنِّي
فَهْلُ غَابَ عَنْهُ وَاسْتَنَابَ سَلِيلُهُ
فإني أرى فوق الوجوه كآبةً
دُعُونِي فَمَا هَذَا أَوْانُ بُكَائِهِ
وَلَا تُنْكِرُوا حُزْنِي عَلَيْهِ فَإِنِّي
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ حُسْنِ فِعَالِهِ
فإني لما بي ذاهبُ اللَّبِّ ذَاهِلُهُ
وَيَذْهَلُ وَاعِيهِ وَيَخْرُسُ قَائِلُهُ
أرى الدَّشْتَ مَنْضُوباً وَمَا فِيهِ كَافِلُهُ
أَمْ اخْتَارَ هَجْرًا لَا يُرْجَى تَوَاضِلُهُ
تَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّ الْوُجُوهَ تُسَوِّكِلُهُ
سَيَاتِيكُمْ طَلُّ الْبُكَاءِ وَوَابِلُهُ
تَقَشَّعَ عَنِّي وَابِلٌ كُنْتَ أَمَلُهُ
وقد غابَ عَنَّا مَا بَنَا اللهُ فاعِلُهُ

(١) وفيات الأعيان ٢/٥٢٨.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٢٦.

أَيْكْرَمُ مَشْوَى ضَيْفِكُمْ وَغَرِيبِكُمْ فَيَمَكْتُ أَمْ تُطْوَى بَيْنِ مَرَاجِلِهِ
وَلَيْمٌ لَا نُبْغِيهِ وَنَنْدُبُ قَبْرَهُ وَأَوْلَادُنَا أَيْتَامُهُ وَأَرَامِلُهُ^(١)

قلت: كأنما كان عمارة ينظر إلى الغيب من ستر رقيق في قوله: «سيأتيكم ظلُّ البكاء ووابله» فإنها زالت الدولة بسوء تدبير العاضد حيث استأمن من أعداهم حتى مات مسموماً وبكوا دماً وما رأوا إلا ندماً. وبقوله «ما بنا الله فاعله» كأنه يشير إلى شنقه بسبب رثائهم كما نذكره إن شاء الله تعالى.

ودفن الصالح في القاهرة بدار الوزارة، ثم نقله ولده العادل بعد ذلك إلى القرافة الكبرى، وركب العاضد خلف تابوته، وأنشد الفقيه عمارة قصيدة منها:

وكانه تابوتُ موسى أودِعَتْ في جانبَيْهِ سَكِينَةٌ وَوَقَارُ^(٢)

وقد ذكرنا في أخبار راجح الحلبي^(٣) أنه أخذ أكثر ألفاظ هذه القصيدة ومعانيها.

ومن عمائر الصالح؛ الجامع الذي على باب زويلة بظاهر القاهرة.

ثم استولى شاور السعدي^(٤) على الوزارة وهرب منه العادل بن الصالح إلى إطفح، وحمل من الذخائر ما لا يحصى ومعه أهله وحاشيته. واستجار بسليمان وقيل: يعقوب بن العيص^(٥) اللخمي، وكنيته: أبو السفن، وكان من خواص أصحابهم وحصل من جهتهم نعمة وافرة، فأنزلهم عنده وسار من ساعته إلى شاور وأعلمه بهم، فأرسل معه جماعة أحاطوا بالعادل في دار سليمان وأحضره إلى باب شاور فوقف زماناً طويلاً ثم حبسه.

وقال شاور ليعقوب: لقد خبتك خير الصالح ذخيرةً صالححة، وأنا أيضاً أخبوك لولدي ثم شنقه^(٦).

(١) وفيات الأعيان ٥٢٨/٢ - ٥٢٩. كاملة في النكت العصرية ٣٠٢ - ٣٠٤.

(٢) وفيات الأعيان ٥٢٩/٢.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٧٢.

(٤) مرت ترجمته بهامش سابق.

(٥) في الوفيات: «النيص» وفي نسخة أخرى من الوفيات «الفيض».

(٦) وفيات الأعيان ٥٢٩/٢.

قلت: أحسن فيه، ثم إن شاوراً قتل العادل في الحبس بعد مدة^(١).

قلت: العاضد كان ركيك الرأي فكان من علامة إدبارهم أن الوزارة تؤخذ بالسيف بين الأعيان فمن غلب خرجت له الخلع في آخر دولتهم، ثم تعقب ذلك أنه استنجد بنور الدين محمود صاحب دمشق فأنجده بأمر اسمه شيركوه وكان شاور خشي من الإفرنج لأنهم جاسوا خلال الديار المصرية فلما تمكن شيركوه قتل شاوراً وكان شجاعاً مشهوراً، وفيه قال عمارة [من الكامل]:

ضجر الحديد من الحديد وشاور من نصر دين محمد لم يضجر
حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر^(٢)

فاستوزر العاضد شيركوه ولقبه أسد الدين فمات قريباً، فاستوزره صلاح بن يوسف بن أيوب ولقبه الصلاح، وكان سنياً أشعري المذهب متعصباً يعادي الإسماعيلية وسائر الشيعة والمعتزلة، فلما تمكن غدر بولي النعمة فقطع خطبة وسمه واحتوى على القصور المشهورة بمن فيها وما فيها، وسبا الحرم، ونهب الأموال، وحبس الرجال، وأزال رسوم الشيعة، وجعل يوم عاشوراء عيداً، وحذف حيّ على خير العمل وغير ذلك.

ورأيت بخط والدي رحمه تعالى عند ذكر المقرئ صلاح الدين، ما صورته:

إبتدأ المقرئ تاريخه من حوادث سنة سبع وستين وخمسمائة ثم ذكر في تاريخه، بعد ذكره لتوبة صلاح الدين وتركه لشرب الخمر والغناء واللهو، ثم أنه دأب في إزالة الدولة الفاطمية وقطع دابرها ومحو آثارها فأعانه الله على ذلك^(٣).

فانظر أيها المتأمل تشفي القوم من آل محمد ﷺ، وإن كان العبيديون غير مرضيين عندنا لكن ذكره للفاطميين والغرض منهم ما يدل ذلك أنهم تركوا قول الله تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى»^(٤).

(١) وفیات الأعيان ٥٢٩/٢ - ٥٣٠.

(٢) النكت العصرية ٧٣.

(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ٥٣/١.

(٤) سورة: الشورى: الآية ٢٣.

إنتهى كلام والدي رحمه الله تعالى .

وقد أحييت أن أذكر ما ذكره جلال الدين السيوطي في أخبار مصر والقاهرة مما أخذ صلاح الدين بن أيوب بعد غدره بالعاضد من ذخائرهم لتهون الدنيا عند من رآه فإنه مما لم يسمع بمثله . قال : وفي سنة سبع وستين وخمسمائة توفي العاضد بعد أن قطع صلاح الدين خطبته وخطب للمستضيء بنور الله العباسي فمات كمدأ ، وقيل : كان عليلاً بالاسهال فكتموا قطع خطبته ، فاستولى صلاح الدين على القصر وما فيه ، وكان عند العاضد من الذخائر ما لم يكن عند أحد من الخلفاء .

ووجدوا في خزائنه زركش من السلاح والعقود والجواهر والسيوف المحلاة ما لم يحصر .

ووجد خيمة زركش لها ستة أعمدة فضة عليها سب رصافيات بلور جملة ما صرف عليها أربعة عشر ألف دينار ، وأما الخيام الديقي خمسمائة خيمة .

ووجدوا خيمة مدورة طول عمودها خمسة وعشرون ذراعاً ، وأخرج الفسطاط الكبير المعروف بالمدورة كانت عملت بحلب سنة ٤٤٥ وأنفق عليها نيف وثلاثون ألف دينار ، عامودها أربعون ذراعاً ، ودور فلكته أربعة وعشرون شبراً ، وقطرها ثمانية أشبار ، ويحملها سبعون جملاً ، ووزن رصافيتها الفضة قنطاران ، والذي على العواميد فضة ، وكان لا ينصبها إلا مائتا رجل وربما مات منهم اثنان ثلاثة .

وأما آلات الفضة ما يعلم قدرها إلا الله تعالى .

وأما أعمدة الخيم والآلات والبسط والفرش فما يعلم له قدر ، ودسوت فضة برسم الطعام عشرون حملاً ، سروج مثمثة خمسة آلاف سرج قيمة كل سرج سبعة آلاف دينار وما دونها إلى ألف دينار ، وكان برسم الركوب أربعة آلاف سرج مثلها ودونها فسبكها الجميع ، وأخذ منها آلات فضة مثل الحلق وغيرها زنتها ثلثمائة ألف ، وأربعون ألف درهم ، وأخرج أربعمائة قفص مملوءة من سائر الصياغات المحلاة بالذهب المعدومة النظير ، ووجد نرجسيات أربعة آلاف نرجسية وألفي بنفسجة فضة ، وأخرج ستة وثلاثين ألف قطعة بلور مزينة بفضة من سائر الصنوف ، وأواني العنبر اثنان وعشرون قطعة ، كافور ثمانمائة طيلة ، وأخرج

من حاصل أربعة آلاف رزمة في كل رزمة فرش مجلس بمفرشه وبسطه وتعاليقه وسائر آلاته مخيطة بخيوط لم تُمس ولم تفتق قماش البدن، ثمانمائة بدلة كاملة منها الشاش المرصع الذي للخدمة قيمته مائة ألف دينار وثلاثون ألف دينار، وكان فيه جوهر مئمن وزنه سبعة عشر رطلاً بالمصري بلخش من جملتها قطعة زنتها ثلاثة وعشرون مثقالاً حبة لؤلؤ زنة كل حبة ثلاثة مثاقيل، وأخرج خمس قطع عود كل قطعة ما بين تسعة أذرع إلى عشرة أذرع، عنبر خام ألف قطعة زنة القطعة الواحدة ثلاثة آلاف مثقال قطامير صيني مائة يسع الواحد قنطاراً، ووجد منديل سمندل لا تعمل فيه النار طوله تسعة أشبار.

ووجد قطامير بلور يسع الواحد سبعة عشر رطلاً إلى عشرين رطلاً.

ووجد طاووساً من ذهب عيناه ياقوت أحمر وريشه زجاج المينا المجراً بالذهب، وديك من ذهب لا يشك إلا أنه ذو روح بعرفٍ أكبر ما يكون من الأعراف من ياقوت أحمر مرصع بالدرّ والجوهر، وغزال مرصع وبطنه أبيض قد نظم من درّ وبقية على لون الغزال، ومجمع سكارج من بلور بغطائه فتحه أربعة أشبار في مثلها بديع الصنعة، وأخرج صفة بطيخة من كافور شبكة ذهب مرصع وزن كافورها سبعون مثناً ووزن ذهب شبكتها ستة آلاف مثقال، ووجد قطامير بلور منقوش الجوانب برسم الشراب يسع كل واحد عشرين رطلاً.

ووجد قطعة حرير صفة بساط مربعة عملت سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة فيها صور الأقاليم كلّها وهيئة مدينة رسول الله ﷺ وقبره ومكة وصفة الأنهار وكل إقليم باسمه وكلها منسوج بالذهب والحرير من سائر الألوان مكتوب في آخرها: أمر بحملها المعزّ لدين الله شوقاً إلى حرم الله، وجملة ما أنفق عليها اثنان وعشرون ألف دينار.

ووجد أيضاً بيضة بلخش وزنها سبعة وثلاثون مثلاً، ووجد حصر، مكللة بالذهب والجوهر النفيس وجليل الدرّ في أجانة من ذهب فيها الطلع والبلح والموز والرطب كله من الجواهر لا يغادر شيء من الخلقى.

ووجد مركباً عشاريّاً عمل في سنة ٤٦٦ لأجل البحيرة التي في القصر وزنه مائة ألف وستة وسبعون ألفاً وسبعمائة درهم فضة، ومما صرف على المركب المذكور ثمن ذهب طلا ألفان وتسعمائة دينار وذلك خارج عن مقاديفه وآلاته التي

فيه . وأما المراكب التي برسم النزه في البحر فأخرج قماشها وآلاتها التي كانت تزخرف بها حين يركب الخليفة للنزهة فكان قيمتها أربعمئة ألف دينار .

وأما سرير الخليفة الكبير الذي كان يجلس عليه في القصر في يوم الموكب والأعياد فكان فيه من الذهب مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال .

وكان أبو محمد البازوري أنشأ للخليفة في وزارته سريراً فيه من الذهب مائة ألف وثلاثون ألف مثقال ورضع بألف وخمسمائة وستين قطعة جواهر من سائر الألوان .

وأخرج الشمسة الكبيرة التي كانت تحمل في يوم الموكب زنتها ثلاثون ألف مثقال ذهباً وفيها من الفضة عشرون ألف درهم، ورضعت من الجواهر الملون بثلاثة آلاف قطعة .

وأخرج شمسه أخرى لم يتم عملها وجد فيها سبعة عشر ألف مثقال .

وأخرج بياكير فضة برسم الورق زنتها مائة وسبعة أرطال بالمصري .

وأخرج صفة بستان أرضه من فضة مخرقة مذهبة وطينه مزند، وأشجار من فضة مصبوبة ملونة وثماره من غير زنته ثلاثة قناطير .

ووجد كثيراً من اللؤلؤ زنة كل حبة مثقالان، ومن الياقوت الأزرق ما وزن كل قطعة سبعة عشر درهماً .

وأخرج قضيب زمرد أخضر كان من نصاب مرآة طوله شبر وسمكة فوق الإبهام لا نظير له، وسبعمئة يتيمة من الجواهر وإبريقاً من الياقوت وإبريقاً عظيماً من حجر مابع .

ووجد خزانة ملاءى كتباً ليس في الإسلام لها نظير تشتمل على نحو ألفي ألف مجلد، منها بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد، فأعطاها القاضي الفاضل، والباقي من سائر العلوم القديمة .

ووجد ألفين وأربعمئة ختمة وربعات بخطوط منسوبة كلها محلاة بالذهب .

هذا كله من الخزائن البرانية .

وأما الخزائن الجوانية من الذهب العين والفضة ما يعلم أحد لها مقدار،

ونهب أكثر الذي قلناه وراحوا، ولا يبقى إلا الله تعالى .

وأما الخيل الخاص فكانت ألف فرس برسم الخليفة في اصطبل يعرف بالطارمة خمسمائة، وفي حارة زويلة يعرف بالجميزة خمسمائة، ومما يحفظ عنهم إنهم لم يركبوا حصاناً أدهم ولا أضافوه إلى خيلهم .

قلت : والظاهر إنهم لا يستعملون الحيوان الأسود أصلاً فإن إسماعيلية اليمن لا يستعملون البقر السود في الحرث ونحوه، والعامية يعلّون ذلك بعلّة بيّنة السخافة .

قلت : وسيأتي إن شاء الله تعالى رثاء عمارة لهم عند ذكره^(١) وزيادات من أخبارهم .



ورزّيك بضمّ الراء وكسر الزاي المشددة، وإسكان الياء المثناة من تحت ثم كاف آخره .

واطفيح بكسر الهمزة وإسكان المهملة وكسر الفاء وإسكان الياء المثناة من تحت وآخره حاء مهملة : اسم قرية وكورة من صعيد مصر، والله أعلم .

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٢٦ .

حرفُ الظَّاءِ

أبو منصور ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد
الغني المعروف بابن الحداد الاسكندري الشاعر المشهور^(*).

فاضل صقلت فكرته صفحات المعاني صقلة المرهفات، فاحتلتها القلوب
لما انسجمت غواني عن الإطراء معصرات، وحكت الحباب والمدام، بذوقها
وحسن الانتظام، وسارت ذاليتها في البلاد، أبهى من إرم برغم الفاضل والعماد،
وكم رام معارضتها من ساوره العارض، فغرق في بحرها الغائظ الفائض، وهي:

لو كان بالصبر الجميل ملاذهُ	ما سَخَّ وابلُ دَمْعِهِ ورِذادُهُ
ما زالَ جيشُ الحبِّ يَغزو قلبه	حتى وهى وتَقَطَّعتْ أفلاذهُ
لم يَبقَ فيه مِنَ العُغرامِ بقية	إلا رَسيسٌ يَحْتويه جُذادهُ
مَنْ كانَ يرُغِبُ في السَّلامَةِ فليكنْ	أبداً مِنَ الحَدَقِ المِراضِ عِيادهُ
لا تَخدَعَنَّكَ بالفتورِ فإنَّهُ	نظراً يضرُّ بقلبك استلذادهُ
يا أيها الرِّشأُ الذي مِنْ طرفِهِ	سهمٌ إلى حبِّ القلوبِ نفاذُهُ
درُّ يُلوحُ بِفِيكَ مَنْ نَظامُهُ	خمرٌ يَجولُ عليه مِنْ نَبادهِ
وقناةُ ذاكِ القَدِّ كيفَ تقوِّمَتْ	وسِنانُ ذاكِ اللِحظِ ما فُولاذهُ
رِفقا بِنَفْسِكَ لا تَذوبُ فإنني	أخشى بأنَّ يَجني عليها لاذهُ

(*) ترجمته في: معجم الأدباء ٢٧/١٢، خريدة القصر/ قسم مصر ١/٢ - ١٧، وفيات الأعيان ٢/٥٤٠ -
٥٤٣، النجوم الزاهرة ٥/٣٧٦، رسالة أبي الصلت (نوادير المخطوطات ١/٢٥٣) شذرات الذهب
٩١/٤، مجلة معهد المخطوطات ١٨/٣٥٣، الاعلام ط ٤/٣/٢٣٦. وله ديوان شعر - ط - .

هاروت يعجز عن مواقع سحره
تا الله ما علقته محاسنك امرءاً
أغریت حُبَّكَ بالقلوب فأذعنت
ومنها:

مالي أتيت اللحظ من أبوابه
إياك من طمع المني فعزیزه
ذالیه ابن دُرید استهزی بها
من قدر الرزق السنني لك أما

وهو الإمام فمن ترى أستاذه
إلا وعز على الوری إنقاذه
طوعاً وقد أودى بها استحواده

جُهدي فدام نقوره ولواده
كذليله وغنيته شحاده
قوماً غداة نبئت به بغداذه
قد كان ليس يضره إنقاذه^(١)

صوغ فولاذ هذه القصيدة ليس في قوة غير الحداد.

وذكره ابن خلكان وقال: كان من الشعراء المجيدين، وله ديوان شعر كبير،
ومدح جماعة من الخلفاء الفاطميين، وروى عنه الحافظ السلفي وغيره من
الأعيان^(٢) ومن شعره أيضاً:

أرجو الإياب قضيت نحبي
لكنني فارقت قلبي^(٣)

رَحَلوا ولو لا أنني
والله ما فارقتهم

قال: وله من جملة أبيات:

من الوصل ما يخشى عليه رقيب^(٤)

يدم المحبون الرقيب وليت لي

قلت: أخذه من قول المتنبي:

قد كان لما كان لي أعضاء

وشيكتي فقد السقام فإنه

وله في كرسي النسخ:

وعجيب تركيب وحكمة صائعي
يوم الفراق أصابعا بأصابع^(٥)

انظر بعينك في بديع صنائعي
فكأنني كفا محب شبكت

(١) وفيات الأعيان ٢/٥٤٠ - ٥٤١، ديوانه ١٢٧.

(٢) وفيات الأعيان ٢/٥٤٠.

(٣) وفيات الأعيان ٢/٥٤١.

(٤) وفيات الأعيان ٢/٥٤٢.

(٥) خريدة القصر ٢/١٤، معجم الأدباء ٢٣/١٢، وفيات الأعيان ٢/٥٤٢، ديوانه ١٩٥.

وأحسن من قال في كرسي المصحف:

حملت على ضعفي الذي كلماته لهيبتها يصدع الجبل الراسي
تداخل مني البعض في البعض هيبة لأن كتاب الله أضحى على راسي

وما أحسن قول الفقيه أحمد الينبيعي^(١) في المقصّ:

نحن خليلان ما رأينا أحلى من الضمّ والعناق
فمن يحل يرد بيننا نبادر بقطعه خشية الفراق
رجع، قال: وذكره علي بن ظافر بن أبي منصور في كتاب «بدائع البدائة»
وأثنى عليه، وأورد فيه عن القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسين الأمدي النائب
الآن بثغر الإسكندرية، قال: دخلت على الأمير السعيد بن ظفر أيام ولايته للشعر
فرأيته يقطر دهنًا على خنصره، فسألته عن سببه، فذكر ضيق خاتمه عليه وأنه ورم
بسببه، فقلت له: الرأي قطع حلقتك قبل أن يتفاقم الأمر فيه، فقال: اختر من
يصلح لذلك، فاستدعيت أبا المنصور ظافر بن القاسم الحداد المذكور، فقطع
الحلقة، وأنشد بديهاً:

قَصَّرَ عَنْ أوصافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ النَّائِرُ وَالنَّائِظُ
مَنْ يَكُنُ الْبَحْرُ لَهُ رَاحَةً يَضِيقُ عَنْ خَنْصَرِهِ الْخَاتِمُ

فاستحسنه الأمير ووهب له الحلقة، وكانت من ذهب. وكان بين يدي
الأمير غزال مستأنس، وقد رِبَضَ وجعل رأسه في حجره، فقال:

عَجِبْتُ لَجِرَاةِ هَذَا الْغَزَالِ وَأَمْرٍ تَخَطَّى لَهُ وَعَتَمَدُ
وَأَعْجَبُ بِهِ إِذْ بَدَأَ جَائِمًا وَكَيْفَ اطْمَأَنَّ وَأَنْتَ الْأَسَدُ

فزاد الأمير والحاضرون في الاستحسان، وتأمل ظافر شباكاً كان على باب
المجلس يمنع الطير من دخولها فقال:

رَأَيْتُ بِبَابِكَ هَذَا الْمَنِيْفَ شِبَاكًا فَأَدْرَكَنِي بَعْضُ شَكِّ
وَفَكَّرَ فِيمَا رَأَى خَاطِرِي فَقُلْتُ الْبَحَارُ مَكَانُ الشَّبِكِ

ثم انصرف وتركنا متعجبين من حسن بديهته^(٢).

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٦.

(٢) خريدة القصر ١٥، وفيات الأعيان ٥٤٣/٢، ديوانه ٢٩٥، ١٢٦، ٣٤٤.

وتوفي بمصر سنة تسع وعشرين وخمسمائة^(١) رحمه الله تعالى.



والإسكندرية مدينة مشهورة بعمل مصر وهي أحد ثغور الروم ومنها يسافر إلى بلاد الروم والإفرنج والأندلس وإفريقية في بحر الروم وهي ومنارتها مشهورتان فلا تحتاج إلى الإيضاح.

وذالية ظافر لم يظفر من عارضها بسعاده فيها وهذه عادة جارئة في كل معارض، هذا الشريف الرضي قل من لم يعارض كافيته من الشعراء فيروح بمعارض بغير ميم. ولا يرزق تلك السعادة ولا ذاك القبول، وقصيدة الطغرائي اللامية أسالت عين معارضها، وقصيدة الوزير أبي محمد عبد المجيد بن عبدون الأندلسي^(٢) التي رثى بها عمر بن الأفطس صاحب بطليوس وابنيه لما قتلهم ابن تاشفين المتسلط على ملوك الطوائف وكان غالبيهم كراماً أدباء، وهي قصيدة يقصر عن ادراكها المتطاول، ومن عارضها فأتما فآخر سمط الكواكب بالجنادل، وحيث أوردت اللامية هناك اذكر هذه هنا [من البسيط]:

الدهر يَفْجَعُ بعد العين بالأثر
أنهاك أنهاك لا آلوك معذرة
والدهر حَرْبٌ وإن أبدى مسالمة
ولا هوادة بين الراس تأخذه
فما البكاء على الأشباح والصُّورِ
عن نَوْمَةٍ بين ناب الليث والظفر
والبيض والسمر مثل البيض والسمر
يد الضراب وبين الصارم الذكر

(١) وفيات الأعيان ٥٤٢/٢.

(٢) هو أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري الأندلسي. نحوي شاعر كاتب. استوزره المتوكل من بني الأفطس، وبعد انتهاء دولته استوزره المرابطون. له القصيدة العصماء المشهورة المسماة بـ (البسامة) التي يرثي بها المتوكل وولديه الفضل والعباس، حينما قتلهم المرابطون صبوا ومطلعها: -

الدهر يفجع بعد العين والأثر
توفي بياطرة - وهي مسقط رأسه - سنة ٥٢٩ وقيل ٥٢٠ هـ. كان عالماً بالتاريخ، ومن محفوظاته كتاب الأغاني لأبي الفرج. من مؤلفاته: كتاب الانتصار لأبي عبيدة علي ابن قتيبة.

ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ٣٦٩/١، والمعجب/١٢٨ - ١٤٤، دائرة معارف البستاني ١/٥٩٢، فوات الوفيات ١٩/٢ - ٢٣، دائرة المعارف الإسلامية ٢٢٥/١، قلائد العقيان ١٤٥، أنوار الربيع ١/١٨٧.

فلا يغرّئك من دنياك نومتها
 ما للليالي أقال الله عشرتنا
 تُسرّ بالشيء لكن كي تغرّ به
 كم دولة وليت بالنصر خدمتها
 هوت بدارا وقلت غرّب قاتله
 واسترجعت من بني ساسان ما وهبت
 وأتبعته أختها طشماً وعاد على
 وما أقالت ذوي الهيئات من يمن
 ومزقت سباً في كل قاصبة
 وأنفذت في كليب كلمها ورمت
 ولم ترّد على الضليل صحته
 ودوّخت آل ذبيان واخوتهم
 وألحقت بعديّ بالعراق على
 وأشرفت بخبيب فوق قارعة
 ومزقت جعفرًا بالبيض واختلست
 وبلغت يزّد جرّد الصين واختزلت
 ولم ترد مواضي رستم وقنا
 وخضبت شيب عثمان دماً وخطت
 ولا رعت لأبي اليقظان صحبته
 وأحرزت سيف أشقاها أبا حسن
 وليتها إذ قدت عمراً بخارجة
 وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن

فما صناعة عينيها سوى السهر
 من الليالي وخانتها يد الغير
 كالأيم ثار إلى الجاني من الزهر^(١)
 لم تبق منها وسل ذكراك عن خبر
 وكان غضباً على الأملاك ذا أثر^(٢)
 ولم تدع لبني يونان من أثر
 عاد وجرهم منها ناقص المدر
 ولا أجارت ذوي الغايات من مضر
 فما التقى رائح منها بمبتكر
 مهلهلاً بين سمع الأرض والبصر
 ولا ثنت أسداً عن ربها حجر^(٣)
 عبساً وعضت بني بدر على النهر
 يد ابنه أحمر العينين والشعر^(٤)
 وألصقت طلحة الفياض بالعقر
 من غيليه حمزة الظلام للجزر^(٥)
 عنه سوى الفرس جمع الترك والخز
 ذي حاجب عنه سعدا في ابنة العير
 إلى الربير ولم تستحي من عمر
 ولم تزوده إلا الضيخ في الغمر^(٦)
 وأمكنت من حسين راحتني شمر
 قدت عليا بمن شاءت من البشر
 أنت بمغضلة الأبواب والفكر

(١) الأيم - بالفتح أو بوزن طيب - الحية مطلقاً، أو الأبيض خاصة.

(٢) دارا: أحد ملوك الفرس، وقاتله: هو الإسكندر الأكبر، وقلت: أي ثلمت، والغرب - بالفتح - حد السيف.

(٣) الضليل: لقب امرئ القيس بن حجر، وبنو أسد: هم قوم حجر الذين قتلوه.

(٤) في هامش الأصل: «يعني به النعمان بن المنذر».

(٥) الجزر - بضمين - جمع جزور، والظلام للجزر: كناية عن كرمه وأنه يذبح الإبل للأضياف.

(٦) في هامش الأصل: «قلت: يشير إلى قول النبي ﷺ لعمار... ضياح لبني رحمة الله تعالى».

فبعضنا قائل ما اغتاله أحد
وَعَمَّتْ بِالرَدَى فَوَدَى أَبِي أَنَسٍ
وَأَرَدَتْ ابْنَ زِيَادٍ بِالْحَسِينِ فَلَمْ
وَأَنْزَلَتْ مَصْعَبًا مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ
وَلَمْ تَرَأِقْ مَكَانَ ابْنِ الزَّبِيرِ، وَلَا
وَلَمْ تَدْعِ لِأَبِي الذَّبَانِ قَاصِيَةَ
وَأَظْفَرَتْ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْيَزِيدِ، وَلَمْ
وَلَمْ تَعُدْ قُضْبُ السَّفَاحِ نَابِيَّةً
وَأَرْسَلَتْ دَمْعَةَ الرُّوحِ الْأَمِينِ عَلَيَّ
وَأَشْرَقَتْ جَعْفَرًا وَالْفَضْلُ بِبَصْرِهِ
وَأَخْفَرَتْ فِي الْأَمِينِ الْعَهْدَ وَانْتَدَبَتْ
وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمَوْثَمِنٍ
وَأَعَثَرَتْ آلَ عَبَّاسٍ لِعَالِهِمْ
وَلَا وَفَتْ بِعَهْدِ الْمُسْتَعِينِ، وَلَا
وَأَوْثَقَتْ فِي عُرَاهَا كُلَّ مَعْتَمِدٍ
بَنِي الْمَظْفَرِ وَالْأَيَّامِ مَا بَرَحَتْ
سَحَقًا لِيَوْمِكُمْ يَوْمًا وَلَا حَمَلَتْ
مَنْ لِّلْأَسِنَّةِ أَوْ مَنْ لِّلْأَعِنَّةِ أَوْ
مَنْ لِّلْبِرَاعَةِ أَوْ مَنْ لِّلْبِرَاعَةِ أَوْ
مَنْ لِّلْعَدَى وَعَوَالِي الْخَطِّ قَدْ عَقَدَتْ
وَطَوَّقَتْ بِالثَّنَائِيَا السُّودَ بِيضَهُمْ
أَوْ رَفَعَ كِسَارِثَةَ أَوْ دَفَعَ آزْفَةَ
وَيَحِ السَّمَّاحَ وَيُوحِ الْجُودَ لَوْ سَلِمَا
سَقَّتْ ثَرَى الْفَضْلِ وَالْعَبَّاسِ هَامِيَةَ
ثَلَاثَةَ مَا رَقَى النَّسْرَانَ حَيْثُ رَقُوا
وَمَرَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ أَطْيَبُهُ
مَنْ لِّلْجَلَالِ الَّذِي غَطَّتْ مَهَابَتُهُ

(١) أبو الذبان: عبد الملك بن مروان.

وبعضنا ساكت لم يؤت من خبر
ولم يرد الردى عنه فتى زفر
يَنُوءُ بِشِشْعٍ لَهُ قَدْ طَاحَ أَوْ ظَفُرٍ
كَانَتْ بِهَا مَهْجَةُ الْمُخْتَارِ فِي وَزْرِ
رَعَتْ عِيَاذَتَهُ بِالْبَيْتِ وَالْحَجَرِ
لَيْسَ اللَّطِيمُ لَهَا عَمْرُو بِمُنْتَصِرٍ^(١)
تَبِقُ الْخِلَافَةَ بَيْنَ الْكَأْسِ وَالْوَتْرِ
عَنْ رَأْسِ مِرْوَانَ أَوْ أَشْيَاعِهِ الْفُجْرِ
دَمٌ بِفَخِّ لَالِ الْمِصْطَفَى هَدْرٍ
وَالشَّيْخِ يَحْيَى بِرَيْقِ الصَّارِمِ الذَّكْرِ
لِجَعْفَرِ بَابِنِهِ وَالْأَعْبُدِ الْغُدْرِ
وَأَسْلَمَتْ كُلَّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرٍ
بِعَارِضِ صَابٍ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَمَرٍ
بِمَا تَأْكُدُ لِلْمَعْتَزِ مِنْ مَرَرٍ
وَأَشْرَقَتْ بِقَذَاهَا كُلَّ مَقْتَدِرٍ
مَنَاهَلًا وَالْوَرَى مِنْهَا عَلَيَّ سَفْرٍ
بِمِثْلِهِ لَيْلَةٌ فِي مَقْبَلِ الْعَمْرِ
مَنْ لِّلْسَمَاحَةِ أَوْ لِّلنَّفْعِ وَالضَّرْرِ
مَنْ لِّلْأَسِنَّةِ يَهْدِيهَا إِلَى الثَّغْرِ
أَطْرَافِ الْأَسْنِيهَا بِالْعِيِّ وَالْحَصْرِ
أَعْجَبَ بِذَاكَ وَمَا مِنْهَا سِوَى ذِكْرِ
أَوْ دَفَعَ حَادِثَةَ تُغْيِي عَلَيَّ الْقَدْرَ
وَوَحْشَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَيَّ عَمْرٍ
تُعْزَى إِلَيْهِمْ سَمَاحًا لَا إِلَى الْمَطْرِ
وَكَلِمَا طَارَ مِنْ نَسْرِ وَلَمْ يَطْرَ
حَتَّى التَّمْتَعَ بِالْأَصَالِ وَالْبَكْرِ
قَلُوبِنَا وَعَيُونَ الْأَنْجَمِ الزَّهْرِ

أي البناء الذي أرسوا قواعده
أين الوفاء الذي أصفوا شرائعه
كانوا رواسي أرض الله منذ نأوا
كانوا مصابيحها دهرأ فمذ خبأوا
كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خدع
من لي ومن بهم أن أطبقت محن
من لي ومن بهم أن أظلمت نوب
ويل أمة من طلبوب الشار مدركة
من لي ومن بهم أن عطلت سنن
على الفضائل إلا الصبر بعدهم
يرجو عسى، وله في أختها طمع
قرطت أذان من فيه بفادحة

على دعائم من عز ومن ظفر
فلم يرذ أحد منها على كدر
منها استطارت بمن فيها فلم تقر
هذي الخيلقة يا الله في شرر
منه بأحلام عاد في خطى الحضر
ولم يكن وردها يفضي إلى صدر
ولم يكن ليلها يفضي إلى سحر
لو كان ديناً على لبآت ذي عسر
وأخفيت سنن الأيام والسير
سلام مرتقب للأمر مصطبر
والدهر ذو عُقب شتى وذو غير
على الحسان حصا الياقوت والدرر^(١)

لله هذا السمط الحالي الذي ترك عرنين الأفطس مستقيم المارن وأعاد جديد
ملكه البالي.

وكان أبو محمد من الكتاب الأدباء الأفاضل^(٢)، وعمر بن الأفطس أحد
أجلاء الملوك الأدباء، وهما من شعراء قلائد العقيان وذكر الفتح بن خاقان: إن
ابن تاشفين أسر ابن الأفطس وولديه الفضل والعباس ثم أمر بقتلهما وقتله في
المجلس، فالتمس أبوهما أن يقدمهما الجلادون أمامه ليحتسبهما، فانفذوا فيهما
تلك البوارق وهو يرى. وجرى دمهما ودمعه عليهما عقيقاً ودرراً، ثم الحقوه بهما
في الحين^(٣). فاكمدوا قلب الدنيا والدين. رحمهما الله بفضله.

(١) كاملة في قلائد العقيان ٤٢ - ٤٥، جملة من أبياتها في فوات الوفيات ١٩/٢ - ٢٢.

(٢) ترجمته في قلائد العقيان ١٦٤ - ١٦٨.

(٣) أنظر: قلائد العقيان ٤١ - ٥٣.

أبو الأسود، ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جندل بن يَعْمُر بن بُغَاة^(١) بن
عدي بن الدُّنل بن بكر بن عبد مناف بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن
إلياس بن مضر بن نزار الدؤلي^(*).

أحد التابعين السادة الفصحاء الشعراء.

وبنو كنانة أخوة قريش في قول من جعل خزيمة مجتمع قريش، وقيل: من
لم يولد فيهم فليس بقريشي وهو الصحيح.

ولمّا وفد الأشعث بن قيس الكندي من اليمن قال: يا رسول الله نحن بنو
آكل المرّار وأنت ابن آكل المرار.

فقال النبي ﷺ ناسبوا بهذا النسب العباس، لا بل نحن بنو النضر بن كنانة
لا نزم آماً ولا نتفي من أيّنا.

والنضر هو ابن مالك بن فهر وإتما قال انتسب بهذا النسب العباس لأنّه
كان تاجراً وربما سافر في أحياء اليمانية، فإذا خاف انتسب إليه وهو من ملوكهم
فهابوه وهو حجر بن عدي والد إمريء القيس لقب بذلك لأنه جاءه خبر غاظه
وبين يديه منابت مرّار فأكثر من أكله فلم يشعر بمرارته لشدة الغيظ.

وسميت قريش من التقرش وهو التكتّيب لأنهم كانوا تجاراً وقيل بل تصغير

(*) ترجمته في: الأغاني ٣٤٦/١٢ - ٣٨٧، روضات الجنات ٣٤١، وفيات الأعيان ٥٣٥/٢ -
٥٣٨، الشعر والشعراء ٦١٥، الكنى والألقاب ٧/١، رجال الطوسي ٤٦، ٦٩، ٧٥، ٩٥،
شذرات الذهب ١١٤/١، بغية الوعاة ٢٢/٢، تهذيب ابن عساكر ١٠٤/٧، خزائن الأدب ١/
١٣٦، الفهرست ٣٩، إنباء الرواة ١٣/١ (وفي حاشيته ثبت واقفي لمصادر ترجمته) معجم الأدباء
٣٤/١٢ - ٣٨، سرح العيون ١٥٣، غاية النهاية ٣٤٥/١، أخبار شعراء الشيعة ٢٧ - ٢٩، الطليعة
- خ - ترجمته رقم ١٣٥، وقعة صفين، الاصابة، جامع الرواة ٤٢٨/١، معجم الشعراء ١٤٧،
الغدير ٤٨/١، أعيان الشيعة ١١/٣٧ - ١٤، أدب الطفل ١٠١/١ - ١٠٧، الذريعة ٣١٤/١،
مقدمة ديوان أبي الأسود الدؤلي للشيخ محمد حسن آل ياسين، أنوار الربيع ١/هـ ٨٥.

له ديوان شعر صغير طبع بإنكلترا، ثم نشر ديوانه عبد الكريم الدجيلي ط بغداد، ثم حقق ديوانه
الشيخ محمد حسن آل ياسين وطبع ببغداد سنة ١٩٦٤م.

(١) في الأغاني ٣٤٦/١٢: «يعمر بن جلس بن نفاثة».

قرش وهو أخبث حيوان البحر سموا به لعزتهم وشجاعتهم .

وكان أبو الأسود فاضلاً لا يساجل، وبحراً في الكمال إن لم يصب من كل قامة بوابل أصابه بطل .

وروى الحديث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وكان من كبار شيعته، وعن عمر بن الخطاب وعن ابن عباس، واستعمله أمير المؤمنين علي عليه السلام وقبله عمر وعثمان^(١) وكان شاعراً فصيحاً وله ديوان شعر، وهو أحد من شُبِّه بعجوز، من العرب، وأورد له أبو تمام في الحماسة^(٢) وأبو الفرج في الأغاني:

أبى القلبُ إلا أمَّ عَمُرٍ وَحُبِّهَا عَجُوزاً وَمَنْ يُحِبُّ عَجُوزاً يُفَنِّدُ^(٣)
كثوب يمان قد تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَرُقَعَتْهُ مَا شِئْتَ فِي الْعَيْنِ وَالْيَدِ^(٤)

وهو أحد أصوات الأغاني المختارة والغناء فيه لعلويه الصغدِي المغني المشهور .

وله في جارية شراها وبها حولٌ فعابها أهله:

يَعِيبُونَهَا عِنْدِي وَلَا عَيْبَ عِنْدَهَا سَوَى أَنْ فِي الْعَيْنِينَ بَعْضَ التَّأَخَّرِ
فَإِنْ يَكُ فِي الْعَيْنِينَ سَوْءٌ فَإِنَّهَا مُهْفَهَفَةٌ الْأَقْلَاءِ رَدَاخُ^(٥) الْمُوَخَّرِ^(٦)

ما أحسن ما تبجح بعض الأدباء الجول بحوله وانتفاعه به بقوله:

حمدت إلهي إذ بليت بحبِّها وبِي جُولٍ يَغْنِي عَنِ النَّظَرِ الشَّرِّ
نظرت إليها فالرقيب يخالني نظرت إليه فاسترحت من العذرِ

قال أبو الفرج: تقدم رجل مع خصم له إلى عبد الله بن الحسن قاضي البصرة فخلط في كلامه فتمثل القاضي بقول أبي الأسود الدؤلي:

(١) الأغاني ٣٤٦/١٢ .

(٢) أنظر: كتاب الحماسة لأبي تمام ٤١٥ .

(٣) التفتيد: التوبيخ والتعنيف .

(٤) الأغاني ٣٤٥/١٢ ، ٣٧٨ ، كتاب الحماسة ٤١٥ ، البيان والتبيين ١/١٩١ ، عيون الأخبار ٤٣/٤ ديوانه ٥٣ .

(٥) مهفهفة: ضامرة البطن - امرأة رداخ ورداحة وردوخ: عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق وقيل: ضخمة العجيزة والمآكم (اللسان مادة رداخ ج ٢ ص ٤٤٧) .

(٦) الأغاني ٣٥٦/١٢ ، عيون الأخبار ٤/٥٨ ، ديوانه ٥٢ .

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُخْطِي وَمَا دَرَى وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكَ إِلَّا كَذَالِكَا^(١)

وهو لأبي الأسود الدؤلي من أبيات يهجو بها جد القاضي الحُصَيْنَ بن أبي الحُرِّ العبدري^(٢)، فقال الرجل: إن رأى القاضي إن يدنيني منه حتى أقول شيئاً فعل، فقال: أدنُ فدنا، وقال: إن أحقَّ من يستر هذا الشعر لأنت، وقد علمت فيمن قيل، فتبسم القاضي وقال: إن فيك مصطنعاً وغرم عنه ما كان يطالب به.

قال: وكان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة وكنيت بَرَزَةَ^(٣) جميلة، فقالت له: يا أبا الأسود هل لك أن أتزوجك فإني صناع^(٤) الكف، حَسَنَةُ التدبير، قانعة باليسير، قال: نعم، فجمعت أهلها وتزوجته، فوجد عندها خلاف ما قدَّر، وأسرعت في ماله، ومدَّت يدها إلى خيانتها، فغدا على مَنْ كان حضر تزويجها من أهلها، فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا، فقال:

أَرَيْتَ امْرَأَةً كُنْتَ خَالَلتَهُ أَتَانِي فَقَالَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا^(٥)
فَخَالَلتُهُ ثُمَّ أَكْرَمْتَهُ فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ لَدُنْهُ فَتِيلًا
وَأَلْفَيْتُهُ حِينَ جَرَّبْتَهُ كَذُوبَ الْحَدِيثِ سَرُوقًا بِخِيلًا
فَدَكَّرْتَهُ ثُمَّ عَاتَبْتُهُ عَتَابًا رَقِيقًا وَقَوْلًا جَمِيلًا
فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكَرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا^(٦)
أَلَسْتُ حَقِيقًا بِتَوْدِيعِهِ وَإِتْبَاعِ ذَلِكَ صَرْمًا طَوِيلًا؟

فقالوا: بلى والله يا أبا الأسود! قال: تلك صاحبككم، وقد طلقته لكم، وأنا أحب أن أستر ما أنكرت من أمرها، فانصرفت معهم^(٧).

وسأله رجل شيئاً فمنعه، فقال له: يا أبا الأسود والله ما أصبحت حاتماً

(١) الأغاني ١٢/٣٧٥ - ٣٧٦، معجم الشعراء ٣١٧ وفيه «إنها لفرات بن حيان، وقيل لأبي سفيان بن الحارث» ديوانه ٤٧.

(٢) في الأغاني: «العنبري».

(٣) امرأة بَرَزَةَ: متجالة تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدثون عنها، والبرزة من النساء أيضاً: الجليلة الموثوق برأيها وعفافها (لسان العرب مادة برز).

(٤) امرأة صناع اليمين: حاذقة ماهرة بعمل اليمين.

(٥) أريت: أصله أرايت، يقولون: أرايتك بمعنى أخبرني.

(٦) استعتبه: استرضاه، وطلب منه العتبي. أعطاه العتبي أي أرضاه.

(٧) الأغاني ١٢/٣٦٠ - ٣٦١، ديوانه ١٢٢ - ١٢٣.

قال: بلى أصبحت حاتماً، من حيث لا تشعر، أليس حاتم الذي يقول:

أماويٍّ أمّا مانع فمبينٌ
ومن شعره أيضاً:

أعصيت أمر ذوي النُّهى
أخطيت حين حرمتني
وله أيضاً:

وما طلب المعيشة بالتمني
تجثك بمثلها يوماً ويوماً
ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجثك بحمأة^(٢) وقليل ماء^(٣)

وذكر أبو الفرج: أن أبا الأسود كان نازلاً في بني قشير وكانوا عثمانيّة، وكانت امرأته منهم، وكانوا يؤذونه وينالون من علي عليه السلام ليغيظوه، ويرمونه في الليل بالحجارة، فإذا أصبح يقول لهم: يا بني قشير أي جوار هذا؟ فيقولون: إنما رماك الله لسوء مذهبك، وقبح دينك، فيقول: كذبتم، لو رماني لما أخطاني، وقال فيهم:

يقول الأردلون بنو قشير
فقلت لهم: وكيف يكون تركي
أحب محمداً حباً شديداً
بني عم النبي وأقربوه
فإن يك حبّهم رُشداً أصبه

طوال الدهر ما تنسى عليّاً!
من الأعمال مفروضاً عليّاً؟
وعباساً وحمزة والوصيّاً^(٤)
أحبّ الناس كلّهم إليّاً
ولست بمخطيء إن كان غيّاً^(٥)

فقالوا له: شككت يا أبا الأسود في مذهبك وصاحبك حيث قلت: «فإن يك حبّهم رُشداً أصبه».

(١) الأغاني ١٢/٣٧١، ديوانه ٦٩.

(٢) الحمأة والحمأ: الطين الأسود الممتن. وحمث البثر حمأ، بالتحريك، فهي حمئة إذا صارت فيها الحمأة وكثرت. اللسان (مادة حمأ ج ١ ص ٦١).

(٣) الأغاني ١٢/٣٨١، وفيات الأعيان ٢/٥٣٨، بغية الوعاة ٢٧٤، ديوانه ٨٠.

(٤) الوصي: هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٥) أخبار شعراء الشيعة ٢٨، أعيان الشيعة ٣٦/٣٥١، الأغاني ١٢/٣٧٢، نزهة الألبا ٣، أمالي المرتضى ١/٢٩٣، إنباه الرواة ١/١٧ - ١٨، ديوانه ٧٢ - ٧٣.

قال: أفترون الله شك في نبيّه حيث أنزل عليه «وأنا وإياكم لعلی هدى أو في ضلال مبين»^(١).

قلت: أرادوا لست بمخطيء إن كان غيياً أنه إن كان حبّ هؤلاء الأخيار غيياً لم يكن في الوجود غيياً.

ودخل على معاوية، فقال له: لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود، فلو علقت تميمة تقيك العين! فقال:

أفنى الشباب الذي فارقت جدته كُرّ الجديدين من آتٍ ومنطليقي^(٢)
لم يترك لي في طول اختلافهما شيئاً تُخاف عليه لدعة الحدق^(٣)

وقال الجاحظ: أبو الأسود معدود في طبقات من الناس هو في كلّها مقدّم، كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والأشراف الصلح والأشراف البلح، وهو السبب في علم النحو لأنه دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت: يا أبة ما أشد الحرّ بضم الدال وكسر الراء؟ فقال لها: شهراً باحر^(٤) وظن أنها تستفهم، فقالت: يا أبة إنما أخبرتك ولم أسألك.

وأتى علياً عليه السلام فقال: ذهبت لغة، العرب لما خالطوا العجم ويوشك أن تضمحل، ثم حكى له حديث ابنته، فأمره، فاشتري مصحفاً بدرهم، ثم أملى عليه: الكلام كلّ لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وهذا أول كتاب سيبويه، ثم رسم أصول النحو كلها فنقلها النحويون وفرّعوها، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد في حدود العربية، ثم زاد فيها عنبة بن معدان المهري، ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمر بن العلاء فزاد فيه، ثم الخليل بن أحمد الأزدي فلحقهم، ثم نجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل فرسم للكوفيين رسوماً.

(١) سورة سبأ: الآية ٢٤، الأغاني ٣٧٢/١٢.

(٢) كُرّ الجديدين: كناية عن الليل والنهار.

(٣) الأغاني ٣٧٣/١٢، الامتاع والمؤانسة ١٧٧/٣، أمالي المرتضى ٢٩٣/١، الكامل ٣٤١/١، ديوانه ١١٧ - ١١٨.

(٤) في هامش الأصل: «باحر: بالباء الموحدة وبعد الألف جاء مهملة ثم راء».

وأبو الأسود أول من نقط المصاحف بأمره وكانت جميعها مهملة قبل ذلك،
هذه رواية أبي الفرج.

وقال العسكري في كتاب الأوائل: أخبرنا أبو أحمد، عن ابن دريد، عن
أبي حاتم، عن محمد بن عباد، عن أبيه، قال: سمع أبو الأسود رجلاً يقرأ: «أن
الله بريء من المشركين ورسوله»^(١)، بكسر اللام من رسوله، فقال: لا يسعني إلا
أن أصنع شيئاً أصلح به نحو هذا، فوضع النحو، والمشهور الأول.
وهو أول من قال بالقدر، يعني نسبة أفعال العبد إليه.

وهو أول من نقط المصاحف، وبإسناده عن الجوهري، عن أبي زيد، عن
أحمد بن معاوية، عن الأصمعي قال: حدثنا صاحب لنا، قال: سأل أبو الأسود
إعرابياً: كيف أبوك؟ قال: أخذته الحمى فطبخته طبخاً، فتركته فرخاً، ففضخته
فضخاً، قال: طلقها وتزوج غيرها فحظيت، ورضيت، وبضيت، قال: وما
بضيت؟ قال: حرف من العربية لم يبلغك.

قال الأصمعي: هو مثل رضيت.

وتنازع أبو الأسود وإمراته في ولده منها إلى زياد، فقال: أنا أحق به منها
حملته قبلها ووضعتة قبلها، فقالت: حملته خفياً وحملته ثقلاً، ووضعتة شهوة
ووضعتة كرهاً.

قال زياد: صدقت أنتِ أحق به ما لم تزوجي، أما لو أدركتني يا أبا الأسود
وبك قوة لاستعنت بك في بعض الأمر، فقال: اللصراع تريدني.

وقال له بعض الأمراء: سمعت إنك شديد على حقتك، فإنه لا يذهب لك
شيء على أحد، فمم ذاك؟

قال من سوء ظني بالناس، ومجانبة أهل الافلاس.

وأسند العسكري عن مشائخه، قال: قال أبو الأسود الدؤلي لمعاوية: لو
كنت مكان أبي موسى ما صنعت ما صنع، قال: وما كنت تصنع؟ قال: كنت
أجمع عدّة من المهاجرين والأنصار، ثم أنشدهم بالله، المهاجرون أحق بالخلافة
أم الطلقاء؟ فقال معاوية: أقسمت عليك لا تذكرها ما عشت.

وسمع قوماً يستشيرون في تزويج امرأة فقال: زوجهها من عاقل فإنه إن

(١) سورة التوبة: الآية ٣.

أحبها أكرمها وإن أبغضها طلقها .

ورأيت في الأغاني : أن زياداً ولى حارثة بن بدر الغداني^(١) سيد تميم ولاية بالسواد إسمها سُرق، فلقبه أبو الأسود فقال له :

أحار ابن بدرٍ قد وليت ولاية
ولا تحقرن يا حار شيئاً تصيبه
فإن جميع الناس إما مكذب
فجزاه حارثة خيراً^(٢) .

والى هذه الواقعة يشير المولى الأخ ضياء الدين زيد بن يحيى^(٣) رحمه الله وقد كتب إليّ مراجعاً عن قصيدة :

زقت إليّ خريدة من نظمه
عذراء لم تطمث ولم تسرق ولا
نسج البرود بمعطفها المهرق
حظ ابن يحيى كابن بدر سُرق

وذكر أبو الفرج في الأغاني أيضاً : أن بني الدئل اجتمعوا إلى أبي الأسود في دية لزمتهم يسألونه المعونة وألح عليه غلام منهم ذو بيان وعارضة، فقال : يا أبا الأسود أنت شيخ العشيرة وسيدها وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يد ولا جود؟ فلما ألح عليه أقبل عليه أبو الأسود وقال : قد أكثرت يا بن أخي فاسمع، إن الرجل والله لا يعطي ماله إلا لإحدى ثلاث خصال : أما رجاء مكافأة، أو خوفاً على نفسه، أو إرادة وجه الله، إلا رجل أحمق خدع عن ماله، ووالله ما أنتم بإحدى هذه الطبقات ولا عمك بالعاجز ولا بالمنخدع ولما أفدتك إياه في عقلك خير من مالي لو وصل بني الدئل، قوموا إذا شتمت، فانصرفوا عنه^(٤) .

(١) حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني : تابعي، من أهل البصرة . وقيل أدرك النبي ﷺ . له أخبار في الفتوح، وقصة مع عمر، ومع عليّ، وأخبار مع زياد وغيره، في دولة معاوية وولده . وأمر على قتال الخوارج في العراق فهزموه بنهر تيرا (من نواحي الأهواز) فلما أرهقوه دخل سفينة بمن معه ففرقت بهم سنة ٦٤ هـ .

ترجمته في : الإصابة ١ : ٣٧١ وابن عساكر ٣ : ٤٣٠ ، الاعلام ط ٤ / ٢ / ١٥٨ .

(٢) زهر الآداب ٤ / ٦٤ ، فتوح البلدان ٣٧٢ ، الطرائف واللطائف ٦٣ ، ديوانه ١١٨ - ١١٩ .

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٧٤ .

(٤) الأغاني ١٢ / ٣٥٢ .

قال أيضاً: وكان حاضر الجواب وكان يبخل.

قيل: إنه خرج إلى الصيد ومعه أصحابه، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك، فقال: أبو الأسود كلمة مقوله.

قال: أدخل؟ قال: وراك أوسع لك، قال: فإن الرمضاء قد أحرقت رجلي، قال: بل عليهما أو إت الجبل يفي عليك، قال: هل عندك شيء تطعمنيه؟ قال: نأكل ونطعم العيال، فإن فاض شيء فأنت أحقّ به من الكلب، فقال الاعرابي: ما رأيت قط الأم منك، قال له: قد رأيت، ولكنك أنسيت، قال: فأنا ابن الحمامة^(١)، قال انصرف وكن ابن أي طائر شئت^(٢).

قلت: قد نسبها في الأغاني^(٣) إلى الحطيئة الشاعر^(٤) وهو الأنسب.

قال: وكان له على باب داره دكة عالية ضيقة فيأمر بغدائه فيوضع عليها ثم يقعد يأكل، فإذا مرّ به أحد دعاه إلى الأكل فلا يجد موضعاً لجلوسه فينصرف، فمرّ به فتى على ناقية فدعاه إلى الأكل، فتأمل الفتى المكان^(٥) فإذا هو ضيق فأخذ الصحيفة فأنزلها إلى الأرض وأقبل يأكل وأبو الأسود: يتغيظ حتى أستوفى الطعام. ثم ردها فقال أبو الأسود ما إسمك يا فتى؟ قال: لقمان الحكيم، قال: أصاب أهلك إسمك^(٦).

(١) هودّة بن الحارث بن عجرة السلمي، ابن الحمامة: شاعر قوي العارضة. من الصحابة، أو ممن كانوا في عصر النبوة. والحمامة أمه، اشتهر بنسبته إليها. كان من سكان البصرة. ووفد على عمر (في خلافته) ليأخذ عطاءه، فدعي قبله أناس من قومه، فأغضبه تقديمهم عليه؟ فقال:

«لقد دار هذا الأمر في غير أهله!

«أيدعي خثيم والشريد أمامنا؟

«فإن كان هذا في الكتاب، فهم إذا

فدعا به عمر، وأعطاه، توفي نحو سنة ٢٠هـ.

ترجمته في: الإصابة: ت ٩٠٥٩ والمرزباني ٤٨٢، الاعلام ط ١٠٢/٨/٤.

(٢) الأغاني ٣٥٤/١٢.

(٣) الأغاني ١٦٣/٢.

(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٥) في هامش الأصل: «الموضع».

(٦) الأغاني ٣٧٣/١٢.

وله نوادر.

وذكر المدائني: إن أبا الأسود توفي بالبصرة في الطاعون الجارف سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة. وقيل إنه توفي قبل ذلك وهو الأنسب لأنه لم يسمع له في فتنة المختار بذكر، رحمه الله تعالى.



والدؤلي بضم المهملة والهمزة ثم لام نسبة إلى جدّه الدئل وهو مكسور الدال نادر في ابنية الأسماء فإذا نسبوا إليه ضمّوها للاستثقال مع زيادة يا النسب، والله أعلم.

حرفُ العَيْنِ

أبو الطفيل عامر بن وائلة

ابن عبد الله بن عمير بن جابر بن خميس بن حربي^(١) بن سعد بن الليث
ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر
الكناني الكوفي الصحابي^(*).

فاضل اجتمعت له الصحبة وحب أهل البيت، وقال له الفضل والدين: قد
بلغت ما أردت منّا وأربيت، وكأن الدهر رحى بركته فاشفق عليه من الجدث،
فعاش حتى رأى الحياة بعد أقرانه من العبث.

قال أبو الفرج: كان أبو الطفيل من خيار أصحاب رسول الله ﷺ، ورَوَى
الحديث وعَمَّر بعده طويلاً وصحب عليّاً عليه السلام، وكان من وجوه شيعته، وله

(*) كتب عنه وجمع شعره الطيب العشاش في حوليات الجامعة التونسية، العدد العاشر لسنة ١٩٧٣.
ثم استدرك عليه وجمع شعره الأستاذ ضياء الدين الحيدري بمجلة البلاغ الكاظمية للسنة ٥/
١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ع ٢٧/٧ - ٣١.

ترجمته في: وقعة صفين، الاصابة، الأغاني، ١٥٢/١٥ - ١٥٢، رجال الطوسي ٤٧، مناقب آل
أبي طالب ٦٧/٣، جامع الرواة ٤٢٨/١، معجم الشعراء ١٤٧، أخبار شعراء الشيعة ٢٤ - ٢٧،
الغدِير ٤٨/١، أعيان الشيعة ١١/٣٧ - ١٤، الطليعة - خ - ترجمه رقم ١٣٦.
تهذيب التهذيب ٨٢/٥، طبقات ابن سعد ٣٣٨/٥، خزنة البغدادي ٩١/٢، الجواهر المضية ٢/
٤٢٦، تهذيب ابن عساكر ٢٠٠/٧، سير النبلاء للذهبي، الذريعة ٣١٧/١، الاعلام ط ٣/٤/
٢٥٥ - ٢٥٦.

(١) في الأغاني: «خميس بن جُدَي».

منه محلّ خاص^(١).

وكان فارساً كريماً شجاعاً شاعراً.

وعاش بعد علي عليه السلام فخرج مع المختار طالباً بدم الحسين عليه السلام فكان معه حتى قتل المختار، وعمّر أيضاً بعد ذلك.

وقال قطر بن خليفة: سمعت أبا الطفيل يقول: لم يبق من الشيعة غيري ثم تمثّل [من الطويل]:

وُخِلِّفْتُ سَهْمًا فِي الْكِنَانَةِ وَاحِدًا سَيْرَمِي بِهِ أَوْ يَكْسِرُ السَّهْمَ كَاسِرُهُ^(٢)

ولمّا رجع أبو القاسم بن الحنفية من الشام، حبسه ابن الزبير في سجن عازم، فخرج إليه جيش من الكوفة عليهم أبو الطفيل أميراً من قبل المختار، حتى أتوا سجن عازم^(٣) فكسروه وأخرجوه منه، فكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب: أن يسير نساء كل من خرج لذلك، فأخرجهن وفيهن أمّ الطفيل امرأة أبي الطفيل، وابن لها صغير اسمه يحيى، فقال أبو الطفيل [من المتقارب]:

إِنْ يَكُ سَيَّرَهَا مُضْعَبٌ فَإِنِّي إِلَى مَصْعَبٍ مَذْنَبٌ
أَقْوَدُ الْكُتَيْبَةَ مُسْتَلِيمًا كَأَنِّي أَخْوَعُ غُرَّةَ أَجْرَبٍ^(٤)
عَلَيَّ دِلاصٌ تَسَخَّرْتُهَا وَفِي الْكَفِّ ذُو رُونُقٍ مِقْضَبٌ^(٥)
سَعَرْتُ عَلَيْهِمَ مَعَ السَّاعِرِينَ نَارًا إِذَا أَخْمَدَتْ تَشْقَبُ
فَلَوْ أَنَّ يَحْيَى بِه قُوَّةٌ فَيَغْزُو مَعَ الْقَوْمِ أَوْ يَرْكَبُ
وَلَكِنْ يَحْيَى كَفَرَخِ الْقَطَا فِي الْوَكْرِ مَسْتَضْعَفٌ أَزْغَبُ

وإنما خرج أبو القاسم إلى الشام لسوء جوار ابن الزبير لبني هاشم.

(١) الأغاني ١٥/١٤٣.

(٢) الأغاني ١٥/١٤٧.

(٣) في الأغاني: «عازم» وسجن عازم: ظنه ياقوت بالطائف وقال: حُبِرَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ، ثُمَّ كَانَ سَجْنًا لِلْحِجَاجِ «معجم البلدان ٤/٢٦٦».

(٤) الغرّة: بضم أوله وفتح ثانيه المشدّد: الجرب.

(٥) الدلاص: بكسر أوله: الدرع الملساء اللينة، وذو رونق: أي سيف، ورونق السيف: ماؤه وصفائه وحسنه، والمِقْضَبُ: القاطع.

الأغاني ١٥/١٤٦ - ١٤٧.

وذكر الجاحظ: إن عبد الله بن العباس^(١) لما دنت وفاته أوصى ابنه علياً فقال: يا بني لا أرضى لك جوار ابن الزبير فإن قلبي قد تفتت من سوء جواره لنا، فالحق ببني أبيك من بني عبد مناف بالشام، ففعل ذلك ورضى عبد الله لولده جوار بني أمية واختاره على جوار ابن الزبير.

ومما غنى فيه أبو إسحاق إبراهيم الموصلي^(٢) من شعر أبي الطفيل واختاره إسحاق للوائح [من الطويل]:

أَيْدُعُونَنِي شَيْخاً وَقَدْ عَشْتُ حِقْبَةً وَهَنَّ مِنَ الْأَزْوَاجِ نَحْوِي نَوَازِعُ
وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ تَتَابَعْتُ عَلَيَّ وَلَكِنْ شَيَّبَتْنِي الْوَقَائِعُ^(٣)
ومن شعره يرثى ابنه طفيلاً [من البسيط]:

خَلَّى طُفَيْلٌ عَلَيَّ الْهَمَّ فَانْشَعَبَا وَهَدَّ ذَلِكَ رَكْنِي هَدَّةً عَجَبَا
وَأَبْنِي سُمِيَّةً لَا أَنْسَاهُمَا أَبَدًا فِيمَنْ نَسِيْتُ وَكَلُّ كَان لِي وَصَبَا^(٤)
فَامْلِكْ عِزَاءَكَ إِنْ رِزْءٌ بَلِيَّتَ بِهِ فَلَنْ يَرُدَّ بِكَاءِ الْمَرْءِ مَا ذَهَبَا
وَلَيْسَ يَشْفِي حَزِيناً مَنْ تَذَكَّرَهُ إِلَّا الْبِكَاءُ إِذَا مَا نَاحَ وَانْتَحَبَا
فَإِذْ سَلَكْتَ سَبِيلاً كُنْتَ سَالِكَهَا وَلَا مَحَالَةَ أَنْ يَأْتِيَ الَّذِي كُتِبَا
فَمَا لَفِظْتِكَ مِنْ رِيٍّ وَلَا شَبَعَ وَلَا ظَلِمْتَ بِبَاقِي الْعَيْشِ مُرْتَغِبَا^(٥)

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة سنة ٣ق.هـ ونشأ في بدء عصر النبوة، فلزم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع عليّ الجمل وصفين. وكفّ بصره في آخر عمره. فسكن الطائف، وتوفي بها سنة ٦٨هـ له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً. ولحسن بن ثابت شعر في وصفه وذكر فضائله. وينسب إليه كتاب في «تفسير القرآن - ط» جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل آية فجاء تفسيراً حسناً، وأخباره كثيرة. ترجمته في:

الإصابة، ت ٤٧٧٢ وصفة الصفوة ١: ٣١٤ وحلية ١: ٣١٤ وذيل المذيل ٢١ وتاريخ الخميس ١: ١٦٧ ونكت الهميان ١٨٠ ونسب قريش ٢٦ وفي المحبر ٢٨٩: أنه كان ممن يرى المتعة، وأنظر فهرسته، الاعلام ط ٩٥/٤/٤.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٣) الأغاني ١٥/١٤٢، ١٤٤ - ١٤٥، كاملة في شعره/القطعة ٤.

(٤) الوصْبُ بالفتح: المرض والوجع الدائم، والجمع أوصاب، أخبار شعراء الشيعة ٢٦.

(٥) المرْتَغِبُ: الراغب. الأغاني ١٥/١٤٨ - ١٤٩.

فارقتنني حين لا مال أعيش به وحين جُنَّ زمان الناس أو كُلبا
وذكر أبو الفرج: أن أبا الطفيل دعي إلى وليمة فغنت قينة عندهم بهذه
الآيات فبكى حتى مات^(١) رحمه الله تعالى.

وكانت وفاته سنة مائة من الهجرة وهو آخر الصحابة موتاً، وآخر من مات
من الأنصار أنس بن مالك، ومن أهل الصفة جابر بن عبد الله، ومن المهاجرين
سعد بن أبي وقاص سمّة معاوية، وكان أبو الطفيل من البدرين وذكر عنه القول
بجواز الرجعة، رحمه الله والله أعلم.

[٩١]

أبو الحسن عبد الله بن معاوية بن عبد الله الجواد بن جعفر بن أبي
طالب عمرو بن هاشم الهاشمي الجعفري^(*).

فاضل تهاب الأسد سمره، وترتجي العقاب عدائه برّه، وشاعر يهدي
للقلوب من معاينه سلاماً برداً، ويخلع على أعطاف القوافي برغم بشار من نسج
فكرته بُرداً.

وكان من فتيان بني هاشم وجواديهم وشعرانهم.

وخرج في الكوفة في آخر أيام مروان بن محمد ويابعه الناس على ما يحبون
ويكرهون، وكانت له بها حروب ثم انهزم إلى نواحي الجبل فغلب على اصبهان
ونواحيها وبلاد فارس، ثم احتال عليه أبو مسلم الخراساني فحبسه ثم قتله في
الحبس بعد مدة.

(١) الأغاني ١٥/١٤٩.

(*) طبع له «الصبابة من شعر عبد الله بن معاوية» بتحقيق الدكتور عبد الجبار المطلبي في مجلة
الكتاب البغدادي ٧ و ٨ تموز - آب ١٩٧٥ م. واستدرك عليه الأستاذ عبد الحميد الراضي في مجلة
البلاغ الكاظمية للسنة ١٣٩٦/٦ هـ/١٩٧٦ م وما بعده.

ترجمته في:

الأغاني ١٢/٢٥١ - ٢٧٦، مقاتل الطالبين ١٦١ - ١٦٩، تاريخ الطبري ٩/٤٨ - ٥٢، ٩٣ - ٩٥
ط القاهرة ١٣٢٣، ابن الأثير ٥/١٣٠ - ١٣٢، ١٤٩ - ١٥١ بولاق ١٢٩٠، زهر الآداب ١/١٢٤
- ١٢٦، المعارف لابن قتيبة ٩٠ ط القاهرة ١٣٥٣، لسان الميزان ٣/٣٦٣ - ٣٦٤، عمدة الطالب
٣٨، أعيان الشيعة ٣٩/٨١، سرح العميون ٣٤٦، ابن خلدون ٣/١٢١، الملل والنحل ط مكتبة
الحسين ١/٢٦، خطط المقرئ ٢/٣٥٣، التبريزي ٣/١٠٢، الاعلام ط ٤/٤/١٣٩.

وذكر القاضي أبو القاسم التنوخي الآتي ذكره قريباً^(١) في قصيدته التي ستأتي: إنه خرج ثائراً بزيد بن علي عليه السلام.

قال الأصفهاني: إن ابن هرمة الشاعر مدحه فلمة أتاه وجد الناس بعضهم على بعض عند بابه، فقيل: ما هذا؟ قيل: عامتهم غرماؤه، فقال: هذا شرّ، فلما دخل قال: لم أعلم والله هؤلاء الغرماء الذين على بابك، فقال له: لا عليك، أنشدني، فقال: أعيدك بالله، واستحياه فأبى إلا أن ينشد، فأنشده قصيدة منها:

حللت محلّ القلب من آل هاشم فعشك ماوى بيضة المتفلق
ولم تك فيها بالمُعزّي نصابه إليها ولا ذا المركب المتعلّق
فمن مثل عبد الله أو مثل جعفر ومثل أبيك الأريحي المرهق^(٢)

فدعا باثنين من الغرماء فسارهما وخرجا، فقال له: إتبعهما فأعطياه مالا كثيراً.

وكان أبو الحسن بن معاوية المذكور كامل الخصال الجيدة، ولم يكن يُعاب إلا بقسوة القلب، وقيل: إنه غضب يوماً على غلام له وهو في غرفة باصبهان، فأمر أن يرمى به منها، فرمي فتعلق بدرابزين كان أمام الغرفة، فأمر بقطع يده التي أمسك بها فقطعت، وخرّ الغلام يهوي حتى بلغ الأرض فمات^(٣).

وشعره بديع الغرّة سائلها فمنه [من المتقارب]:

ألا تزع القلب عن جهله وعمّا يؤنّب من أجله^(٤)
فأبدل بعد الصبى حلمه وأقصر ذو العذل عن عذله
فلا تركب الصنيع الذي تلوم أخاك على مثله
ولا يعجبك قول امرئ يخالف ما قال في فعله
ولا تتبع الطرف ما لا ينال ولكن سل الله من فضله
فكم من مقلّ ينال الغنى ويحمّد في أمره كلّه^(٥)

(١) ترجمه المؤلف برقم ١١٠.

(٢) المرهق: الكريم الجواد الذي يغشاه الناس. الأغاني ١٢/٢٦٤.

(٣) مقاتل الطالبين ١٦٣.

(٤) وزعه: كفه، والوزع: كف النفس عن هواها (اللسان/مادة وزع).

(٥) مقاتل الطالبين ١٦٣ - ١٦٤، الأغاني ١٢/٢٧١ - ٢٧٢. الصباية/القطعة ٢٩.

هذه حِكْمٌ يعجز عنها الإيادي، ولقد طوّق ناظمها من حفظها بالأيادي.
ومن شعره السائر مسير المثل:

وعين الرضى عن كل عيب كليلَةٌ ولكن عين السخط تبدي المساويا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا

وروى أبو الفرج الأصبهاني: عن إبراهيم أبي إسحاق النديم الموصلي قال:
بيننا نحن عند الرشيد وابن جامع حاضر إذ قال صاحب الستارة لابن جامع: تغنّ
في شعر عبد الله بن معاوية، ولم يكن يغني في شيء منه فارتج عليه، وفطنا لما
أراد من شعر عبد الله فاندفعت فغنت [من الكامل]:

يا قوم كيف سواغ عيش ليس تؤمن فاجعائهُ
ليست تزال مظلة تغدو عليك منغصاته
الموت هو داخِلٌ يوماً على كره أنائهُ
لا بد للحدّر النّفور من أن تَقنّصهُ رمائهُ^(١)

فأومى إليّ صاحب الستارة إن أمسك، ووضع يده على عينه يشير إلى أنه
يبكي، وأمر لي ببدره، فلما خرجنا قال لي ابن جامع: ما صبّ الله أمير المؤمنين
على شعر ابن معاوية؟ فقلت: صبّه عليه البدره الدنانير التي أخذتها، قال: ثم
حضرنا فلما اطمأن بنا المجلس قال ابن جامع كلام خفي: اللهم أنسه ذكر ابن
معاوية، فقلت: اللهم لا تجب، فقال صاحب الستارة: يا ابن جامع تغنّ في شعر
عبد الله بن معاوية فقال ابن جامع: لو كان في عبد الله خيراً لطار مع أبيه^(٢) ولم
يقبل على قول الشعر، فسمعنا الضحك من خلف الستارة فاندفعت أغني من شعره
[من المتقارب]:

(١) الأغاني ١٢/٢٧٣، شرح العيون ٣٥٠، الصباة/القطعة ٧.

(٢) يريد جدّه جعفر بن أبي طالب، وكان يلقب بالطيار وبذي الجناحين (ت ٨هـ) وهو صحابي
هاشمي، وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، حضر وقعة مؤتة باللقاء (من أرض الشام)
فنزل عن فرسه وقاتل ثم حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى
فقطعت أيضاً، فاحتضن الراية إلى صدره وصبر حتى وقع شهيداً، وفي الحديث: إن الله عوضه
عن يديه جناحين في الجنة.

ترجمته في: الإصابة ١/٢٣٧، صفة الصفوة ١/٢٠٥، مقاتل الطالبين ٣، حلية الأولياء ١/
١١٤، طبقات ابن سعد ٤/٢٢، الاعلام ط ٤/٢/١٢٥.

سلا رَبَّةَ الخِدر ما شأنها
 فلستُ بأول من فاته
 فأصبح صدعُ الذي بيننا
 وكالدَّرّ ليست له رَجعة
 وعن أيّما شأننا تعجبُ؟
 على إزبه بعضُ ما يَظْلُبُ^(١)
 كصدع الزجاجة لا يُرأبُ
 إلى الضَّرْع من بعد ما يُخَلَبُ^(٢)
 فقال: صاحب الستارة: أحسنت فأعد فأعدته فأمر لي ببدره، وكان الرشيد
 نظر إلى ابن جامع كاسف البال فأمر له ببدره، وكان في ابن جامع حسد لا
 يستره، فلما انصرفنا قال: اللهم أرحنا من ابن معاوية هذا، فما أشدّ بغضي له
 لقد بغض إليّ جدّه فقلت: ويحك أتدري ما تقول؟ قال: فمن يدري ما يقول إذا
 لوددت أنّي لم أرَ إقباله عليك وعلى غنائك من شعر هذا البغيض ابن البغيضة،
 وأني تصدقت بها يعني البدره^(٣).



واسم ابن جامع^(٤) إسماعيل وهو من بني سهم بن هُصَيص بن كعب بن
 لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وكان أحد مشائخ المغنّين، وكان
 عالماً بالأخبار والشعر والفقه والمنادمة، ولأمه قصة مع زوجها ذي مناجب
 الحميري^(٥)، وكان ذو مناجب أقبح الناس، فلما كان معن بن زائدة والياً بصنعاء
 واليمن من قبل أبي جعفر المنصور أتته أمّ ابن جامع تتظلم من زوجها ذي
 مناجب، وكانت قرشيّة فدعى به معن فرآه رجلاً قصيراً ذميماً، سائل المخاط،
 أشيب العنفة، جاحظ العينين، فأنشد معن:

لعمري لقد أصبحت غير محبّب
 فما لمثها لما تبينت وجهه
 إليها ولا في عينها ذا مناجب
 وعيناً له حوصاء من تحت حاجب^(٦)

(١) الإرب: العقل والدهاء.

(٢) الدّرّ: اللبن. الأغاني دار الكتب ١٢/٢٣٧، شرح العيون ٣٥١، الصباية/القطعة ٥.

(٣) الأغاني ١٢/٢٧٥ - ٢٧٧.

(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٥) في هامش نسخة العزاوي: «إلى قصة ذي مناجب أشار المؤلف في ترجمة الشريفة زينب بنت محمد [برقم ٧٩] حيث فارقتها طالب بن المهدي، وذمه بذلك الذم القبيح، وليته لم يفعل، عفى الله عنهما جميعاً».

(٦) الحوص: ضيق في مؤخر العين حتى كأنها خيطة، وقيل: هو ضيق مشقها، وقيل: هو ضيق إحدى العينين دون الأخرى، والعين الضيقة حوصاء (لسان العرب/مادة حوص).

وأنف كأنف البكر يقطر دائماً على لحية شوهاء شابت وشارب^(١)

ثم فرق بينهما وأمرها أن تتجهز إلى عشيرتها بمكة^(٢).

وكان شديد التعصب على اليمانية لأنه قيسي، وهذا كان قصد المنصور في توليته اليمن.

وإنما سمي عبد الله بن جعفر ولده معاوية لأنه جاءه البشير بولادته من إحدى جواريه وكان بالشام عند معاوية، فبلغه ذلك فاستدعى عبد الله وقال: سمّه باسمي ولك مائة ألف درهم ففعل ذلك لحاجته، وأعطاه معاوية المال فوهبه عبد الله للذي بشره به، وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدب ولده، ويقول: إن يرد الله بهم خيراً يتأدبوا، فلم ينبج منهم غير معاوية^(٣).

وتوفي عبد الله بن جعفر في خلافة عبد الملك عام سيل الحجاج سنة ثمانين من الهجرة، رحمه الله تعالى.

[٩٢]

السيد أبو محمد عبد الله بن المتوكل شرف الدين بن شمس الدين بن المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الحسيني اليمني الصنعاني^(*)

فاضل أحاطت به الفضائل إحاطة الفلك بالدنيا، ومغرم ولكن بالنفيسين الأدب والعليا، من رأى قصيدته البائية صلى على النبي، ومن لم يعترف بفضل عبد الله إذ قام يدعو إلى الحكمة فهو غبي.

وكان عالماً أديباً وله أشعار مشهورة، ومحاسن غير مغمورة، وكان فيه تصوّف.

(١) البكر: الفتى من الأبل، جمعها أبكر وبكران.

(٢) الأغاني ٦/٣٠٥.

(٣) الأغاني ١٢/٢٦٠.

(٤) ولد سنة ٩١٣ وقيل ٩١٨ وتوفي سنة ٩٩٣هـ، وقبره بمدينة تلا.

ترجمته في: خبايا الزوايا - خ -، ريحانة الألبا ١/٤٥١ - ٤٥٥، البدر الطالع ١/٣٨٣ - ٣٨٤، نفاة الريحانة ٣/٢٧٢ - ٢٧٣.

وأخبرني شيخني السيد العلامة الحسن بن الحسين المذكور في الحاء^(١) رحمه الله: إنَّ مما عدَّ من عناياته أن والده شرف الدين أنكر عليه ميله إلى التصوف، وأكل القات المتعارف، فقطع جرايته، وكان عنده قدور نحاس عظام، فاتفق أن أهل الحمامات طلبوا منه إجارتها منهم للتسخين في تلك الحال، وكان كراهاً بقدر ما قطع عليه ثم رقَّ له، فأعاد الجاري فجاءت القدور لغنية المستأجرين عنها في وقت إعادة راتبه.

وشعره جيّد إلى الغاية.

وذكره الفاضل أحمد أفندي الخفاجي في الريحانة، والسيد أبو الحسن إسماعيل بن محمد في سمط اللآل، وكان يدخل السوق، ويستعمل الزهادة في أيام إمارة أهله هظماً للكبير.

ومن شعره وفيه توجيه بأسماء عدّة من مؤلفات جدّه المهدي إلاّ أنه انتهب لؤلؤ القاضي عبد الوهاب المالكي^(٢) في أبياته المذكورة في أخبار أحمد بن الحسين في حرف الهمزة^(٣):

فقال: قوموا طالبوا بالحدّ
وما على الغاصب غير الرّد
لكان غصباً يا قليل الرشد
أما ترى الأزهار فوق حدّ
والغيث للأزهار معني يبدي
أن شئت أن تقرأه فعندي
لمن يجيء في الزمان بعدي
أشرحها يوم النقى بوجدي
في عنقي نظمتها في عقدي

قبّلته في فيه وهو نائم
قلت له: أفديك أتّي غاصب
قال: نعم لو كنت غير نائم
قلت: ما في الفقه تقرأه، قال: لا
قلت وهذا الغيث فيض أدمعي
والبحر أيضاً من دموعي حاضر
تيار جفني قد غدا تذكرة
لي في هواك مللٌ ونحلّ
عقايد في حبّكم قلائد

وهي طويلة ومن شعره:

قلبي الشجّي مقيم

بين الرجاء وخوفي

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤٥.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٣.

قال الرجاء لخوفي
إن كان ذنبي عظيماً
قد قال جلّ تعالي
نبيء عبّادي أني
فقال: خوفي فاقراً
اقراً وإن عذابني
فقال: في سبق هذا
سل أهل علم المعاني

وكتب إلى والده لما قطع رزقه المشار إليه:

أيا والداً أربي وجودي بجوده
لما تمنعوني الصرف من غير علة
وقد اذهبت تنوين فضلي إضافة
وإني عبد الله والأمر أمره

ألم فيه بقول أبي المحاسن بن عنين:

شكى ابن المؤيد من عزله
فقللت له لا تدم الزمان
ولا تغضبني إذا ما صرفت
ويقول ابن صردر:

علمته باب المضاف تفاقولا
وله في صفة القات:

أدرّ عليّ يواقيت من القات
يَجْلوتنا وله قلبي ورؤيته
فلوبه تحمل الأسرار نودعها
براق معراج قلبي حين يصعده
زيتونة زيتها الأضوا بها اتقدت
رأيت قلبي إليه قلبه مقه
كل المرادات فيه جمعت فلذا

إن المخوف حلّيم
فإن ربّي كريم
وهو العزيز الحكيم:
أنا الغفور الرحيم
ما بعدها يا فهميم
هو العذاب الأليم
لذاك سرّ عظيم
ما ذلك التقديم

وأصلاً نمت في رأس دوحته فرعي
ومعرفتي قد لازمت مانع المنع
ملازمة للاتصال بلا دفع
يصرفني في الخفض والنصب والرفع

وذمّ الزمان وأبدى السفسه
وتظلم أيامه المنصفه
فلا عدل فيك ولا معرفه

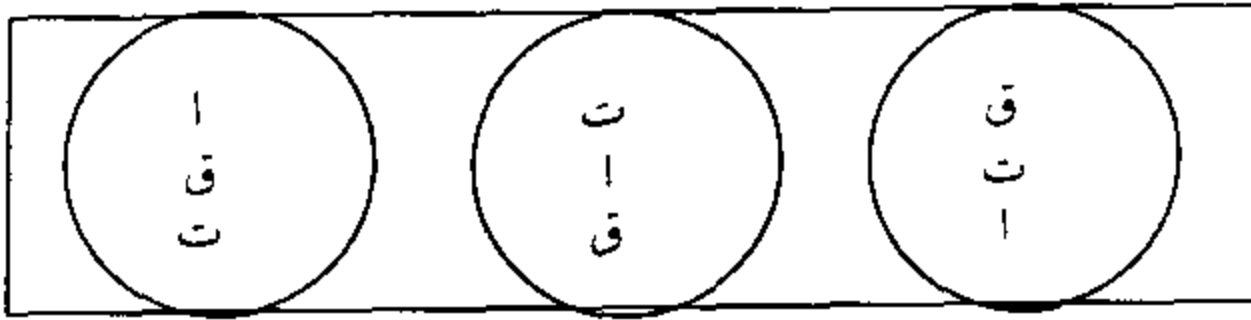
ورقيبه يغريه بالتنوين

زبرجديات أوراقٍ وريقات
طرفي ويجلو به حالي وأوقاتي
قلوبنا ثم تسري في السريرات
جبريل روعي إلى أعلا سماواتي
فتيلة النور في مصباح مشكاتي
فليس بدعاً إذا ما حنّ للقات
توجهت نحوه كسل الإرادات

عيم الورد ولذات المذاقات
 الاثبات عن سادة في الدين إثبات
 وجلب نفع ودفع للمضرات
 تنوير سرّ اعتكاف الأربعينات
 في الكون ألا جعلت القات مرقات
 والرّين يذهبه عن وجه مرآتي
 ذاتاً له وأراه أنه ذاتي
 وعده عدة فافهم إشاراتي
 بالاتقا في فصيحات الإشارات

لين القدود وتلوين الخدود وتند
 وكم خصائص ترويهها مشايخنا
 كُله لما شيت عن دنيا وأخرة
 وأكله منه قال المرشدون بها
 فما أردت ارتقاء في سما نظري
 فيرتقي بي إلى أقصى حقائقها
 فينجلي في صفا ذاتي فتحسبني
 تكسيره منتج في الإنتها ترقاً
 قلوب أضلعه تقرا وتأمرونا

ولم أسمع بمن مدحه سواه بهذا المنهج الصوفي، ومزاجه بارد يابس في
 الثانية قابض، ومنه مخدر يفعل فعل اليبروج والشهدانج وهذه صفة تكسيره
 الطبيعي.



وأورد له الخفاجي، القصيدة البائية التي مطلعها:

خَطَرَتْ فُقُلٌ لِلْعُصْنِ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ وَبَدَتْ فُقُلُنَا لِلشُّمُوسِ تَحَجِّبِي^(١)

وهي مشهورة أجاد فيها وخاصة المطلع فإنه سبق إلى رفته لا إلى معناه،
 فإن السابق إليه شيخ شيوخ حماه عبد العزيز الأنصاري في مخلص قال فيه:

فَمَنْ رَأَى ذَاكَ الشُّوشَا ح الصائم صلاً على محمد

وزاده الصيام وقد مرّ قول حيدر أغا في موشحته:

وعوذ طلعه واذكر محمد

ففيه أيضاً من الرقة ما يوجب الصلاة والسلام على محمد وآله.

(١) بعض أبياتها في ربحانة الألبا ١/ ٤٥٢ - ٤٥٣.

وفي قصيدة السيد المذكور مآخذ لم يتبها لها الخفاجي منها :
 قمر يقول لمقللة الرائي لها من قبل مرآها إذهبى لا تذهبي
 أخذه من لفظ القاضي التنوخي في قوله :
 وإذا اللحاظ دنت لتسرق لمحة قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي
 وقوله فيها :
 أصبحت مثل النجم ينحو مشرقاً وترده الأفلاك نحو المغربى
 هو بعينه قول القاضي أبي الحسن الأرجاني^(١) . وقبل بيت الأرجاني :
 سيرى إليكم في الحقيقة والذي قد تنظروه فهو سير الدهر بي
 وفي بيت الأرجاني أيضاً لحن . . . ؟
 والظاهر أنه ضمنه ولم ينه عليه لشهرته .
 وقوله : «أعجبت من خوف الأسود لشعلب» فله نظائر وأشهرها قول ابن
 الساعاتي^(٢) :
 إذا مد جيشاً للعدو تلاعبت ثعالب أطراف الرماح بأسده
 ومن البديع فيها قوله :
 فتراه يضرب في الرؤوس ببارقٍ ماضٍ ويطعن في الثغور بكوكبٍ

[٩٣]

الخليفة المأمون، أبو الفضل وأبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد
 ابن المهدي بن المنصور الهاشمي البغدادي^(*) .

ملك دانت له الثقلان الأنس والجان، وقام الجد السعيد له مقام الحماية

(١) مرت ترجمته بهامش سابق .

(٢) مرت ترجمته بهامش سابق .

(*) ترجمته في : تاريخ بغداد ١٠/١٨٣ ، تاريخ الخلفاء ٢٩٧ ، مروج الذهب ٤/٤ وما بعدها ، البداية
 والنهاية ١٠/٢٧٤ ، الفخري في الآداب السلطانية ٢١٦ ، شذرات الذهب ٢/٣٩ ، تاريخ اليعقوبي
 ٣/١٧٩ ، هدية العارفين ١/٤٢٩ ، البدء والتاريخ ٦/١١٢ ، فوات الوفيات ١/٥٠١ - ٥٠٥ ،
 الفهرست لابن النديم ١٧٤ ، التبراس لابن دحية ٤٦ - ٦٣ ، الكامل لابن الأثير ٦/١٤٤ - ١٤٨ ،
 تاريخ اليعقوبي ٣/١٧٢ ، تاريخ الخميس ٢/٣٣٤ ، الاعلام ط ٤/٤/١٤٢ ، مختصر التاريخ ١٣٤ -
 ١٣٧ .

الأعوان، تحلى بحلية الملك مرصعة بجوهر الأدب الغض. وقرض من الشعر ونقده نقد الذهب فلله ذلك النقد والقرض، وكان من أجلاء خلفاء الإسلام، وهو أفضل ملوك الدولتين.

وكان عالماً بالأصول والنحو واللغة وعلوم الحكمة، وفي أيامه ظهرت كتب اليونان وأمر بتعريبها واعتنى بها وكان من الفلاسفة في حبتها وكان يناظر في كل فن.

وهو أول من أمر بمساحة الدنيا فأمر بني شاعر أصحاب الرصد المشهور فخرجوا إلى برية سنجان وهي صحراء مستوية فقاموا دور كرة الدنيا على ما كان رآه المأمون في كتب الأوائل، وكان رأى فيها أن دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل، وكل ثلاثة أميال فرسخ، فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ، بحيث لو وضع طرف حبل على أي نقطة من الأرض وأدرناه على كرة الأرض حتى ينتهي إلى الطرف الآخر كان طول ذلك الحبل (٢٤) ألف ميل، فسأل المأمون، أبا عبد الله محمد بن موسى بن شاعر وأخويه الحسن وأحمد أهل الهمم العالية في تحصيل الكتب القديمة، وبذل الأموال النفيسة في نقلها من الروم، وتعريبها وتحققها، وقال: أريد تحقيق ذلك، فقالوا: هذا قطعي، قال أريد عمله، فسألوا عن البلاد المستوية، فقيل لهم صحراء سنجان في غاية الاستواء، وكذلك وطأة الكوفة، فأخذوا معهم جماعة من ثقات المأمون وجاءوا إلى صحراء سنجان فوقموا في موضع منها فأخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض اللآلات وضربوا في ذلك الموضع وتداً وربطوا فيه حبلًا طويلاً ومشوا إلى الجهة الشمالية كفعلهم الأول ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا إلى الموضع الذي أخذوا فيه ارتفاع القطب فوجدوه قد زاد على الارتفاع الأول درجة فمسحوا ذلك القدر من الأرض فبلغ ٣٦ ميلاً وثلاثي ميل، فعلموا أن كل درجة من الفلك يقابلها من سطح الأرض ٣٦ وثلاثي ميل، ومن المعلوم أن عدد درج الفلك ٣٦٠ فضربوا في ستة وثلاثين ميلاً وثلاثي ميل فكان أربعة وعشرين ألف ميل، وهي ثمانية آلاف فرسخ، وعادوا إلى المأمون وأخبروه، فأراد تحقيق ذلك في موضع آخر فسيرهم إلى الكوفة، ففعلوا كما في سنجان فتوافق الحسابان وعلم المأمون صحة ما حرره القدماء.

وكان المأمون يظهر أن مذهبه مذهب القائلين بالنص والوصية من الشيعة، فلذا بايع الناس للإمام الرضا عليه السلام بالعهد، وأمر فنودي برئت الذمة ممن ذكر

معاوية بخير أو ترخم عليه وأمر بلعنه على المنابر مراراً، ونادى بتحليل متعة النكاح، حتى صده القاضي يحيى بن أكثم وقال المتعة زنا لأنه:

قاضي يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلبوط من بأس

وذكر ابن خلكان عن محمد بن منصور قال: كنا مع المأمون في سفر فأمر أن ينادى بتحليل المتعة، فقال لي يحيى بن أكثم ولأبي العيناء: فإن رأيتما للقول وجهاً فقولا، وإلا فاسكتا حتى أدخل.

قال: فدخلنا وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وأنا أنهى عنهما، ومن أنت يا جُعَل حتى تنهى عما فعله رسول الله ﷺ! فأمسكنا حتى جاء يحيى بن أكثم فجلس، فقال المأمون: مالي أراك متغيراً؟ فقال: هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام من النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا! قال: نعم، المتعة زنا، قال: ومن أين لك هذا؟ قال: من كتاب الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ، قال الله «قد أفلح المؤمنون» إلى قوله «إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم»^(١). والمتعة من وراء ذلك فمتبعتها من العادين، وهذا الزهري روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها، فقال المأمون: أمحفوظ هذا من حديث الزهري؟ فقلنا: نعم يا أمير المؤمنين رواه جماعة منهم مالك، فقال: استغفر الله نادوا بتحريم المتعة، قال: فنادوا بذلك^(٢).

وسياتي تفصيل عقد المتعة إن شاء الله تعالى في ذكر زين الدين العاملي^(٣) في حرف الميم وما يجيب المثبت لها عن الآية.

ومن محاسن المأمون: إنه أرجع ضيعة فدك لآل فاطمة عليها السلام ومدحه أبو علي دعبل الخزاعي على ذلك بقصيدة أولها:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا بردة مأمون هاشم فدكا

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١ - ٧.

(٢) وفيات الأعيان ١٤٩/٦ - ١٥٠.

(٣) ترجمه المؤلف ضمن الترجمة رقم.

وقال العسكري في الأوائل : أول من أرجع فذك عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن محمد بن زكريا عن ابن عائشة عن أبيه عن محمد قال : شهد علي عليه السلام وأم أيمن عند أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وآله وهب فذكاً لفاطمة عليها السلام ثم ساق الحديث المشهور الخ ، قال : فلما ولي معاوية أقطع ثلثها مروان بن الحكم ، وثلثها عمر بن عثمان ، وثلثها يزيد بن معاوية ، وذلك بعد موت الحسن عليه السلام ، فتداولوها حتى ولي مروان فوهبها لعبد العزيز بن مروان فنحاهما عمر إليه في حياة أبيه ، فلما ولي كانت أول مظلمة ردها إلى عبد الله بن الحسن ثم قبضها أبو جعفر ثم ردها المهدي على ولد فاطمة عليها السلام ، ثم قبضها موسى وهارون ثم ردها عليهم المأمون .

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن محمد بن زكريا عن مهدي بن سابق قال : جلس المأمون للمظالم فأول رقعة وقعت في يده نظر إليها وبكى ، وقال : أين وكيل فاطمة بنت رسول الله فقام شيخ عليه دُرَاعَةٌ وعمامة وخُفٌّ تعزي ، فتقدم فجعل يناظره في فذك ، والمأمون يحتج عليه وهو يحتج على المأمون ، ثم أمر أن يسجل بها لهم فسجل وأمضاه المأمون ، ولم تزل في أيديهم حتى كان أيام المتوكل فاقطعها عبد الله بن عمر البازيار وكان فيها إحدى عشرة نخلة ممّا غرسه رسول الله صلى الله عليه وآله بيده ، وقد كان آل أبي طالب يأخذون ذلك التمر ، فإذا قدم الحُجَّاج أهدوا إليهم منه فيصلُّ إليهم به مال جليل ، فبلغ المتوكل ذلك فأمر عبد الله بن عمر أن يصرمه ويعصره ، فوجّه رجلاً اسمه بشر بن أمية الثقفي فخرج إلى المدينة فصرمه وعصره ، وذكروا أنه جعله نبيداً فما وصل الثقفي إلى البصرة حتى فلج وقتل المتوكل ، ولما ردها قال دعبل :

أصبح وجه الزمان قد ضحكا برّد مأمون هاشم فدكا

وكان المأمون مشهوراً بالحلم ويقول : لو يعلم الجناة تلذذي بالعمو لتقربوا

إلي بالمعاصي .

والمأمون أشعر العباسيين بعد ابن المعتز وابن الهبارية والبياضي ، فمن

شعره وقد أرسل إلى المحبوب رسولاً :

واغفلتني حتى أسأت بك الظننا

بعثتك مشتاقاً ففزت بنظرة

ومتعت في استمتاع نغمتها أذنا

ورددت طرفاً في محاسن وجهها

لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا

أرى أثراً منها بعينك لم يكن

وله أيضاً وكانت أمه أم ولد اسمها مراجل :

أم من الروم أو سوداء عجماء
مستودعات وللأبناء آباء

لا تنقص المرء قدراً أن تكون له
وإنما هنّ للأولاد أوعية
وله في وصف رقعتها :

ما بين إلفين مخصوصين بالكرم
من غير أن يائما فيها بسفك دم
هذا يغير وعين الحزم لم تنم
من عسكريين بلا بوق ولا علم

أرض مرتبة حمراء من آدم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها مثلاً
هذا يكرّ على هذا وذاك على
فانظر إلى حكمة جاشت بمعرفة

وقيل : إن المأمون شرب يوماً ومعه يحيى بن أكثم فمال السّاقى على
القاضي حتى وقع سكرأ، فأمر المأمون أن يلقي عليه الورد والرياحين حتى يدفن
فيها كأنه ميت، وصنع بيتين من الشعر وقال لجاريتته : خذي العود وغني على
رأسه بشعري :

مُرْسَل في ثياب من رياحين
فقلت : خذ، قال : كفي لا يواتيني
فالجارية تغني بالبيتين وقام فقال :

ناديته وهو ميت لا حراك به
فقلت : قم، قال : رجلي لا تطاوعني
فاستيقظ القاضي عند رنة العود

قد جار في حكمه من كان يسقيني
فبتّ منها سليب العقل والدين
الراح يقتلني والعود يحييني

يا سيدي وأمام الناس كلهم
سقاني الراح لم تمزج سلافتها
فخذ لنفسك قاضي إنني رجل

وهي قصة طويلة رواها كما مرّ ابن خلكان^(١).

وفي سنة ثمان ومائتين سار المأمون من بغداد غازياً للروم واستخلف بها
إسحاق بن إبراهيم بن مصعب^(٢) وولاه مع ذلك السواد وحلوان وكور الدجلة

(١) وفيات الأعيان: ١٥٠/٦.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب، المصعبي الخزاعي، أبو الحسن: صاحب الشرطة
ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. وكان وجيهاً مقرباً من الخلفاء، ذا رأي
وشجاعة، استخلفه المأمون على بغداد حين برحها لغزو الروم سنة ٢١٥هـ وأضاف إليه ولاية
السواد وحلوان وكور دجلة. وعقد له المعتصم على الجبال سنة ٢١٨هـ وسيره في جيش كبير لقتال
أصحاب بابك الخرمي فأوقع بهم في أطراف همذان وعاد ظافراً. وحج سنة ٢٣٠هـ فولي أحداث
الموسم. ولما مرض أرسل إليه المتوكل ابنه المعتز يعوده، وجزع المتوكل لموته. مات في بغداد
سنة ٢٣٥هـ.

ولما لبس درعه بكت جارية له وقالت ودموعها على خدّها كاللؤلؤ المنتظم:

سأدعو دعوة المضطرّ ربّاً
لعل الله أن يكفيك حرباً
يثيب على الدعاء ويستجيبُ
ويجمعنا كما تهوى القلوبُ

فضمّها المأمون إلى صدره وأنشد متمثلاً:

فيا حسنها إذ يغسل الدمع كحلها
عشيّة قالت في العتاب قتلتني
وإذ هي تشير الدر منها الأنامل
وقتلي بما قالت هناك تحاول

ثم قال لمسرور الخادم: احتفظ بها وأكرم نزلها

إلى أن أرجع فلولا قال الأوّل:

قوم إذ حاربوا شدّوا مآزرهم
لأقمتُ، ثم لم تلبث أن توفيت.
عن النساء لوباتت بأطهار

وله في مذهبه:

أقسم بالله والائمه
إن عليّ بن أبي طالب
وأنته كان الإمام السدي
يقول بالحق ويختاره
كان إذا الحرب مراها القنى
يمشي إلى القرن وفي كفه
مشي العفريا بين أشباله^(١)
والمرء عمّا قال مسؤولُ
على الثقى والبرّ مجبولُ
له على الأمة تفضيلُ
ولا تدانيه أباطيلُ
فقصّرت عنها البهاليلُ
أبيض ماضي الحدّ مصقولُ
اسلمه المقتنص الغيل^(٢)

ترجمته في:

الكامل لابن الأثير ٧: ١٧ والديارات ٢٢ وفيه طائفة حسنة من أخباره، وعرفه بالطاهري، نسبة إلى عمه طاهر بن الحسين، الاعلام ط ٤/١/٢٩٢.

(١) في هامش ج: «العفريا: من أسماء الأسد».

(٢) نسب صاحب الأغاني البيهقي الأولين للسيد الحميري، أنظر الأغاني ٧/٢٦٧.

والقصيدة كاملة في ديوان السيد الحميري ٣٢١ - ٣٢٣ وتخریجها عن: كشف الغمة ١١٧، ضحى الإسلام ٣/٣٠٨، أعيان الشيعة ١٢/١٤٦، الغدير ٢/٢١٧ - ٢٤٣.

وحكى إن أبا العتاهية^(١) الشاعر المشهور كان يرى رأي الجهمية فسأل المأمون أن يجمع بينه وبين أبي علي ثمامة بن أشرس المتكلم ليقطعه، فقال المأمون لأبي العتاهية: عليك بشعرك، فلم يقبل، فجمع بينهما بحضرته فقال أبو العتاهية: إني أقول أن كلما في العالم من خير وشر فهو من الله ثم حرّك أصبعه وقال لثمامة من حرّك إصبعي؟ قال ثمامة: من أمّه زانية، فقال أبو العتاهية: شتمني يا أمير المؤمنين، قال ثمامة: ناقض الماصّ بظر أمّه^(٢) فضحك المأمون وقال: ألم أقل لك عليك شعرك فلم تقبل منّي! ثم قال لثمامة: ما منعك أن تجيبه برفق؟ فقال: إن خير الأجوبة ما قام بالحجة وشفى الغيظ وانتقم من الجاهل^(٣).

قال البيهقي في المحاسن والمساوي عن بعض أهل الأدب قال: تجارينا الأدب واللغة عند المأمون وكان بجاراً فقال لي: ما أرادت هند بنت عتبة^(٤) في قولها:

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي بالولاء، وقيل عنزي نسباً وولاء، الملقب بأبي العتاهية. ولد بعين التمر سنة ١٣٠هـ وقيل ١٣١ ونشأ بالكوفة، ثم انتقل إلى بغداد. كان له اتصال بالبلاط العباسي. وكان شاعراً مجيداً مكثراً، وهو أحد الثلاثة المكثرين الموجودين - هر والسيد الحميري وبشار - حتى قيل: يكاد يكون كل كلامه شعراً. رماه خصومه وحساده بالفسق والزندقة، وكانت مثل هذه التهم رائجة في زمانه. كل شعره في السنين الأخيرة من حياته في الزهد والوعظ والحكم والامثال.

توفي ببغداد سنة ٢١١ على أصح الروايات. له ديوان شعر حققه د. شكري فيصل وعمل له تكملة، وطبعته جامعة دمشق سنة ١٩٦٥م.

ترجمته في: الأغاني ٣/٤ - ١١٨، أعيان الشيعة ٤٨/١٢، الشعر والشعراء/٦٧٥، طبقات ابن المعتز/٢٢٨، معاهد التنصيص ٢٣٧/١، روضات الجنات/١٠٢، شذرات الذهب ٢/٢٥، الكنى والألقاب ١/١١٨، وفيات الأعيان ١/٢١٩ - ٢٢٦، تاريخ بغداد ٦/٢٥٠، الموشح/٣٩٥، أنوار الربيع ٢/٩٦.

(٢) يا ماصّ بظر أمه، أو يا عاص بظر أمه: سبة درج على ترددها العرب.

(٣) الأغاني ٨/٤ - ٩.

(٤) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف: أم «معاوية» بن أبي سفيان. تزوجت أباه بعد مفارقتها لزوجها الأول «الفاكه بن المغيرة» المخزومي، في خبر طويل من طرائف أخبار الجاهلية. وكانت فصيحة جريئة، صاحبة رأي وحزم ونفس وأنفة، تقول الشعر الجيد. وأكثر ما عرف من شعرها مرثيتها لقتلى «بدر» من مشركي قريش، قبل أن تسلم. وكانت ممن أهدر النبي ﷺ دماهم، يوم فتح مكة، وأمر بقتلهم ولو وجدوا تحت أستار الكعبة؛ فجاءته مع بعض

نحن بنسبات طارق نمشي على النمارق
المسك في المفارق والدرّ في السمخائق

وما طارق ولم يكن عندي علم بما أردت؟ فقال المأمون: أردت نحن
بنات النجم علواً ورفعةً والعرب تسمي النجم الطارق قال الله تعالى: ﴿وما أدراك
ما الطارق النجم الثاقب﴾^(١) فكتب عنه ثم أنشدني قول الشاعر:

أجاعل أنت بيقور مُسلّعة ذريعة لك بين الله والمطر

وقال: ما أراد الشاعر؟ فقلت: لا علم لي، فقال: إن العرب في الجاهلية
كانوا إذا جذبوا وتتابعت عليهم السنون ربطوا في أذنان البقر السلع والعشر
وأعلقوا فيه النار وأصعدوها مكاناً مرتفعاً يتفألون بزعمهم بالبرق والمطر، قال:
فكتبت عنه^(٢).

وحدّث الأصمعي فكتب عني عن المأمون وكان الرشيد لما دنت وفاته عهد
إلى أولاده الثلاثة: محمّد الأمين وإنّما قدّمه على صبوة فيه لهوى أمّه زبيدة بنت
جعفر وبعده المأمون، ثم المؤتمن واسمه القاسم، وباع لهم الجند، وكتب عهداً
بذلك رصّعه بالجواهر، ثم حجّ وهم معه فباع لهم الناس بالموسم وفرّق
الأموال، وعلّق العهد على الكعبة وأمر السدنة أن يقرأوه على الناس كل سنة.
ولما صدر من حجّه خرج إلى مدينة طوس وهو عليل ليحارب رافع بن الليث

= النسوة في الأبطح، فأعلنت إسلامها، ورحب بها. وأخذ البيعة عليهن، وكان لها صنم في بيتها
تعبده، فلما أسلمت عادت إليه وجعلت تضربه بالقدوم حتى فلذته، وأخبارها كثيرة، توفيت سنة
١٤هـ.

ترجمته في:

طبقات ابن سعد ٨: ١٧٠ وخزانة البغدادي ١: ٥٥٦ والروض الأنف ٢: ٢٧٧ ونهاية الأرب
للنويري ١٧: ١٠٠، ٣٠٧، ٣١٠ وأسد الغابة ٥: ٥٦٢ والإصابة، كتاب النساء: ت ١١٠٣
والاستيعاب، بهامشها ٣: ٤٠٩ والدر المنثور ٥٣٧ ومجمع الزوائد ٩: ٢٦٤ وفي قصتها مع
«الفاكه بن المغيرة» وسماء ابن سعد «حفص بن المغيرة» في المردفات من قريش، نوادر
المخطوطات ١، «... كانت عند الفاكه بن المغيرة، فقتل عنها بالغميصاء، في الجاهلية، ثم
خلف عليها حفص بن المغيرة، فمات عنها، فتزوجها أبو سفيان». ورغبة الأمل ٣: ٧٨
والأغاني، طبعة الساسي: أنظر فهرسته، الاعلام ط ٩٨/٨/٤.

(١) سورة الطارق: الآيات ١ - ٢.

(٢) المحاسن والمساوي.

فظفر به وقطعه أربع قطع وكانت علته الدبيلة، وابتدأها ببغداد، فمات بطوس يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٣ وكان قد ولي المأمون خراسان وشرط على الأمين أنه يقرّه ولا يغير عليه، فجعل الفضل بن الربيع بن يونس يُحسّن للأمين خلع المأمون وأن يعهد لولده موسى وكان طفلاً فمال على ذلك وخلع المأمون وعهد إلى ولده موسى ولقبه المظفر وكتب اسمه على السكة والطراز وكان يكتب عليهما:

كَلَّ عَزَّ وَمَفْخَرٌ فَلَـمُوسَى الْمَظْفَرُ
مَلِكٌ خَطَّ ذَكَرَهُ فِي الْكِتَابِ الْمَسْطَرِ

وكتب إلى المأمون: إنه يقبل إليه قبل الخلع المذكور فكتب إليه المأمون يتعلل فلم يقبل منه إلا الوصول ولم يفعل المأمون، ولما يش منه أظهر خلعه. وولاية ولده فكتب المأمون يذكره العهد والميثاق فلم يرجع.

ثم بعث الأمين علي بن عيسى بن ماهان من بغداد في مائة ألف فارس وعشرين ألفاً في أبهى العدد والسلاح المحلّي وكان عند المأمون نحو عشرة آلاف فارس فحارّ وهمّ بالطاعة أو بالهرب إلى خاقان ملك الترك ثم ثبت.

وذكر الشيخ أبو جعفر القمي في عيون أخبار الرضا عليه السلام: أن المأمون قال: لقد هممت بالهرب إلى خاقان فلم آمنه وقلت: كافر يبعث إليه أخي بالأموال فيهديني إليه فصمت ثلاثة أيام وأحييت لياليها صلوة ودعاء وأعطيت الله عهداً لئن نصرني على المخلوع لأخرجن الخلافة عن بني العباس إلى بني علي فنصرني الله فوفيت بما عاهدته، وكان هذا أحد أسباب بيعته لأبي الحسن الرضا عليه السلام فعقد لواء جيش المأمون الفضل بن سهل وكانوا أربعة آلاف فارس مع طاهر بن عبد الله الخزاعي - كما أشرنا إليه في أول الكتاب - وشيخ المأمون طاهراً وخرج بالجيش، وكان المأمون قد لقب نفسه الداعي إلى الحق.

فلما تقارب الجيشان أشرف طاهر على جيش الأمين من عقبه هناك وقد نزلوا يتغدون ببعض المروج، فإذا المروج يموج بهم وقد لمعت السيوف بحلاها والعدد المذهبة فهي تغشي البصر، فقال لأصحابه: لا طاقة لنا بمقاتلة هذه العساكر ولكن اجعلوها خارجية، ثم كردس خيله أربعة كراديس وحملوا حملة رجل واحد، وقصد طاهر خيمة علي بن عيسى الأمير وهو يتغدى فأنتهى إليه فقتله بسيفه، فلما قتل انهزم عسكره وفظر بهم طاهر وثاب عامتهم إليه وأدبرت دولة

الأمين وندم، ولما وصل خبر الفتح بهزيمة علي بن عيسى ومعها رأسه تسمى المأمون بالأمامة وقد كان الأمين أرسل مع علي بن عيسى بقيد ذهب ليقيد به المأمون بزعمه، وانتهى طاهر إلى الأهواز، فثار بعض آل المهلب بالبصرة فخلع الأمين ودعى إلى المأمون، ثم نزل طاهر على بغداد فحاصرها ورمها بالمجانيق، وقاتل عامة أهل بغداد مع الأمين قتالاً لم يسمع بمثله، وطال الحصار نحو ثلاثين شهراً حتى أكلوا الجيف، وأنفق الأمين خزائن الدنيا، وقيل: إن الأمين سمع الهيعة يوماً حول قصره فسأل عنها فقبل هؤلاء الجند يطلبون أرزاقهم، فقال: أراحني الله منهم فإن الجميع أعدائي، هؤلاء يريدون مالي، وأولئك يريدون دمي، وكان وزيره الفضل بن الربيع قد جعل لكل من يُجرح في الحرب من أهل بغداد مائة دينار فجاءه منهم رجل بجرح يطلب الجعل، فقال له الوزير: هذا جرح صغير لا تستحق عليه شيئاً فرجع إلى القتال، فطعن في بطنه فخرجت حشوته فرجع إلى الوزير وحشوته أمامه، وقال: أعجبك هذا؟ فضحك، وأعطاه مائة دينار وأمر الطبيب بعلاجه.

ثم اختفى الفضل حتى دخل المأمون إلى بغداد فأمنه وقيل: خرج كوثر غلام الأمين وكان بديع الجمال ليرى الحرب فرمي بحجر في رأسه فرجع إلى الأمين ودمه يسيل فجعل الأمين يمسح الدم عن وجهه بيده ويقول:

رجموا قرة عيني ومسن أجلي رجموه
أخذ الله لقلبي من أناس أحرقوه

وقال لأبي علي الحسين بن الضحّاك المعروف بالخليع^(١) أجزهما فقال:

(١) هو أبو علي الحسين بن الضحّاك، المعروف بالخليع، خراساني الأصل. ولد بالبصرة سنة ١٦٢ هـ. كان اتصاله بالأمين بن الرشيد وثيقاً وله فيه مدائح كثيرة، ولما قتل الأمين أكثر من رثائه. وقيل دخول المأمون بغداد ارتحل الحسين إلى البصرة وانزوى فيها، فلم يتعرض المأمون له بسوء. استقدمه المعتصم في أيامه إلى بغداد وقربه، ولم يزل مع خلفاء بني العباس إلى أيام المستعين. كان خليعاً ماجناً، متفنناً في الشعر، له معان مبتكرة، قيل أن أبا نواس كان يأخذها عنه. توفي سنة ٢٥٠ هـ.

ترجمته في: الأغاني ٧/١٦٣ - ٢٤٥، الكنى والألقاب ٢/٢٠٠، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢/٩١، وفيات الأعيان ٢/١٦٢ - ١٦٨، شذرات الذهب ٢/١٢٣، وفيه أنه توفي سنة ٢٥١، تاريخ بغداد ٨/٥٤، طبقات ابن المعتز/٢٦٨، معجم الأدباء ١٠/٥ - ٢٣، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/٢٠، حديث الأربعاء ٢/١٧٣، أنوار الربيع ٤/٦٠ هـ.

من رأى الناس له الفضل على عليهم حسدوه
مثلما قُدْحَسِدَ القفا ثم بالملك أخوه

وسبب هذا البيت غضب عليه المأمون وجفاه، وقيل: كان الأمين يوماً في
بستانه فعلت الضجة، فدخل عليه الحاجب فقال: إن طاهر قد ملك الجانب
الفلاني من بغداد، فقال: دعوني إن كوثرأ قد صاد سمكتين وأنا لم أصد شيئاً.

وحكى إبراهيم بن المهدي قال: استدعاني الأمين ليلة وقد اشتد به
الحصار، فقال: إني دعوتك لتؤنسني ثم أخذ بيدي فصار إلى بستانه على الدجلة
في ليلة مقمرة فقال: أما ترى حسن نور هذا القمر وصورته في الماء؟ قلت: بلى
يا سيدي، ودعوت له، فقال: هل لك في الشراب؟ قلت: ما رأى أمير
المؤمنين، فدعى به واستدعى ثلاثاً من جواريه المغنيات فشربنا ثم قال لأحدهن:
غني فغنت:

كليبٍ لعمري كان أكثرنا صراً وأيسر ذنباً منك ضرج بالدم
رمى ضرع نابٍ فاستقل بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم
قلت: وهو للنايعة، فتطير ووجم. وقال: قومي، ثم التفت إلى الثانية
وقال: غني، فاندفعت فغنت:

لهفي على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شاؤوا
ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء
أبكى فراقهم عني وأزقها أن التفرق لأحاب بكاء

فتطير أعظم من المرة الأولى، وقال: قومي عليك غضب الله، ثم التفت
إلى الثالثة فأمرها بالغناء فحبست عودها بقول مضاض بن عمرو الجرهمي^(١):

(١) مضاض بن عمرو بن نفيلة الجرهمي: من ملوك العرب في الجاهلية. كان محباً للغزو، كثير
المعارك، مقيماً في الحجاز، تابعاً لليمن. وكان قبل الميلاد بزمن بعيد. ويقال: إن إسماعيل
النبوي تزوج بنته وجميع ولد إسماعيل منها. ويؤخذ من رواية نقلها الزبيدي أنه كان معاصراً لعمرو
مزقياً. وفي مخطوط لأحد النقلة من المتأخرين ما يفيد أن مضاضاً كان يحكم أعلى مكة ويأخذ
«العشور» ممن يدخلها من تلك الجهة.

ترجمته في:

التيجان ١٧٨ و ١٨٠ وأخبار ابن عبيد ٣١٥ وفي التاج للزبيدي ٥ : ٨٧: «... وفهيرة بنت عامر بن =

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامرُ
بلا نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود الغوابرُ

فتغيّر وجهه وضرب صدرها برجله فانكسر عودها، وقامت فعثرت بكأس
بلور مرصع فكسرتة، فالتفت إليّ وقال: يا عمّ رأيت أعجب ممّا نحن فيه، والله
ما أظنّ أمري إلاّ قد قرب، قلت: بل يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ويقتل عدوه،
فسمعنا صارخاً من دجلة لا نرى شخصه يقرأ ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(١)
فقال: أسمعت، ما أرى أمري إلاّ قد قرب، قلت: سمعت شيئاً، وكنت سمعت
لكن أردت أن لا أزيده وحشة، ثم قام منكسراً فما مرت ثلاثة أيام ألا وأسر وقتل.

وكان سبب أسره أنّه ضاق صدره لضيق الحصار الطويل، وقلة الأموال،
وفناء الأجناد، فكاتب طاهراً أنّه ينزل على حكم المأمون فأبى إلاّ أن ينزل على
حكمه، فتركه وكاتب هرثمة بن أعين أحد القواد الخراسانية - وكان نازلاً بعسكره
في الجانب الغربي - فقبل كلامه وعزم على إرساله إلى المأمون فخرج الأمين في
جوف الليل وركب زورقاً ليعبر فيه إلى هرثمة، وكان طاهر قد جعل الحرس في
الدجلة خوفاً أن يفرّ الأمين إلى الشام فيعظم الخطب، فأحسّ به أصحاب طاهر
فقصدوا زورقه فقاتلهم غلمانهم فقلبوها عليهم فغرقوا، وكان الأمين سابحاً فعبّر
سباحة إلى الجانب الشرقي فتلقاه أصحاب طاهر فشمّوا منه ريح المسك فعرفوه،
وأتوا به إلى طاهر في جوف الليل، فسجد وأمر بحبسه في بيت، وخرج بنو
العباس والوجوه إلى طاهر فبايعوه للمأمون وصاح بالأمان فهدأ الناس.

وحكى ابن بدرون المغربي في «أطواق الحمامة شرح قصيدة ابن عبدون
البسامة» عن بعض أصحاب طاهر قال: كان طاهر حبسني في جناية وتهدّدني
بالقتل، فبينما أنا في الحبس في جوف الليل إذ سمعت حركة الأقفال فلم أشك أنّه
القتل، فدخل عليّ شابّ حسن الجسم، أبيض اللون، عريان ليس عليه إلاّ
سراويل ثم أغلقت الأبواب فدنا إليّ مرتاعاً فقرب منّي وقال: ادن مني لأستأنس
بك وتخفّف وحشتي، فدنوت منه وهو يرتعد، فلما سكن قلت: جعلت فداك من

= الحارث بن مضاخر، هي أم عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن عمرو مزقياء. وفي مسودة تاريخ مكة
- خ: كان مضاخر الجرهمي يعشر من يدخل مكة من أعلاها، والسميدع (؟) يعشر من يدخل من
أسفلها، ولا يدخل أحد منهما على صاحبه، الاعلام ط ٤/٧/٢٤٩.

(١) سورة يوسف: الآية ٤١.

أنت؟ قال: أنا محمد الأمين، فحادثته وهونت عليه الأمر فأنس إليّ، فلما انتصف الليل سمعنا حركة الإقفال فدخل علينا سبعة من العجم الخراسانية بأيديهم السيوف مشهورة فقصدوا الأمين فأخذ وسادة كانت هناك وضربه أحدهم فتلقى السيف بها، ثم واثب الرجل فصرعه وقعد على صدره فصاح بالفارسية: قتلني فركب بعضهم ظهر الأمين وأخذ السيف وذبحه من قفاه وخلصوا صاحبهم، وأخذوا رأس الأمين محمد وخرجوا وخرجت معهم، ثم أمر طاهر برأسه فنصب بعض يوم على جسر بغداد وبعث به وبالبردة والقضيب والخاتم إلى المأمون وكتب إليه قد بعثت إليك بالدنيا والآخرة.

وكان الأمين بديع الجمال أبيض طويلاً لم يرَ مثل جماله، وكان أبو نواس مغرمًا به، وكان أيداً، شديد القوة، ولما دخل المأمون بغداد بعد قتل الأمين أنشدته أمّ الأمين زبيدة، قيل إنّه من شعرها، وقيل: بل هو لأبي العتاهية قاله على لسانها:

ألا إنَّ ربَّ الدهرِ يُدني ويبعدُ	ويقبح بالإتلاف حيناً ويحمدُ
أصابَ برَّيبِ الدهرِ منِّي يَدِي يَدُ	فسلمتُ للأقدارِ والله أحمَدُ
وقلتُ لربِّ الدهرِ إنَّ ذَهَبَتْ يَدُ	فقد بقيت والحمدُ لله لي يَدُ
إذا بقي المأمونُ لي فالرشيدُ لي	وَلِي جعفرٌ من بعده ومحمدُ ^(١)

فرق لها وبكى بكاء شديداً ولعن طاهر ومقته.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني: أن الرشيد أهديت إليه جارية بارعة الجمال والكمال فخلى معها يوماً للاصطباح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة في الشراب نحو ألفي جارية في أحسن زيّ من أنواع الملابس والحلي، واتصل الخبر بأمّ جعفر فغلظ عليها ذلك، وأرسلت إلى عليّة بنت المهدي الشاعرة الأديبة تشكو ذلك إليها فأرسلت عليّة إليها: لا يهولتك ذلك، فوالله لا أردنه إليك، وقد عزمت أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جواربي، فوجهي لي بجميع جواريك ليأخذن الصوت مع جواربي، ففعلت ذلك أمّ جعفر، فلما جاء وقت صلوة العصر لم يشعر الرشيد إلاّ وعُليّة وأمّ جعفر قد خرجتا عليه من حجرتيها ومعهما نحو ألفي جارية من جواريهما ومن سائر جوارى القصر عليهن غرائب

(١) الأغاني ٣١٧/٢٠.

اللباس، وكلهن يغنين في لحن واحد هزج صنعته عليّة وهو:

مسنفصل عَنِّي وما قلبي عنه منفسل
يا قاطعي اليوم لمن أنويست بعدي أن تصل

فطرب الرشيد حتى قام على قدميه فتلقاهما وهو على غاية من السرور وقال: لم أر كالיום سروراً قط، وقال لمسرور لا تبقين في بيت المال درهماً إلا نثرته فكان مبلغ ما نثر يومئذ ألف ألف درهم ما سمع بمثل ذلك اليوم قط^(١).

وحكى بعض الأخباريين: أن المأمون لاعب أم جعفر بالشطرنج بعد قتل الأمين فماراها فقالت: لعن الله المرا فهو أكلني ولدي فقال: وكيف ذاك؟ قالت: جلست مع الرشيد ألاعبه الشطرنج فتماريننا في بعض اللعب فحكمته أن غلب وحكمني أن غلبت، فلم يلبث أن غلبني فحكم أن أتجرّد من ثيابي وأمشي عريانة مقبلة ومدبرة إلى أقصى الأيوان، فاستعفيت وسألته غير ذلك فلم يعفني فمشيت مقبلة ومدبرة ثم عاودنا اللعب، فغلبته وأخذت بيده ودرت به القصر حتى أوقفته على أقبح جارية فيه، فقلت: حكمي أن تجامع هذه على هذه الحال التي هي فيها فاستعفاني، فلم أقبل ولم أبرح حتى جامعها، فعلقت ثم جاءت بك فائكلتني ولدي فعجب المأمون.

وأنا أرى ان هذه الحكاية بعيدة وإن كانت ممكنة فبعيد أن تستقبله بهذا الذم الشنيع.

وبالجملة: فكان المأمون من كبار الأدباء والعلماء والعدلية وقد قدمنا ما قيل عنه في الرضا عليه السلام وكانت وفاته بمدينة طرسوس من بلاد الشام صادراً عن غزاة الروم. قيل إنه مرّ بنهر البديدون فرأى صفاه فاغتسل فيه واصطاد مئة سمكة وكان الزمان شاتياً فحمّ من ساعته فحمل إلى طرسوس فمات بها وقيل مات بالحوانيق فلما قرب موته أمر ففرش له رماد فاضطجع عليه وكشف رأسه وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه إرحم من قد زال ملكه حتى مات، وهذه توبة نصوح. وكانت خلافته عشرين أو إحدى وعشرين سنة.

وتوفي يوم النيروز لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان مائة عشرة ومائتين سامحه الله.

(١) الأغاني ٢١١/١٠.

أبو محمد عبد الله بن محمد الكاتب الأصبهاني الشهير بابن الخازن
الشاعر المشهور^(*).

فاضل ينظم اللؤلؤ والياقوت من سجعه، وينثر النضار الخالص المطبوع
بطبعه، صيرت همزيتته البوصيري في صغد، ولو سمعها عمرو بن كلثوم خرّ
لاستنشاق ريحانها وسجد، وإنما عرف بالخازن لأنه كان خازناً للصاحب أبي
القاسم كافي الكفاة إسماعيل بن عبّاد، وكاتبنا له.

وكان شاعراً مجيداً وله في الصحاح غرر القصائد ومن محاسنها اللامية.
قال أبو القاسم الزعفراني: عهدي بأبي محمد بن الخازن ينشد قصيدته التي
أولها:

«هذا فؤادك نهياً بين أهواء»

وكان الصحاح في صدر مجلسه، فما أتمّها إلا وقد زحف إلى طرف
البساط طرباً لما يسمع من حسنها وأولها:

هذا فؤادك نهياً بين أهواء
هواك بين العيون النجل منقسم
لا تستقر بأرض أو تسير إلى
يوماً بحزوى ويوماً بالعقيق وبال
وتارة تنتحي نجداً وأونة
وكم تهيم بسعدى برهةً وإذا
صبية الحي لم تقنع بها سكناً
قالوا بغانية واصلت غانية
ما كل مرعى كسعدان وكل فتى
ما مثل رامة دار في الديار ولا
وذاك رأيك شورى بين آراء
داء لعمرك ما أبلاه من داء
أخرى بشخص قريب عزمه ناء
عذيب يوماً ويوماً بالخليصاء
شعب العقيق وحيناً قصر تيماء
هويت عزة تبغي وصل عفراء
حتى هويت صبايا كل أحياء
فقلت حزم وود الماء بالماء
كمالك لا ولا ماء كصداء
مثل الرباب حبيب في الأحباء

(*) ترجمته في: يتيمة الدهر ٣/٣٢١ - ٣٣٥، معاهد التنصيص ٢/٢٠٦ وفيهما اسمه: «عبد الله بن أحمد الخازن»، أنوار الربيع ١/٥٧ وفيه اسمه: «عبد الله بن محمد بن أحمد الخازن».

وما يطيب الهوى إلا لمنفرد
 أما رأت عينه اسماء واحدة
 أدعاً بأسماء نبزاً في قبائلها
 تود كلّ النفوس أن تصير لها
 ثنت أناملها عني وقد دُميت
 ألقيت شعري فألقت شعرها طرباً
 والغور أرض أودائي وأجرعه
 أخبت هواجر قلبي كلّ هاجرة
 وشيّعتني نفس حرة فجعت
 عفت العراق فعُداني قرا سرح
 ورمت بلغة عيش لا ينغصها
 وليس تعجب يوماً أنني رجل
 فليس بيني وبين الدهر غير قلا
 ومهمّ مثل ظهر الترس متصل
 من كل قفر يباب يبره سدم
 أسير في فتية زهر وجوههم
 من كل ندب إلى الهيجاء ومبتدر
 وكلّ يعملة خطاره أحد
 ترمي الفلاة بهم سهلاً إلى جبل
 وكنت في ظما عيس فانتفيت إلى
 والبحر يعفى عن الحسني الركيّ ولم
 ومن مشهور مديحها:

نعم تجنّب لا يوم العطاء كما
 قلت: لو طار الصّاحب طرباً لهذه القلادة التي هي أحسن من جناح
 الطاووس قبلغ النسر الطائر لما أبعد، ولعمري أنها تسلب الحجر بزخرفها، وتهزم
 كالشمس ظلم الهموم من سدّتها، وفيها من الأمثال السائرة، والألفاظ الميحطة
 بالإحسان الدائرة، ما يعلم به حسن اختيار الصّاحب، وعلمه بالكافي الكاتب،
 فهي أحسن همزية على الإطلاق.

بالحبّ نابٍ عن العذال آباء
 وقد ثوت في فؤادي بالسويداء
 كأن أسماء أضحت بعض أسماء
 فداً فدتها إذا نفسي وحبّاء
 من مهجتي فادّعتها وشمّ حنّاء
 فالفيا بين أصبح وأمساء
 ملاعبي حبّذا أرض الأوداء
 فالجمر قلبي والرمضاء أحشائي
 بالماء في حرّة كالنار رجلاء
 ميلاً عن جانب الزوراء زوراء
 ضيم يعود بإقناع وإقناء
 أرى الأذلاء موتى غير أحياء
 وناقية ذات اقتاب وأحناء
 ببلدة مثل ظهر الرمح روحاء
 ضمى الدلاء مظللّ للأدلاء
 من الكرام الأصدقاء الأشداء
 وكلّ شهم إلى العلياء رقاء
 تحدي بأعيف حذاء وعداء
 كأنه مقلّة ترمى بأقذاء
 بحر يقلقل أضمائي بأرواء
 أكن لأبرد أحشائي بأحساء

تجنّب ابن عطاء لفظة الرءاء
 تجنّب ابن عطاء لفظة الرءاء
 تجنّب ابن عطاء لفظة الرءاء



والحرّة: الأرض ذات الحجارة السود، ورجلاء: قامت على أرجل وهو من البهائم ما يكون أحد أرجليه بيضاء يريد حجارة إحدى جانبيها أبيض. والأرجل من بني آدم: عظيم الرجلين.

والجسني بكسر الحاء وإسكان السين المهملتين ثم ياء مثناة من تحت: واحد الاحساء وهي آبار تحفر في الرمل وفي بطون الأودية، وبها سميت الإحساء المدينة المشهورة بناحية البحرين لكثرة هذه الحفائر بها. والرّكي، الدلو: ومن أسمائه الذنوب.

ومن شعره أيضاً وهو بديع [من الكامل]:

بلغ المدا وتجاوز ^(١) الحدُّ	حَثَّ المسطي فهذه نجد
لو كان ينفع حبّذا نجدُ	يا حبّذا نجد وساكنها
قد ظلّ حيث الظّال والرندُ	وبُمنحني الوادي لنا رشاً
ما لا ترى بسيفها الهندُ ^(٢)	هند ترى بسيف مقلتها

وذكر الثعالبى في اليتيمة ممّا يتغنّى به من شعر أبي محمّد الخازن:

حلفوا لي أن لا يخونوا فخانوا	لا لعمري ما أنصفوا يوم بانوا
جمع الله شملهم حيث كانوا ^(٣)	شتتوا بالفراق شملي ولكن

ومر شعره من جملة قصيدة [من البسيط]:

حر الكلام وتستخدم له الفكرُ	لا يحسن الشعر ما لم تسترق له
وإنما بالمعاني تعشق الصور	انظر تجد صور الأشعار واحدة
وهم قليلون إن عدوا وإن حصروا	والمعدّمون من الإبداع قد كثروا
أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا ^(٤)	قوم لو أنّهم أرتاضوا لما قرضوا

يعني أن وجودهم كعدمهم. وقد عدّ من المطالع المشعرة بالمقصود قوله

(١) في يتيمة الدهر: «وتزايد».

(٢) يتيمة الدهر ٣/٣٢٦.

(٣) لم أعثر عليها في اليتيمة.

(٤) يتيمة الدهر ٣/٣٢٥.

يهنيّ الصاحب بولد حصل له من ابنته ووالده علويّ [من البسيط]:
بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا^(١)
قلت: ما بعد بشرى والإقبال زيادة على الأشعار بتهنئة بالولادة للأذهان
القابلة.

قال أهل البديع: الشاعر يلحن بما بنى قصيدته له في أوّل النسيب أو
الحماسة بحيث يلوح قصده للذكي ولا يصرّح، ولا زيادة على قول أبي تمام
يمدح الإمام المعتصم بالله بفتح عمورية ويذكر عزمه مخالفاً للمنجمين:
«السيف أصدق أنباء من الكتب»^(٢)

وقد ذكرت شيئاً منها فيما مضى، ويعجبني قول الشيخ إبراهيم الهندي
يرثي:

بني الدهر ما هذا الذي فعل الدهر أمات أمير المؤمنين أم الحشر
وربما يزل الأديب الكامل في هذا الحرف كأبي محمّد إسحاق الموصلي
فإن المعتصم بالله عمّر قصرأ ثم انتقل إليه فكان أوّل من أنشده إسحاق يهنيّه لقربه
منه فإنه طيب روحه فقال:

يا دار غيّرك البلا ومحاك يا ليت شعري ما الذي أبلاك
فتغيّر وجه المعتصم وقام من فوره وأمر بخراب القصير، ما كان أحقّ
إسحاق مع أدبه بقول أشجع السلمي يهنيّ الرشيد بعمارة:

قصرٌ عليه تحية وسلامٌ خلعت عليه جمالها الأيام^(٣)
والشيء بالشيء يذكر، وممن استفتح الهجاء بالنسيب المشعر به القاضي
الأديب شرف الدين الحسن بن علي بن جابر الهبل^(٤) رحمه الله ولست أعني أنّه
أوّل من صدره فإنّ البحري هجا أبا الجيش أحمد بن طولون بقصيدة أولها:

بعينيك إعوالي وطول شهيقني

(١) كاملة في يتيمة الدهر ٢٣٦/٣.

(٢) البيت لأبي تمام، والقصيدة كاملة في ديوانه ١٤ - ١٨.

(٣) الخبر والمقطوعة كاملة في الأغاني ١٨/٢٢١ - ٢٢٢.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

بل إن القاضي أشعرَ بالمقصود في قصيدة أولها:

إن كان طولُ الثَّنائي عنكَ يُسليهِ
تَسَلُّ سَقامي فإنَّ السُّقم يخفيهِ
لا تأخذِ الماءَ إلا من مجاريهِ
عَنْ عاذلي ودموع العين تبديهِ!
وزادَ حتَّى تمادى في تماديهِ
بكلِّ سَهْمٍ مِنَ الأحداثِ تَبْرِيهِ
حَظِّي لَكُنْتُ بِهَذَا الدَّهرِ أَفديهِ
ولا سَقاهُ مِنَ الوِسمي ساريهِ^(١)
لِلْمالِ فِيهِ فيوفِينا ونُوفيهِ؟
مَنْ لَوْ هَجوتُ لأرْحَضْتُ الهِجاءِ فِيهِ!
أَلْبَسْتُهُ لِشَقائِي غَيْرَ أَهْلِيهِ!
أَطْلَعْتُ فِيهِ نَجوماً مِنْ معانيهِ
اللهِ مِنْ أَعْيُنِ السَّوَالِ يَحْمِيهِ!
بِاللهِ «فِي دِرْهَمٍ ما كانَ يُعْطِيهِ»^(٢)
ولا الهِجاءَ عَنِ الحِرمانِ يُثْنِيهِ
لَهُ جِناحانِ مِنْ كِبَرٍ، وَمِنْ تِيهِ
ولا وِفاءَ إِلى المَعروفِ يَهْدِيهِ!
كَأَنَّهُ طائِرُ قُصَّتْ خِوافِيهِ»^(٣)

لا نالَ مِنْكَ فِؤادِي ما يُرْجِيهِ
سَلَّ الصُّبابَةَ عَنِ جِسمي السَّقِيمِ، ولا
ولا تَسَلُّ غَيْرَ طِرفِي عَنِ مَدامِعِهِ
أَشكو إِلى الله وَجِداً كُنْتُ أَكْثَمُهُ
وَخاطِراً قَدَ تَمادى فِي غِوايَتِهِ؛
وَصَرَفَ دَهرِ أَصابَتني حِوادِثُهُ
سُقياً لِذَهرِ مَضَى لو كانَ ساعِدني
هَذَا الزَّمانُ الَّذي لا كانَ مِنْ زَمَنِ
فأينَ مَنْ يَسْتَحِقُّ المَدحَ مُبْتَدِلاً
لَهْفِي عَلى غُرِّ أَبْيائِ مَدَحْتُ بِها
لَهْفِي عَلى ثوبِ عِزِّ نَشْرِهِ عَطرُ؛
وأفوقَ نَظْمِ تَذيبِ الصَّخَرِ رِقَّتُهُ
حَبْرَتُهُ فِي بِخيلِ نَقشِ دِرْهَمِهِ؛
لو جَاءَهُ «المُصْطَفى» مُسْتَشْفِعاً «بأَميرِ
لا المَدحُ يُغْريهِ بِالإعْطاءِ لِسائِلِهِ،
أزْهى مِنَ الدِيكِ؛ إِذْ يَمْشِي عَلى صَلْفِ
لا عَقلِ فِيهِ، ولا جِلْمِ ولا أدبِ،
يَرومُ شَأوَ العُلَى؛ والبِخْلُ يُقْعَدُهُ

وهي طويلة، وكل بيت أغرب مما قبله ولم يسمع له في هجاء حي غيرها.
ومن مطالعه المشعرة يهتي الحسين بن مطهر الجرموزي^(٤) بنزول زوجته إلى
عتمه:

(١) الوسمي: مطر الربيع الأول.

(٢) المصطفى: رسول الله ﷺ. وأمين الله: جبريل عليه السلام.

(٣) الشاؤ: السبق. والخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت.

القصيدة كاملة في ديوان الهبل ٤٦٧ - ٤٦٩.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٦٣.

وفت لك ذات المبسم العذب بالوصل ووافت على طول التباعد والمطل
ومن شعره الشبيه بالسحر قوله يهتئ السيد أبا الحسن إسماعيل بن محمد
المذكور في الهمزة^(١) بقدمه من العدين إلى صنعاء:
طائر اليمن بالوصل استهلاً ألف أهلاً بالواصلين وسهلاً
وهذا باب واسع، والاختصار مقصودنا والله يعين بمنه وكرمه.

[٩٥]

السيد فخر الدين عبد الله بن علي الحسني الصنعاني الشهير بابن
الوزير^(*) ويعرف بعبدته بإضافته إلى الضمير.

فاضل صاغ من المعاني ما تختمت به أنامل الأدب، فأصبح يقال لشعره

(١) ترجمه المؤلف برقم ٣٠.

(*) عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن السيد صارم الدين
إبراهيم - صاحب البسامة - بن محمد بن عبد الله بن الإمام الهادي بن إبراهيم بن علي بن
المستضيء بن المفضل بن المنصور بن محمد العفيف الملقب بالوزير بن المفضل بن الحجّاج بن
عبد الله بن علي بن يحيى بن القاسم بن الإمام يوسف الداعي بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد
بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن
إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. «هكذا ورد نسبة في نشر العرف ٢ /
١١٣ - ١١٤».

مؤرخ، أديب، يمني، من رجال الإفتاء، له شعر. مولده بصنعاء سنة ١٠٧٤هـ ووفاته فيها سنة
١١٤٧هـ. من كتبه «طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى - خ» في شسترتي (٤٠٩٧) والمتحف
البريطاني (٣٦١٩) ومنه نسخة كتبت في حياته (سنة ١١٤٥) في المكتبة العقيلية بجازان، جعله
تاريخاً للحوادث من سنة ١٠٤٦ إلى سنة ١٠٩٠هـ، و«جامع المتون في أخبار اليمن الميمون -
خ» في مكتبة الجامع بصنعاء (الرقم ٦٣) أوراقه ١٦٣ هذب فيه «أنباء الزمن في أخبار اليمن»
ليحيى بن الحسن. و«نفع العبير» في سيرة شيخه علي بن يحيى البرطي، و«أقراط الذهب في
المفاخرة بين الروضة وبثر العزب - خ» و«ديوان شعر».

ترجمته في:

البدر الطالع ١: ٣٨٨ - ٣٩٠ وتحفة الإخوان ٥ والبعثة المصرية ٤١ ومراجع تاريخ اليمن ١١٢،
واليمامة: العدد ١٧٤، الاعلام ط ٤/٤/١٠٧، طبقات الزيدية للسيد إبراهيم بن القاسم بن
المؤيد - خ -، السفينة لإسحاق بن يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل، نفحات العبير - خ -،
ذوب الذهب - خ - تاريخ عبد الرحمن الذهبي الدمشقي، نشر العرف ١١٣/٢ - ١٣٤.

وعلمه حدّث عن البحرين ولا عجب، أشاع الجد حليته ما بين بنيه فاشتهر، وقال
الأدب لذويه إذ أرضاه هذا الإمام المنتظر.

وهو من أعيان سادة العصر بصنعاء وعلمائهم، وأخذ العلم عن القاضي
أوحد الزّمان جمال الدين علي بن يحيى البرطي وغيره من أهل صنعاء وله ذهن
يتوقّد.

وألف «إرسال الذّوابة في الفرق بين القرابة والصّحابة»، وسمعت أنّ له
كتاباً ذكر فيه مناقب شيخه وشيخنا السيد إمام المعقولات والطريقة الصوفية
الحسن بن الحسين رحمة الله عليه، وله شعر كالصارم، يخفض المنتصب أو
يسكّنه إسكان الجازم، فمن ذلك:

لي صاحب أمنحه راغباً ما رام إلاّ وصل أحبّابي
إن ذقت كاسات الهوى حلوة فليشرق الصاحب والصابي

أجاد وأحسن، وإستحقّ الفضل على جعفر بن المطهر الجرموزي - المذكور
في الجيم^(١) - لقوة الترشيح هنا وقوة السبك، وله أيضاً:

لما سكرت بريق من أحببته حتى كأنني شارب لمعتني
بالغت في وصفي محاسن ثغره حتى وضعت رسالة في المنطق

قلت: من رُزق التهذيب لم يخف عليه شرح هذه الرسالة في المنطق، وله
أيضاً:

يغالطني من بعد أن طال هجره وطلّ دمي منه بأحور أحوم
أقول له: عن ذاك خدك قد روى فقال: روى عن عندي ليس عن دم
ونقلت من خطه له:

لعمرك لو ذقت خمر اللّما ودارت عليك أباريق ريقني
لقلت مقالة ذي نشوة رأيت العذيب ووادي العقيق

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤١.

في هامش ج: «أشار المؤلف رحمه الله إلى قول السيد [جعفر بن] المطهر الجرموزي:
فأشبّهت أعطاف أحبّابي
وما صبا قلبي صبا صاحبني
أها على الصاحب والصابي».

وله وهو معنى غريب:

عابوه لَمَّا أن تبدت صفرة
ما ذاك من ألمِّ ألمِّ وإنما
في خدّه الممتورّد المصقول
كثرت انتظار الخدّ للتقبيل

ومما يعجبني من شعره عقيب قتل زيد بن علي الجملولي الأهنومي، وكان يدعي التنجيم فسار في وقت سعيد بن عمه فقتله سعد الذابح:

من بعد ما عاينت زيدا لا أرى
مسراة في سعد السعود فلم غدا
قول المنجّم غير زورٍ فاضح
من صيحة في كفّ سعد الذابح

ونقلت من خطّه لنفسه في مديح السيد العلامة ضياء الدين أبي محمّد زيد بن محمد بن الحسن^(١)، وذكر أنّه نظمها في ذي القعدة سنة أربع ومائة وألف.

ملاً الكاسات صرفاً واحتسا
فتعاطينا كؤوساً أفصحت
وسقاني من كميتٍ سبحت
عجباً ظلّ بها عقلي وقد
وأساطير عدولي طمست
كم رسالاتٍ إليه لم تفد
كم تلا الأعمى ملاماً وإذا
ليس بالقاسي على الصبّ فإن
بعت خلّي مهجتي ثقداً إذا
رشاً يسرقني روعي إذا
وجهه كنز جمال فلذا
فسيوف اللّحظ تحمي ورده
لو تراني وعنان الراح قد
قلت في ميدان سكري بعدما
يوم أنس فيه أنسيت النوى
أيها الغاني بدينارين في

وانثنى نحوي يحثّ الأكوسا
إنها قد غادرتني أخرسا
بالحجا في غمراتٍ فرسا
شعشعت لي من سناها قبسا
فلكم نمّق زوراً وأسا
منه غيظاً في حشاه كم رسا
جاءه كالليل يتلو عبسا
رام بي فتكاً فلي دعوا القسا
ذكر الميثاق يوماً أو نسا
ما تبدّا في القبا مختلسا
بعضه بالبعض عتّا حرسا
ونبال الهند تحمي نرجسا
راض من أخلاقه ما شمسا
صرت فيه للطلا مفترسا
ونسيم القرب فيه نسنسا
وجنتيه أتواسي مفلسا

(١) ترجمه المؤلف برقم ٧٥.

حوله العذال أمست حرسا
شاكر كل صباح ومسا
مستمداً فهو يجلو الحندسا
وعلى هامة برجيس رسا
زارت الأنفس أهدت نفسا
ثوبه بين بني أهل الكسا
وهو في الآثار يتنلو انسا
واخشه يوم الوغى ان حَمِسا
فطرة لم يحو منه خمسا
عجباً والجدي حوي السدسا
فلهذا بسمداد غطسا

إنما شعرك ليل فإذا
أنا للغرة والشعر معاً
إنما وجهك من نور الضيا
من علاه قد علا فوق ذكسا
من له نسمة آداب إذا
بأبي يا عمُرُ زيد طاهر
مالك آثاره محمودة
هو كالبحر فزره للندسا
مغنم التقوى زكوة حازها
وله جد حوى كل العلا
قلمي صدقني في مدحه

وهذه القصيدة من مختار الشعر ومحاسنه، وقد اشتملت على النوع الذي أبداع فيه المتأخرون وهو الاكتفاء مع التورية فجاء في عدة أبيات منها كما يدركه المتأمل، بل فيها سائر أنواع البديع.

وكتب إليه الفقيه الأديب العارف عبد القادر بن أحمد بن عبد المؤمن النزيلي الشافعي مبادياً، وهو ظريف أديب، حسن الشكل، ذكي القلب، وقد جمعني وإياه قراءة شرح الشيرازي على تهذيب المنطق في مقام شيخنا العارف الحسن بن الحسين بن المنصور بالله رحمه الله، ولحده طبعه ربما شوش ذهن الشيخ المذكور، وكتب القصيدة إلى السيد فخر الدين يلتمس إتمام شرح الإيجاز تأليف السيد العلامة أبي محمد زيد بن محمد بن الحسن المذكور في حرف الزاي، ولحسن هذه القصيدة وحق رقة ناظمها أذكر بعض محاسنها وأولها^(١):

وأدر ذكرى بديع الشَّنْبِ
أرشق القلب نبال الوصبِ
ما زجا من ريقه بالضربِ
فغزال الحسن أقصى أربِ
وبسمن هام ومن أين سبي

عدّ عن ذكر الحمى والكثبِ
وارو عن مكحول طرف منه قد
وأدر كأس الطلا من ذكره
لا تغالطني بجيران النقا
أنا أدري أين قلبي موثق

(١) ترجمه المؤلف برقم ٧٥.

لا أسَمِّي من سباني حسنه
 يحسن الهجر به صوناً له
 يا عدولي كفتَ عدلي إنما
 لو ترى قد حبيبي ينثني
 أو ترى الغرّة والوجه الذي
 ناره والنور والنور غدا
 لا تظن الورق تشدو طرباً
 فاترك العذل عن مبدي الهوى
 ما سوى عيني لحيني جَلَبَتَ
 نظرت ريسم اللوا في سربه
 طمعت منه بوصل في الكرى
 فلذا بالسهد والدمع معاً
 كلما قيل سراً برق الدجا
 أو سلى الصّب فقل عن صبره
 أو سقى الغيث ديار المنحنا
 حبه عندي فرضٌ واجبٌ
 وأرى أوجب من حبي له

إنما التّمويه فيه مذهبي
 والضّنا في حبه يحسن بي
 أنت عن حال المحبّين غبي
 كقضيبي مايس من ذهب
 جمع المأ واضطرام اللهب
 عجباً في عجب في عجب
 ما أثار الشّجوا إلا طربي
 يا ابن ودي لا تسل عن سببي
 أوقعتني في شرك النصب
 فحلى في العين لَمّا مرّ بي
 وهو منها بمنّاط الشهب
 ما تراها عوقبت بالسبب
 قلت نوم المغرم المكتئب
 لا هوا أخدي ورد مذهبي
 قلت من دمعي الغزير الصّيب
 فلذا قولي لهم بالموجب
 مدحي المالك عالي الرتب

تكاد تسيل من الرقة وتخجل الخصور معانيها من الدقة، فراجعهُ بقوله:

لا وقد تحت خدّ مذهب
 والتزام القدّ من شأني وان
 إن سباً قلبي المعنى فلقد
 يا عدولي غاب رشدي في الهوى
 فدع اللوم بتفريطي نعم
 لا تحم حول حمى ذاك اللمي
 داو قلبي من شفا ريقته
 واستمع من حليه في قدّه
 إن يكن بين ضلوعي ساكناً
 ليت أقلام عدولي كسرت

ما انتحال العشق إلا مذهبي
 هزه مثل القنا يهزأ بي
 رقّ في الحبّ ومن رقّ سببي
 إنما أنت عن الحبّ غبي
 أنا فرطت وهذا أدبي
 يا عدولي لا تكدر مشربي
 فلصدغيه فعال العقرب
 أن تهادي نغمات الطرب
 لا عجيب كلما عزّ خبي
 ليت أسباب الجفا لم تكتب

لحظك المكسور كم حاصرني
فاستمع آداب بحثي فلسها
في إدعاء الغصن معنى الحسن من
إن غدا قدك عندي فاضلاً
إن من لحظك في سكرٍ ومن
إن يكن طرّزني أمداحه
أو به قامت قيامات العدا

عجباً مكسوره لم يغلب
في معانيك بيان أدبي
قدك المنصوب غصب المنصب
حسناً لا غرو فهو الشلبي
نظم عبد القادر المستعذب
فهو من ذاك الطراز المذهب
فهو شمس طلعت في المغرب

تأمل لطف الشمس الطالعة من المغرب التي قامت بها قيامات العدا،
وذلك أن بلد الفقيه عبد القادر المحويت وهو من مغارب بلاد اليمن، ومحاسنه
في الشعر كثيرة، وهو من العصرين الأفاضل. والله تعالى يعين.

[٩٦]

الإمام أبو الحسن عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن
حمزة بن الإمام الملقب بالنفس الزكية بن هاشم بن الحسن بن عبد
الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسي
ابن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي
طالب عليه السلام الملقب بالمنصور بالله أحد أئمة الزيدية المشاهير الحسني
اليمني (*) .

فاضل قنع بالأبيض والأسمر معشوقاً في المعالي، طال الهادي للفخار وقد

(*) ولد سنة ٥٦١ هـ وبويع له سنة ٥٩٣ هـ. واستولى على صنعاء وذمار، في أيام الملك المسعود.
وقاتله المسعود سنة ٦١٢ فاستمرت الوقائع إلى أن مات المنصور (صاحب الترجمة) وكانت وفاته
في كوكبان سنة ٦١٤ هـ، ونقل إلى ظفار. له مصنفات، منها «حديقة الحكمة النبوية - خ»
و«الشافى - خ» في أصول الدين، و«العقد الثمين - خ» في تبين أحكام الأئمة، و«تلقيح الألباب
في أحكام السابقين وأهل الاحتساب - خ» و«ديوان شعر - خ» و«أرجوزة في الخيل» وفي مكتبة
الفايتكان (١١٠٧ عربي) مخطوطة من كتاب «المهذب لمذهب الإمام المنصور بالله عبد الله بن
حمزة بن سليمان رضي الله عنه. جمعه الفقير إلى رحمة الله وغفرانه محمد بن أسعد بن علاء بن
إبراهيم داعي المؤمنين، والحمد لله» وهو مجموع فتاوى ومسائل فقهية، قال محمد بن
أسعد: «وقد أبدلت الفاظاً غير مستعملة في هذه الناحية بما هو أظهر منها. . . وقد اجتهدت في =

قصرته الليالي، فهو نظام نثر الكلام في السلم، وناثر نظم الرؤس بالكلم، وهو أشعر الدعاة من أئمة اليمن، بل هو أشعر أئمة الزيدية على الإطلاق.

وله ديوان شعر مشهور، وشعره مطبوع منسجم، طويل النفس. ومن تصانيفه الزبدة في أصول الدين، والشافي في الإمامة والمهذب، وغير ذلك.

وذكر ابن أبي مخرمة الشافعي الحضرمي أن المنصور المذكور أرسل دعوته إلى خوارزم شاه مع رجل من الأشراف فتلقها السلطان بالأكرام وأكرم من جاء بها، على جبروت كان بالسلطان معروف، وكذلك فعل مع رسله الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب.

وكان ظهوره في بلاد اليمن في أيام الناصر لدين الله أبي العباس المذكور في حرف الهمزة^(١) ولما قويت شوكته ببلاد اليمن، كتب رجل من مطرفية الزيدية يعرف بابن النساخ إلى الإمام الناصر رسالة بليغة ضمّنها نظماً ونشراً يحثه على إستخلاص اليمن من المنصور بالله لأنه كان يستحل دماء المطرفية ومما أودعها:

وساعده المقدور حتى جرت له بما يشتهي أفلاكها ونجومها
وقال أنا ابن المصطفى ووصيّه عليّ وللعلياء حقاً أقيمها

فأرسل الناصر إلى صلاح الدين بن أيوب صاحب مصر أن يبعث عسكرياً إلى اليمن، فأرسل أخاه توران شاه بن أيوب فقتل الخارجي الذي نجم بزبيد المسمّى عبد النبي بن مهدي وملك أكثر اليمن وحارب الأئمة، ثم أخوه طغتكين، ثم المعزّ إسماعيل بن طغتكين فحاربوا المنصور، وكان ذلك أول دخول الغزّ اليمن، وكان بينه وبين أمراء الإسماعيلية حرب كثيرة لأنهم كانوا أهل الشوكة بتلك الأيام.

ثم تزوّج متعة بنت السلطان حاتم بن أحمد اليامي ملك صنعاء وله فيها

= التهذيب والترتيب الخ» مما يدل على أنه تصرف في أصوله ورتبها.

ترجمته في:

الحدائق الوردية ٢/٧٤٠ - ٨٦١، العقود اللؤلؤية ١: ٣٣ وبلوغ المرام ٤٣ و٤٠٩ والبعثة المصرية ٢١ و٢٦ و٢٧ و٣١ و٧٠ S. I. ٥٠ Brock.I: ٥٠، الاعلام ط ٤/٤/٨٣، الغدير ٥/٣٩٦ - ٤٠٠.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٧.

أشعار كثيرة، والظاهر أنه كان لا يكفرهم كغيره ممن قام بأمره لأن الكافرة غير الكتابية لا تحل للمسلم بالعقد الدائم ولا تحل له متعة بإجماع الشيعة.

ودخل في بعض مغازيه صنعاء فسبى منها نحو سبعمائة امرأة واحتج بأنهم كفار، ولم تثبت الوساطة بين دار الكفر والإسلام التي تسميها المعتزلة دار الفسق، وكان غالب أهل صنعاء. حشوية وأشاعرة والشوكة للإسماعيلية وقتل منها كثيراً.

وكان يناقض عبد الله بن المعتز العباسي في قصائده التي يفضل فيها آل العباس على آل علي عليه السلام ويذكر أنهم أحق بالخلافة كالميمية التي أولها.

بنبي عمّنا ارجعوا ودنا
لنا مفخر ولكم مفخر
فأنتم بنو بنته دوننا
فقال المنصور في الرد عليه:

وسيروا على السنن الأقوم
ومن عرف الحق لم يعدم
ونحن بنو عمّ المسلم
يشهد للفراس المعلم
وأسلم والناس لم تسلم
فأما الولا فلم يكتم^(١)
بنبي عمنا أنّ يوم الغدير
حماه أبونا أبو طالب
وقد كان يكتم أيمانه

قلت: بنى ابن المعتز على مذهب الحشوية من عدم إسلام أبي طالب. والحق الذي قاله المنصور بالله لإجماع أهل البيت المعصومين عليه بل آباء النبي عليه السلام إلى آدم مؤمنون.

وأما أزر فإنه عمّ الخليل عليه السلام وإنما جاء في القرآن بلفظ الأب لأن العرب يطلقون على العمّ أباً واسم والد إبراهيم عليه السلام تارخ والمجاز أفصح من الحقيقية والمثبت حجة على النافي.

ومن جملة ما قال أبو طالب أيام حصار الشعب يخاطب ابن أخيه عليه السلام :
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
فلقد صدقت وكننت ثمّ أمينا
والتصديق هو الإسلام.

(١) كاملة في الحدائق الوردية ٨٣٩/٢، الغدير ٣٩٧/٥.

وكتب المنصور إلى زوجته متعة:

وكيف والقلب بكم مستهام
أزكى التحيات وأسنى السلام
صبر على المكروه فعل الكرام
أذكته في الأحشاء نار الغرام
قلنا أأعوزت سواد الكلام
بنا فأذهبت فضول الكلام
شمس لألقت نحوه بالزمام
لأقيال والأملاك من غلب يام

وله إليها:

كل ألف لألفه تبع
يا متع إن الفؤاد بعدكم
أهابكم دائماً وهل علم الـ
طال انتظاري لوعدكم فمتى
يا طائر البين كم تطير بهم
يا شهد ذاك الوصال هل غلب الـ
أنا الصحيح العليل بعدكم
عسى الذي قدر الفراق لنا
ضاقت بي الأرض من بعدكم

وله من أخرى إليها:

وأدنى وداد المحب السهاد
وقد شاهد الناس من قبلنا
ومن غرس السرى يجني الهبيد^(١)
نروم لقاكم ومن دونكم
وفيكم لنا باغض كاره

جسمي ثاو والروح مفتجع
زلزله الشوق فهو منصدع
ناس بخشف يهابه السبع
يحط عني لرحلك النسع
وكل طير بغائب يقع
ضاب على مطعميك والسلع
وهل سقيم وماله وجع
يعمنا لطفه فنجتمع
فهل على العالمين تتسع

وأهون جري الجياد الخيب
حبيب يطاوع من قد أحب
ومن غرس النخل يجني الرطب
ليوث غضاب وغاب أشب
له عايد بزّه المنقلب

(١) كذا في الأصل.

ولم تسمحوا بوشيك الوصال
فمن لي بذي ورع منصف
ولولا اشتغالي بسد الثغور
لسرت إليكم مسير الرياح

ولا النفس تسخو بقطع السبب
ليقضي عليكم بما قد وجب
وبعث الجيوش وقود العصب
في مرحجن^(١) عظيم اللجب

وقال يعزيها عن أخيها وقد وجدت عليه وجداً عظيماً:

الحمد لله الذي لم تزل
وكل من كان بها راضياً
وكل من كان لها ساخطاً
كم قائل قد قال يا ليتها
يا بنت فضل ابن فضل وهل
كم من ملوك طال ما عمّروا
توقوا الموت بإمكانهم
أين النبي المصطفى أحمد

أحكامه في خلقه قاضيه
فإنه في عيشة راضيه
فأقمه في سقرهاويه
عند الرزايا كانت القاضيه
باقٍ على الأيام أو باقيه
فهل لهم في الأرض من باقيه
وما وقتهم بطشة الواقيه
وصنوه حيدر والزاكيه

ومنها:

فسلمني الأمر لمن أمره
ومن إذا أعاصاه ذو نخوة
لا يغلب الله على أمره الـ
أعجز هذا الموت من يعتني
لو أن ما غمكم دفعه
لخضت لجح الهول يشتد بي
ومن قريش حولنا عصبه
يا متع صبراً أنت من دوحه
والعقل في الإنسان أصل النهي

ينطح غلب العصب العاتيه
صبّ عليه الأخذة الرابيه
نأفد من راقٍ ولا راقيه
بالطب من يونان والخاليه
بالجرد والمران والماضيه
طام شديد الأمر أو طاميه
أظفارها يوم الوغى داميه
باسقة زاكية ساميه
وأنت فالعاقلة الوافيه^(٢)

وله أشعار أجلّ مما ذكرته ومنها ما هو في رتبة المتنبي إلا أنني ذكرت الآن

ما سنح.

(١) كذا في الأصل.

(٢) كاملة في الحدائق الوردية ٢/٨١٢ - ٨١٥، الغدير ٥/٣٩٩.

وتوفي بظفار قرية من بلاد همدان وليست بالتي يقال فيها المثل المشهور (من دخل ظفار حمراً) وفيه دليل أن حمير فعيل فإنها بناحية ذي رعين، وهو مثل . وقال القاضي الرشيد أحمد الدين الأسواني^(١) في المقامة الحصينية وقد ذكر تغير لغة حمير، قيل: إن قوماً من العرب وفدوا على ملك من ملوك حمير وهو في غرفة له وهي بلغتهم المشربة، فلما مثلوا بين يديه قال لهم: ثبوا، أي: اجلسوا، فرموا بأنفسهم من سطح كان عليه إلى الأرض فكسروا واستعظم الملك ما رأى من أمرهم وسأل عن حالهم، فأعلم ما تدل عليه ثبوا في لغتهم من الوثوب فإنهم أرادوا طاعته فأسف وقال: «من ورد ظفار حمراً فأرسلها مثلاً، ومعناه أنه من توسط بلاد قوم وجب عليه تعلم لغتهم وسلوك سبيلهم.



وخوارزم شاه معناه ملك خوارزم، واسمه علاء الدين محمود بن تتش بن أرسلان سلطان خراسان وغزنه وعراق العجم، وكش ومكران وكرمان والعراق وأكثر بلاد الهند، وما وراء النهر وكان عظيم شأنه وكانت دبابه وطبوله وآلات نوبته من ذهب مرصع بنفيس الجواهر وكان من مملكته تركستان، وهو السبب في خروج التتار، فإنه تابع الحروب على ملوك الخطا حتى أضعفهم، وكانوا سورا على البلاد من التتار، ونصححه ملك الخطا فلم ينجح فيه واتهمه، فلما خرجوا هزموه من وراء النهر، ثم فتكوا بأهل تلك البلاد فتكاً لم يسمع بمثله حتى أفنوهم، ولم يزالوا يتبعوه حتى مات سنة ٦٢٣، وكان عالماً بالفقه والأصول، فرجع التتار حين أيسوا منه، فأخذوا مازندران وقتلوا ملكها، وكذلك فعلوا بالري وهمدان ومراغة وخراسان وخوارزم وفعلوا في هذه البلاد من قتل العلماء والصلحاء وتحريق المصاحف وتخريب الجوامع ما لم يسمع بمثله، وعادوا إلى ما وراء النهر.

ثم جهز جنكز خان^(٢) إلى جلال الدين بن علاء الدين المذكور اثني عشر ألف تترياً، وكان جلال الدين في غزنه ومعه ستون ألف فارس فانكسر التتار ثم جهز أكثر منهم فكسرهم أيضاً وجاء هو بنفسه بجميع عسكره، وقد تفرق عن

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٠.

(٢) ترجمته في: شذرات الذهب ٥/١١٣، النجوم الزاهرة (أنظر فهرست ج ٧)، السلوك (أنظر فهرست ج ١).

جلال الدين غالب عسكريه، فاستضعف نفسه وهرب إلى الهند، وتبعه جنكرخان وأدركه على ماء عظيم بالسند، فلم يجد بداً من قتاله وتقاتلا قتالاً شديداً، وصبر الفريقان ثم تأخر كل جيش عن الآخر، فعبر جلال الدين النهر إلى الهند، وعاد جنكرخان فاستولى على غزنة، وقتل أهلها وسارت فرقة من التتار فأخذوا بلاد القفخان وشروان والروس.

وفي سنة ٣٨ ضعفت دولة جلال الدين واختل عقله لموت مملوك له كان يحبه حتى أنه استصحبه ميتاً عدّة أيام كل يوم يعمل له غداء ويرسله إليه، ويعاد الجواب بأنه أصلح مما كان بالأمس، وأخذت التتار سائر بلاد العجم وفعلوا أعظم من فعلهم الأول، وكبسوا السلطان جلال الدين المذكور وسيروه أسيراً، ثم هرب منهم فقتله كردي حين عرفه لأنه قتل أخاه، وكان ملكاً عظيماً وزادت مملكته على مملكة والده، وقسم الممالك بين أولاده من غزنة وهي من ثغور الصين إلى بلاد الروم، وكانت تضرب له نوبة ذي القرنين وقت طلوع الشمس وغروبها، وكانت دبابه تسعاً وعشرين دبابة من الذهب مرصعة بالجواهر وكذا باقي آلات نوبته، وأول ما فرغ الصنّاع من عملها ضربها له جماعة من المملوك الكبار تعظيماً له.

وذكر الذهبي: أن عسكر خوارزم شاه كانوا أوباشاً لا رزق لهم ولا ديوان وإنما كانوا يعيشون من النهب، وكان اللواط في عسكريه ظاهراً، وقد صنع بعدّة بلاد من بلاد الإسلام كأرمينية أعظم من فعل التتار.

وكانت أمّه ترکان خاتون تحكم وتعلم علامتها اعتصمت بالله وحده وتلقب عصمة الدنيا والدين ملكة نساء العالمين.

وأخذ جنكرخان عشرة صناديق من جملة أمواله مملوءة من الجواهر، قال خوارزم شاه: إنه أودع صندوقين منها ما يساوي خراج الدنيا جميعها، وكان له ثلاثون ألف مركوب خاص من جياذ الخيل، ولما توفي في التاريخ المقدم لم يكن عنده كفن سوى قميصه الذي عليه.

وكان ولده جلال الدين يلقب بخوند عالم، وكان شديد الغيرة، ولما أدركته خيل التتار على نهر السند قالت له حريمه: بالله عليك أقتلنا وخلصنا فأمر بتغريقهن فغرقن.

وأما جنكزخان فقد ذكره ابن شاعر في فوات الوفيات^(١) فقال: جنكزخان طاغية التتار وملكهم الأول الذي خرب البلاد ولم يكن للتتار قبله ذكر وإنما كانوا ببادية الصين فملكوه عليهم وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبي لهم، وكان مبدأ ملكه سنة تسع وتسعين وخمسمائة، واستولى على مدن خراسان سنة ثمان عشرة، ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم شاه على نهر السند ووصل إلى مدينة بنكث من بلاد الخطا مرض بها، ومات في رابع شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة، وكان اسمه قبل الملك تمرحين، وخلف ستة أولاد، وفوض الأمر إلى ازكياي^(٢) أحدهم بعدما استشار الخمسة الآخرين، فلما هلك امتنع ازكياي من الأمر، وقال: في أخوتي وأعمامي من هو. أكبر مني، فلم يزالوا به أربعين يوماً حتى تملك عليهم، ولقبوه القان الأعظم، ومعناه الخليفة فيما قيل، وبعث جنوده، وفتح الفتوحات، وطالت أيامه، وولي بعده مونكو كان^(٣)، وولي بعده أخوه قيلاي^(٤) وطالت أيام قيلاي وبقي في الأمر إلى سنة أربع وسبعمائة ومات بمدينة خان بالق.

ويقال: إنه لما كان خوارزم شاه يغزو هؤلاء الأتراك ويسببهم ويقتلهم ويمنعهم عن الخروج من حدود بلادهم اجتمع التتار وشكوا ما يلاقون منه وما هم فيه من الضيق والبلاء، فقال لهم جنكزخان: إن ملكتموني عليكم والتزمت لي بالطاعة التزام «اليسو»^(٥) الذي أصنع لكم شرعة رددت خوارزم شاه عنكم فالتزموا له بذلك.

وكان مما وضعه لهم: إن كل من أحب امرأة بنتاً كانت أو غيرها لا يمنع من الزواج ولو كان زبائلاً والامراة بنت ملك، وكان غرضه أن يتناكحوا بشهوة شديدة فيتضاعف نسلهم، ويكثر عددهم، فلما تقرّر ذلك ودخلوا فيه عقد بينهم وبين خوارزم شاه هدنة عشرين سنة، فما جاءت العشرين إلا وهم أمم لا يُحصرون ولا يُحصون.

(١) في الأصل: «نفويت الوفيات» وهو تصحيف.

(٢) كذا في الأصل، وفي الفوات: «أركناي».

(٣) كذا في الأصل، وفي فوات الوفيات: «موركونا».

(٤) كذا في الأصل، وفي الفوات: «قبلاي».

(٥) كذا في الأصل: وفي الفوات: «النسق».

وكان من جملة ما شرعه: أنه إذا حرّم ألقان على أحد شيئاً فلا يحلّ له أن يأتيه حتى الممات، وقرّر لهم من أن رُعِف وهو يأكل قُتل كائناً من كان، وقرّر لهم أن كل من لم يمض حكم أليسوا^(١) ولم يعمل به قتل أيضاً، وأراد أن يذهب الكبار الذين فيهم، لعلمه أنه يداخلهم الحسد ويستصغرونه، فتركهم وهم على سماطه يوماً ورعّف نفسه، فلم يجسر أحد أن يمضي فيه حكمه لمهابته وجبروته، فتركوه ولم يطلبوه بما قرّر، وهابوه في ذلك، فتركهم أياماً وجمعهم وقال: لأي شيء ما أمضيتم حكم أليسوا^(١) وقد رعت وأنا آكل بينكم؟ فقالوا: لم نجسر على ذلك، فقال: ألم تعلموا بأليسوا^(١) ولا أمضيتم حكمه وقد وجب قتلكم، فقتل أكابره واستراح منهم.

والترك يزعمون أنه من ولد الشمس، لأنّ في صحاريهم أماكن فيها غاب الغاب لا يقربه أحد من الذكران، وأنّ أمّه اعتقت فرجها وغابت فيه مدّة وأتتهم به، وقالت: هذا من الشمس لأن الشمس دخلت في فرجي في بعض الأيام وأنا اغتسل، فحملت بهذا، ويقال: إنّه كان حداداً^(٢) ويسمّون الآن بالهند المغل.

وما أحسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة:

من المغل أشكو عنده ألم الهوى فطبّ الهوى عندي كما قيل بالمغل^(٣)

وقال أحمد بن عليّ المقرئ: أن جنكزخان لما غلب أوتك خان وصارت له دولة قرّر قواعد وعقوبات أثبتها في كتاب سمّاه «ياسا» ومن الناس من سمّاه «اليسو» ونقشه نقشاً في صحائف الفولاذ وجعله شريعة لقومه فالتزموه بعده.

قال: وأخبرني العبد الصالح الداعي إلى الله أبو هاشم أحمد بن البرهان أنه رأى نسخة: من «الياسا» بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد.

ومن جملة ما شرعه جنكزخان في «ياسا»: أنه من زنا قُتل ولم يفرق بين المحصن وغيره، ومن لاط قتل، ومن تعمد الكذب أو سحر أو تجسس على أحد

(١) أنظر الهامش السابق.

(٢) قوات الوفيات ١/٢١١ - ٢١٣.

(٣) كاملة في ديوان ابن نباتة المصري ٣٧٦ - ٣٧٨.

أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل، ومن بال على الماء أو على الرماد قتل، ومن أعطى بضاعة فخسر فيها فإنه يقتل بعد الثالثة، ومن أطعم أسير قوم أو كساه بغير إذنهم قتل، ومن وجد أسيراً هارباً أو عبداً ولم يرده على مَنْ كان في يده قتل، وأن الحيوان تكتف قوائمه ويشق بطنه ويمرس قلبه إلى أن يموت ثم يؤكل لحمه، وأن من ذبح حيواناً كذبيحة المسلمين ذبح، ومن وقع رمحه أو قوسه أو شيء من متاعه وهو يكرّ أو يفرّ في حال القتال وكان وراءه أحد فإنه ينزل ويناول صاحبه ما سقط منه فإن لم ينزل ولم يناوله قتل.

وشرط أن لا يكون على أحد من ولد علي بن أبي طالب مؤنة ولا كلفة، وأن لا يكون على أحد من الفقراء والقراء ولا الفقهاء ولا الأطباء ولا من عداهم من أرباب العلوم وأصحاب العبادة والزهد والمؤذنين ومغسلي الأموات كلفة ولا مؤنة، وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى، وجعل ذلك كلة قربة إلى الله تعالى، وألزم قومه إن لا يأكل أحد من يد أحد حتى يأكل المناول منه أولها ولو أنه أمير، ومن يناوله أسير، وألزمهم أن لا يتخصص أحد بأكل شيء وغيره يراه بل يشاركه معه في أكله، وألزمهم أن لا يتميّز أحد منهم بالشبع على صاحبه ولا يتخطى أحد ناراً ولا مائدة ولا الطبق الذي يؤكل عليه، وإن من مرّ بقوم وهم يأكلون فله أن ينزل ويأكل معهم من غير إذنهم فليس لأحد منعه، وألزمهم أن لا يدخل أحد منهم يده من الماء ولكنه يغترف بشيء، ومنعهم من غسل ثيابهم بل يلبسونها حتى تبلى، ومنع أن يقال لشيء إنه نجس، وقال: جميع الأشياء طاهرة، وألزمهم أن لا يتعصبوا لشيء. من المذاهب، ومنعهم من تفخيم الألفاظ ووضع الألقاب وإنما يدعى السلطان ومن دونه باسمه، وألزم القائم بعده بعرض العساكر بالسلاح إذا أراد الخروج للقتال وأنه يعرض كلما سافر به عسكره وينظر حتى إلى الأبرة والمخيط، ومن وجده قد قصر في شيء مما يحتاج إليه عند عرضه إياه عاقبه، وألزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من السخر والكلف في مدة غيبتهم في القتال، وجعل على العساكر إذا قدمت من القتال كلفة يقومون بها للسلطان فيؤدونها إليه، وألزمهم عند رأس كل سنة بعرض سائر بناتهم الأبنكار على السلطان ليختار لنفسه وأولاده، وشرع أن أكبر الأمراء إذا أذنب وبعث إليه الملك أحسن من عنده ليعاقبه فإنه يلقي نفسه إلى الأرض بين

يديه وهو ذليل خاضع حتى يمضي فيه ما أمره الملك من العقوبة ولو كانت
بذهاب نفسه، وهي شريعة طويلة هذه أغرب ما فيها والله يوفقنا . . .

[٩٧]

أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُضْعَب بن
زُرَيْق^(١) بن ماهان الخُزاعي، الأمير البغدادي^(*).

فاضل سما به الأدب وأثار وأرى حساده مما ينظم في القرطاس نجوم
نصف النهار، مع الشرف العالي على البيوت، والجود الذي يحسر دونه الرتوت.
وآل طاهر أعظم أعوان آل عباس وإشتهارهم بالجود والشجاعة والأدب
يغني عن الشرح.

قال الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي في تاريخ بغداد:
ولي أبو أحمد المذكور بغداد وخراسان وحدث عن أبي الصلت الهروي.

قلت: وأبو الصلت أحد أصحاب الرضا^(ع) المياسير الزهاد. قال
الخطيب: وروى عبيد الله عن الزبير بن بكار الزبيري، وروى عنه محمد بن يحيى
الصولي، وعمر بن الحسن الأشثاني، وأبو القاسم الطبراني وغيرهم.
وكان فاضلاً أديباً شاعراً فصيحاً.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن شهريار الأصبهاني بها، أنبأنا سليمان بن أحمد
ابن أيوب الطبراني، نا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، نا الزبير بن بكار، نا يحيى
ابن أبي فتيلة، نا عبد الخالق بن أبي حازم، حدثني ربيعة بن عثمان، قال:
حدثني عبد الوهاب بن خسه^(٢) عن عمر بن عبد العزيز، قال: حدثني أنس بن
مالك: أنه سمع رسول الله^(ص) يقول: كل راع مسؤول عن رعيته، قال سليمان:

(*) ترجمته في:

وفيات الأعيان ٣/ ١٢٠ - ١٢١، تاريخ بغداد ١٠/ ٣٤٠ - ٣٤٤، الديارات ٧١ - ٧٩، الأغاني ٩/
٥١ - ٦٠، Brock S. I: 224، الكامل لابن الأثير ج ٧، صلة عريب ٢٢، الاعلام ط ٤/٤/١٩٥.

(١) في الوفيات: «زُرَيْق».

(٢) كذا في الأصل.

لا يروى عن ابن سلمان إلا بهذا الإسناد تفرد به الزبير.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن المظفر الدقاق، نا محمد بن عمران الكاتب، قال: أنشدني المظفر بن يحيى للبحثري يمدح عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لما قدم من خراسان من قصيدة فقال:

لَقَدْ سَرَّنِي أَنْ الْمَكَارِمَ أَضْبَحَتْ
مَجِيءُ عُبَيْدِ اللَّهِ مِنْ شَرْقِ أَرْضِهِ
مَسِيرٌ تَلَقَى الْأَرْضَ مِنْهُ رَبِيعَهَا،
وَأَبْيَضَ مِنْ آلِ الْحُسَيْنِ نَوْدُهُ
أَضَاءَتْ لَهُ بَغْدَادُ، بَعْدَ ظَلَامِهَا،
مَقَامَاتُ حِلْمٍ مَا يُوَازِنُ قَدْرَهَا،
كَأَنَّهُمْ، عِنْدَ اسْتِلامِ رِكَابِهِ
يُجَلِّسُونَ مَأْمُولًا مَخُوفًا لِنَائِلِ
أَبَا أَحْمَدٍ، وَالْحَمْدُ رَهْنُ مَأْتِرٍ،
وَصَلْتُ بِكَ الْحَاجَاتِ جَمْعًا، وَإِنَّمَا
تُحَظُّ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ حُمُولُهَا
سُرَى الدِّيمَةِ الْوَطْفَاءِ هَبَّتْ قَبُولُهَا
وَتُبْهِجُ مِنْهُ حَزْنُهَا وَسُهُولُهَا
إِلَى الْحَمْدِ، أَعْرَاقٌ يُهْدِي دَلِيلُهَا^(١)
فَعَادَ ضُحَى إِمْسَاؤُهَا وَأَصِيلُهَا
وَسَاعَاتُ جُودٍ مَا يُطَاعُ عَدُولُهَا
عَصَائِبُ عِنْدَ الْبَيْتِ حَانَ قُفُولُهَا
يُوَالِيهِ، أَوْ صَوَّلَاتٍ بِأَسٍ يَصُولُهَا
تُؤْتِلُهَا، أَوْ عَارِفَاتٍ تُنِيلُهَا
بَطُولِ جَلِيلِ الْقَدْرِ يُقْضَى جَلِيلُهَا^(٢)

أخبرنا بشر^(٣) محمد بن عمر الوكيل، نا محمد بن عمران بن موسى المرزباني، أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنشدني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لنفسه:

حَقَّ التَّنَائِي بَيْنَ أَهْلِ الْهَوَى
وَفِي التَّدَانِي لَا انْقِضَى عَمْرِهِ
تَكَاتَبَ يَسْخَنُ عَيْنَ النَّوَا
تَزَاوَرَ يَشْفِي غَلِيلَ الْجَوَا^(٤)

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين بن محمد الجازري، نا المعافا بن زكريا الجزيري، نا أحمد بن أبي سهل بن عاصم الحلواني، نا [أبو] الحسن^(٥) علي بن

(١) يودى: تدفع دينه، حق دمه.

(٢) تاريخ بغداد ٣٤١/١٠، كاملة في ديوان البحثري ٣٩٩/١ - ٤٠٠.

(٣) في تاريخ بغداد: «أبو بشر».

(٤) تاريخ بغداد ٣٤٢/١٠.

(٥) ما بين المعقوفين من تاريخ بغداد.

هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور، قال: كان أبي نازلاً في جوار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فانتقل منه إلى دار إتباعها بنهر المهدي، وهي دار إسحاق بن إبراهيم الموصلية فكتب إليه عبيد الله متوحشاً:

يا من تحوّل عنا وهو يالفنا
فأعلم بأنك إذ بدّلت جيرتنا
جداً فلا ناصر... يلقانا
بدّلت داراً وما بدّلت إخواننا
فأجابه هارون بن علي^(١):

بعدت عنكم بداري دون خالصتي
وما تبدّلت إذ فارقت قريبكم
ومحض ودي وعهدي كالذي كانا
وهل يسر بسكننا داره أحد
إلا هموماً أعانيها وأحزاننا
وليس أحبابه للدار جيراننا^(٢)

قلت: هارون بن علي هو المنجم النديم وأباه كذلك.

وقال الخطيب: أخبرني الأزهري، نا محمد بن الحسن الهاشمي، نا محمد بن القليم بن بشار الأنباري، قال: أنشدني إبراهيم بن عبد الله الوراق لعبيد الله بن عبد الله ابن طاهر:

(١) هارون بن علي بن يحيى، أبو عبد الله، ابن المنجم البغدادي: عالم بالأدب. من أهل بغداد ولد سنة ٢٥١هـ. له تصانيف، منها «كتاب النساء» في أخبارهن وما قيل فيهن من منظوم ومنثور، و«المختار» في الأغاني، و«اختيار الشعراء» كبير، لم يتمه. وأشهر تأليفه «البارع» في أخبار الشعراء المولدين، جمع فيه ١٦١ شاعراً، أولهم بشار بن برد، وآخرهم محمد بن عبد الملك بن صالح، قال ابن خلكان: وهو من الكتب النفيسة، فإنه يغني عن دواوين الجماعة وقد منحصر أشعارهم وأثبت منها زبدتها. توفي ببغداد شاباً سنة ٢٨٨هـ. ترجمته في:

وفيات الأعيان ٦/٧٨ - ٧٩، وسير النبلاء - خ، الطبقة الخامسة عشرة، وفيهما: «كان جده الأعلى أبو منصور، منجم أبي جعفر المنصور، وكان مجوسياً، وأسلم ابنه يحيى على يد المأمون وصار نديمه ومولاه ومات بحلب سنة بضع عشرة ومائتين». والمرزباني ٤٨٥ وفيه: «وفاته سنة ٢٨٩ وأورد له شعراً رقيقاً، منه:

إنعم بإيسام الصبى
أعط الشباب نصيبه
واخلع عذارك في التصابي
مادمت تعذر بالشباب

وكشف الظنون ٢١٧ ومفتاح السعادة ١: ٢١٢ وهدية العارفين ٢: ٥٠٣ ومرآة الجنان ٢: ٤١ في وفيات سنة «٢٠٨» خطأ. وحماسة ابن الشجري ٢٤٢ - ٢٤٣، الاعلام ط ٦١/٨/٤ - ٦٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/٣٤٢.

ألا أيها الدهر الذي قد مَلَلْتَهُ لتخليطه هلاً ملكت حياتي
فقد وجلال الله حببت دائماً إليّ على بغض الوفاة وفاتي^(١)

أخبرنا هلال بن عبد الله بن محمد الضبي مؤدبي، نا إسماعيل بن محمد زنجي الكاتب، قال أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله رشد^(٢) الكاتب: حملني أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات في وقت من الأوقات برّاً واسعاً إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فأوصلته إليه ووجدته على فاقة شديدة فقبله وكتب إليه:

أياديك عندي معظّمت جلائل طوال المدى شكري لهن قصيرُ
فإن كنت عن شكري غنياً فأنتني إلى شكر ما أوليتني لفقيرُ

قال: فقلت هذا أعزّ الله الأمير حسن، قال: أحسن منه ما سرقتة، فقلت: وما هو؟ قال: حديثان حدثني بهما أبو الصلت الهروي بخراسان عن أبي الحسن الرضا عن آبائه، قال: قال النبي ﷺ: أنه يؤتى بعبد فيوقف بين يدي الله تعالى فيؤمر به إلى النار: فيقول: أي ربّ لمّ أمرت بي إلى النار؟ فيقول: إنك لم تشكر نعمتي، فيقول: أي ربّ أنعمت علي بكذا فشكرت بكذا فلا يزال يحصي النعم ويعدّد الشكر فيقول الله تعالى: صدقت عبدي إلا أنك لم تشكر من أنعمت عليك بها على يديه، وقد آليت على نفسي أن أقبل شكر عبدي على نعمة أنعمتها عليه أو يشكر من أنعم بها على يديه.

قال: فانصرفت بالخبر إلى أبي الحسن وهو في مجلس أخيه أبي العباس أحمد بن محمد وذكرت ما جرى، فاستحسن أبو العباس ما ذكرته وردّني إلى عبد الله ببرّ واسع أوسع من برّ أخيه فأوصلته إليه، فقبله وكتب إليه:

شكرك معقود بأيماني حگم في سرّي وإعلاني
عقد ضمير وفسم ناطق وفعل أعضاء وأركانني

قال: فقلت: هذا أعزّ الله الأمير أحسن من الأوّل، فقال: أحسن منه ما سرقتة منه: قلت وما هو؟ قال: حدثني أبو الصلت الهروي بخراسان عن أبي الحسن الرضا عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عن الصادق عن الباقر عن

(١) تاريخ بغداد ١٠/٣٤٢.

(٢) في تاريخ بغداد: «محمد بن عبيد الله بن رشيد».

السجّاد عن السبط عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان عقد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان» قال: فعدت إلى أبي العباس فحدّثته بالحديث، وكان في مجلسه ابن راهويه المتفقه، فقال: ما هذا الإسناد؟ قال ابن رشيد: فقلت له: صعود السيلثيا الذي إذا صعّد به المجنون برىء وصحّ^(١).

قال الخطيب: قلت: روى غير ابن زنجي هذا الخبر عن ابن رشيد فذكر في آخره عن أبي أحمد بن طاهر أن إسحاق بن راهويه سأل أبا الصلت عن إسناد هذا الحديث وذاك أشبه، ويحتمل أن يكون ابن راهويه ذكر ابن رشيد كونه في مجلس ابن الفرات محمد بن إسحاق بن راهويه.

أخبرني الأزهري، نا أحمد بن إبراهيم، نا إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: توفي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر سنة ثلثمائة^(٢) رحمه الله، وكان مولده سنة عشرين ومائتين.

قال لي هلال بن المُحسن: مات أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ليلة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلثمائة.

قلت: ومن المنسوب إليه من غير رواية أبي الصلت:

أيا دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحبت ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا إن المهمّ المقدم

وكان أبوه عبد الله شاعراً مجيداً وجواداً سخياً، وجدّه طاهر لا يحتاج إلى وصف بالكمال وهو أحد الثلاثة الذين قال المأمون فيهم هم أجلّ ملوك الدنيا، والذين قاموا بالدول وهم: الإسكندر، وأبو مسلم الخراساني، وطاهر، وكان متشيعاً كحفيده المذكور.

وذكر: أن الحسن بن سهل أراد أن يندبه لحرب أبو السرايا والعلوي الذي أقامه بالكوفة فرفعت إليه رقعة فيها أبيات:

(١) تاريخ بغداد ١٠/٣٤٣ - ٣٤٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/٣٤٤.

قناع الشك يكشفه اليقينُ وأفضل كيدك الرأي الرّصينُ
اتبعت طاهراً لقتال قوم بحبّهم وطاعتهم يدينُ
فرجع الحسن عن إرسال طاهر وبعث هرثمة بن أعين، والله تعالى أعلم.

[٩٨]

أبو محمّد عبيد الله بن أحمد بن معروف القاضي البغدادي (*).

فاضل كمل في الشعر والشرع، وحجّ منهما إلى وادّ ذي نورٍ وزرع، فهو إن
قضى قدر، وإن نظم مهر.

قال الخطيب أبو بكر في تاريخ بغداد: ولي قضاء القضاة ببغداد بعد أبي
بشر عمرو بن أكثم، وحدث عن يحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن إبراهيم
ابن نيروز، وأحمد بن سليمان الطوسي، وأبي حامد محمد بن هارون الحضرمي،
وجعفر بن محمّد بن المغلس، ومحمد بن حبش السراج، ويوسف بن يعقوب،
وعبد الله بن محمد بن زياد النيسابوريين، والقاضي المحاملي، ويعقوب بن
إبراهيم البزاز، ومحمد بن نوح الجند نيسابوري، وسهل بن يحيى بن سبا
الحداد، حدّثنا عنه: أبو محمد الخلال، والأزهري، والعسقي، والتنوخي،
وأحمد بن علي بن التوزي، وعبد الواحد بن الحسين بن شيطان، وأبو جعفر
محمد بن أحمد بن المسلمة وغيرهم، وكان ثقة، حدّثنا علي بن المحسن قال:
قال لي القاضي أبو الحسن بن قاضي القضاة أبي محمد بن معروف: ولد أبي في
سنة ست وثلاثمائة^(١).

قلت: وكان من أجلاء الرجال وألباء الناس مع تجربة وحنكة، ومعرفة
وفطنة، وبصيرة ثاقبة، وعزيمة ماضية، ضارباً في الأدب بسهم، وآخذاً في علم
الكلام بحظّ، وكان يجمع وسامةً في منظره، وظرفاً في ملبسه، وطلاقة في
مجلسه، وبلاغة في خطابه، وعفة عن الأموال، ونهوضاً بأعباء الأحكام، وهيبة
في قلوب الرجال.

(*): ترجمته في:

تاريخ بغداد ٣٦٥/١٠ - ٣٦٨، النجوم الزاهرة ١٦٢/٤، يتيمة الدهر ١٠٧/٣ - ١٠٩ وفيه اسمه
«عبد الله».

(١) تاريخ بغداد ٣٦٥/١٠ - ٣٦٦.

سمعت أبا القاسم التنوخي يقول: كان الصاحب أبو القاسم بن عبّاد يقول: كنت أشتهي أن أدخل بغداد فأشهد جرأة محمد بن عمر العلوي، وتنسك أبي محمد الموسوي، وظرف أبي محمد ابن معروف.

قال الخطيب: وقال لي التنوخي: بلغني أن أبا محمد ابن معروف جلس يوماً للحكم في جامع الرصافة، فاستدعى بأصحاب القصص إليه، فتتبعها ووقع في أكثرها، ثم نظر في بعضها فإذا فيها ذكر له بالقبيح وإيقافه على وضاعته وسقوط أصله، ثم تنبيهه وتذكيره بأحوال غير جميلة وتعيد ذلك عليه، فقلب الرقعة وكتب على ظاهرها شعراً:

العالم العاقل ابن نفسه	أغناه علم جنسه عن جنسه
كن ابن من شيت وكن كيسا	فإنما المرء بفضله كيسه
كم بين من تكرمه لغيره	وبين من تكرمه لنفسه
من إنما حياته لغيره	فيومه أولى به من أمسه ^(١)

وقال أيضاً: حدثني علي بن محمد الصوري قال: أنشدني القاضي أبو عصمة أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن زيد بن^(٢) الهيثم بطرابلس قال: أنشدني قاضي القضاة أبو محمد عبيد الله بن أحمد المعروف لنفسه ببغداد مضمناً البيت الآخر:

أشتاقكم إشتياق الأرض وابلها	والأمّ واحدها والغايب الوطننا
أبيت أطلب أبيات السلوّ فما	ظفرت الآب بيت شقني وعنا
استودع الله قوماً ما ذكرتهم	الآ تحدر من عيني ما خزننا ^(٣)

قال الخطيب: وقد أنشدني الصوري الأبيات التي ضمّن ابن معروف منها شعر البيت الآخر:

يا صاحبي سلا الأطلال والدمنا	متى يعود إلى عسفان من ضعنا
إن الليالي التي كنا نسرُّ بها	أبدأ تذكرها في مهجتي حزنا
أستودع الله قوماً ما ذكرتهم	إلا تحدر من عيني ما خزننا

(١) تاريخ بغداد ١٠/٣٦٦.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/٣٦٧.

كان الزمان بنا غراً فما برحت
قلت أنا: أجاد في البيت الآخر.

وقال الخطيب: أنشدنا علي بن أبي علي، قال: أنشدني قاضي القضاة أبو
محمد ابن معروف لنفسه:

يا بؤس للإنسان في الـ
يعيش مكثوم العليل
بيننا يرى في صحّة
وبينما يوجد فيـ
فأوفر الحظ لمن
دنيا وإن نال الأمل
فيها ومكثوم الأجل
مغتبطاً قيل اعتل
هاثاويلاً قيل انتقل
يتبعه حسن العمل^(٢)

قلت: فك الإدغام يجوز للضرورة مثل قول رؤبة: الحمد لله العلي
الأجل.

وذكر الخطيب: عن العسقي: أنه توفي يوم السبت لسبع خلون من صفر
سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة، قال: وكان له في كل سنة مجلسان يجلس فيهما
للحديث أوّل يوم من المحرم وأوّل يوم من رجب، ولم يكن له سماع كثير، وكان
مجرداً في مذهب الاعتزال، وكان عفيفاً نزهاً في القضاء لم ير مثله في نزاهته
وعفته، وصلى عليه في داره أبو أحمد الموسوي العلوي وكبر عليه خمساً، ثم
حمل تابوته إلى جامع المنصور وصلى عليه أربعاً، وحمل إلى داره على شاطيء
دجلة فدفن فيها، ووقع لي أنه كان متشيعاً.

(١) تاريخ بغداد ١٠/٣٦٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/٣٦٧.

الشيخ الصّاحب عزّ الدّين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد
ابن محمد بن الحسين بن أبي الحديد الأنباري المولد البغدادي الدار
والوفاة المعتزلي المتشيع^(*).

فاضل تصدّر بشرحه وما أحسن شرح الصدر، وشفق به القلوب فمثلت من
ذلك العصر، وحلّى بابن العلقمي ذكره وسفر في عصره فجره.

وكان من الفضلاء الأعيان ببغداد، إماماً في علم الكلام واللغة والأدب
والشعر، شاعراً فصيحاً له السبع العلويات المشهورة.

وأخذ عن الشيخ المحدث عبد الوهاب بن سكينه البغدادي علم الحديث،
وعن عمر بن عبد الله الدباس وغيرهم.

وشرح خطب أمير المؤمنين علي^{عليه السلام} التي جمعها الشريف أبو الحسن
الرضي بشرح بسيط في نحو أربعة مجلدات كبار جمع فيه العجائب، ودلّ على
فضله وغزارة مادته، وكان ألفه للوزير مؤيد الدين محمد بن محمد العلقمي^(١)

(*) كان له ديوان شعر مشهور بين الناس، إلا أنه لم يصل إلينا، وقد طبع له (العلويات السبع) وهي
سبع قصائد طوال كلها في مدح الإمام علي بن أبي طالب وأهل بيته^{عليهم السلام}، وله (المستنصرات)
خمس عشرة قصيدة طويلة أكثرها في مدح المستنصر بالله العباسي، منها نسخة مخطوطة في دار
الأثار ببغداد.

كتب عنه علي محي الدين النجفي دراسة مفصلة عن حياته - خ. ودراسة أخرى كتبها د. رؤوف
الشمري.

وتصدى د. أحمد الربيعي لجمع شعره وأضاف إليه علوياته ومستنصرياته وأرجوزته التي نظم بها
فصيح ثعلب.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٣٩٢/٥ (ضمن ترجمة ابن الأثير)، تلخيص مجمع الآداب م٤/ق١/١٩ ذيل مرآة
الزمان للبيونيني ٦٢/١، عيون التواريخ ١١٢/٢٠، الفيث المسجم ٩١/٢، الكشكول للبحراني ٢/
١١٧، روضات الجنات ٢٠/٥ - ٢١، هدية العارفين ٥٠٧/٥، هدية الأحاب للقمي ١٧٩/١،
شرح نهج البلاغة للغمراوي الزهري م٤/٥٧٥، مقدمة شرح النهج لأبي الفضل إبراهيم ١٣/١،
فوات الوفيات ٥١٩/٢ - ٥٢٢، البداية والنهاية ١٩٩/١٣، آداب اللغة العربية ٤٣/٣، الاعلام ط
٢٨٩/٣/٤، العذيق النضيد بمصادر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة د. أحمد الربيعي.

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

وزير المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسية .

وكان الوزير المذكور من أفاضل الشيعة ورؤسائهم، ومن به ختمت وزارة المشرق، وكانت حالة عز الدين المذكور عجباً بيناً، هو شيعي متعصب كما في القصائد المشار إليها إذ صار معتزلاً جاحظياً أو أصمعيماً كما في أكثر شرحه .

وما أحسن قوله في أحد السبع^(١) :

بزغت لكم شمس الكنس وبدت لكم روح القدس
لا تلقها إلا ببش رك فالقطوب من الدنس
ما أنصف الكاسات من ضحكت إليه وقد عبس^(٢)

قلت: ومن هنا أخذ الشيخ صدر الدين بن الوكيل المصري^(٣) قوله :

وإن أقطب وجهي حين تبسم لي فعند بسط الموالي يحفظ الأدب^(٤)

(١) أي «القصائد السبع العلويات» .

(٢) كاملة في القصائد السبع العلويات ٥٥ - ٦٣ .

(٣) محمد بن عمر بن مكّي، أبو عبد الله صدر الدين «ابن المرحل» المعروف بابن الوكيل: شاعر، من العلماء بالفقه. ولد بدمياط سنة ٦٦٥هـ، وانتقل مع أبيه إلى دمشق، فنشأ فيها. وأقام مدة في حلب وتوفي بالقاهرة سنة ٧١٦هـ. كانت له ذاكرة عجيبة، حفظ المقامات الحريرية في خمسين يوماً، وديوان المتنبي في اسبوع. ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق سبع سنين. قال ابن حجر: كان لا يقوم بمناظرة ابن تيمية أحد سواه. وصنف «الأشباه والنظائر - خ» في فقه الشافعية. وشرح في شرح «الأحكام» لعبد الحق بن الخراط، فكتب منه ثلاثة مجلدات تدل على تبحره في الحديث والفقه والأصول. وله شعر وموشحات رقيقة جمعها في ديوان سماه «طراز الدار» .

ترجمته في:

فوات الوفيات ٢/٥٠٠ - ٥١٣ والدرر الكامنة ٤: ١١٥ والنجوم الزاهرة ٩: ٢٣٣ والنعمي ١: ٢٧ والبداية والنهاية ١٤: ٨٠ وفيه ما حصله: كان شيخ الشافعية في زمانه، من أهل دمشق، انتقل إلى مصر وتوفي فيها. والفهرس التمهيدي ١٩١ وهو في مطالع البدور ١: ١٦٤ «صدر الدين محمد بن المرحل، ويعرف في الشام بابن وكيل بيت المال» وفيه: من شعره القصيدة التي مطلعها:

ليذهبوا في ملامي أية ذهبوا في الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب!

الاعلام ط ٣١٤/٦/٤ .

(٤) جملة من أبياتها في فوات الوفيات ٢/٥٠٢ - ٥٠٣ .

إلا أنه زاده حسناً، وقيل: إن من شأن الوزير الكامل، والنديم الحاذق، أن يبلغ في الأدب والتحفظ متى بسط الملك وجهه ومازحه، وما أحسن قول القائل: ومصاحب السلطان مثل سفينة ان أدخلت في جوفها من مائه وأورد الشيخ أبو حامد المذكور لنفسه، وقال: إنه من شعره الذي يناجي به ربه تعالى في خلواته:

يَا مَنْ جَفَانِي فَوَجَدَانِي لَهُ عَدَمُ
أَنَا الْمُرَابِطُ دُونَ النَّاسِ فَاجِفٌ وَصَلُّ
إِنَّ الْمَحَبَّ إِذَا صَحَّحَتْ مَحَبَّتَهُ
وَحَقُّ فَضْلِكَ مَا اسْتَأْنَسَتْ مَنْ نِعَمُ
وَلَا أَمِنْتُ نَكَالاً مِنْكَ أَرْهَبُهُ
حَاشَاكَ تُعْرَضُ عَمَّنْ فِي حَشَاشَتِهِ
أَلَمْ تَقُلْ إِنَّهُ مَنْ يَدْنُو إِلَيَّ مَدَى أ
وَاللَّهِ وَاللَّهُ لَوْ عَذَّبْتَنِي حُقُباً
مَا حُلْتُ عَنْ حَبِّكَ الْبَاقِي فَلَيْسَ عَلَيَّ
وَمَا أَنشده لنفسه في شرحه على النهج:

فِيكَ يَا أَغْلُوطةَ الْفِكْرِ
سَافَرْتُ فِيكَ الْعَقُولُ فَمَا
رَجَعْتُ حَسْرَى وَمَا وَقَعْتُ
فَلَحَى اللَّهُ الْأُولَى زَعُمُوا
كَذَبُوا إِنَّ الَّذِي زَعَمُوا
تَاهَ عَقْلِي وَانْقَضَى عُمْرِي
رَبِحْتُ إِلَّا عِنَّا السَّفَرِ
لَا عَلَيَّ عَيْنٍ وَلَا أَثَرِ
أَنَّكَ الْمَعْرُوفُ بِالسَّنْظَرِ
خَارِجٌ عَنِ قُوَّةِ السَّبْشَرِ^(٢)

وهذه الأبيات فيها رد على المعتزلة أهل مذهبه، فإنه روى عن أبي هاشم: أنه أقسم أنه لا يعرف من ذاته غير ما يعرف أبو هاشم، ومما أورد لنفسه في الشرح:

(١) شرح نهج البلاغة ٥/١٦٦ - ١٦٧.

(٢) شرح النهج البلاغة ١٣/٥١.

غدا الفكرة عليا
وبلبلت العُقُولَا
فيك شبراً قرّ ميلا
لا يُهدى السَّيْبِلَا^(١)

عيسى المسيح ولا مُحَمَّدُ
إلى محلّ القدس يصعدُ
أوحديّ الذات سرْمَدُ^(٢)

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي في الغيث: أخبرني من لفظه الشيخ الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالديار المصرية، قال: أنشدني الناقل النسابة، حافظ المشرق والمغرب، شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدميّاطي يوم الأربعاء الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين وستمائة بالقاهرة بقراءتي عليه، قال أنشدنا الشيخ الإمام الحافظ صاحب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المعتزلي ببغداد، ومولده بالمداين يوم السبت مستهلّ ذي الحجة سنة ستّ وثمانين وخمسمائة:

ليست كما قال فتى العبد
كل زمان باذلاً جهدي
بخلوة أحلى من الشهد
كلّ لئيم أصعر الخد
خمر ولا ذي منعة^(٣) نهدي^(٤)

فيك يا أعجوبة الكون
أنت حيّرت ذا اللُّب
كلّما اقدم فيكُري
ناكصاً يحصل في عمياء
وله في السلك من أبيات:

والله ما موسى ولا
كلّ ولا الروح الذي
علموا بذاتك غير إنك

لولا ثلاث لم أخف صرعتي
إن انصر التوحيد والعدل في
وإن أناجي الله مستمتعاً
وأن أتيه الدهر كبراً على
لذاك أهوى لا فتساء ولا

(١) شرح نهج البلاغة ٥١/١٣.

(٢) كاملة في شرح نهج البلاغة ٥٠/١٣.

(٣) في الغيث المسجم: «مبعة».

(٤) الغيث المسجم ٩١/٢.

لأن طرفة بن العبد^(١) سئل عن مثل ذلك، فقال: مركب وطى وثوب بهي ومطعم شهبي.

قال أبو الحسن العكوك فحدثت أبا دلف بذلك فقال:

أطيب الطيبات قتل الأعادي واختيالي على متون الجياد
ورسول يأتي بوعد حبيب وحبيب يأتي بلا ميعاد

قلت: وللمتأخرين على هذا المنوال أشعار كثيرة حذفها ميلاً للاختصار.

ومن الغرائب التي ذكر في الشرح: أن سائلاً سأل زفر صاحب أبي حنيفة عن الاستفتاح في الصلوات بالكلام هل يفسدها أم لا؟ فقال: قد قال أبو بكر في صلواته ما قال ثم تيقض، فقال السائل: وما قال أبو بكر؟ فصاح به زفر: اخرج عليّ لولا أنك مريب، أشار إلى ما ذكر إن أبا بكر أمر خالد بن الوليد بضرب عنق عليّ وهو ساجد ثم بدا له، فصاح به في الصلوة: لا تفعل يا خالد ما كنت أمرتك به.

وذكر الديار بكري والذهبي: أن الشيخ الصاحب أبا حامد المذكور توفي قبل دخول التتار بغداد بها بنحو سبعة عشر يوم وسلمه الله من شرهم رحمه الله تعالى.

قلت: استباححت التتار بغداد سنة ست وخمسين وستمائة كما تقدم، وكان

(١) هو أبو عمرو طرفة بن العبد بن بكر بن وائل. شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات السبع. ولد في بادية البحرين نحو سنة ٨٦ق.هـ. وتنقل في نجد واتصل بالملك عمرو بن هند فكان من ندمائه. ثم تغير عليه فأرسله بكتاب إلى عامله بالبحرين يأمره فيه بقتله. ولما وصل نفذ فيه الأمر سنة ٦٠ق.هـ. وكان عمره يوم مقتله عشرين عاماً وقيل كان ابن ست وعشرين. أشهر شعره معلقاته ومطلعها: -

لخولة أطلال بسبرقة نهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
ترجمته في: جمهرة أشعار العرب/٧٤، شرح المعلقات السبع للزوزني ٢٨، شرح شواهد المغني/٨٠٥، مقدمة ديوان طرفة، أنوار الربيع ١/٣٥٦. مجلة المشرق ١٥: ٢٣٢ والشعر والشعراء ٤٩ وسمط اللآلي ٣١٩ وفيه: «وهو ابن العشرين، لأنه قتل وهو ابن عشرين عاماً» ومعاهد التنصيص ١: ٣٦٤ وجمهرة أشعار العرب ٣٢ و٨٣ وفيها اسمه «عمرو بن العبد»، والتبريزي ٤: ٨ وخزانة البغدادي ١: ٤١٤ - ٤١٧ وفيه. عن ابن قتيبة: قتل وهو ابن ست وعشرين سنة. وصحيح الأخبار ١: ٨ و١٦٢ والمحبر ٢٥٨ والأمدي ١٤٦، الاعلام ط ٣/٤/٢٢٥.

الوزير مؤيد الدين قد خرج إلى هولاءكو وقرر الصلح بين الخليفة وبينهم أنه يواجهه ويزوج هولاءكو ابنته بابن الخليفة ويخطب له كعادة ضعفة الخلفاء مع آل بويه والسلجوقية فخرج الخليفة ومعه ولده والأعيان والقضاة والشهود لشهود العقد فضربت أعناق الجميع وأدخل الخليفة وولده غرارتين ورفسا حتى ماتا، ودخلت التتار بغداد فاستباحوها أربعين يوماً، والذي أمكن حصره من القتلى في بغداد ألف ألف وثمانمائة ألف، وسلم الوزير وسلمت الحلة المزيدية لحرمة الشيخ العلامة يوسف بن المطهر الحلبي الأمامي فإن هولاءكو احترمه.

وذكر الذهبي: أن الوزير خدع الخليفة لحنق كان في نفسه على السنة فأراد أن يقتلهم التتار ويشفي غليله، وهذا بعيد فإن كماله وحرمة مخدومه تمنعه، وقد قتلت الشيعة والسنة جميعاً ولكن هولاءكو غدر.



والأنبار أحد مدائن كسرى وهي كجمع نبر، بكسر النون الموحدة: وهو الموضع الذي تدفن فيه الحبوب، وكانت الأكاسرة تخزن فيه الحبوب، والله أعلم.

[١٠٠]

الشيخ الصالح عبد الهادي بن محمد السّودي الصنعاني الصوفي (*).

فاضل جنح عن الخيال، وما اغترّ من أمّ ذفر بالضلال والضلال، وجعل الفقر إلى الواحد الغني رفيقه، وفريق العارفين بالحقائق فريقه، هام وجدأ وتزهّد، وعاد كما خرج إلى الدنيا فقيراً والعود أحمد.

وكان أول أمره بصنعاء وبها تخرج وقرأ العلوم.

وكان فقيهاً محققاً في علوم الزيدية، ثم لحقته جذبة الصوفية فخرج هائماً من صنعاء ونزل إلى مدينة تعز.

وذكر الإمام شرف الدين - لأنه كان في أيامه - وقال: إنّما حصل له الهيام

(*) ترجمته في: خبايا الزوايا - خ -، ریحانة الألبا ١/٤٦٠ - ٤٦١، البدر الطالع ١/٤٠٨.

بسبب إكثاره لأكل القات فخفت دماغه والله أعلم، وصار فقيراً ينسب إلى الشيخ أحمد بن علوان الصوفي.

وأخبرني شيخنا السيد المحقق الحسن بن الحسين بن المنصور: أنه حصلت له كرامات باب وذاك إنه دخلها وبها بعض المشائخ ومن عاداتهم أن الشيخ لا يساكن الشيخ في بلد واحد، فحصل لعبد الهادي قلق أزعجه بسبب سر ذلك الشيخ، فنام فرأى في منامه الشيخ أحمد بن علوان فشكى له ما لقي بسبب الشيخ الإبي، ولما أصبح قويت نفسه وسكن جأشه فمدح الشيخ أحمد بقصيدة طويلة لم أكتبها من إملائه.

وبالجملة، فكان من الفضلاء، ولما وصل إلى تعز خلع لباس الوقار، ولبس ثياب الفقر، وساح في شوارعها.

وذكره الشهاب الخفاجي في ريحانته وأورد من شعره:

كسيف حاروا فيك وأعجبا يا مُنى سُمعي ويا بصري
أنت لا تخفي على أحد غير أغشى الفكر والنظر
حيرة عمّت وأي فتى رام عرّفاناً ولم يحير^(١)

ونقلت من خط السيد حسن بن مطهر العجرموزي وقد مضى ذكره في الحاء^(٢) للشيخ عبد الهادي المذكور:

لا وقد منك معتدل عن غرامي فيك لم أمل
ليس لي عطف على أحد لا ولا ميل إلى بدل
بك يا سولي ظفرت فلم التفت للدار والطلل
وجهك المغنى فديتك عن ظلل الإيضاح والجمل
طاب قلب أنت ساكنه وفؤاد من سواك خلي
لوراك العاذلون صبوا وقضوا بالإثم في العذل
ما على العذال من دنفي فالهوى عدل علي ولي
وله أيضاً: من خط المذكور:

(١) ريحانة الألبا ١/٤٦٠.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٥٢.

بكلّ مسعنى غريبٍ
إلا لصبّ غريبٍ

خدي بماءٍ معينٍ
أتى به ابن معينٍ

واذكر لهم كي يرحموني ما بي
بالوصل يفون أو يفتح الباب

والأبيات الرائية للمذكور ضدّ أبيات ابن أبي الحديد المتقدمة، فسبحان خالق الأذهان.

وله من قصيدة:

لست من ليلي ولا سَمْرِهِ
قلّت في الأفياء من شَجَرِهِ
أن تذوق الحُلُوّ من ثَمَرِهِ
أنشيقوني النُّشْرَ من زَهْرِهِ^(١)
قد بلوتُ الحلو من ثَمَرِهِ^(٢)

الطريقة مليحة، والرويّ مطرب، وأكثره من قصيدة أبي نواس وأبي الحسن العكوك.

وعجبت كيف لم ينبّه عليه الخفاجي على فضله، وله ديوان شعر أكثره من الموشح الملحون وهو في اصطلاح القوم..

ومشده بتعز مشهور مزور رحمه الله تعالى.



(١) إضم: ماء يطأه الطريق بين مكة والمدينة (معجم البلدان ١/٣٠٥).

(٢) ريحانة الألبا ١/٤٦١ وفيه: «المَرّ بدل «الحلو».

وإب بكسر الهمزة وتشديد الباء الموحدة: مدينة خصيبة باليمن .

والسَوْدِي بفتح السين المهملة وإسكان الواو وبعد الدال المهملة ياء النسبة نسبة إلى السود قرية من قرى همدان قريب كحلان .

[١٠١]

الشيخ الصَّاحِب صفي الدين عبد العزيز بن سَرَايَا بن أبي الحسن الحلبي
الطائي السبسي، الشاعر المشهور أحد المتأخرين المشهورين
المجيدين (*) .

فاضل يلوح من شعره فيروزج الصبح أو ياقوته الشفق، ما ترثمت الغواني
به إلا وهيجت الورقاء في الورق، تلاعب بمصونات معانٍ كفى البدر حسناً أن
يقال نظيرها، فيزهو ولكني بذاك نظيرها .

ورأيت في ديوان شعره ترجمته لبعض المتأخرين .

قال الشيخ الإمام العالم عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن
أحمد بن نصر بن عبد العزيز بن عبد الله بن العريض: الإمام العلامة، البليغ
المفوه، الفاضل الناظم، الناثر على الإطلاق، صفي الدين الطائي السبسي
الحلبي، شاعراً أصبح به راجح الحلبي ناقصاً، وكان سابقاً فأصبح على عقبه
ناقصاً، يتلعب بالمعاني كما تتلعب النسيم بالأغصان، ويولد بعضها من بعض
كما يتولد الصبغ من الخجل في خدود الحسان، مع بديع ما سمع بمثله البديع،

(*) ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/٤٧٩، فوات الوفيات ١/٥٧٩ - ٥٩٤، آداب اللغة العربية ٣/١٢٨، النجوم الزاهرة ١٠/٢٣٨، وفيه وفاته في ذي الحجة ٧٤٩ و Brock. S. 2:199، نزهة الجليس ٢/٢٠١، شعراء الحلة ٣/٢٩٩ - ٣٢٠، البدر الطالع ١/٣٥٨، الكنى والألقاب ٢/٣٧٨، الذريعة ١/٣٣٧، ٣/٧٦، ٩/٦١٥، سفينة البحار ٢/٣٧، أعيان الشيعة ٣٨/٤٨ - ٥٣ وفيه: أنه توفي بالقاهرة، البابليات ١/١٠٦ - ١١٣، الطليعة في ترجمة رقم ١٥٢، الغدير ٦/٣٩، دائرة معارف وجدي ٥/٥٢٥، مجالس المؤمنين ٤٧١، أمل الآمل، الحصون المنيعه - خ - ٢/٣٥٣، روضات الجنات ٣/٤٢٢، تاريخ مصر لابن إياس/حوادث سنة ٧٤١، ١/١٧٣، وله فيه ترجمة موجزة في ١/٢١٠ أو آخر أخبار الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أنوار الربيع ١/٤٥ - ٤٦، الاعلام ط ٤/٤/١٧ - ١٨ .

وتصريح ما ألمّ بمثله الصريع، وشعره مع حلاوة الديباجة، وطلاوة التركيب التي مرحت بها طلا الدنّ، ولا سلافة الزجاجة، لا تخلو من نكتة أدبية ترقص المناكب، وفوائد علمية من كلّ فن تنقّض منها الكواكب، عالم بكلّ ما يقول، عارف بغرائب النقول، أجاد فنون النظم والقريض، وأتى في الجميع بما هو شفاء القلب المريض، لأنه نظم القريض فبلغ فيه الغاية، وحمل قدّامه فحول المتقدمين الراية، كذلك هو في الموشحات والأزجال والمكفرات والبلاليق والدوبيات والقرقيات والمواليات والكان وكان والقومًا وكذلك الشعر أبدع في مديحه وهجوه ورثاه وأغزاه وأوصافه وتشبيهاه وحماسته وحكمه وأمثاله.

وأما نشره فهو طبقة وسطى، وترسله يحتاج إلى أن تعلق في أذنه قرطاً، وكان يسافر ويتجر، وكان ينقطع في بعض الأحيان عن الاجتداء بالشعر وينزجر، وكان منقطعاً إلى الملوك الأرتقية أصحاب مارددين، وكان فيه شجاعة وإقدام، وقوة وجنان، وثبات أقدام، وورد إلى مصر ومدح الملك الناصر فرج بن برقوق. قلت: استوفى هذا الأديب حال الصفي وأنا بالأشواق إلى معرفته.

وكان الصفيّ من كبار الإمامية وكان عالماً بالأدب، وله شرح على بديعته أجاد فيها، وله فضل السبق إلى نظم البديع في مديح رسول الله ﷺ وإنما تبعه الحموي والموصلي والعميان أعنى محمد بن جابر الأندلسي صاحب بديعيتهم، وعندني إن أجود شعره النبويات، وديوان شعره مشهور، فما خامرني خمره، وهزني بنسمة عطره، من روضياته:

وقال كلّ الزهر في خدمتي
ما رفعت من دونه رايتي
وقال ما تحذر من سطوتي
يقوله الأشيب في حضرتي
وقال للأزهار يا عصبتي
ويضحك الورد على شيبتي

قد نشر الزنبق أعلامه
لو لم أكن في الحسن سلطانه
فقهقه الورد به هازئاً
وقال للسسوسن ماذا الذي
فامتعض الزنبق من قوله
يكون هذا الجيش بي محققاً

وأحسب أنّ ابن نباتة أخذ من هنا قوله:

حسب الفتى بعد الصّبا ذلّة أن يضحك الشيب على ذقنه^(١)

(١) ديوان ابن نباتة المصري.

وقد مرّ.

وللصفي أيضاً:

ولم أنس إذ زار الحبيب بروضة
وقد فرش الورد الخدود ونشرت
أقول وطرف النرجس الغض شاخص
أيا ربّ حتى في الحدائق أعين

أجاد الصفي. وقام للروض بما يجب في شرعه بالوفا وفي وفي.

ويعجبني قول مجير الدين بن تميم:

كيف السبيل للثم من أحببته
ما بين منشور وناظر نرجس
هذا يشير بإصبع وعيون ذا
وقول ابن الدباغ^(١):

غضى عيونك يا عيون النرجس
فلقد تخير إذ راك شواخصاً

ومن شعر الصفي:

أيمن الحمسى عرب
كلّما ذكرتهم
جيرة بحبهم
العهدود واهسية
في خسيامهم قمر
لي بربعمهم أرب
هزني لهم طرب
ليس يسحفظ الأدب
والحقوق تفتصب
بالصفاح مُحْتَجِب

(١) لعله أبو الفرج محمد بن الحسين بن علي الجفني البغدادي المعروف بابن الدباغ: كان أديباً فاضلاً قرأ على الشريف ابن الشجري، وأبي منصور الجواليقي، تصدر لتدريس النحو واللغة مدة طويلة، خرج إلى الموصل، ثم عاد إلى بغداد وبها توفي سنة ٥٨٤، من آثاره: ديوان شعره، وله رسائل.

ترجمته في: بغية الوعاة ٩٢/١، إنباه الرواة ١١٣/٣، هدية العارفين ١٠٣/٢، خزانة الحموي/ ٢٤٦، أنوار الربيع ٤/١٢٦.

ريقة مسعتقة
بت في ديارهم
الدموع هاطلة
أن للفرام يد
أن قضيت فيه أسى
أبدت الشواشة رضاً
ألشغور ضاحكة

ثغره لها حبيب
والفؤاد مكتئب
والضلع تلتهب
مستني بها العطب
فهو بعض ما يجب
منه يلحظ الغضب
والقلوب تنتحب

ما أرق هذه الأبيات الشبيهة بالثنيات، ومثلها أول شعر قاله أبو نؤاس.

حامل الهوى تسعب
وهي مشهورة.
يستخفه الطرب

ومن المطرب في الروضيات أيضاً قول أمين الدين الجوبان القواس^(١)
الدمشقي:

نقش غصن البان أذنا به
وقال هل في الروض مثلي وقد
فحدق النرجس يهزأ به
بل أنت بالطول تحامقت يا
فقال غصن البان من تيهه

وماس عند الصبح زهواً وفاح
تعزا إلى غصني القدود الملاح
وقال حقاً قلت ذا أم مزاح
مقصوف عجباً بالدعاوى القباخ
ما هذه إلا عيون وقباخ

وللصفي في غلام قلع الطبيب ضرسه وفصده:

لحي الله الطبيب لقد تعدى
أعاق الظبي في كلتا يديه
وله أيضاً:

وجار على الجمال بذى الفعال
وسلّط كلبتين على غزال

ولو شاهدت عيناك وجه معذبني
رأيت بعيني من تلقّيه مرحباً

وقد زارني بعد القطيعة والهجر
وسيف علي في لحاظ أبي بكر

(١) أمين الدين القواس، واسمه جوبان بن مسعود بن سعد الله. شاعر شامي، كان من أذكيا العالم، وله النظم الجيد، والخط الجميل، وكان له ذهن خارق. توفي في حدود سنة ٦٨٠هـ.

ترجمته في: فوات الوفيات ٢١٣/١، أنوار الربيع ١/١هـ ٢٦٩.

غضب أبو بكر بن حجة من التورية باسمه واسم إمامه .

وإنما أخذه الصفي من قول عبد المحسن الصوري الشاعر في غلام اسمه
عمر وأجاد [من السريع]:

نَادَمْنِي مَنْ وَجْهُهُ رَوْضَةٌ مشرقة يمرحُ فيها البَصْرُ
فَانظُرْ مَعِي تَنْظُرْ إِلَى مُعْجِبٍ سيفُ عليٍّ بينَ جفني عَمْرٍ^(١)

نعم زاد الصفي مرحباً وأهلاً وسهلاً بقوله في ما أخذه .

وله في رجل عجز عن افتضاض عرسه :

تزوج شيخ في جوارى صبيّة فلم يستطع غشيانها حين جاءها
ولو أنني بادرتها لتركتها يرى قائماً من خلفها ما وراءها

ضمّن عجز الثاني من قول قيس بن الخطيم الأوسي^(٢) وذلك أن أباه
الخطيم كان قتله رجل يعرف بابن عبد القيس وابنه صبيّ أعني قيساً فلما ترعرع
قيس عدى على قاتل أبيه فقتله وقال :

طعنتُ ابن عبد القيس طعنة ثائرٍ لها نَفْدٌ لولا الشُّعاع أضاءها
ملكْتُ بها كفي فأنهَرْتُ فَتَقَّها يرى قائماً من خلفها ما وراءها^(٣)

وكان قيس من شعراء الأوس المجيدين .

وقيل إنه وجد عمرة زوجة حسان بن ثابت وقد ظعن الحي للنجعة وهي

(١) يتيمة الدهر ٢٩٦/١، الغدير ٢٢٥/٤، ديوان الصوري ٢٠٤/١.

(٢) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد، شاعر الأوس، وأحد صناديدها في الجاهلية، أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجدّه حتى قتلها، وقال في ذلك شعراً، وله في وقعة «بعث» التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة، أدرك الإسلام وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه نحو سنة ٢٠ ق.هـ، شعره جيد، وفي الأدباء من يفضله على شعر حسان، له ديوان مطبوع.

ترجمته في: الأغاني ٣/٣ - ٢٧، الإصابة ت/ ٧٣٥٠، جمهرة أشعار العرب ١٢٣، طبقات ابن سلام ٥٦، معجم المرزباني ٣٢٠ وفيه اسم الخطيم «ثابت» معاهد التنصيص ٩١/١، الأمدي ١١٢، خزانة البغدادي ١٦٨/٣ - ١٦٩، الاعلام ط ٢٠٥/٥/٤.

(٣) الخبر والشعر في الأغاني ٤/٣ - ٥.

أنهر الفتق: وسّعه، الخبر والشعر في الأغاني ٤/٣ - ٥.

متأخرة عنهم، فقال لها: ليت شعري ما أخرتك، أقلّ ناصرك؟ أم قلّ وافدك، فسبته ثم أخبرت زوجها حسان فلعج بينهما الهجاء، وقال قيس فيها لبغيض حسان:

أجد بعمرة عتبانها فتتهجر أم شأننا شأنها
وعمرة من سروات النساء ينفح بالمسك أردانها

وقال أبو الفرج الأصبهاني في أخبار أبي عبد المنعم طويس المغنّي المدني^(١): أن العقيق سال مرة فخرج الناس ينظرونه، وخرج في الناس عبد الله ابن جعفر الطيار، فبينما هم هناك إذ هاجت السماء، فقال عبد الله: إن هذه السماء لخليقة أن تبلّ ثيابنا فلو عدلنا إلى منزل طويس فسمعنا غناه وأضحكنا لكان أجمل بنا، فقال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: جعلت فداك وما تصنع بمنزل طويس عليه غضب الله؟ مغنّ شاين لمن عرفه، فقال: وإن كان كذلك فإن له لأدباً وظرفاً ومرّوة، وطويس بحيث يسمع كلامهما، فسبق إلى منزله فذبح عناقاً سمينة كانت عنده، وأمر زوجته أن تشويها، وتصنع لهم طعاماً، ولقى عبد الله فقال: جعلت فداك ألا تعدل إلى المنزل حتى تمسك السماء فاغنيك وأضحكك؟ فقال عبد الله: إياك أردنا، فدخلوا فأنسهم وأضحكهم، ثم قدم لهم العناق فاستظرف عبد الله طعامه^(٢)، ثم قدم النبيذ، ثم قال: جعلت فداك آخذ الدف فأتمشي به لك صوتاً أو صوتين، فأخذ الدف ونقر فيه ورقص وغنّى:

«أجد بعمرة عتبانها»

وهي أم عبد الرحمن فاحمرّ وجهه فلو فتحت له الأرض لساخ فيها حياةً وخجلة من ذكر أمّه، فأقاموا يوماً ودخلوا المدينة، فقال عبد الله لعبد الرحمن: أنت تعلم مما أتيتُ.

ذكرت بالعاجز عن البكر قول السيد الحسين بن عبد القادر^(٣) في تظمين قول أبي الطيب:

(١) ذكر طويس وأخباره في الأغاني ٣/٢١٩ - ٢٢٣.

(٢) الأغاني ٣/٣٣ - ٣٤، وفي آخرها اختلاف يسير.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٦٠.

قم للعروس ابتكرها قبل قبلتها
وانشد لذا تركك التقبيل معتذراً
أعلى الممالك ما يبني على الأسل
والطعن عند محبيهن كالقبيل

قلت: روى في الحديث: «إذا أراد أحدكم أهله فلا يأتيها كالعير وليكن
بينهما رسول، قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: «القبلة».

وسبى معن بن زائدة سبايا من العرب فأنشد متمثلاً:
ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلا وضرب الرقاب
فقلت احدهن: أما طعن الكلا فأنت مليء به، وأما ضرب الرقاب فلم
يكن.

من رقيق شعر الصفي الحلبي:

يا غصناً في الرياض مالا
وما ادعيت السلو ميلاً
ظبي من الترك سل سيفاً
قد غيرته الوشاة حالاً
وظن أني سلوت لَمَّا
من قبل ذكر الوصال ماذا
أن قال كم ذا آتية عُجْباً
يا رايحاً بعد إذ سباني
استغفر الله فاق بسدي

حملتني في هواك مالا
ولا شكى جسمي انتحالا
علي من لحظه وشالا
علي بعد الرضا فمالا
أبعدني سالفاً وخالا
يفعل لو سمته الوصالا
قال له الحسن ته دلالا
حسبك رب السما تعالا
غزالة الأفق والغزالا

أما «يا رايحاً بعد إذ سباني» فقد ذكرت في ترجمة الأمير السيد أبي الحسن
إسماعيل بن محمد^(١) قول ابن العفيف فينظر فيه، وأما أن أحدهما أخذ من
صاحبه الصفي أو الشاب الظريف فلم أتحمقه فأنهما كانا متقاربين أو متعاصرين.

ومحاسن الشيخ صفي الدين كثيرة لأنه أبوها.
وذكر القاضي قطب الدين محمد بن محمد بن حضر المصري: إنه توفي
سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة تقريباً.



(١) ترجمه المؤلف برقم ٣٠.

والحلة المنسوب إليها مدينة مشهورة، بالعراق بين بغداد والكوفة اختطها سيف الدولة صدقة بن فخر الدين أبي كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الناشري الأسدي الإمامي سنة خمس وتسعين وأربعمائة. وجميع أهلها شيعة.

والسَّنْبُسي، بفتح السين المهملة وإسكان النون وفتح الباء الموحدة وآخره سين مهملة أيضاً: نسبة إلى بني سَنَبَس بطن من طي، والله أعلم.

[١٠٢]

أبو محمد عبد السلام بن رَغْبَانَ بن عبد السَّلَام بن حبيب بن عبد الله
ابن رَغْبَانَ بن زيد بن تميم الكلبي الشامي الحمصي الملقب ديك الجن
الشاعر المشهور^(*).

فاضل أعار النجوم قلادة فكره، وكاد يحرق حاسده ذكاه بجمره،
فالطاووس إلى رونق محسنه يجنّ، ويتمنى لو ألبس ديباجة شعر ديك الجنّ.

وذكر أبو الفرج في الأغاني فقال: كان يذهب في شعره مذهب أبي تمام
والشاميين، وكان يتشيع وله مراثٍ في الحسين عليه السلام، وهو من شعراء الدولة
العباسية من أهل حمص، ولم ينتجع بشعره خليفة ولا غيره، ولا دخل العراق^(١)
مع نفاق سوق الأدب، وذكره ابن خلكان في تاريخه^(٢).

وقال أبو الفرج في الأغاني: إن أبا تمام قبل أن يشتهر شعره دخل على
ديك الجنّ فقال له: أنا ابن أخيك حبيب بن أوس وقد ألهمت الشعر وأحب أن
أعرض عليك بعض ما قلته، ثم أنشده شعره فلما فرغ من إنشاده، أخرج أبو

(*) له ديوان شعر جمعه وشرحه عبد المعين الملوحي ومحي الدين درويش ط حمص - سوريا
١٩٦٠، ثم بتحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري.

ترجمته في: الأغاني ٥٢/١٤ - ٦٩، وفيات الأعيان ١٨٤/٣ - ١٨٨، حياة الحيوان للدميري ١/
٤٨٨، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام/٢٠١، الكنى والألقاب ٢/٢١٥، ثمار القلوب ٢٧ - ٤٧٠،
أعيان الشيعة ٢٩/٣٨ - ٣٦، الطليعة - خ - ترجمة رقم ١٥١، أدب الطف ١/٢٨٣ - ٢٨٨،
الغدِير، مقدمة ديوان ديك الجن تحقيق مطلوب والجبوري، أنوار الربيع ٢/١٥٠، الاعلام ط
٥/٤/٤، وله أخبار في مصارع العشاق، وتزيين الأسواق.

(١) الأغاني ٥٣/١٤.

(٢) أنظر: وفيات الأعيان ١٨٤/٣ - ١٨٨.

محمد من تحت مصلاه درجاً كبيراً فيه من أشعاره فأعطاه أبا تمام وقال: تكسب بهذا فأخذه أبو تمام وخرج^(١).

وذكر ابن خلكان، عن أبي الجراح صاحب كتاب الورقة: أن ديك الجن مولى طي، وأصله من مدينة سلمية، ومولده بحمص، وتميم أول من أسلم من آبائه على يد حبيب بن مسلمة الفهري وكان أخذ محارباً فأسلم وكان ديك الجن ماجناً خليعاً متلاًفاً لما ورثه من أبيه، وشعره في غاية الجودة.

وحدث عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزبيدي قال: كنت جالساً عند ديك الجن فدخل عليه حدث فسلم وذكر الحكاية المذكورة آنفاً، فلما خرج سألته عنه فقال: هذا فتى من حاسم^(٢) يذكر أنه من طيء، يكنى أبا تمام واسمه حبيب ابن أوس، وفيه أدب وذكاء، وله قريحة وطبع.

قال: وعُمّر ديك الجن حتى مات أبو تمام فرثاه^(٣).

ولما سافر أبو نؤاس من بغداد إلى مصر قاصداً للخصيب عاملها إجتاز بحمص فجاء إلى دار ديك الجن فاستأذن عليه، فقال ديك الجن للجارية: قل لي ليس هو هنا، ففهم أبو نؤاس إنه إستحى من ملاقاته، فقال لها: قل لي له أخرج فقد قنت أهل العراق بقولك:

موردة من كفّ ظبي كأنها تناولها من خده فأدارها
فأبلغته الجارية، فخرج إلى أبي نؤاس فأضافه واعتذر إليه، وأول الأبيات التي هذا البيت منها:

بها غير معذولٍ فداوٍ خمارها وصل بعشيات الغبوق ابتكارها^(٤)
ونل من عظيم الوزر كل عزيمة إذا ذكرت خاف الحفيظان نارها^(٥)
وقم أنت فاحث كاسها غير صاغرٍ ولا تسقي إلا خمرها وعقارها

(١) لم أعر عليها في الأغاني بأخبار أبي تمام أو ديك الجن!!

(٢) في الوفيات: «فتى من أهل حاسم».

(٣) وفيات الأعيان ٣/١٨٤/١٨٥.

(٤) الخمار: صداع الخمر. الغبوق: شرب المساء ويقابله الصبوح وهو شرب الصباح.

(٥) الحفيظان: الملكان اللذان يحفظان الرجل ويحصيان أعماله.

فقام تكاد الكأسُ يُحرقُ كَفَّهُ من النار أو من وَجْنَتَيْهِ استعارها
موردةً من كفّ ظبي كأنما تناولها من خدّه فأدارها
ظللنا بأيدينا نُشْعِشِعُ رُوحَهَا فتأخذ من أقدامنا الرَّاحُ ثارها^(١)

أخذ هذا المعنى الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال من تائتة:

تذكرت عند قوم دوس أرجلهم فاسترجعت من رؤوس القوم ثارات^(٢)
ومن الأوّل قول أبي نواس:

«وداوني بالتي كانت هي الذاء»

قال أبو الفرج: وكان ديك الجن قد استهتر بجارية نصرانية من أهل حمص، وغلبت عليه وذهبت به، فدعاها إلى الإسلام فأسلمت على يديه وإسمها ورد، فتزوجها ثم سعي بها إليه بعد مدّة وذكر له أنّها تخالط غيره فقتلها، وصح له بعد ذلك براءتها، فندم أشد الندم، وله فيها عدة مراث، وقال فيها حين تزوّجها:

أنظر إلى شمس القُصورِ وبَدْرِها وإلى خُزَامَها وبَهَجَةِ زَهْرِها^(٣)
لم تبلُ عينُك أبيضاً في أسودٍ جَمَعَ الجمالَ كَوَجْهِها في شَعْرِها^(٤)
وزُدِّيَةُ الوَجَناتِ تَخْتَبِرُ اسمَها من ريقِها مَنْ لا يُحيطُ بِخُبْرِها
وتمايلتُ فَضَحِكْتُ من أَرادِفيها عَجَباً ولَكُنِّي بَكَيْتُ لِخِضْرِها
تَسْقِيكَ كأسَ مُدَامَةٍ مَنْ كَفَّها وزُدِّيَةُ ومُدَامَةٌ من نُغْرِها^(٥)

وله بعد قتلها:

لِكِ نَفْسٍ مُوَاتِيَةٍ والمَمْنَايَا مُعَادِيَةٍ^(٦)

(١) وفيات الأعيان ٣/١٨٥، زهر الآداب، العملة، ديوان المعاني، ديوانه ط سوريا ٣٨ - ٣٩.

(٢) ديوان ابن نباتة المصري.

(٣) الخزامى: نبت طيب الرائحة زهره أطيب الأزهار نضحة.

(٤) تبلو: تختبر.

(٥) الأغاني ١٤/٥٦، محاضرات الأدباء، ديوانه ط سوريا ٥٤ - ٥٥.

(٦) مواتية: موافقة وملائمة.

أَيُّهَا الْقَلْبُ لَا تُعْذُ لِهَوَى الْبَيْضِ ثَانِيَةً^(١)
 لَيْسَ بَرْقُ يَكُونُ أَخْـ لَبَّ مِنْ بَرْقِ غَانِيَةً^(٢)
 خُنْتُ مِنْ لَمْ يَخُنْكَ سِرَّ أَفْمُوتِي عَلَانِيَةً^(٣)

وله فيها:

يا طلعة طلع الحمام عليها وَجَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدَيْهَا^(٤)
 رَوَيْتُ مِنْ دَمِهَا الثَّرَى وَلَطَّالْمَا رَوَى الْهَوَى شَفْتِي مِنْ شَفْتَيْهَا
 قَد بَاتَ سَيْفِي فِي مَجَالِ وَشَاحِهَا وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا^(٥)
 فَوَحَقُّ نَعْلَيْهَا وَمَا وَطِءَ الْحَصَى شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْهَا
 مَا رَحْتُ أَقْتَلُهَا لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَبْكِي إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ عَلَيْهَا
 لَكِنْ ضَنْنْتُ عَلَى الْعَيُونِ بِحُسْنِهَا وَأَنْفَتُ مِنْ نَظَرِ الْحَسُودِ إِلَيْهَا^(٦)

وله فيها غير ذلك وهو مخطيء في فعله غير معذور، لكن هذا الديك كالهرة تأكل أولادها من المحبة.

وقد سرد ابن أبي حجلة في ديوان الصبابة^(٧) قصته الشنيعة كلها وما قال فيها من الأشعار.

وذكرها أيضاً أبو بكر الخرايطي في كتاب اعتلال القلوب.

وقال أبو الفرج: كان ديك الجن يهوى غلاماً من أهل حمص اسمه بكر بن بهمرد وكان شديد التمتع والتصاوان فاحتال عليه قوم من أهل حمص فاخرجوه إلى متنزه لهم يعرف بميماس فأسكروه وفسقوا به جميعاً فقال فيه:

قُلْ لِهَضِيمِ الْكَشْحِ مَيَّاس أَيْنَقُضُ الْعَهْدُ مِنَ النَّاسِ^(٨)

(١) البيض: النساء.

(٢) اخلب: اخدع - الغانية: المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة وجمعها غوان.

(٣) الأغاني ٥٨/١٤، ديوانه ١١٤.

(٤) الردى: الموت.

(٥) الرشاح: نسيج عريض يرصع بالجوهر، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها.

(٦) الأغاني ٥٨/١٤ - ٥٩، تزيين الأسواق، ديوانه ١١٢ - ١١٣.

(٧) ديوان الصبابة ٩٧.

(٨) هضيم الكشح: رقيق الخصر. مياس: من ماس أي تبختر.

إِلَّا أَذْلَسْتُ قُضُوبَ الْآسِ^(١)
 وَحَثَفْتُ أَمْثَالِكَ فِي الْكَاسِ^(٢)
 بَيْنَ مَغِيثِيكَ وَمِيمَاسِ
 كُتْلِهِمْ فِي قَطْعِ أَنْفَاسِي^(٣)
 نِهَآيَةَ الْمَكْرُوهِ وَالْبِئَاسِ
 سَيُضِيحُ الذَّاكِرُ كَالنَّاسِي^(٤)

يَا طَاقَةَ الْآسِ السِّي لَمْ تَمِلْ
 وَثَقَّتْ بِالْكَاسِ وَشُرَّابِهَا
 وَحَالَ مِيمَاسُ وَيَا بَعْدَمَا
 تَقَطَّعُ أَنْفَاسِكَ فِي أَثَرِهِمْ
 لَا بَأْسَ مَوْلَايَ، عَلَيَّ أَنْهَا
 فَيَالَهُ وَدَعَّ عَنْكَ أَحَادِيثَهُمْ

وقال فيه:

عَسَاكِرُ اللَّيْلِ بَيْنَ الطَّاسِ وَالْجَامِ^(٥)
 وَالْبَغْيِ وَالْعُجْبِ إِفْسَادُ لَأَقْوَامِ
 فَصِرْتُ غَيْرَ رَمِيمٍ رُقْعَةَ الرَّامِي^(٦)
 فَقَدْ ذَلَلْتُ لِإِسْرَاجِ وَإِلْجَامِ
 أُمْسِي وَقَلْبِي عَلَيْكَ الْمُوجِعُ الدَّامِي^(٧)

قَوْلًا لِبَكْرِ بْنِ دَهْمَرْدٍ إِذَا اعْتَكْرَثَ
 أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ الْكَبْرَ مَهْلِكَةٌ
 قَدْ كُنْتَ تَفَرِّقُ مِنْ سَهْمِ تَعَايِنِهِ
 وَكُنْتَ تَفْرَعُ مِنْ لَثْمِ وَمَنْ قُبَلِ
 إِنْ تَدَمَّ فَخُذَاكَ مِنْ رَكْضِ قَرُبَتَمَا

وشعره في غاية الجودة، وتوفي في خلافة المتوكل سنة ست وثلاثين
 ومائتين، رحمه الله تعالى



بفتح الراء وإسكان الغين المعجمة وبعد الباء الموحدة ألف ونون، والله
 أعلم.

- (١) الآس: شجر دائم الخضرة، يبضي الورق، أبيض الزهر أو ورديه، عطري، وثماره لبية سود تؤكل
 غضة، تجفف فتكون من التوابل، وهو من فصيلة الآسيات. ماد: مال واهتر.
- (٢) الحثف: الموت.
- (٣) الأثر: اكنار الفحل من ضراب الناقة. واستعمل هنا للإنسان. - يقال: ملك العجين: إذا أنعم
 عجنه. وهنا على سبيل التشبيه.
- (٤) الأغاني ١٤/٦٢ - ٦٣، ديوانه ٥٨ - ٥٩.
- (٥) اعتكر: أظلم. الجام: الكأس.
- (٦) تفرق: تخاف. - سهم غانية: نظرتها. - الرميم: البالي. قال تعالى: ﴿وَضْرِبْ لَنَا مِثْلًا وَنَسِي
 خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾. سورة يس: الآية ٧٨.
- (٧) الأغاني ١٤/٦٣، ديوانه ٩٤ - ٩٥.

الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر، ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن إبراهيم بن الإمام أبي الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق وبقية النسب أشهر من نار على علم^(*).

فاضل أحاط بالنفيسين علم الشرع وعلم الأدب، فأصبح يجتدي من لسانه ويده اللؤلؤ والذهب، وضربت إلى فنائه آباط النياق، وكاد ينقلب لسعادته الحج من الحجاز إلى العراق.

ثم عقد للشيعة راية لا تنحل إلى القيامة، وكم أقامها على الناصبة وأغمد في رؤوسهم حسامه.

وقال ابن بسام في الذخيرة: كان هذا الشريف إمام أهل العراق، بين الاختلاف والاتفاق، إليه فزع علماؤها. وأخذ عنه فضلاؤها، صاحب مدارسها، وجامع شواردها وأنيسها، ومن سارت أخباره، وعرفت به أشعاره، وحمدت في ذات الله تأثيره وآثاره، إلى تكليفه في الدين، وتصانيفه في أحكام المسلمين، ما يشهد أنه فرع تلك الأصول، ومن أهل ذلك البيت الجليل، وأورد له عدة مقاطيع^(١).

وقال ابن خلكان في تاريخه بعد ذكر نسبه: وكان نقيب الطالبين، وكان

(*) له ديوان شعر كبير بثلاثة أجزاء حققه رشيد الصفار المحامي، وطبع بمصر سنة ١٩٥٨م. ترجمته في: أعيان الشيعة ١٨٨/٤١ - ١٩٧، الكنى والألقاب ٤٤٥/٢، تاريخ بغداد ٤٠٢/١١، وفيات الأعيان ٣١٣/٣ - ٣١٧، معجم الأدباء ١٤٦/١٣ - ١٥٧، إنباء الرواة ٢٤٩/٢، النجوم الزاهرة ٣٩/٥، شذرات الذهب ٢٥٦/٣، جمهرة أنساب العرب ٦٣، دمية القصر ٢٧٩/٢ - ٢٨٣، أنوار الربيع ١/٣٢٩، روضات الجنات ٣٨٣، مجلة العرفان ٣٢/٢، ميزان الاعتدال ٢٢٣/٢، لسان الميزان ٢٢٣/٤، تنمة اليتيمة ٦٩ - ٧٢، رجال النجاشي ١٩٢، الفهرست للطوسي ٩٨، مجلة المجمع العلمي العربي ١٠١/٣٤، الذريعة ٤٠١/٢، الاعلام ط ٢٧٨/٤/٤ - ٢٧٩، معالم العلماء ٦٩ - ٧١، رجال العلامة ٩٤، رجال السيد بحر العلوم، أدب أطف ٢/٢٥٦ - ٢٩٧، الطليعة - خ - ترجمة رقم ١٧٩، الذخيرة.

وللدكتور عبد الرزاق محي الدين دراسة بعنوان «أدب المرتضى» ط بغداد ١٩٥٧، الغدير ٢٦٢/٤ - ٢٩٩.

(١) الذخيرة.

إماماً في علم الكلام والأدب والشعر^(١).

وله تصانيف على مذهب الشيعة، ومقالة في أصول الدين، وله ديوان شعر كبير، وإذا وصف الطيف أجاد فيه، وقد استعمله في كثير من المواضع، وقيل إنه جامع نهج البلاغة، وله كتاب الغرر والدرر، وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني فنون الأدب، تكلم فيها على النحو واللغة، وغير ذلك، وهو كتاب ممتع يدل على فضل كبير وتوسع في الاطلاع على العلوم.

قلت: ومن أشهر تصانيفه الشافي في الإمامة لم يصنف مثله للأمامية، وكتاب المغني في الفقه من أجل الكتب، ومما وقفنا عليه من تصانيفه شرح قصيدة السيد الحميري المذمومة المذكورة في أواخر حرف الهمزة^(٢) وكان معلّمه مفيد الدين محمد بن محمد بن النعمان الحارثي الشهير بابن المعلم^(٣).

ومن شعره:

يا خليلي من ذؤابة «قيس»
علّاني بذكرهم تُظرباني
وخذًا النوم عن جفوني فإني
في التصابي رياضة الأخلاق
وأسقياني دمعي بكأس دهاق^(٤)
قد خلعت الكرى على العشاق^(٥)

(١) وفيات الأعيان ٣/٣١٣.

(٢) ترجمته برقم ٣١.

(٣) محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، يرفع نسبه إلى قحطان، أبو عبد الله، المفيد، ويعرف بابن المعلم: محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه. ولد في عكبرا (على عشرة فراسخ من بغداد) سنة ٣٣٦هـ ونشأ وتوفي ببغداد سنة ٤١٣هـ. له نحو مئتي مصنف، منها «الإعلام فيما اتفقت الإمامية عليه من الأحكام - ط» و«الإرشاد - ط» في تاريخ النبي - ﷺ - والزهراء والأئمة وغيرها. ترجمته في:

مجلة العرفان ٣: ٢٥٣ والنجاشي ٢٨٣ وروضات الجنات ٤: ٢٤ وفهرست الطوسي ١٥٧ وميزان الاعتدال ٣: ١٣١ والذريعة ١: ٣٠٢ و٥٠٩ ثم ٢: ٢٣٧ و٢٥٨ ومجلة المجمع العلمي العربي ٢٩: ١٢٩ و Brock. I: 322 وأنظر «مشاركة العراق» الرقم ٢٩٧ ففيه ذكر ٢٤ كتاباً ورسالة من تأليفه كلها مطبوعة، الاعلام ط ٤/٧/٢١.

(٤) دهاق: ممتلئة.

(٥) وفيات الأعيان ٣/٣١٤، تنمة اليتيمة ١/٦٩، معجم الأدباء ٣/١٤٩، ١٥٧ كاملة في ديوانه ٢/٣٤٢ - ٣٤٥.

وهي طويلة أجاد فيها .

وحكي : أنه كان جالساً في عليّة له تشرف على الطريق فمرّ به ابن المطرّز الشاعر^(١) يجرّ نعلاً له بالية وهي تثير التراب فأمر بإحضاره وقال : أنشدني أبياتك التي فيها :

إذا لم تبلّغني إليك ركائبي فلا وردت ماءً ولا رعت العشبا

فأنشده إياها فلما بلغ هذا البيت أشار الشريف إلى نعله البالية وقال : أهذه كانت ركائبك؟ فأطرق المطرّز ساعة، ثم قال : لما عادت هبات سيدنا الشريف إلى مثل قوله :

وخذ النوم من عيوني فإنني قد خلعتُ الكرى على العثاق^(٢)

عادت ركائبي إلى ماترى، فإنه خلع ما لا يملكه على من لا يقبله، فاستحيى الشريف منه .

وأورد ابن خلكان من شعره :

ضنّ عني بالنّزّ إذ أنا يقظا ن وأعطى كثره في المنام
والتقينا كما اشتهينا ولا عيب سوى أن ذاك في الأحلام
وإذا كانت الملاقاة ليلاً فالليالي خير من الأيام^(٣)

وقال الشريف أبو الحسين علي بن أحمد بن معصوم في السلافة : وقال الشريف المرتضى في كتابه الدرر والغرر : ذاكربي بعض الأصدقاء بقول أبي دهب الجمحي يصف ناقته :

(١) هو أبو القاسم، عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب الشاعر المعروف بالمطرّز. قال عنه الخطيب في تاريخ بغداد (كثير الشعر، سائر القول في المديح والهجاء والغزل وغير ذلك، قرأت عليه أكثر شعره، وكان يسكن نواحي درب الدجاج). ولد سنة ٣٥٥ وقيل ٣٥٤، توفي سنة ٤٣٩هـ. له ديوان شعر.

ترجمته في: تاريخ بغداد ١٦/١١، هدية العارفين ٦٣٣/١، النجوم الزاهرة ٤٤/٥، اللباب ٣/١٤٩، تنمة يتيمة الدهر ٥٧/١ وفيه اسمه: عبد الرحمن بن محمد، أنوار الربيع ٤/١٤٨ - ١٤٩، الاعلام ط ١٧٧/٤/٤.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣١٤، ديوانه ٢/٣٤٢.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣١٤، ديوانه ٣/٢٧٠.

وَأَبْرَزْتُهَا بِطَحَاءِ مَكَّةَ بَعْدَمَا
أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا^(١)
وسألني إجازة هذا البيت، وأن أجعل الكناية عن امرأة فقلت:

فطَيَّبَ رِيَّاهَا الْمَقَامُ وَضَوَّاتُ
فِيَارِبٍ إِنْ لَقَيْتَ وَجْهًا تَحِيَّةً
تَجَافِينِ عَنِ مَسِّ الدَّهَانِ وَطَالَمَا
وَكَمْ مِنْ جَلِيدٍ لَا يُخَامِرُهُ الْهُوَى
أَهَانَ لَهْنَ النَّفْسِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ
تَسْفَهَتْ لَمَّا أَنْ مَرَرْتَ بِدَارِهَا
فَعُجِبْتَ لِتَقْرَى دَارِسًا مَتَنَكَّرًا
وَيَوْمَ وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَكَلَّنَا
صَبْرًا بِقَلْبٍ لَا يُعْنَفُ فِي الْهُوَى
ومن شعره:

بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَازِلِي
أَنَا خَارِجِيٌّ فِي الْهُوَى
فِي الْحَبِّ أَطْرَافُ الرَّمَاحِ
لَا حُكْمَ إِلَّا لِلْمَوَالِحِ^(٢)
قلت: من عجائب الحب أن صير الشيعي خارجياً.
وله أيضاً وهو رقيق:

مَوْلَايَ يَا بَدْرَ كُلِّ دَاجِيَةٍ
حُسْنُكَ مَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ
بِحَقِّ مَنْ خَطَّ عَارِضِيكَ وَمَنْ
مُدَّ يَدَيْكَ الْكَرِيمَتِينَ مَعِي
خذ بيدي قد وقعت في اللُّجَجِ
كَالْبَحْرِ حَدَّثَ عَنْهُ بِلا حَرَجِ
سَلَطَ سُلْطَانُهَا عَلَى الْمُهَجِ
ثُمَّ أَدْعَ لِي مِنْ هَوَاكَ بِالْفَرَجِ^(٣)

ومراعاة النظر في الأولين مما يدل على إمامته في الأدب.

-
- (١) أصوات: نادى، وأعتم: دخل في العتمة.
(٢) السهم: جمع الساهم، وهو المتغير.
(٣) الفرر والدرر ١/١١٥ - ١١٦، سلافة العصر، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٥٩٧، معجم الأدباء ٦/٢١٢ - ٢١٣، ديوانه ٣/٢٠٠ - ٢٠١.
(٤) وفيات الأعيان ٣/٣١٥، أنوار الربيع ١/٢١١، ديوانه ١/٢١١.
(٥) وفيات الأعيان ٣/٣١٥، أنوار الربيع ٤/١٥٠، ديوانه ١/١٧٤.

وله أيضاً وأجاد:

قل لمن خذته من اللحظ دام
أنا خاطرت في هواك بقلب
يا سقيم الجفون من غير سقم
رق لي من جوانح فيك تُدمي
ركب السبحر فيك إمّا وإمّا
لا تلمني أن متّ منهن سقماً^(١)

وهكذا الاكتفاء بهذه الرقة من خصائص علي.

وله أيضاً:

ولمّا تفرّقنا كما شاءت الهوى^(٢)
كأنّي وقد بان الخليط عشية
تبين حبّ خالص وتودّد
أخو جنة ممّا أقوم وأقعد^(٣)

قال ابن خلكان: وحكى الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي اللغوي: أن أبا الحسن علي بن أحمد الفالي كانت له نسخة لكتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة، فدعته الحاجة إلى بيعها فاشتراها المرتضى أبو القاسم المذكور بستين ديناراً وتصفحها فوجد فيها أبياتاً بخط بايعها أبي الحسن الفالي هي:

أنستُ بها عشرين حولاً وبعثتها
وما كان ظنّي أنني سأبيعها
ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيّة
فقلت ولم أملك سوابق عبّرة
«وقد تخرج الحاجاتُ يا أم مالك
لقد طال وجدي بعدها وحنيني
ولو خلدتني في السجون ديوني
صغارٍ عليهم تستهلُّ شؤوني
مقالة مكويّ الفؤاد حزين:
كرائم من ربّ بهن ضنين»^(٤)

فلما قرأ الأبيات أرجع له النسخة ووهب له الدنانير.

وكان بين المرتضى وبين أبي العلاء المعري مكاتبات بالشعر يضمها ديوانه «سقط الزند»، ومحاسنه كثيرة، وشعره وعلمه أكثر من أن يُحصّر.

كانت ولادته سنة خمس وخمسين وثلثمائة.

(١) وفيات الأعيان ٣/٣١٥ - ٣١٦، أنوار الربيع ٤/١٤٩، ديوانه ٣/٢٢٢.

(٢) في هامش ب: «النوى».

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣١٤ - ٣١٥، أنوار الربيع ٤/١٥٠، ديوانه ١/٢٣٣.

(٤) وفيات الأعيان ٣/٣١٦.

وتوفي يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة ببغداد، رحمه الله تعالى.



والفالي بالفاء منسوب إلى فاه: بلد من خوزستان قريب من أيدج، والله أعلم.

[١٠٤]

أبو البركات، علي بن الحسين بن علي بن جعفر بن محمد الملقب
بخوز بن الحسين بن علي بن محمد الديباج بن جعفر الصادق، الشريف
الحسيني النيسابوري^(*).

فاضل أيد البلاغة تأييد جده، وكان كالسيف لا يأوي الحكم إلى غير حذّه،
في شعره من كنى بأبيه، والكمال صفته برغم ابن النبيه.
وذكره أبو الفضل^(١) العتبي في سيرة السلطان يمين الدولة محمود بن
سبكتكين وقد ذكر جماعة من فضلاء دولته، وقال بعد إيراد نسبه شعراً:
وأرى النجابة لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بابن نجيب
نسب توارث كابراً عن كابرٍ كالرمح انبواباً على أنبوب
قد جمع الله له بين ديباجتي النظم والنثر، فنشره منشور الرياض جادته
السحائب، ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب، وأورد له نثراً بليغاً،
ومن شعره [من الطويل]:

وأغيد سحار بألفاظ عينه حكى لي ثنّيه من البان أملودا
سلخت بذكراه عن القبح ليلة أسامره والكاس والناي والعودا
ترى أنجم الجوزاء والنجم فوقها كباسط كقّيه ليقطف عنقودا^(٢)

(*) ترجمته في:

يتيمة الدهر ٤/٤٢٠ - ٤٢١، تنمة اليتيمة ٢/١٨١ - ١٨٤.

(١) في الأصل: «أبو الفضل» وما أثبتناه من وفيات الأعيان ٥/١٧٩. وهو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي، واسم كتابه «اليميني» وهو مشهور.

(٢) يتيمة الدهر ٤/٤٢٠.

قلت: الثالث من قول ابن المعتز وقد مرّ.

وأورد من شعره في وصف اللقائق وهو اللحم المشويّ:

إذا كنت تهوى اليوم أكل اللقايقا
إلى جامع اللذات طيباً ولذّة
تراه على السفود عند صلّاته
فبعض تدلّي كالوشاح وبعضه
فانجح لقيت الخير في حاجة امرئ
وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي^(١):

لئن كان ذنبي بأني اعتللت
وإن كان هجرك من أجله
صدودك عني صدود الحياة
فزرني قليلاً تجد شاكرًا
ومن نثره:

أحب أن تكون مكاتبتني للأمير أنفأ لم ترتع، وبكرأ لم تفرع، وسايبة لم
تركب ولا تحلب، فلا أشوبها بأرب، ولا أتسبب إليها بسبب، فعل من لا يشين
ولاه طمع، ولا يشرب دعواه عيب ولا طبع، على أن الاضطرار تغير في وجه
الاختيار، والعذر منه مقبول عند ذوي الأخطار والأحرار، وفلان لمسني بحق
الجوار، ولقد نشر خرايد شكره، وأظهر بحسن النشر خبايا برّه، فملاً الأرض
ثناء والسماء دعاء، وعادة الأمير أن يحيى الأموات، ويسترق الأحرار، فليجعل
متكرماً هذا الآمل محظوظاً، ولا يجعله محظوظاً، إن شاء الله تعالى.
وهذا منشورٌ عبق، وله باقات منشور أجاد وصفها، وشعر بهي، رحمه الله
تعالى.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٥٨.

أبو الحسن علي بن العباس بن جرجيش المعروف بابن الرومي،
الهاشمي بالولاء، مولى عبد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور
العباسي الشاعر المشهور^(*).

فاضل معانيه أبهى من ديباج بلده، لو أدركه السامري لاستغنى بذهب فكرته
الناطق عن جسده، غواص على الجواهر من بحور الفكر، فلو رأى الروض باهر
نظمه، لازداد بثغور غصونه واحتفر، وقال صاحب الفصول المهمة في فضائل
الاثنى عشر الأئمة، وهو من المالكية: كان ابن الرومي شاعر الإمام الهادي أبي
الحسن علي بن الجواد عليهما السلام. وذكره عامة أهل التاريخ وأثنوا عليه،
وكان من فحول الشعراء المولدين، ومعانيه لم تسبق إليها^(١).

وقال ابن خلكان فيه: صاحب النظم الجيد العجيب، والتوليد الغريب،
يغوص على المعاني النادرة، يستخرجها من مكانها، ويبرزها في أحسن صورة،
ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقى فيه بقية. وجمع شعره الصولي،
وجمعه أبو الطيب وراق بن عبدوس من جميع النسخ فزاد على كل نسخة مما هو
على الحروف ونحوها نحو ألف بيت^(٢).

قال الصفدي في الغيث: واختار شعره الخالديان وابن نباتة المصري.

(*) له ديوان شعر طبع بتحقيق د. حسين نصار - ط دار الكتب المصرية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/٣٥٨ - ٣٦٢، معاهد التنصيص ١/١٠٨، تاريخ بغداد ١٢/٢٣،
معجم الشعراء للمرزباني ١٤٥، ٢٨٩، ٤٤٨، الذريعة ١/٣١٣، مجلة الكتاب ١/١٨٦، دائرة
المعارف الإسلامية ١/١٨١، مذيبة بتعليق من إنشاء الأستاذ عباس محمود العقاد شاكاً في صحة
الخبر من موت ابن الرومي من سم القاسم بن عبيد الله، وبانياً شكه على ما يذكر من أن القاسم
قال لابن الرومي: «سلم على والدي» والدة كان حياً في ذلك الحين، أعيان الشيعة ٤١/٢٨١ -
٢٨٤، الفدير ٣/٢٩، نور الأبصار ٢٥١، الكامل لابن الأثير ٦/٢٨١، تأسيس الشيعة ٢١١،
أنوار الربيع ١/١٤٩، مروج الذهب ٤/٢٨٣، زهر الآداب ٢٩٥ وصفحات أخرى، العملة في
صفحات متفرقة، الفصول المهمة للمالكي، الغيث المسجم، الطليعة - خ - ترجمة رقم ١٨٧،
الاعلام ط ٤/٤/٢٩٧، أنوار الربيع ١/١٤٩.

(١) الفصول المهمة.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٥٨.

ومن شعره:

إليه وهل بعد العناق تداني
فيزداد ما ألقى من الهيجان
سوى أن ترى الروحان يمتزجان^(١)

أعانقه والنفس بعد مشوقة
والثم فاه كي تزول حرارتي
كأن فؤادي ليس يشفي غليله

ومن شعره:

إلى المسيئات طول الدهر إحسانُ
أنا نسينا وفي النسوان نسيانُ
ولأمنحناه بل للذكر ذكرانُ
جود وبأس وأحلام وأذهان
وهل يقوم مع النقصان رجحان^(٢)

ما للحسان مسيئات بنا ولنا
فإن تبعن بعهد قلن معذرة
لا نلزم الذكر أنا لم نسم به
فضل الرجال علينا أن شيمتهم
وأن منهم وفاء لا نقوم به

هذه معارف وعلل لا يشرحها غيره.

وأورد الصفدي أيضاً:

وأنا أقول: إنما يتمه منها الجناس الذي بلى بعشيقه، وما أظرف قول بن

الهبارية يهجو، أذكرنيه بخل النساء:

بهجوكم بين الوري مولعُ
يعطي ولا واحدة تمنعُ

يا واسطيين ثقوا أنني
ما فيكم كلّكم واحد

ومن مشهور قول ابن الرومي في المديح:

في الحادثات إذا دَجُونُ نَجُومُ
تجلو الدجى والأخريات رُجومُ^(٣)

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم
منها معالم للهدى ومصباح

وفيه الجمع: والتقسيم واللف والنشر ومراعات النظير والتشبيه.

وله أيضاً [من الخفيف]:

قَطَرَ سَهْمِيهِ مِنْ دَمَاءِ الْقُلُوبِ

وغزالٍ ترى على وجنتيه

(١) الغيث المسجم.

(٢) الغيث المسجم.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٥٩.

جَرَحْتُهُ الْعَيُونَ فَاقْتَصَرَ مِنْهَا بجوى في القلوب دامي الندوب^(١)

وقال بعض الأدباء: كان الناس يتشوقون إلى أوطانهم ولا يفهمون العلة في ذلك إلى أن أوضحها ابن الرومي في قصيدته لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه على رجلٍ من التجار، أجبره على بيع داره واغتصبه بعض حدودها:

ولي وطن آليت أن لا أبيععه وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرح الشباب ونعمة كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضأها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا
فقد ألفتة النفس حتى كأنه لها جسد إن بان غودر هالكا

قلت: لا شك أن ابن الرومي لم يبق بقية في أسباب حنين النفس إلى الوطن، وأما فاتح الباب فهو الحماسي القائل:

أحب بلاد الله ما بين منعج وبين عذيب أن يصبوب سحابها
بلاد بها نيطت عليّ تمايمي فأول أرض مسّ جلدي ترابها

وقيل: لم تجيء في شماتة بمنكوب مثل قول ابن الرومي:

لا زال يومك عبرة لقلبك وبكت بشجو عين ذي حسدك
فلئن بكيت فطالما بكيت بك همّة لجأت إلى سننك
لو تسجد الأيام ما سجدت إلا ليووم فتّ في عضدك
يا نعمة ولت غضارتها ما كان أقبح حسنها بيدك
فلقد غدت برداً على كبدي لما غدت جمراً على كبدي
ورأيت نعمي الله زائسدة لما استبان النقص في عددك
لم يبق لي مما برى جسدي إلا بقايا الروح في جسدي

وله في بعض الأمراء وقد سأله حاجة قضاها، وكان لا يتوقع منه خيراً:

سألتك في أمرٍ فجدت ببذله على أنني ما خللت أنك تفعل
وألزمتني بالبذل شكراً وإنه عليّ من الحرمان أدهي وأعضل

(١) نهاية الأرب للنويري ٧٥/٢، كاملة في ديوانه ١٧٢/١.

وما خلت أن الدهر يشني بصرفه
لشن سرتني ما نلت منك فإنه
وله في الخضاب [من الطويل]:

إذا دام للمرء السواد، وأخلقت
فكيف يروم الشيخ أن خضابه

وله في هجاء ما أجمع على حسنه الورد:

وقائل لم هجوت الورد قلت له
كأنه شرم بغل حين أخرجه
إلا أن هذا التشبيه من العجائب.

ومن سحر غزله:

وحديثها السحر الحلال لو أنه
إن طال لم يملل وإن هي أوجزت
شرك العقول ونزهة ما مثلها

ومن معانيه الغريبة في الهجاء، إنه مدح بعض الكتاب فتردد إليه طالباً
جائزته فدفع شعره إلى غلامه، وقال: قل له يمدح به غيري فلست أرغب فيه،
فقال ابن الرومي [من الوافر]:

رددت عليّ شعري بعد مظلٍ
وقلت: أمدح به من شئت غيري
ولا سيما وقد أعتقت فيه
وما للحي في أكفان ميث
وله في ضد ذلك:

ردوا عليّ قصائدًا سودتها

إلى أن أرى في الناس مثلك يُسألُ
لقد ساءني إذ أنت ممن يؤملُ

شَبِيبُهُ ظَنَّ السَّوَادَ خِضَابًا
يُظَنَّ سَوَادًا أَوْ يُخَالِ شَبَابًا^(١)

من شؤمه حين يبدو لي ومن سخطة
عند البراز وبقايا الروث في وسطه

لم يحن قبل المسلم المتحرّزٍ
ودّ المحدث أنها لم توجز
للمطمئن وعقله المستوفز

وله مدح بعض الكتاب فتردد إليه طالباً
جائزته فدفع شعره إلى غلامه، وقال: قل له يمدح به غيري فلست أرغب فيه،
فقال ابن الرومي [من الوافر]:

وقد دنّست ملبسه الجديداً
ومن ذا يقبل المدح الرديداً؟
مخازيك اللواتي لن تبيدا
لبوساً بعد ما امتلأت صديداً^(٢)

فيكم بلا حق ولا استحقاق

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٥٩، ديوانه ١/٢٤٣.

(٢) معجم الشعراء للمرزباني ١٤٧، محاضرات الأدباء ١/١٨٥، معاهد التنصيص ١٨٢، هدية الأمم
لعز تلو عبد الرحمن ناجم ٣٥٢، ديوانه ٢/٦٠٣ - ٦٠٤.

وله في مذهبه :

إذا رمدت جلوت به قذاها
لذكره واستحلي أذاها

تراب أبي تراب كحل عيني
تلذلي الملامة في هواه

وله في طول أيام رمضان :

شهر طويل بطيء السير والحركة
فلا سليك يدانيه ولا السلكة
أجد في أثر مطلوب على الرمكة
من العشاء إلى أن تسقع الديكة
لكان مولئ بخيلاً سيء الملكة
إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركة

شهر الصيام وإن عظمت حرمة
يمشي الهوينا وأنى حين يطلبنا
كأنه طالب ناراً على فرس
أذمه غير وقت فيه أمدحه
لو كان مولئ وكنا كالعبيد له
يا صدق من قال أيام مباركة

السليك: أحد لصوص العرب وكان يسبق الخيل عدواً على رجليه^(١).

والسلكة أمه وكانت أمه سوداء وإنما ذكرها للمشاكلة.

والرمكة الانثى من الخيل.

كان أبو عيسى بن الرشيد^(٢) قد تسخط شهر رمضان فقال:

أتاني شهر الصوم لا كان من شهر
فلو كان يُعديني الإمام بقوّة
ولا ضمت يوماً بعده آخر الدهر
على الشهر لاستعديت الإمام على الشهر

ثم إنه خرج إلى الصيد فعثر به فرسه فسقط ولم يزل يصرع بعدها حتى مات

(١) السليك بن عمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي، والسلكة أمه: فائق، عداء، شاعر، أسود، من شياطين الجاهلية. يلقب بالربال. كان أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها. له وقائع وأخبار كثيرة. وكان لا يغير على مضر. وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة. قتله أسد بن مدرك الخثعمي نحو سنة ١٧ ق. هـ.

ترجمته في:

الأغاني ٣٨٩/١٨ - ٤٠٢ والكامل للمبرد ١: ٢٥١ وفيه: «كان من غربان العرب»، وجمهرة الأنساب ٢٠٧ و ٣٠٦ وفيه اسم قاتله: «يزيد بن رويم الدهلي الشيباني» والشعر والشعراء ١٣٤ وفيه اسم أبيه «عمرو» وكذا في شرح المقامات للشريشي ١/١٥١، وسماه ابن حبيب في المحبر: «السليك بن يثربي» وأورد خبراً عنه، الاعلام ط ٤/٣/١١٥.

(٢) ترجمته وأخباره في الأغاني ١٠/٢٢٧ - ٢٤٠.

ولم يصم شهراً بعده^(١).

وكان بديع الجمال، وكان يقال انتهى جمال الخلفاء إلى ثلاثة منهم الأمين وأخيه أبي عيسى^(٢) والمعتز بن المتوكل.

وروي: أن الرشيد قال يوماً لابنه أبي عيسى: ليت جمالك لعبد الله قال: يا أمير المؤمنين على أن خطه لي، وضمه إليه وقبّله^(٣).

وكان المأمون يحبه ويقول: إني ليهون عندي طعم الموت وفقد الخلافة محبة أن يلي الأمر أخي أبو عيسى ولا يهون ذلك على أحد. فلما مات أبو عيسى ترك المأمون الطعام والشراب حزناً أياماً كثيرة حتى أثر فيه^(٤).

وكان أبو عيسى شاعراً مجيداً أديباً شديد العبث:

وسمعت لابن الرومي بيتاً واحداً في هجاء جارية قصيرة وهو:

نكحتها تقتل جلاسهـا لقرب منجشاها من المفسى
وهو أحيث هجاء، والنكحة بتقديم الكاف للخبيثة الرائحة وتقديم الهاء للطيبة.



وله في بني خاقان [من الوافر]:

أموركُم بني خاقان عندي عجابٌ في عجابٍ في عجاب
قرونٌ في رؤوسٍ في وجوه صلابٌ في صلابٍ في صلاب^(٥)

وله في بني وهب:

إذا رأيت بني وهب بمجتمع لم يدر أيّهم الأنثى من الذكر
قمصان نسوتهم تنقذ من قبل وقمص ولدانهم تنقذ من دُبر

(١) الأغاني ١٠/٢٢٨.

(٢) الأغاني ١٠/٢٢٧.

(٣) الأغاني ١٠/٢٢٨.

(٤) الأغاني ١٠/٢٣٠ مع اختلاف باللفظ.

(٥) نفحات الأزهار على نسفات الأسفار لعبد الغني النابلسي ٢٥٩، ديوانه ١/٣٥٣.

وله وقد غاب عن بغداد فتشوقها وهو كالأول [من الكامل]:

بلد صَحْبْتُ به الشَّبِيبَة وَالصُّبَا ولبستُ ثوبَ العَيْشِ وهو جَدِيدُ
فإذا تَمَثَّلَ في الضمير رأيتُه وعليه أغصان الشَّبابِ تَمِيدُ

وله في صفة خبّاز رقاق حاذق خفيف الحركات مرّ به:

ما أنس لا أنس خبّازاً مررت به يدحو الرقاقة وشكّ اللّمع بالبصرِ
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمرِ
إلا بمقدار ما تنزاح دايرة في صفحة الماء ترمى فيه بالحجر^(١)

ذكر الصفدي فيما احفظ أن منشداً أنشده هذه الأبيات في حلقة بعض مشائخ المغاربة واستحسنها وجعل يرددّها فقال الشيخ وكان في غاية المجون:

فكدت اضطرّ إعجاباً بصنعته ومن رأى مثل ما عاينت منه خري

فأنكر بعض الجماعة إفراط مجون الشيخ فقال:

إن كان قولي هذا ليس يعجبكم فعجّلوا محوه أو فاعقوه طري

ومن المعاني التي أجاد ابن الرومي [من الطويل]:

لِمَا تُؤذِنُ الدنْيا به من صروفها يكون بكاءُ الطفل ساعة يُولَدُ
وإلا فما يبكيه منها وإنها لأوسعُ ممّا كان فيه وأزْعَدُ
إذا أبصرَ الدنْيا استَهْلًا كأنه بما سوف يلقى من أذاها يُهَدَّدُ

وله القصيدة الجميمة^(٢) التي رثا فيها الإمام يحيى بن عمر الحسيني الكوفي^(٣)

(١) ديوانه ٧٦٦/٢.

(٢) معجم الشعراء ٦٢٧، سمط اللآلي ٣٢٩، ٣٣٠، ٩٢٦، ٩٢٧، زهر الآداب ٢٠٢ ومواضع أخرى، نيمة الدهر ١٥٢/٣، وهي كاملة في ديوانه ٥٨٤/٢ - ٦٠٣ وقوامها ٢٨٢ بيت.

(٣) يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين السبط: نائر، من أباة أهل البيت. خرج في أيام المتوكل العباسي (سنة ٢٣٥) واتجه ناحية خراسان بجماعة، فرده عبد الله ابن طاهر إلى بغداد، فأمر المتوكل بضربه وحبسه. ثم أطلقه، فأقام مدة في بغداد. وتوجه إلى الكوفة في أيام المستعين بالله، فجمع بعض الأعراب، ودخلها ليلاً، فأخذ ما في بيت مالها، وفتح السجون فأخرج من فيها، ودعا إلى الرضى من آل محمد، فبايعه الناس، وطرده نواب الخليفة من الكوفة، واستحوذ عليها، وعسكر بالفلوجة. وقصده جيش، فحاربه. وظفر، فقوي أمره جداً، قال ابن كثير: «وتولاه أهل بغداد، من العامة وغيرهم ممن ينسب إلى التشيع، وأحبوه =

وهي جيدة، وذكرها كلها أبو الفرج في مقاتل الطالبين^(١).

وكان شديد الطيرة، فكان الأخفش الصغير النحوي يؤذيه بما يتطير منه في الصباح فلا يخرج من داره، فأكثر هجاء حتى بلغه أنه يتبجح بهجوه له وأنه يريد ذلك لينوّه بذكره فكفّ عن هجاء.

ومحاسنه نوادره كثيرة.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وقيل سنة ست وسبعين ومائتين ببغداد مسموماً، في أيام المعتضد، ودفن بمقبرة باب البستان، رحمه الله تعالى.

وقال ابن خلكان: أن الوزير أبا الحسن^(٢) القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد بالله، وكان سفاكاً للدماء مشتهراً بالظلم، كان يخاف من فلتات لسانه بالفحش، فدرّس عليه من سقاء السم في حبسكائه^(٣) وهو بمجلسه، فلما أكلها أحسّ بالسّم فقام، فقال القاسم: إلى أين تذهب؟ فقال: إلى الموضع الذي بعثني إليه، فقال: سلّم على والدي، فقال: ما طريقي على النار، وأقام في داره أياماً يتعالج والطبيب يختلف إليه فما أجدى.

وقيل إن الطبيب غلط عليه في بعض العقاقير^(٤).

= أكثر من كل من خرج قبله من أهل البيت». وأقبل عليه جيش آخر، جهزه محمد بن عبد الله بن طاهر، فاقتلا بشاهي (قرب الكوفة) ففرق عسكر الطالبين، وبقي في عدد قليل، وتقنطر به فرسه، فقتل سنة ٢٥٠هـ وحمل رأسه إلى المستعين. وكان حسن السيرة والديانة، قويّ الساعد يلوي عمود الحديد على عنق من يسخط عليه من خدمه، فلا يحلّه غيره. ورثاه كثير من الشعراء، منهم ابن الرومي.
ترجمته في:

ابن الأثير ٧: ١٧، ٤٠ - ٤٣ والطبري: حوادث سنة ٢٣٥ وسنة ٢٥٠ ومقاتل الطالبين، تحقيق صقر ٦٣٩ - ٦٦٤ وأبو الفداء ٢: ٤٢ - ٤٥ والبداية والنهاية ١٠: ٣١٤ و١١: ٥ وجمهرة الأنساب ٥١ - ٥٢، مروج الذهب ٢/٢٩٠ - ٢٩٣، شرح شافية أبي فراس ١٧٧، الفخري ٢١٦ - ٢١٨، الاعلام ط ٤/٨/١٦٠.

(١) القصيدة كاملة في مقاتل الطالبين ٦٤٦ - ٦٦٢، ديوانه ٤٩٢/٢ - ٥٠٠.

(٢) في الوفيات: «أبا الحسين».

(٣) كذا في الأصل، وفي الوفيات: «خُشْكَنانِجَة».

(٤) وفيات الأعيان ٣/٣٦١.

وقال إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي الشهير بنفطويه دخلت على ابن الرومي وهو يجود بنفسه . فقلت له ما حالك فقال :

غلط الطبيبُ عليَّ غلطةً مُورِدٍ عجزت موارده عن الإصدارِ
والناس يَلْحَوْنَ الطبيبَ وإنما خطأ الطبيب إصابة المقدارِ^(١)

وقال أبو عثمان الناجم: دخلت على ابن الرومي أعوده وهو يجود بنفسه فلما قمت من عنده قال في تلك الحال:

أبا عثمان أنت حميدٌ قومِكُ وجودُك للعشيرة دون لومِكُ
تَزوّدُ من أخيك فما أراه يراك ولا تراه بَعْدَ يَوْمِكُ^(٢)

فلما غلقت الباب خارجاً سمعت الصراخ عليه . والله تعالى أعلم .

[١٠٦]

أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي الأصبهاني الأصل، البغدادي، الكاتب، صاحب كتاب الأغاني^(*).

فاضل علمه محيط ما وجد له ثان، قد جمع الأدب له من طرق هو نزهة الخليع ونفس ذات عفاف، فكتبه سلوة المهموم، وعلى أغانيه خوافق القلوب تحوم، وله شعر يستعير من النسيم اللطف، ويعلم من عكف عليه أنه جامع الظرف، وأخذ عنه كثير من العلماء يطول عددهم، وكان بحرأ في أخبار الناس وأيام العرب وانسابهم وأحوال الشعراء الجاهليين والمخضرمين والمولدين.

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٦١.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٦١.

(*) ترجمته في: يتيمة الدهر ٣/١٠٩ - ١١٣، وفيات الأعيان ٣/٣٠٧ - ٣٠٩، نشوار المحاضرة، الفهرست للتدبير ١١٥، تاريخ بغداد ١١/٣٩٨، تاريخ أصبهان ٢/١١، المنتظم ٧/٤٠، معجم الأدباء ١٣/٩٤، إنباه الرواة ٢/٢٥١، ميزان الاعتدال ٣/١٢٣، لسان الميزان ٤/٢٢١، ابن الأثير ٨/٥٨١، النجوم الزاهرة ٤/١٥، العبر للذهبي ٢/٣٠٥، شذرات الذهب ٣/١٩.

وقال ابن خلكان: وكان من أعيان بغداد وأفراد مصنفها^(١).

وقال القاضي التنوخي: ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة ما لم أر قط من يحفظه، ويحفظ دون ذلك من علوم آخر منها اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنحو والأشربة وغير ذلك، وله شعر يجمع اتفاق العلماء، وإحسان ظرفاء الشعراء^(٢).

وله المصنفات المستملحة منها كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق أنه لم يعمل في بابة مثله، يقال إنه جمعه في خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة بن حمدان فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه.

وحكى الثعالبي عن الصاحب بن عباد: أنه كان في أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالعها فلما وصل إليه كتاب الأغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه واستغنى به عنها، ومنها: كتاب القيان، وكتاب الإمام الشواعر، وكتاب الديارات، وكتاب دعوة التجار، وكتاب مجرد الأغاني، وأخبار جحظة البرمكي، ومقاتل الطالبين، وكتاب الحانات، وأدب الغرباء.

وحصل له ببلاد الأندلس كتب صنّفها لبني أمية ملوك الأندلس سراً وسيّرها إليهم وجاءه الأنعام منهم فمن ذلك: [كتاب] نسب عبد شمس، وكتاب [أيام] العرب ألف وسبعمئة يوم، وكتاب التعديل والانتصاف في مناقب العرب ومثالبها، وكتاب جمهرة النسب، وكتاب نسب بني شيان، وكتاب نسب المهالبة، وكتاب نسب بني تغلب، و[كتاب] نسب بني كلاب، وكتاب المغنيين والغلمان، وغير ذلك^(٣).

ورأيت في خطبة الأغاني، قال أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالأصبهاني: أن أمير المؤمنين هارون الرشيد أمر من

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٠٧.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٠٧.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٠٧ - ٣٠٨.

كان بحضرته من المغنيين كإسماعيل بن جامع^(١) وإبراهيم الموصلي^(٢) وفليح بن العوراء^(٣) أن يختاروا له من أصوات الغناء القديم والمُحدث مائة صوت ففعلوا ذلك ثم إنها وقعت بعد إلى الواثق، فأمر إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(٤) بأن يختار له منها ما يرى أنه أفضل مما تقدّم اختياره ويبدل ما لم يكن بهذه الطبقة بما هو أعلى منه ففعل ذلك فابتدأ أبو الفرج كتابه بذكر هذه المائة الصوت وذكر ما تعلق كتابه بذكر قائلها من أشعار وأخبار، ثم اتبع ذلك بما ذكره غير هؤلاء من متقدم الأصوات المعروفة بمدن معبد^(٥) وزيانب يونس^(٦) وغيرها، ثم بأغاني الخلفاء وبنينهم وذويهم، ثم بسائر الأغاني التي عرفت لها قصص يستفاد وأحاديث تستحسن وقد مرّ من ذلك الثلاث الأصوات التي أطبق أهل العلم بصناعة الغناء والألحان على تقديمها وتفضيلها على جميع ما غنّى به وهي لحن معبد في شعر أبي قطفية^(٧):

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) إبراهيم الموصلي: هو إبراهيم بن ماهان (أو ميمون) بن بهمن، الموصلي التميمي بالولاء؛ أبو إسحاق النديم: أوجد زمانه في الغناء واختراع الألحان. شاعر من ندماء الخلفاء. أجاد الغناء الفارسي والعربي. غنّى المهدي والهادي والرشيد الذي جعله من ندمائه وخاصته. كان ينظم الأبيات ويلحنها ويغنيها، توفي سنة ١٨٨هـ. (الاعلام ط ٥٨/١/٤).

(٣) ترجمته وأخباره في الأغاني ٣٥٣/٤ - ٣٦٠.

(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٥) معبد: (توفي سنة ١٢٦هـ / ٧٤٣م). نابغة الغناء العربي في العصر الأموي. ترجمته في الأغاني ٤٣/١ - ٦٩، (أنظر الاعلام ط ٢٦٤/٧/٤).

ومدن معبد: «وهي أصوات معبد وتسمى أيضاً حصون معبد» (أنظر الأغاني ج ٩).

(٦) يونس الكاتب: هو يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، من ولد هرمز: كاتب شاعر، بارع في صناعة الغناء. أخذ الغناء عن معبد وطبقته، وهو أول من دوّن الغناء في العرب. صنف كتاباً في «الأغاني» ونسبها إلى من غنّى بها وهو الأصل الذي يعمل عليه ويرجع إليه، توفي نحو سنة ١٣٥هـ. (الاعلام ط ٢٦١/٨/٤).

وزيانب يونس: نسبة إلى زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الذي شبب بها ابن رحيمة وغنّى يونس بشعره. وهي سبعة أصوات معروفة بالزيانب. (الأغاني ج، في أخبار يونس الكاتب).

(٧) عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، الأموي، القرشي، شاعر، رقيق الشعر، جلي المعاني، كان يقيم في المدينة، ونفاه عبد الله بن الزبير إلى الشام مع من نفاهم من بني أمية، فأقام زمناً في دمشق أكثر فيه الحنين إلى المدينة حتى رقى له ابن الزبير فأذن برجوعه، فبينما هو عائد أدركه الموت قبل أن يبلغ المدينة، وذلك نحو سنة ٧٠هـ، وفي الأغاني عدة أصوات من شعره: ترجمته في: الأغاني ١٥/١ - ٤٢، معجم الشعراء ٢٤٠، الاعلام ط ٨٧/٥/٤.

القصرُ فالنخلُ فالحمّاءُ بينهما أنهى إلى القلب من أبواب جيرون^(١)
إلى البلاط فما حازت قرائنه دُورٌ نَزَحْنَ عن الفَحْشاءِ والهُونِ
قد تَكْتُمُ الناسُ أسراراً فأعلمها ولا يَنالون حتى الموتِ مَكْنُونِي^(٢)

وهذا أبو قطيفة [هو] عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وقيل إن أباه عمرواً كان عبداً اسمه ذكوان فاستلحقه أمية وكناه أبا عمر، فحلف على امرأة أمية وهي أم الأعياص أمية بنت أمية، وعقبة بن أبي معيط هو الذي قتله علي عليه السلام بأمر النبي صلى الله عليه وآله [عند] منصرفه من بدر بالصفراء، وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، ولما قدم ليقتل قال: فمن للصبية يا محمدا؟ قال: النار فسمي بنو أبي معيط صبية النار، وجاءت أخته قتيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: لو سمعت شعرها قبل قتله ما قتلتها.

وقال أبو قطيفة هذا الشعر لما نفاه ابن الزبير إلى الشام مع من نفى من بني أمية من الحجاز لما بويع له.
وجيرون: اسم لدمشق.
والقصر: قصر سعيد بن العاص، المتقارنة أي المتلاصقة.
وكان أبو الفرج منقطعاً إلى الوزير المهلبى.

وذكره الثعالبي وأورد من شعره في الوزير المهلبى [من الطويل]:
ولما انتجعنا لائذين بظلة أعان وما عتاً ومنّ وما مناً
ورَدُّنا عليه مقترين فراشنا وردنا ذراه مجد بين فاخصبنا^(٣)
قلت: أجاد في الجناس مع قلته في ذلك الزمان، وكان الوزير المهلبى رزق ولداً من سرية رومية فأنشده أبو الفرج قصيدة يهنيه بها، ذكر الثعالبي منها: [من الكامل]:

(١) جيرون: قال ابن الفقيه: «ومن بنائهم جيرون عند باب دمشق من بناء سليمان بن داود عليه السلام، وهي سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها، والمعروف اليوم إن باباً من أبواب الجامع بدمشق، وهو بابة الشرقي يقال له باب جيرون.» (معجم البلدان/ مادة جيرون).

(٢) الأغاني ١/١٣.

(٣) ينيمة الدهر ٣/١٠٩، وفيات الأعيان ٣/٣٠٨.

أشعد بمؤلود أتك مباركاً
سعد لوقت سعادة جاءت به
شمس الضحى زقت إلى بدر الدجى
متبجح في ذروتي شرف العلى
كالبدر أشرق جنح ليل مقمر
أم حصان من بنات الأصفر
حتى إذا اجتمعا أتت بالمشتري
بين المهلب منتماه وقيصر^(١)

أذكرني بالمشتري قول السيد بدر الدين محمد بن الحسين بن أحمد سيد الكوكباني^(٢) كتبها إلى الشيخ أبي الوفاء شعبان بن سليم^(٣) مراجعاً:

سفرت بمطلعها المنير المزهر
أين الثريا من جبين لو بدا
لو سمع هذا ابن الخياط لمزق ثيابه دفعة ورمى قصيدته أو صير كالخيوط
منها الرقعة والله يضاعف لمن يشاء.

وكتب أبو الفرج إلى بعض الرؤساء وكان مريضاً [من البسيط]:

أبا محمد المحمود يا حسن الـ
حاشاك من عود عواد إليك ومن
إحسان والجود يا بحر الندى الطامي
دواء داء ومن إمام إمامي^(٤)

وفي صدر البيت الأول ما يجري مجرى التوجيه بأسماء الأعلام، وفي الثاني ما لا يخفى من أنواع الجناس.

وقد حكى في كتاب الأغاني قال: أول من قال الشعر المعروف بالبديع أبو تمام الطائي^(٥).

وقال أيضاً: أنشد أبو تمام الطائي يوماً قول العكوك:

فرد البيض والبيض إلى الأغمد والحجب
فاهتز من قرنه إلى قدمه، وقال: لوددت إن هذا البيت لي بثلاث قصائد من شعري يتخيرها مكانه^(٦).

(١) يتيمة الدهر ٣/١٠٩، وفيات الأعيان ٣/٣٠٨.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٤٧.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

(٤) يتيمة الدهر ٣/١١٠، وفيات الأعيان ٣/٣٠٨.

(٥) أنظر الأغاني ١٦/٤١٤ - ٤٣١.

(٦) الأغاني ٢٠/٢٩.

قلت: صدق أبو تمام ما زال العكوك يأتي بمعجزات الشعر والبيض الأولى
السيوف والثانية النساء واللف والنثر المرتب.

وقال البحتري: أنشدني أبو تمام يوماً:

وسابح هطل التعدادات هتان
أظمى الفصوص ولم تظمى قوائمه
فلو نظرت إليه والحصى ريم
أيقنت أن لم تبين أن حافره
على الجرا أمين غير خوان
فخل عينيك من ظمان ريان
تحت السنابك من مشي ووحدان
من صخر تدمر أو من وجه عثمان^(١)

ثم قال لي: هذا هو الاستطراد، أو قال المستطرد، ثم إن البحتري تبعه
فقال من قصيدة في صفة الفرس أولها:

أهلاً بذلكم الخيال المُقبِلِ
برق سري من بطنٍ وجرّة، فاهتدي
من غادة منعت، ويمنع وصلها
كالبدري، غير مخيل، والغصن غير
وأغرّ في الزمن البهيم محجل
خافي الضلوع، يشد عقد حزامه
أحواله للرشتمين بفارس
متوجّس برقيقتين، كأنما
ما إن يعاف قذى، ولو أوردته
ذنب كما سحب الرداء يذب عن
فعل الذي يهواه، أو لم يفعل
بسناه أغناق الركاب الذليل
فلو أنها بُذلت لنا لم تبدل
رُميل، والدعص غير مهيل
قد رحت منه على أغر محجل
يوم اللقاء، على مِعَم مجول
وجدوده للتبعين بموكل^(٢)
يريان من ورقٍ عليه موصل
يوماً خلّاق حمدويه الأحوال
عرف وعرف كالقناع المسبل^(٣)

زاد في استطراد حمدويه ذكر الأحوال وهو تميم، وأما الوصف للفرس فله
فعل الكميت، وكانت بين أبي الفرج وبين السيرافي النحوي المشهور منافسة فقال
فيه أبو الفرج:

لست صدرا ولا قرأت على صدر
ولا علمك القليل بشافي

(١) لم أعر عليها في ديوان أبي تمام.

(٢) في هامش ب: «موكل: اسم محل باليمن».

(٣) كاملة في ديوان البحتري - ط صادر ٣٦٦/٢ - ٣٦٩.

لعن الله كلّ نحورٍ وصرفٍ وعروضٍ يجيء من سيراقي^(١)
وكان أبو الفرج: زيدا ومن شيوخه الإمام الحافظ أحمد بن محمد بن عقدة
الزبيدي.

وكانت ولادته في السنة التي مات فيها البحتري وهي سنة أربع وثمانين
ومائتين.

وتوفي يوم الأربعاء رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلثمائة، وقيل
سنة [سبع وخمسين] ببغداد، رحمه الله تعالى.

وفي سنة ست وخمسين مات أيضاً أبو علي القالي^(٢) الإمام اللغوي صاحب
الأمالي، وسيف الدولة الآتي ذكره^(٣)، ومعز الدولة بن بويه، وكافور الاخشيدي
فهؤلاء عالمان وثلاثة ملوك^(٤).



(١) بئمة الدهر ٣/١١٢.

(٢) إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان، أبو علي القالي: أحفظ
أهل زمانه للغة والشعر والأدب. ولد في منازل جرد (على الفرات الشرقي بقرب بحيرة وان) سنة
٢٨٨هـ ونشأ فيها ورحل إلى العراق، فتعلم في بغداد وأقام ٢٥ سنة، ثم رحل إلى المغرب سنة
٣٢٨هـ فدخل قرطبة في أيام عبد الرحمن الناصر واستوطنها، وأحبه الحكم المستنصر بن الناصر.
ويقال: إنه هو كتب إليه ورغبه في الوفود عليه. وكان الحكم قبل ولايته الأمر - وبعد توليه -
ينشطه على التأليف بوسع العطاء، ويشرح صدره بالإفراط في الإكرام، ومات أبو علي في أيامه
بقرطبة سنة ٣٥٦هـ. أشهر تصانيفه كتاب «النوادر - ط» ويسمى «أمالي القالي» في الأخبار
والأشعار وغيرهما. أما نسبة القالي. فإلى «قالي قلا» بين طرابزون ومنازجرد، ولم يكن منها،
وإنما صحبه بعض أهلها إلى بغداد، فنسب إليها، وكان أهل المغرب يلقبونه بالبغدادي لمجيئه
إليهم من بغداد.

ترجمته في:

نفتح الطيب ٢: ٨٥ وبغية الملتمس ٢١٦ ووفيات الأعيان ١/٢٢٦ - ٢٢٨ وسير النبلاء - خ -
الطبقة العشرون. وابن الفرضي ١: ٦٥ وجذوة المقتبس ١٥٤ والروض المعطار - خ - وفهرسة
ابن خليفة ٣٩٥ وفيه أسماء أكثر كتبه. وإنباء الرواة ١: ٢٠٤ ودار الكتب ٧: ٩٤ وفي دائرة
المعارف الإسلامية ١: ٦٠٩ أن «قالي قلا» هي التي يسميها البيزنطيون Theodosiopolis وتذكره
النوادر ١١١، الاعلام ط ٤/١/٣٢١ - ٣٢٢.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١١٤

(٤) وفيات الأعيان ٣/٣٠٩

وسيراف: مدينة على ساحل بحر فارس وهي فرضة للهند.

وتُدْمِر: في شعر أبي تمام بفتح التاء المثناة من فوق وإسكان الدال المهملة بعد الميم المكسورة راء مدينة مشهورة، من بلاد الجزيرة كان مروان بن محمد جد أبي الفرج يسكنها وبها صخور عادية، وسميت باسم امرأة من ملوك العماليق عمرتها وماتت بها، وقيل: أن مروان بن محمد نبش قبرها فوجدها في لوح من رخام وعليها ديباج يغشي ذهبه البصر وعنده لوح من ذهب مكتوب عليه: أنا تدمر بنت حسان بن أذينة بن السميدع العمليقة فمن ازعجني من قبري وأخربه وهتكني أزعجه الله وهتك ستره فلما قرأه مروان ارتاع وردّها ولم يمض إلا قليل حتى جاءه عبد الله بن علي العباسي فهزمه وأخرب قصوره المشهورة بحران وهتكه وسبى حريمه وقتله بمصر، والله أعلم...

[١٠٧]

القاضي جمال علي بن محمد بن أحمد العنسي الصنعاني المولد، أحد
أدباء العصر المجيدين^(*).

فاضل لم تلق كواكب شعره الشمس إلا بوجهٍ ليس فيه حيا، ولم يقابله

(*) علي بن محمد بن أحمد بن صالح بن يحيى بن محمد بن قاسم بن إبراهيم بن مسعود بن عمرو بن محمد بن علي بن أسعد اليمني الصنعاني: شاعر من القضاة الحكام. نشأ بصنعاء وأقام مدة في بلاد العدين (باليمن الأسفل). وقلد القضاء فيها بأيام المهدي (صاحب المواهب) محمد بن أحمد، وأيام المتوكل (القاسم بن الحسين) واشتهر بشعره ورسائله. ورفع حاكم «وصاب» وشاية به إلى المتوكل، فعزله وحبسه. ثم ظهرت براءته، فرضي عنه وأقامه حاكماً بالحيمة (من بلاد صنعاء) فاستمر إلى أن توفي في العر (من قرى الحيمة) فجأة، وقيل مسموماً. سنة ١١٣٩هـ وجمع الإمام عبد القادر بن أحمد الكوكباني معظم شعره ورسائله، وشعره الملحون الحميني، في ديوان «كأس المحتسي من شعر القاضي علي بن محمد ابن العنسي - خ» في الأمبروزيانة والظاهرية: ومنه «ديوان العنسي - خ» في دار الكتب المصرية (١٣٣١٦).

ترجمته في: نفحات العنبر - خ -، البدر الطالع ١/ ٤٧٥، Brock S. 2: 545، Ambro. C: 41، ونشر العرف ٢: ٢٨٠ - ٣٠٠ والبدر الطالع ١: ٤٧٥ وفيه قصيدة رقيقة له. وأن غالب شعره على أسلوبها، ووصف «ديوانه» بأنه مجموع في مجلد لطيف، ولم يشر إلى رسائله وشعره الملحون ولا أعلم إن كانت مخطوطة «الأمبروزيانة» المسماة «كأس المحتسي» هي التي جمعها الكوكباني، أم التي وصفها الشوكاني. أم هما كتاب واحد؟ وفي خزانة الرباط ١٦٩٧ مخطوطة من ديوانه مشرقية كتبت سنة ١٢٠٤ وأنظر شعر الظاهرية ٣٥٢ - ٣٥٣، الاعلام ط ٤/ ١٥/ ٥.

الزهر إلا واغرورقت عينه وأحمرّ خدّه من الحياء، قد حكّم في الأدب تحكّم
الزمان على بنيه، وأعطى من ذخائره ما لم ينله شاه أرمن ولا شاعرة ابن النبيه،
وله بعلم الشرع ما يترك الجاهل في جمر الغضا، فهو عليّ القدر والنفس وفي
الحكم الرّضى، وقد حكم بالعدين في العنفوان، فلم تضع الأعداي قدر شأنه،
ولا قالوا قدر شاه فلان.

ومن شعره نقلته من خطّه:

يا كحيل الجفون صبّك أضحي
أنا عالٍ على المحبّين قدراً
عن ثياب السلوّ عنك عرياً
فلما بالجفا خفظت عليّاً^(١)

وله في تضمين بيت أبي الطيب مع نقل معناه والتورية الحلوة بحال:

العيد وافئ ولما أن أتى وبنا
وقد حلّى جیده بالفلس قلت له
قلّ وفلس وإقتار وتنكيدُ
عيد بأية حال عدت يا عيدُ

وله على لسان غريم يسمّى الشوق أكثر التردّد عليه وفيه تضمين عجز الآخر
وأجاد:

غريمي الشوق أضناني تردّدهُ
يا صاحبي لا تلمني حين أقبحه
فصار شوقي أني لا أشاهدهُ
لا يعرف الشوق إلا من يكابدهُ

وله فيمن يدعي النسك والشك في الوضوء وباطنه خلاف ذلك:

وقالوا فلان كان أفضل زاهد
واقلع عن ذاك التشكك والتقى
يرى الشك في أمر الوضوء من النسك
فقلت لهم هذا سفيه بلا شك

وله وأجاد إلى الغاية:

لا ما عذار الحبيب قد أسرى
ملّكته القلب إذ نظرتهما
قلبي المعنّا فارقا عيني
فالقلب ملك له بلا مين

ولو قال مكان أرقاً، أطلقاً لكان أصنع. وله وعجز الأخير مضمّن من صدر
بيت بشار:

مننازلي خاليات
من الغنى ومحلّي

(١) نشر العرف ٢/٢٨٣.

وعقدة أنا فيها
وله :

يا نعمة الله حُلي

إليك يا ذات البهى وسائلي
عن هاملٍ في وجنتي وسائلي
وله من قصيدة كتبها إلى أبي الوفا شعبان بن سليم^(١) :

شوقي ودمعي والسهاد والهوى
أن تكذبيني في الهوى فاستخبري

وحرمت ضمّ قوامك العسّال
نار الصدود ولاعج البلبال
ومنحت شوك ملامة العذال
أو أنّ عزّي فيك من إذلاسي
في غيّه آتٍ بكل محال
عن درهم البدر المنير العالي
ولوجهها بالصحو حسن مثال
وحكته ملتثماً بوجه هلال
من قاسه بسلافة الجريال
عذر له في غير هذا الحال
في فترة من جفئك المكسال

لاذقت حلوى يدك السلسال
واعترضت من جنات وصلك في الهوى
ومنعت من خديك ورداً ناعماً
وجهلت أن عذاب حبّك جنة
وزعمت زعم معاند مسترسل
إن ليس في دينار وجهك غنية
وجحدت أنك شمت مرآة السما
فحككت بشكل البدر وجهك مسفراً
وسألت عن حالي لملك مغالطاً
فشككت شك بسيط جهل جهله
ورددت معجز ناظريك لمرسل
وله أيضاً إليه :

لقد صدّ حتى شخّ بالكتب والرسلي
فمال وللأغصان ميل إلى العدل
له أم ثنت أعطافه نخوة الدلّ
واضرب عمّن حبّه ثابت الأصل
ولا كحلّ الأجفان يا قوم كالكحل
عليم ولكن قال يسقط بالمطل
أحنّ فتبكي أعين السحب من أجلي
بذكر شيخ يبكي على زمن الوصل

أما ودموع فيك تكتب ما تملي
أنسمت عدلٍ ميّلت غصن قدّه
أم البين أنساه وحسن جفوتي
أم اختار خلاّ طارى الحب والنوى
ولاذو الهوى الأصلي كمبتدىء الهوى
ترى هل نسى ماضي المودة أم به
ترى هل درى أنني إذا ما ذكرته
بعيشكما عوجاً عليه وعرضاً

(١) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

وقولا فلان يشتكي منك جفوة
غدا من بني ماء السما دمع عينه
متى رق للشكوى فقولا فسرّه
فإن قال طيفي لا يزال يعود
فقولا قد استحيا من الطيف كلما
قبيح به أن يسترد رقاده

وجميع شعره على هذه الطريقة العذبة، وقد نحى في مراجعة هذه اللامية
التي هي أحسن من لاه العذار طريقة الوأواء الدمشقي في قصيدته الفائية
المشهورة.



وابن ماء السماء: هو المنذر والد النعمان بن المنذر اللخمي، وإنما سُميت
أمه ماء السماء لحسنها ورقاق محاسنها، وكان اسمها الأصلية مارية، وفي المثل
«أنفس من قرطي مارية» وكان فيهما درتان كبيض الحمام لا تعرف قيمتهما، وكان
آل المنذر عمّالاً للأكاسرة على البلاد المجاورة لبلاد العرب من بلاد الريف
كالحيرة وسواد الكوفة.

والعنسي، بالنون: نسبة إلى عنس قبيلة مشهورة من مذحج منهم عمّار بن
ياسر رضي الله عنه، والله أعلم.

[١٠٨]

القاضي جمال الدين أبو محمد علي بن صالح بن محمد بن علي بن
أبي الرجال الصنعاني المولد، أحد الشعراء المجيدين في العصر^(*).

فاضل لو تجسّد شعره لكان عقيانا، ولما رفع الناس إلى قلائد ابن خاقان
بنانا، يجول نظمه الكميت في ميدان الإجابة فيجىء سابقاً، ولا يجلو من بنات
فكره على مسامع اكفائه إلا عاتقاً.

(*) وهو أخ العلامة أحمد بن صالح مؤلف كتاب مطلع البدور.

ترجمته في: طيب السمر - خ، -، نفحات العنبر - خ، -، السوانح ليوسف بن علي الكوكباني - خ، -،
تاريخ لطف الله جحاف - خ، -، نزهة الجليس، البدر الطالع ٤٥٦/١، نشر العرف ٢١٧/٢ - ٢٣٩.

وله المقاطع المليحة، والقصائد المستجادة، ومدح جماعة من آل القاسم، وكان قليل الحظّ على فضله، وأحسب أن الحظّ تنبّه له هذه الأيام ومن شعره:

ولقد أقول وقد تغنّيت في الحمى
والعود في يدها يميل وإلفها
والعين قد سفحت وهاج لها البكا
أحمامة الأيك التي قد هيجت
مهلاً فنفخك للسوالف في الفضا
فدعي الهوى ثم اسبحي فتخيري

ورقاء ذات صبابة وولوع
يختال بين خمائل وفروع
تذكارها لأحبة وربوع
شجو الكئيب بأنة وسجوع
أذكى غضى الأشجان بين ضلوعي
دراً لطوقك من بحار دموعي^(١)

وذكره القاضي ضياء الدين يوسف بن علي الكوكباني في السوانح، وذكر أنه كتب إليه يستدعي عارية «طوق الصادح»:

أضياء دين الله دعوة نازح
أهدي إليك بطاقة من طاقة
فابعث بنسخته إليّ تفضلاً
وخذ الجمالة لا برحت مجملاً
تزهو على نور الصباح صباحه
ونعمت بالفخر الذي أحرزته
فلعل حسن الطوق يبعث لوعة
ومليحة كالغصن راحت تدعي
قالت وقد حاولت ضمّ قوامها
إننا تقاسمنا الغضى فغصونه
فأجبتها وقد امتطت مني على
أحمامة الوادي بشرقي الغضا

عنكم بطلعته قريب الأربع
لطلاب طوق حمامة للمولع
وامنن عليّ به وشنّف مسمعي
بالسعد مقروناً بشمس المطلع
ويفوق نور الكوكب المتشعشع
فيينا بمرأى لا يزال ومسمع
طيّ الفؤاد لجيرة بالأجرع
في الحب يوم وصالها ما تدعي
بالراحتين إليّ عند المضجع
في راحتيك وجمره في أضلعي
ذي قامة هيفاً ورأس أصلع
إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي^(٢)

أجاد في التضمين وحسن السبك والحلاوة والتزم المجون وهو مذهبه.
وله في شخص يسمّى النجار، وقد جرت له واقعة يطول شرحها، وكتبها
إلى زيد بن المتوكل لأن النجار خادمه:

(١) نشر العرف ٢/٢٢١.

(٢) كاملة في نشر العرف ٢/٢٢٠.

قل لزيدٍ موضحاً ما قد جرى
وهو امرٌ لو جرى من غيره
سمر النجار بالعود على
فأتوه نشروا ما قد طووا
خلف بابٍ كسروا مفتاحه
بالحميدي قد سرى يا ويحه
جمع الذئب مع الغزلان في
ورقى جبران ليلاً فوقهم
لم يفق من سكرة إلا إلى
كم توالى فوقه من فلقٍ

من أمير الخيل جنح الغسق
كنت قد أودعته في المطبق
لون صرفٍ أحمر كالشفق
من ثياب دنست بالعرق
فهو باب لم يكن بالمغلق
قبله التاج بقلبٍ شيق
سفع صنعا لا بسفع الأبرق
فتفادوا ضربه بالورق
ضربة العود وجر الممشق
لم يعد منها برب الفلق

وهذه الأبيات في غاية الحسن وفيها توارى بجماعة من الحاضرين، وفيها لطف لمن تأملها.

والعري: أحد معنيه عرق الخمر وأما التوجيه بألة النجارة فظاهر.
وله فيمن اسمه الجبسي:

وأغيد عشقته
أوجانه تهللت

وله في مليح بفرد عين بين ملاح:

ثلاثة ما فيهم واحد
تجمّعوا كالدرّ في سلكه
لقد أسى في جمعهم محسن

وله فيمن اسمه «الفضلي» جلس لدى شيخ من محلّ يسمّى العرّ، والفضلي له بعض ملاحه:

اني رأيت اليوم ما لم يكن
شيخ عفيف هام في يافع
وصاحب العرّ أراكبيته

وغير خفيّ بها التوجيه بالمحلات مع التواري لأن يافع وأحور بلدان متجاوران والعرّ محلّ وداء يصيب الإبل.

كالظبي حين يسنح
وقلبه يسبّح

الارشيقي القد صافي البديذ
والدر أعلى ما يكون الفريد
في النظم لا يعرف بيت القصيد

لدى شيخ من محلّ يسمّى العرّ، والفضلي

يخطر في بالك من قبلي
بأحور من ولد الفضلي
ان رام أمر الجهل بالعقل

مع التواري لأن يافع وأحور بلدان

والفضلي: رئيس أهور.

وله في المجون:

وهيفاء حازت بهجة ووسامة
أريد قفاها وهي تطلب عكسه
تراود معشوقاً بكل مكان
واني وإياها لمختلفان^(١)

وله في شخص يسمى «الذويد يحيى»:

يقولون الذويد له محلّ
فقلت نعم ولكنني أراه
إذا جاوزت كحلاناً وحوثاً
بأكراش الحمير يصير روثاً
ومحاسنه كثيرة وشعره جيّد، وهو من الشيعة المبالغين في حبّ أهل البيت،
والله أعلم.

[١٠٩]

أبو الحسن علي بن محمّد بن منصور بن نصر بن بسام، النديم الشاعر
المشهور البغدادي^(*).

فاضل شعره كجدّه منصور وبسام، جمع لسانه بالشعر مديحاً وهجاء بين

(١) نشر العرف ٢/٢٢٠ - ٢٢١.

(*) وذكرت المصادر أن اسمه: علي بن محمد بن نصر، وعلي بن أحمد، وعلي بن نصر بن منصور ابن بسام.

ترجمته ونماذج من شعره في: وفيات الأعيان ٣/٣٦٣ - ٣٦٦، معجم الأدباء ١٤/١٣٩ - ١٥٢، الأنساب للسمعاني ٢/٢١٩، البداية والنهاية لأبي الفداء ١١/١٢٥، الكنى والألقاب ١/٢١٩، هدية العارفين ٢/٦٧٥، أنوار الربيع ٢/٣٧٢، الكامل لابن الأثير ٨/٢٩، مفتاح السعادة ١/١٩١، الاعلام ط ٤/٤/٣٢٤، زهر الآداب، تاريخ بغداد ١٢/٦٣، الهدايا والتحف ١٣٩، مروج الذهب ٤/٢٩٧ - ٣٠٤، أعتاب الكتاب ١٨٨، فوات الوفيات ٢/١٦٧، مناقب آل أبي طالب، أعيان الشيعة ٤٢/٢٤، أمالي الطوسي ٢٠٩، أدب الطف ١/٣٢٧ - ٣٣٠، الفهرست لابن النديم ١٦٧، اللباب لابن الأثير: «البسامي»، معجم الشعراء ٢٩٤، الطليعة ترجمة رقم ٢٠٧.

وللدكتور مزهر السوداني: «ابن بسام حياته وشعره» طبع بمجلة المورد البغدادية مج ١٥ لسنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ع ٢/١٠٣ - ١٤٢.

واستدرك عليه عامر سالم حساني بمجلة المورد أيضاً مج ٢٤ لسنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ع ١/٥٦ -

الفرند والحسام، يצוע نشر أدبه ولا يضيع، ولو ادّعاه شاعرا طيء للقباء كل منهما دون ابن الضحاك بالخليع.

وقال ابن خلكان: كانت أمّه أمانة ابنة حمدون النديم.

وروى عنه أبو بكر الصولي، وأبو سهل زياد وغيرهما، وكان من أعيان الشعراء، ومحاسن الظرفاء، لسناً مطبوعاً في الهجاء، حتى هجا أباه وإخوته، وأورد مديحاً وهجاءً من نفيس شعره [من الكامل]:

أقصرْتُ عن طلب البطالة والصبأ	لَمَّا علاني للمشيب قِناعُ
لله أيام الشباب ولهوها	لو أنّ أيام الشباب تُباع
فدع الصّبا يا قلب واسلُ عن الهوى	ما فيك بعد مشيبك استمتاع
وانظر إلى الدنيا بعين مودّع	فلقد دنا سَفَرٌ وحن وداع
والحادثات موكّلات بالفتى	والناسُ بعد الحادثات سَماع ^(١)

وكان المتوكل جعفر بن المعتصم يتشبه بالخوارج في عداوته علياً والحسين عليه السلام، ويزيد عليهم في استحلاله ما حرّموا من الكبائر، فبلغت عداوته أن أمر بهدم قبر الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام بالحائر الشريف وتخریب المشهد الكريم، فقال أبو الحسن بن بسّام المذكور فيه [من الكامل]:

تالله إن كانت أميَّة قد أتت	قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنوا أبيه بمثله	هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا	في قتله فتتبّعوه رَميما ^(٢)

مهدوماً على الحال من اسم الإشارة، لأن معنى هذا أشير إليه وهو مثل قوله تعالى: «وهذا بعلي شيخاً»^(٣) أي أشير إليه شائخاً.

وقال أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبين: وكان السبب في كرب قبر الحسين عليه السلام، ما حدثني به أحمد بن الجعد الوشاء، وقد شاهد ذلك قال: وكان السبب في كرابه قبر الحسين عليه السلام، أن بعض المغنيات كانت تبعث جواربها إلى

(١) معجم الأدباء ٣٢٤/٥، الكنى والألقاب ٢٢٥/١، وفيات الأعيان ٢٦٣/٣، ابن بسام/قطعة ٨٤.

(٢) وفيات الأعيان ٣٦٥/٣، الكنى والألقاب ٢٢٥/١، أدب اللف ٣٢٧/١، ابن بسام/قطعة ١٢٣.

(٣) سورة هود: الآية ٧٢.

المتوكل قبل خلافته فيغتنين له إذا شرب، فلما وليها بعث إلى تلك المغنية فعرف أنها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين عليه السلام، فبلغها خبره، فأسرعت الرجوع إليه وبعثت إليه بجارية من جواريتها كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟ قالت: حجت مولاتي فأخرجتنا معها، فقال: وإلى أين حججتم في شعبان؟ قالت: إلى قبر الحسين، فاستطير غضباً، وأمر بمولاتها فحبست، فاستصفي أملاكها، وبعث برجل من أصحابه يقال له الدبرج^(١)، كان يهودياً فأسلم، إلى قبر الحسين عليه السلام، فأمر بكراب قبره وإخراب كل ما حوله، فمضى لذلك واخرب البناء، وكرب حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ القبر لم يتقدم إليه أحد، فاحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالح بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذ، ويوجه به إليه^(٢).

فحدثني محمد بن الحسين الأشناني قال: بعد عهدي بالزيارة تلك الأيام خوفاً، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها فساعدني رجل من العطارين على ذلك فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل حتى أتينا نواحي الغاضرية، فخرجنا منها نصف الليل فصرنا بين مسلحتين، وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفي علينا فجعلنا نشمه ونتحرى جهته حتى أتينا، وقد قلع الصندوق الذي كان حوالبه وأحرق، وأجرى الماء عليه، فانخسف موضع اللبن فصار كالخندق، فزرناه وأكينا عليه فشممت رائحة منه ما شممت مثلها، فقلت لصاحبي العطار، أي ريح هذه؟ فقال: والله ما شممت مثلها لشيء قط من الطيب، فودّعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع.

فلما قتل المتوكل إلى سخط الله اجتمعنا مع جماعة من الطالبين والشيعة، حتى صرنا إلى القبر فاخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه^(٣).

وإنما تستحب زيارة مولانا الحسين عليه السلام في شعبان، لما رواه الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي البغدادي الشهير بابن المعلم في

(١) في المقاتل: «الديزج».

(٢) مقاتل الطالبين ٥٩٧ - ٥٩٨، انظر: تاريخ الطبري/ حوادث سنة ٢٣٦ هـ.

(٣) مقاتل الطالبين ٥٩٨ - ٥٩٩.

(٤) في الأصل: «سار» وهو تصحيف.

كتاب «مزار الشيعة» وأحزانها وقد ذكر شهر شعبان فقال: وفي النصف منه ولد الحجة صاحب الزمان عجل الله فرجه وهي أفضل الليالي في السنة «وفيها يفرق كل أمر حكيم»^(١) وفيها يمنح الله العباد فضله، وهي ليلة يعظمها المسلمون جميعاً وأهل الكتاب، ويستحب فيها زيارة الحسين عليه السلام، وفي ثالث شعبان يوم الثلاثاء وفيل يوم الخميس ولد الحسين عليه السلام. والكرب: الحرث.

قال الأخطل:

أقول ولم أملك سوابق عبرة متى كان حكم الله في كرب النخل
وكان تخريب المشهد سنة ست وثلاثين ومائتين وذكر ابن خلكان: أن ابن
بسام سأل الوزير ابن المرزبان برذوناً فمنعه عنه فقال: [من المنسرح].

بخلت عني بمقرفٍ عطِبٍ فلن تراني ما عشتُ أطلبه
وإن تُقلُ صنته فما خلق الله مصوناً وأنت تركبه^(٢)
وله في أسد الدين بن جهور الكاتب [من الكامل]:

تَعَسَّ الزمانُ لقد أتى بعجابٍ ومحا رسوم الظرف والآدابِ
وأتى بكُتابٍ لو انبسطتْ يدي فيهم رددتهم إلى الكُتابِ
أو ما ترى أسد بنَ جهورٍ قد غدا متشبهاً بأجلَّة الكُتابِ^(٣)

والكتاب الثاني موضع تعليم الصبيان.

ومن دقيق شعره الحرّ [من الوافر]:

وكانت بالصَّراة لنا ليالٍ سرقناهن من ريب الزمانِ
جعلناهنَّ تاريخ الليالي وعُنوان المسرَّة والأمانِ^(٤)

قال المسعودي: وأنشدني أبو إسحاق الزجاج لأبن بسام المذكور في
المعتضد وقد ختن ابنه جعفر المقتدر [من مخلع البسيط]:

(١) سورة الدخان: الآية ٤.

(٢) مروج الذهب ٣٠٢/٤، تاريخ بغداد ٦٣/١٢، اللباب/البسامي، وفيات الأعيان ٣/٣٦٤، ابن
بسام/قطعة ٩.

(٣) مروج الذهب ٣٠٤/٤، وفيات الأعيان ٣/٣٦٤، ابن بسام/قطعة ١٢.

(٤) وفيات الأعيان ٣/٣٦٤، ابن بسام/قطعة ١٤٣.

انصرف الناس من ختانٍ يدعون من جوعهم حراماً
فقلت لا تعجبوا لهذا فهكذا تختن اليتامى^(١)

وأشد له في المعتضد أيضاً [من الوافر]:

إلى كم لا نرى ما ترتجيه ولا تنفك عن أمل كذوب
لأن سمّوك معتضداً فإني أظنك سوف تعضد عن قريب^(٢)

وله أيضاً في أبيه محمد بن نصر [من البسيط]:

بنى أبو جعفر داراً فشيدها ومثله لخيار الدور بناءً
والجوع داخلها والذلّ خارجها وفي جوانبها بُؤس وضرأء
ما ينفع الدار من تشييد حائطها وليس داخلها خبز ولا ماء^(٣)

قال: وكان أبو محمد بن منصور رجلاً مترفاً في غاية النعمة حسن الزي
ظاهر المروّة متخصصاً في مطعمه وملبسه وتجمّل داره فقال فيه ابنه المذكور:

هبك عُمرتَ عمر سبعين نَسراً أتري أنني أموت وتبقى
فلئن عشتُ بعد موتك يوماً لأشقنَّ جيبَ مالك شقاً^(٤)

وجده: نصر بن منصور، ممدوح أبي تمام، وقيل: أن الوزير القاسم بن
عبيد الله الذي سمّ ابن الرومي دخل على المعتضد يوماً وهو يلعب بالشطرنج
ويتمثل بقول أبي الحسن بن بسّام. [من مخلع البسيط]:

حياة هذا كموت هذا فليس تخلو من المصايب^(٥)

ثم رفع المعتضد رأسه فنظر إلى الوزير فاستحى منه، فقال: يا قاسم اقطع
لسان ابن بسّام عنك، فخرج الوزير مبادراً لقطع لسانه فبلغ ذلك المعتضد فرده،

(١) مروج الذهب ٤/٢٩٩، ابن بسّام/قطعة ١٢٤.

(٢) مروج الذهب ٤/٢٩٩، ابن بسّام/قطعة ١٦.

(٣) مروج الذهب ٤/٢٩٧، ابن بسّام/قطعة ١.

(٤) مروج الذهب ٤/٢٩٧، شرح مقامات الحريري ٣/٢٦٦، وفيات الأعيان ٣/٣٦٣، ابن بسّام/
قطعة ١٠١.

(٥) وفيات الأعيان ٣/٣٦٢، محاضرات الأدباء ٤/٥١٥، التمثيل والمحاضرة ١٠٦، ابن بسّام/قطعة

وقال: لا تعرض له بسوء، بل اقطعه بالبرّ والشغل، فولّاه البريد والجسر بجند قنسرين والعواصم من بلاد الشام، وهذا البيت له يهجو به الوزير المذكور وقبلة:

قل لأبي القاسم المرزًا قابلك الدهر بالعجائب^(١)
مات لك ابنٌ وكان زِيناً وعاش ذو الشَّيْنِ والمعائب

قلت: يجوز أن يكون القاسم بن القاسم، فإني أحفظه هكذا: «قل لأبي القاسم». وقال فيه [من مخلع البسيط]:

قل لأبي القاسم المرزًا ونادِ يا ذا المصيبتين
مات لك ابنٌ وكان زِيناً وعاش شَيْنٌ وأيُّ شَيْنِ
حياةٌ هذا كموت هذا فالطم على الرأس باليدين^(٢)

وله من التصانيف: أخبار عمر بن أبي ربيعة استوفى فيه أخباره، وكتاب أخبار الأحرص، وكتاب مناقضات الشعراء، وديوان رسائل، وغير ذلك.

وهو غير ابن بسام صاحب الذخيرة.

وكانت وفاته سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثمائة عن نيف وسبعين سنة، رحمه الله.



والمسلحة: جماعة أهل سلاح.

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٦٢، خاص الخاص ١٠٨، المنتحل ١٤١، معجم الأدباء ٥/٣١٩، نهاية الأرب ٣/١٠٢، ابن بسام قطعة ١٩.

(٢) معجم الأدباء ٥/٣٢٢، وفيات الأعيان ٣/٣٦٢، ابن بسام/قطعة ١٣٦.

القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن
تميم بن جابر بن هاني بن زيد بن عبيد بن مالك بن موقظ بن سرح بن
نزار بن عمرو بن الحارث، وهو من ملوك تنوخ بن فهم بن تيم الله بن
أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلوان^(*).

فاضل ارتفع بأدبه ما خفض من الشعر، وانتصب بحاله فيه كل لاحق بلا
تميز غرّ، وأصل التهذيب في مبتدأه فحلى عنه الخبر، وأعرب بكل بيت له مبنى
على الفتح أغرّ.

وذكره القاضي أبو العباس بن خلكان في تاريخه وقال: كان عالماً بأصول
المعتزلة والنجوم^(١).

(*) كتب المؤلف عنوان هذه الترجمة (القاضي أبو القاسم علي بن القاضي أبي علي المحسن بن علي
ابن محمد بن أبي الفهم... الخ) هو سهو من المؤلف، فالترجمة تعود لجده (أبي القاسم علي بن
محمد بن أبي الفهم). وقد صوّبنا العنوان حسب المضمون. أما الحفيد (أبو القاسم علي بن أبي
علي المحسن بن علي المذكور) فقد ترجمه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١١٥/١٢، وابن
خلكان في وفيات الأعيان ١٦٢/٤ ضمن ترجمة والده المحسن بن علي.
كما ترجمه المؤلف ضمن ترجمة والده برقم ١٤٠. وسيكون تعليقنا وتحقيقنا لهذه الترجمة كما
ذكرنا للقاضي أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود.
وتكملة النسب لما ذكره المؤلف: «حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة التنوخي».
له ديوان شعر صنعه الأستاذ هلال ناجي ونشره في مجلة المورد البغدادية مج ١٣/١٤/١٤٠٤ هـ -
١٩٨٤ م.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٣/٣٦٦ - ٣٦٩، الأنساب ١١١، تاريخ بغداد ٧٧/١٢، لسان الميزان ٤/٢٥٦،
العبر للذهبي ٢/٢٦٠، تاج التراجم ٤٠، اللباب في تهذيب الأنساب ١/٢٢٥، بغية الوعاة ٢/
١٨٧، النجوم الزاهرة ٣/٣١٠، شذرات الذهب ٢/٣٦٤، معجم الأدباء ١٤/١٦٢ - ١٩١، معاهد
التنصيص ١/١٣٦، الوافي بالوفيات، نشوار المحاضرة ٢/١٤٠ - ١٤١، يتيمة الدهر ٢/٣٣٥ -
٢٤٥، مروج الذهب ٤/٢٢٩، تجارب الأمم ١/٣٤٥، روضات الجنات ٥/٢١٩، معالم العلماء
١٤٩، الحدائق الوردية - خ - ٢/٨٨٩ - ٨٩٣، الجواهر المضية ١/٣٧٢، طبقات المعتزلة ١٣٢،
الطليعة - خ - ترجمة رقم ١٩٨، أنوار الربيع ١/٤٠، مرآة الجنان ٢/٣٣٥، معجم المؤلفين ٧/
١٩٦، الفوائد البهية ١٣٧، أعيان الشيعة ٤٢/٨٨ - ٩٤، الاعلام ط ٤/٤/٣٢٤ - ٣٢٥، الغدير
٣/٣٧٧ - ٣٨٧.

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٦٦.

وقال الثعالبي: هو «من أعيان أهل العلم والأدب، وأفراد الكرم وحسن الشيم، وكان كما قرأته في فصل للصاحب من عباد: إن أردت فإني سبحة ناسك، وأن أحببت فإني بفاحة فاتك، أو أقترحت فإني مدرعة راهب، أو آثرت فإني تحية شارب». وكان تقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين^(١) وحين صُرف عنه ورد حضرة سيف الدولة بن حمدان زائراً ومادحاً، فأكرم مثواه واحسن قراه، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد حتى أُعيد إلى عمله، وزيد في رزقه ورتبته^(٢).

وقال أبو الفضل بن جيرون: قيل كان رأيه الرفض والاعتزال.

وقال شجاع الهذلي: كان يتشيع ويذهب إلى الاعتزال.

وقال القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري اليميني الكاتب الماضي ذكره^(٣): «كان زيدياً وكان التشيع دينه ودين أبيه وجده علي بن محمد الأكبر»^(٤).

قلت: تتبعت ذكره في التواريخ والطبقات فأخذت منها أنه كان حنفي الفروع، معتزلي الأصول، متشيع جداً، وأكثر فقهاء العراق المتشيعين حنفيه الفروع.

وقد ذكر ابن الذهبي: إن أبا حنيفة كان من بترية الزيدية.

وذكر الثعالبي: أن الوزير المهلي وغيره من وزراء العراق كانوا يميلون إلى القاضي التنوخي، ويتعصبون له، ويعدونه ربحانة الأدباء والعلماء، وتاريخ الظرفاء، وكان من جملة الفقهاء والقضاة الذين ينادمون الوزير المهلي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة، وهم: القاضي أبو بكر بن قريعة، وابن معروف، والتنوخي المذكور، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها، وكذلك كان [الوزير] المهلي، فإذا تكامل الإنس، وطاب المجلس، ولذ السماع، وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا أثواب الوقار

(١) يتيمة الدهر ٢/٣٣٥، وفيات الأعيان ٣/٣٣٦.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٦٦.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢٤.

(٤) هذا القول يخص صاحب الترجمة، ولا محل له هنا.

للعقار، وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش، ووضع في يد كل واحد منهم طاس ذهب فيه ألف مثقال، شراباً قطربلياً أو عكبرياً، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره، ويرش به بعضهم بعضاً، ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات، ومخائق المنثور والبرم^(١)، فإذا أصبحوا عادوا كعادتهم في التوقر والتحفظ بأبهة القضاء وحشمة المشائخ الكبراء^(٢).

وإياهم عني السري الرفاء بقوله [من المنسرح]:

مَجَالِسُ تَرْقُصُ الْقُضَاةُ بِهَا
وَصَاحِبُ يَخْلِطُ الْمُجُونَ لَنَا
تَخْضِبُ بِالرَّاحِ شَيْبَهُ عَبَثاً
حَتَّى تَخَالَ الْعُيُونُ شَيْبَتَهُ
إِذَا انْتَشَرُوا فِي مَخَانِقِ الْبَرَمِ
بِشَيْمَةٍ حُلُوءٍ مِنَ الشَّيَمِ
أَنَامِلٌ مِثْلُ حُمْرَةِ الْعَنَمِ
شَيْبَةُ عُثْمَانَ ضَرَجَتْ بِدَمِ^(٣)

ومن بديع شعر التنوخي المذكور وكان الصاحب يفضله على سائر شعره وهو الكافي فيه [من الكامل]:

أَحِبُّ إِلَيَّ بِنَهْرٍ مَعْقِلِ الَّذِي
عَذِبُ إِذَا مَا عَبَّ فِيهِ نَاهِلٌ
مَتَسَلْسَلٌ وَكَأَنَّهُ لَصَفَائِهِ
وَإِذَا الرِّيحُ جَرَيْنَ فَوْقَ مُتُونِهِ
وَكَأَنَّ دَجَلَةَ إِذْ تَغْطِطُ مَوْجَهَا
وَكَأَنَّهَا يَاقُوتَةٌ أَوْ أَعِينُ
عَذِبَتْ فَمَا تَدْرِي أَمَاءَ مَاؤُهَا
وَلَهَا بِمَدِّ بَعْدَ جَزْرٍ ذَاهِباً
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْأُبُلَّةِ خَلَّتْهَا
كَمْ مَنزِلٍ فِي نَهْرِهَا آلِ السَّرْوِ
وَكَأَنَّهَا تَلِكُ الْقُصُورُ عَرَائِسُ
فِيهِ لِقَلْبِي مِنْ هَمُومِي مَعْقِلُ
فَكَأَنَّهُ فِي رَيْقِ حَبِّ يَنْهَلُ
دَمْعٌ بِخَدِّي كَاعِبٍ يَتَسَلْسَلُ
فَكَأَنَّهُ دِرْعُ جَلَاهَا صَيْقَلُ
مَلِكٌ يُعَظِّمُ خَيْفَةَ وَيُبَجِّلُ
زُرُقَ يَلَائِمِ بَيْنِهَا وَيُوصِلُ
عِنْدَ الْمَذَاقَةِ أَمْ رَحِيقِ سَلْسَلِ
جَيْشَانِ يَدِيرُ ذَا وَهَذَا يُقْبَلُ
مِنْ جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ حِينَ تُخَيَّلُ
رَبَّانُهُ فِي غَيْرِهِ لَا يَنْزِلُ
وَالرُّوْضُ فِيهِ حَلِي خَوْدِ تَرْفُلِ^(٤)

(١) البرم: نوع من الثياب.

(٢) بيتمة الدهر ٢/٣٣٥ - ٣٣٦، وفيات الأعيان ٣/٣٦٦ - ٣٦٧.

(٣) بيتمة الدهر ٢/٣٣٧، معاهد التنصيص ١/١٣٦، ديوان السري الرفاء ٢/٦٧٧.

(٤) في الأصل: «والروض فيه حليتها وفيه ترفل» وما أثبتنا من ديوانه.

غَنَّتْ قِيَانُ الطَّيْرِ فِي أَرْجَائِهَا
 وَتَعَانَقَتْ تِلْكَ الْغُصُونُ فَأَدْرَكَتْ
 رَبْعَ الرَّبِيعِ بِهِ فَحَاكَتْ كَفَّهُ
 فَمَدَّبَسَجَ وَمَوْشَجَ وَمُدَنَّزَ
 فَتَخَالَ ذَا عَيْنَا، وَذَا ثَغْرَا، وَذَا
 هَزَجَا يَقِيلُ لَهُ الشَّقِيلُ الْأَوَّلُ
 يَوْمَ الْوُدَاعِ وَعَيْرُهُمْ تَتْرَحَلُ
 حُلَلًا بِهَا عُقْدُ الْهَمُومِ يُحَلَّلُ
 وَمُعَمَّمٌ وَمُحَبَّرٌ وَمَهْلَلُ
 خَدَا، يُعَضُّضُ مَرَّةً وَيُقَبَّلُ^(١)

إنما الشعر هذا الذي يعيد كبد الحاسد أفلاذاً .

وله [من السريع]:

كَأَنَّمَا الْمَرْيُخُ وَالْمَشْتَرِيُّ
 مِنْصَرَفٌ بِاللَّيْلِ عَنْ دَعْوَةِ
 أَمَامِهِ فِي شَامِخِ الرَّفْعَةِ
 قَدْ أَوْقَدْتُ قَدَامَهُ شَمْعَةً^(٢)

وله أيضاً في العلويات [من الطويل]:

وَلَيْلَةَ مُشْتَاقٍ كَأَنَّ نَجُومَهَا
 كَأَنَّ سِوَادَ اللَّيْلِ وَالْفَجْرَ ضَاكِكُ
 قَدْ اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الْكُرَى وَهِيَ نَوْمٌ
 يَلُوحُ وَيَخْفَى أَسْوَدٌ يَتَبَسَّمُ^(٣)

وله في غور الكواكب عند الصباح [من البسيط]:

عَهْدِي بِهَا وَضِيَاءُ الصُّبْحِ يُطْفِئُهَا
 اعْجَبْ بِهِ حِينَ وَافِي وَهِيَ نَيْرَةٌ
 كَالسَّرْجِ تُطْفَأُ أَوْ كَالْأَعْيُنِ الْعُورِ
 فَظَلٌّ يَظْمِسُ مِنْهَا النُّورَ بِالنُّورِ^(٤)

وكتب إلى الوزير المهلبى وقد منعه المطر عن خدمته [من الطويل]:

سَحَابٌ أَتَى كَالْأَمْسِ بَعْدَ تَخَوُّفِ
 أَكْبَّ عَلَى الْآفَاقِ إِكْبَابَ مُطَرِّقِ
 لَهْ فِي الثَّرَى فَعَلُ الشِّفَاءِ بِمُدْنَفِ
 يُفَكِّرُ، أَوْ كَالنَّادِمِ الْمُتْلَهْفِ
 فَرَاخٌ عَلَيْهَا كَالْغُرَابِ الْمُرْفَرِفِ
 وَمَدَّ جَنَاحَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ جَانِحاً

(١) يتيمة الدهر ٢/٣٤، محاضرات الأدباء ٢/٥٧٠، نهاية الأرب ١١/٢٦١، معاهد التنصيص ١/١٣٦ - ١٣٧، ديوانه/قطعة ٧٧.

(٢) يتيمة الدهر ٢/٣٣، معاهد التنصيص ١/١٣٧، أسرار البلاغة ١٨٠، نهاية الأرب ٧/٤٢، أنوار الربيع ٥/٣٠٦، ديوانه/قطعة ٦٢.

(٣) يتيمة الدهر ٢/٣٣٧، معجم الأدباء ١٤/١٦٨، معاهد التنصيص ١/٣٧، الوافي بالوفيات، ديوانه/قطعة ٨٣.

(٤) يتيمة الدهر ٢/٢٢٨، معجم الأدباء ٤/٨٦٩، معاهد التنصيص ١/١٣٧، الوافي بالوفيات، ديوانه/قطعة ٣٩.

غدا البرُّ منه برّه، وانثنى الضحى
يُعَبِّسُ عن بَرَقٍ به مُتَبَسِّم
تحاولُ منه الشمسُ في الجوّ مَخْرَجاً
فأفرغ ماء قال واردُ شربه
أتى رحمة للناس غيري فإنه
سحابٌ عداني عن سحابٍ، وعارضٌ
وله أيضاً [من الطويل]:

بُظلمته في ثوب ليلٍ مُسَجَّف
عُبُوسٌ بخيلٍ في تبسُّمٍ مُعْتَفٍ
كما حاول المغلوبُ تجريدَ مُرْهَفٍ
أسلسالُ ماءٍ أم سُلافةٌ قَرَقَفٍ
عليّ عذابٌ ماله من يُكشَفٍ
مُنَعْتُ به من عارضٍ متوكفٍ^(١)

رضاك شَبَابٌ لا يَلِيهِ مَشِيْبٌ
كَأَنَّكَ من كُلِّ النَفوسِ مُرْكَبٌ
وله في مُعَدِّرٍ [من السريع]:

وَسُخْطُكَ داءٌ ليسَ منه طَبِيبٌ
فَأَنْتَ إلى كُلِّ النَفوسِ حَبِيبٌ^(٢)
مُنْقَباً بَعْدَ الضُّيا بِالظُّلَمِ:
كَي تُبصروا كَيْفَ تَزولُ النِّعَمُ^(٣)

قُلْتُ لأصحابي وقد مرَّ بي
بِاللهِ يا أَهلَ وِدادِي قِفُوا

وكان له غلام يؤثره على غيره من غلمانه اسمه «نسيم»، فكتب إليه بعض أصحابه: هل عليّ لامة مدغمة؟ لا اضطرار الوزن في ميم نسيم، فوقع تحته: نعم ولم لا؟.

وقال منصور الخالدي: كنت ليلة عند التنوخي في ضيافة فاغفى إغفاءة فخرج منه ريح فضحك بعض القوم وانتبه لضحكه، وقال: لعلّ ريحاً فسكتنا من هيئته فسكت ساعة، ثم قال:

إِذا نَامَتِ العِينانِ من مُتَيَقِّظٍ
فَمَنْ كانَ ذا عَقْلٍ فيَعْذِرُ نائِماً
تَراخَتْ بلا شَكِّ تشاريخٍ فَتَحَتِ
ومَن كانَ ذا جَهْلٍ ففِي جوفٍ لِحيتِهِ^(٤)

ذكرت بهذه قول محمد بن دانيال الكحال في بعضهم:

(١) بيتمة الدهر ٢/٣٤١ - ٣٤٢، نهاية الأرب في فنون الأدب ١/٧٩، ديوانه/قطعة ٦٥.

(٢) بيتمة الدهر ٢/٣٤٤، معجم الأدباء ١٤/١٧١، الاعجاز والايجاز ٢٤٩، محاضرات الأدباء ٢/٢٩، وفيات الأعيان ٣/٣٦٧، شذرات الذهب ٢/٣٦٣، ديوانه/قطعة ٨.

(٣) بيتمة الدهر ٢/٣٤٥، معجم الأدباء ١٤/١٧١، ديوانه/قطعة ٨٤.

(٤) معجم الأدباء ١٤/١٧٣، معاهد التنصيص ١/١٣٦، الوافي بالوفيات، ديوانه/قطعة ١٩.

محشوة بغرائب الأخلاط
أقوى هبواً من رياح شبايط
غشياً فيوقضني بصوت ضراط
حتى استحال إلى الخراء مخاطي
هذي النصيحة فيك للخياط

أمسى الضياء منادمي وحشاهُ لي
عصفت عليّ رياحه فوجدتها
قد كنت أنعس لانتشاق فسائه
ما زلت أنشق منه ريحاً منتناً
يا أيها المفتوق من ارياحه

وأورد الثعالبي في شعر القاضي أبي القاسم التنوخي [من المتقارب]:

بَدَتْ لَكَ فِي قَدَحٍ مِنْ نَهَارٍ
وَمَاءٌ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ جَارٍ
إِذَا مَا لَلَسْتُ فِي أَوْ بِالْيَسَارِ
لَهُ فَرْدُكُمْ مِنَ الْجُلُنَارِ^(١)

وراح من الشمس مخلوقة
هواءٌ ولكنّه جامد
كان المدير لها باليمين
تدرّع ثوباً من الياسمين

قال ابن خلكان: وحكى أبو محمد الحسن بن عسكر الصوفي الواسطي، قال: كنت ببغداد سنة إحدى وعشرين وخمسمائة جالساً على دكة باب أبرز للفرجة، إذ جاءت ثلاث نسوة فجلسن إلى جانبي فأنشدت متمثلاً [من المتقارب]:

هَوَاءٌ وَلَكِنَّهُ جَامِدٌ وَمَاءٌ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ جَارٍ^(٢)

وسكت فقلت لي إحداهن: هل تحفظ لهذا البيت ثانياً؟ فقلت: ما أحفظ سواه، قالت: فإن أنشدك أحد ما قبله وما بعده ماذا تعطيه؟ قلت: مالي شيء فأعطيه ولكني أقبل فاه، فأنشدتني الأبيات المذكورة وزادت بعد البيت الأول [من المتقارب]:

إِذَا مَا تَأْمَلْتَهَا وَهِيَ فِيهِ تَأْمَلْتَنُوراً مُحِيطاً بِنَسَارِ
فَهَذَا النَّهْيَاةُ فِي الْأَبْيَضَا ض وَهَذَا النَّهْيَاةُ فِي الْأَحْمَرَارِ^(٣)

فحفظت الأبيات منها، فقالت: أين الوعد؟ تعني التقبيل تريد مداعبتي بذلك.

وقلت أنا في تضمين البيت الثاني من هذه الأبيات [من المتقارب]:

(١) يتيمة الدهر ٢/٣٣٨ - ٣٣٩، وفيات الأعيان ٣/٣٦٧، ديوانه/قطعة ٤٠.

(٢) يتيمة الدهر ٢/٣٣٨.

(٣) يتيمة الدهر ٢/٣٣٨ - ٣٣٩، وفيات الأعيان ٣/٣٦٧، ديوانه/قطعة ٤٠.

وقالوا بصنعنا هواءً وماءً
فقللت صدقتهم ولكنّه
هواءٌ ولكنّه جامدٌ

جاري: من الجوار.

يطيبان للمرء طيب العقاري
إذا المال حل محلّ الدراري
وماءٌ ولكنّه غير جاري

وذكر القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري^(١): إن ابن المعتز لما قال
القصيدة البائية التي أولها:

أبى الله إلا ما ترونَ فما لكم
قال القاضي أبو القاسم يجيبه:

من ابن رسول الله وابنٍ وصيّهِ
نشأ بينَ طنبورٍ وزقٍ ومزهرٍ
ومن ظهر سكرانٍ إلى بطن قينةٍ
يعيب علينا خير من وطىء الحصى
ويزري على السبطين سبط محمد
وينسب أفعال القرامط كاذباً
إلى معشر لا يسرح الذم بينهم
إذ ما انتدوا كانوا شמוש بيوتهم
وإن عَبَسُوا يوم الوغى ضحك الردى
نشوا بين جبريل وبين محمد
رضي النبي المصطفى ووصيّه
ومن قال في يوم الغدير محمد
أما أنا أولى منكم بنفوسكم
فقال لهم: من كنت مولاه منكم
أطيعوه طراً فهو عندي بمنزل

إلى مُدغلي في عُقبَةِ الدين ناصبي
وفي حَجَرٍ شادٍ أو على صدر ضاربٍ
على شُبّهٍ في مَلِكها وشوائبٍ
وأكرم سار في الأنام وساربٍ
فقل في حضيض رام نيل الكواكبِ
إلى عترة الهادي الكرام الأطايبِ
ولا تزدري أعراضهم بالمعائبِ
وإن ركبوا كانوا شמוש المواكبِ^(٢)
وإن ضحكوا بكّوا عيون النواذبِ
وبين عليّ خير ماشٍ وراكبِ
ومشبهه في شيمة وضرائبِ
وقد خاف من غدر العداة النواصبِ
فقالوا بلى قول المريب المواربِ
فهذا أخي مولاه قصدي وصاحبي
كهارون من موسى الكليم المخاطبِ

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٤.

(٢) في هامش الأصل، بعده:

«وإن تسألوا إسحاق...»

الكلمات المنقوطة، غير مقروءة.

..... بيت المظالم»

وقولا له أن كنت من آل هاشم
وإنك إن خوفتنا منك كالذي
وقلت: بنو حربٍ كسوكم عمائماً
صدقتم، مناينا السيوف وإنما
أبونا القنا والمشرفية أمنا
ما للغواني في الوغى؟ فتعوضوا
وقلت قتلنا عبد شمس فملكهم
فيا عجباً من حارب صار يدعي
هو السلب المغصوب لا تملكونه
ومنها:

وجئتم مع الأولاد تبغون إرثه
ويوم حنين قال حزننا فخاره
وما واقف في حومة الحرب حائر
وما شهد الهيجاء من كان حاضراً
فهلاً كما لاقى الوصي مصمماً
وعبت بعمينا أبانا سفاهة
ومثل عقيل من علي وطالب
ونسحن أسرنا عمنا وأباكم
وقلت أضعتم ثأر زيد وكنتم
أما ثار فيه الطالببي وجعفر
فامطر في جور وفي أرض فارس
إلى أن رمته عاديات دعواتكم
وقلت نهضنا شاهرين شعارنا
وما كان من حبّ لزيد وأهله
دعوتهم إلينا عالمين بأنكم
فهلاً بإبراهيم كان شعاركم
وكننا لكم في كل حال مناهاً
فلما ملكتم كنتم بعد ذلة

فما كل نجم في السماء بثاقب
يخوف أسداً بالظبا الربايب
من الضرب في الهامات حمر الذوائب
تموتون فوق الفرش موت الكواعب
وإخواننا جرد المذاكي الشوارب
بقرع المثاني عن قراع الكتائب
لنا سلب هل قاتل غير سالب
مواريث خير الناس ملكاً لحارب
وهل سالب للغصب إلا كغاصب؟

فأبعد بمحجوب بحاجب حاجب
ولو كان يدري عدها في المثالب
وإن كان وسط الصف إلا كهارب
إذا لم يطاعن قرنه ويضارب
يعصب بالهندي كبش العضائب
وكم لك من عم عن الدين ناكب
أبو لهب من بعدكم في التقارب
فبات بليل مكفهر الجوانب
كسالي كذبتهم لا هدى كل كاذب
فذكرك ركن الموت من كل جانب
سحائب موت ما طرات المصائب
بسهم اغتيال نافذ السهم صائب
بشارات زيد الخير عند التحارب
ولكنها تشغيبه من مشاغب
مكان الذنابا من ذرى ومناكب
فيرجع دعواكم بحلّة خائب
عذاباً إذا يوردن خضر الجوانب
أسوداً علينا داميات المخالب

فقل لبني العباس عمّ محمّد
عزیز علینا أن تدبّ عقاربي
ولكن بدأت فانتصرت فاقصروا
ولیس سواء ذم سیدة النساء
وقد قال أصحاب النبی محمد
فقال لهم قولوا كمثل مقالهم
وعمّ علیّ صنوه فی المناسب
إلى معشر الأدنى دبیب العقارب
فلیس جزاء الذنب مثل المعاقب
وسبّة ما د بالصفاء والأخاشب
له قد هجانا مشرکوا ل غالب
فما مبتد فی الحرب مثل مجاوب^(١)

وفیها أبیات لا یلیق بجانب العباس رحمه الله حذفها، ولو كان البادی
أظلم.



ویرید بالطالبي: ابن جعفر عبد الله بن معاوية الذي مرّ ذكره وكان قیامه قبل
أبي مسلم.

وعنی بإبراهیم إبراهیم الإمام المشار إليه فی ذكر السید الحمیری والذین
كانوا یهجون النبی ﷺ من قریش: عبد الله الزبیری السهمي، وعبد الله بن قمیثة
وابن عمّه أبو سفیان الحارث بن عبد المطلب وكان أخاً له من الرضاعة
أرضعتها مولاة لأبي لهب ثم أسلم أبو سفیان وحسن إسلامه وثبت يوم حنین.

وأثبت الخطیب فی تاریخ بغداد الروایة عن القاضي أبي القاسم المذكور،
وذكر فیہ أنه ولد بانطاكية يوم الأحد لأربع بقین من ذي الحجة ثمان وسبعین
ومائتین وقدم بغداد، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث، وتوفي
بالبصرة يوم الثلاثاء لسبع خلون من ربيع الأول سنة اثنين واربعین وثلثمائة ودفن
من الغد بتربة اشتریت له بشارع المرّبد^(٢) وله دیوان شعر، رحمه الله تعالى.

(١) بعض أبیاتها فی: معجم الأدباء ١٤/١٨١، مناقب آل أبي طالب ٢/٢٣١ - ٢٣٢، روضات
الجنات ٥/٢١٧ - ٢١٨، الوافي بالوفیات دیوانه/قطعة ١١، الغدير ٣/٣٧٧.

(٢) تاریخ بغداد ١٢/٧٧ - ٧٨، وفیات الأعیان ٣/٣٦٨.

الشريف أبو الحسن علي بن الإمام أبي محمد الناصر لدين الله الحسن
الأطروش بن علي بن الحسن بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن
علي بن أبي طالب الحسيني الديلمي، الأديب الشاعر المشهور.

فاضل خلع على الأدب بفكرته خلعة لؤلؤية، وتجانست كلمته وكلماته فهي
علوية وعلوية، وأتى بالجواهر الفرد وهو نظام، واستعبده فصار جوهرة غلام.

وكان أشعر أولاد الناصر وأظرفهم، وهو مكثر مجيد طويل النفس، وقد
ذكره الثعالبي وغيره وأثنوا عليه، وكان على مذهب الإمامية وعذله والده الناصر
فلم يرجع إلى مذهبه، وقد تبعت ذكره فلم يقع لي سوى هذه القصيدة يرثى بها
محمد بن زيد العلوي الملقب بالداعي الصغير^(١) أخا الحسن بن زيد الملقب
بالداعي الكبير، وكان قتل في وقعة بينه وبين إسماعيل بن نوح بن منصور
الساماني على باب جرجان، وحمل رأسه إلى بخارى، فقال أبو الحسن:

نأت دار ليلي بسكّانها	وأوحش معهد جيرانها
وعاقك عن وصلها عائق	يرد النفوس بأشجانها
وقد كان موعدنا بالوصال	إحدى مواعيد إحسانها
وعهدي بها وهي تفتادنا	بألحاظ أعين غزلانها
معاهد تجمع بين المزور	والزور عامر بنيانها
كأن الربوع تباهى بها	بحمرانها وبصفرانها
تسقى سحائب من صيب	بقطقطها وبهتانها
نسيم الصبا روّعت موهناً	من النور نوار خوذانها

(١) محمد بن زيد بن إسماعيل بن الحسن، العلوي الحسني: صاحب طبرستان والديلم. ولي الإمارة
بعد وفاة أخيه الحسن بن زيد (سنة ٢٧٠هـ) وكانت في أيامه حروب وفتن، وطالت مدته. وكان
شجاعاً، فاضلاً في أخلاقه، عارفاً بالأدب والشعر والتاريخ. أصابته جراحات في واقعة له مع
«محمد بن هارون» من أشياع إسماعيل الساماني، على باب جرجان فمات من تأثيرها سنة
٢٨٧هـ.

ترجمته في: ابن الأثير ٧: ١٦٦ والطبري ١١: ٣٧٠ وما قبلها. والوافي بالوفيات ٣: ٨١،
الاعلام ط ٤/٦/١٣٢.

فما روضة من رياض الحزون
 نأت دار ليلي فهذي العيون
 فدع عنك ليلي وأيامها
 فما لك منها سوى غلة
 تنيلك منزور معروفها
 أنا ابن النبوة عند الفخار
 نماني الوصي وجدي النبي
 لنا ذروة المعجد قد تعلمون
 ومنا الفوارس يوم الهياج
 ولما أصبنا بشيخ العشير
 نصبنا لهم مدرهاً في الخطوب
 جلا حلة تستدير الرجال
 كأن نوافذ آرائه
 فبات ينابذ آراؤه
 يقلب قلباً له همة
 فلما تأمل أسبابه
 نحا حبل الديلمي المنيف
 يبوح بأسراره معلناً
 فتابعه منهم عصبه
 وشمرفي نصره، ذو الوفا
 قبالاً لكل حزون العدا
 يطيّل ويطوي لها بشره
 فمالت عساكرنا كالأذى
 كأن الرجال بأرماحها
 فقل للأولى جهلوا حربنا
 إلى أن نقيم لكم سوقها

تروق العيون بأفنانها
 تروى العيون بتهتانها
 وهيئات شأنك من شأنها
 تقلقل أحشاء ضمآنها
 على المطل منها وليانها
 وابن البواهر برهانها
 وفاطم أفضل نسوانها
 بأعراقها وبأغصانها
 والطاعنون بمرانها
 وابن جلاها ومثانها
 يرد الأمور لأبائنها
 ويقضي فوارج أديانها
 صواب عن بيض مرنانها
 ويبلو معاذير عيدانها
 تجوز السماء بأعنانها
 وابصر فرصة أمكانها
 يدعو إلى الله رحمانها
 لأشياخها ولشبانها
 كأسد العرين بخلقانها
 جستانها وابن جستانها^(١)
 حتى تمل بأضعانها
 ويدني لها نشر أكفانها
 يصوبها رجب قيعانها
 نواضح نشقى بأشطانها
 اتكم شمايط سرعانها
 ونصليكم حرّ نيرانها

(١) الجستان: سمة لملك الديلم وطبرستان.

تثار عواقب أعيانها
وحشوها يب بلسدانها
وخالفتم دين ديانها
غودر رهناً بجرجانها
بروح الجنان وريحانها
وهيهات كيف بسلوانها
وفي النفس لاعج أحزانها
قنوط النفوس بكفرانها
أتتك بأحسن إتيانها

رويدكم أنهما وقعة
أتدرون بازمعات النبيط
بأي المحارم أوقعتم
بنفسي قتيل بأرض الثغور
شري نفسه برضى ربه
فواكبدا أن سلت بعده
أسى وما في الأسى مطمع
فيا نفس لا تقنطي إنما
فكم ترحية عندها فرحة

وهذه قصيدة ترك فصاحتها امرئ القيس غريباً ذا قروح، وعبيداً بيوم بوس
وهو مذبوح، والإشيطان الحبال.

وأشار الثعالبي في كتاب ألفه لخوارزم شاه أن أبا الحسن المذكور كانت به
مع الأدب خلاعة ومجانة.

وروى عن بعض أصحاب الناصر قال: أرسلني الناصر يوماً إلى ولده أبي
الحسن علي أعاتبه بسبب المجون فلما دخلت عليه وجدته مخموراً وعليه دواج
سمور فأبلغته رسالة الناصر فكشف لي عن أيره وهو منعظ وقال:

قل لمن كان إمامياً كم إلى كم تتردد
التمس مافي سراويل فتى الناصر أحمد
فهو القائم يا مغرو ر من آل محمد

فرجعت إلى الناصر وأعلمته بما جرى فسكت عن عدله، ويجوز أن يكون
أحمد علماً له لا لأبيه فيكون صاحب هذه الواقعة غير أبي الحسن، وفي أئمة
زيدية الديلم جماعة تكتوا بالناصر وإنما استمد الأخير من قول ابن الحجاج وقد
مر.

ومحاسن أبي الحسن كثيرة.

ولم أعلم تاريخ وفاته، رحمه الله تعالى.

أبو الحسن علي بن عبد الله بن وصيف الحلأ المعروف بالناشيء
الصغير، الشاعر المشهور، البغدادي (*) .

فاضل غلب المعارضين من محاسنه بالبرهان، وأتى بنظم ذهبي يتعالى عن
كفة الميزان، عقد الألسن شعره فعلموا أنه سحر، ولم يبق عنده لياقوت الخدود
وجوهر الثغور سحر .

وكان إماماً في علوم الكلام على مذهب الشيعة، وأخذ الكلام عن الشيخ
أبي سهل إسماعيل بن علي بن نوبخت المتكلم الإمامي .

قال ابن خلكان: وكان من كبار الشيعة، وكان أبوه عطاراً، وجدّه وصيف
مملوك، وكان هو يجلي المداخن النحاس^(١) .

وقال أبو بكر الخوارزمي أنشدني أبو الحسن الناشيء لنفسه [من الطويل]:

إذا أنا عاتبت المملوك فإنّما أخطُّ بأقلامي على السماء أحرفاً
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم يكن مودته طبعاً فصارت تكلفاً؟^(٢)

وذكر الثعالبي في اليتيمة من شعره [من مجزوء الخفيف]:

يا خليلي وصاحبي من لؤي بن غالب
حاكم الحبّ جائر موجب غير واجب
لك صدع كأنّما نونيه نون كاتب

(*) له ديوان شعر محفوظ بمكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف برقم ٦١٢، يحتفظ المحقق بنسخة
مصورة منه .

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٣/٣٦٩ - ٣٧١، معجم الأدباء، سير النبلاء - خ -، الفهرست للطوسي ٨٩،
لسان الميزان ٤/٢٣٨، يتيمة الدهر ١/٢٣٢ - ٢٣٣، الطليعة - خ - ترجمة برقم ١٩٤، أمل
الآمل ٢/٢٠٨، مناقب آل أبي طالب، أعيان الشيعة ٤١/٣٢٩ - ٣٤١، أدب الطف ٢/١٠٨،
الاعلام ط ٤/٤/٣٠٤، الغدير ٤/٤ - ٣٣ .

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٦٩ .

(٢) يتيمة الدهر ١/٢٣٢، وفيات الأعيان ٣/٣٦٩ .

يلذع الناس إذ تعق — رب لذغ العقارب^(١)

وقال ابن خلكان: أن أبا الحسن الناشئ المذكور خرج إلى الكوفة سنة ٣٢٥ وأملى من شعره بجامعها، وكان أبو الطيب المتنبي يحضر حلقة وهو صبي، فكتب من إملائه لنفسه من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين كرم الله وجهه في الجنة:

كأن سنان ذابله ضميرٌ فليس عن القلوب له ذهابٌ
وصارمه كبيعته بخمٌ معاقدُها من الخلق الرقابُ^(٢)

فأخذه المتنبي فقال في مديح سيف الدولة بن حمدان:

كأن الهام في الهيجا عيونٌ وقد ضُغِنَ الأستة من هموم
وقد طُبعت سيوفك من رقابٍ فما يخطرن إلا في فؤادي^(٣)

قلت: لكن متانة شعر الناشئ وأنه السابق فضحت المتنبي وأول قصيدة الناشئ:

بآلٍ مُحمَّد عرف الصَّوابُ وفي أبياتِهِمْ نَزَلَ الكِتَابُ
وهم حجج الإله على البرابا بهم وبجدِّهم لا يسترابُ
ولا سيما أبو حسن عليًّا له في المجد مرتبة تهابُ
طعام حسامه مهج الأعادي وفيض دم الرقاب له شرابُ^(٤)

وبعد البيتين المذكورين:

هو البكاء في المحراب ليلاً هو الضحاك إن جدَّ الضرابُ
هو النبأ العظيم وفلك نوح وباب الله وانقطع الخطابُ

والعامة تنسب هذه الأبيات إلى عمرو بن العاص، ويقولون: إنه قالها لما عزله معاوية عن مصر وهو من أفحش غلظهم.

وكان الناشئ أحد شعراء سيف الدولة، ولما عزم على مفارقتها من حلب وقد غمره بإحسانه كتب إليه يودّعه:

(١) بيتمة الدهر ١/٢٣٣.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٦٩ - ٣٧٠.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٧٠.

(٤) معجم الأدباء ١٣/٢٩٠ وفيه البيت الأول فقط، وبيتين غيره كاملة في الغدير ٤/٢٥ - ٢٧.

أودّع لا إنسي أودّع طائعا
وأرجع لا ألقى سوى الوجد صاحباً
تحملت عنا بالصنائع والعلا
رعاك الذي يرعى بسيفك دينه
ومن حُرّ شعره وحكمته:

وأعطى بكرهي الدهر ما كنت مانعا
لنفسِي إن ألفت بالنفس راجعا
فنستودع الله العلا والصنائعا
ولقائك روض العيش أخضرَ يانعا^(١)

إنني ليهجرني الصديقُ تجنباً
وأخاف أن عاتبته أغريته
وإذا بليتُ بجاهل متغافلٍ
أوليته مني السكوتَ وربّما

فأريه أن لهجره أسبابا
فأرى له ترك العتاب عتابا
يدعو المحال من الأمور صوابا
كان السكوتُ عن الجواب جواباً^(٢)

وأورد له الثعالبي أيضاً ثم أوردها لأبي محمد المنجم [من المتقارب]:

إذا لم تنل همم الأكرمين
فكم دعة أتعبت أهلها
وسمعيهم وادعاً فاغترب
وكم راحة نُتجت من تعب^(٣)

وذكر ابن خلكان أنه ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين وتوفي سنة ست
وستين وثلثمائة ببغداد^(٤)، رحمه الله تعالى.



والناشيء الكبير هو أبو العباس عبد الله بن محمد الأنباري المعروف بابن
سرشير الشاعر المشهور^(٥)، وكان من أئمة الكلام في مذهب المعتزلة والمنطق

(١) يتيمة الدهر ١/٢٣٢، وفيات الأعيان ٣/٣٧٠، كاملة في ديوانه ٢-٣.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٧٠ - ٣٧١.

(٣) يتيمة الدهر ١/٢٣٢ له، وفي ٣/٣٩١ لأبي محمد المنجم.

(٤) وفيات الأعيان ٣/٣٧١.

(٥) مرّت ترجمته بهامش سابق، له ديوان شعر حققه الأستاذ هلال ناجي في مجلة المورد البغدادية
مج ١١/١٩٨٢ ع ١٤ وما بعده.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/٩١ - ٩٣، النجوم الزاهرة ٣/١٥٨، طبقات الشعراء ٤١٧، مروج
الذهب ٣/٤٥٣، العبر للذهبي ٢/٩٥، تاريخ بغداد ١٠/٩٣، المنتظم ٦/٥٧، الأنساب ٥٥١،
شذرات الذهب ٢/٢١٤، إنباء الرواة ٥/١٢٨، البداية والنهاية ١١/١٠١، هدية العارفين
٤٤٢، مقدمة ديوانه بقلم المحقق هلال ناجي.

والعروض وغيره، وكان بقوة فطنته قد نقص علل النحاة ومثل العروض بغير أمثلة الخليل وقد أشرنا إليه في حرف التاء وذكرنا له طردية، وله في جارية مغنية [من المتقارب]:

فَدَيْتُكَ لَوْ أَنَّ هُمْ أَنْصَفُوكِ لَرَدُّوا النَّوَظِرَ عَنْ نَاطِرِيكَ
تَرُدِّيْنَ أَعْيُنَنَا عَنْ سِوَاكِ وَهَلْ تَنْظُرُ الْعَيْنُ إِلَّا إِلَيْكَ
وَهُمْ جَعَلُوكَ رَقِيباً عَلَيْنَا فَمَنْ ذَا يَكُونُ رَقِيباً عَلَيْكَ؟!
أَلَمْ يَقْرَأُوا وَيَحْهَمُ مَا يَرُونَ مِنْ وَحْيِ حُسْنِكَ فِي نَاطِرِيكَ^(١)

وبين بغداد والأنبار عشرة أيام، والأنبار من الجانب الغربي، والله أعلم.

[١١٣]

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد العزيز الكاتب التهامي، الشاعر المشهور، وقيل كنيته أبو الفتح^(*).

فاضل اشتهر بالنظم المليح، وجمال بكميته العالي في رياض من الألفاظ فسيح، فشعره قبله في جبين حسناء الأدب، وقبله لمن حج البيت الخليل وطلب. وقال ابن بسّام في كتاب الذخيرة: كان مشتهراً بالأحسان، ذرب اللسان، مخلى بينه وبين ضروب البيان، يدل شعره على وري القدح، دلالة برّد النسيم على الصبح، ويُعرب عن مكانة من العلوم، إعراب الدمع بسرّ الهواء المكتوم^(٢).

(١) المنتظم ٥٨/٦، شذرات الذهب ٢١٤/٢ - ٢١٥، تاريخ بغداد ٩٣/١٠، ديوان المعاني ٢٢٨/٢ - ٢٢٩، البصائر والذخائر ٦٢١/٢، إنباء الرواة ١٢٩/٢، وفيات الأعيان ٩٢/٣، ديوانه/قطعة ٩٢.

(*) له ديوان شعر مطبوع.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٣٧٨/٣ - ٣٨١، الذخيرة، تمة التيمة ٤٨ - ٥٣، النجوم الزاهرة ٢٦٣/٤، العبر للذهبي ١٢٢/٣، شذرات الذهب ٢٠٤/٣، بروكلمان التكملة ١٤٧/١، دمية القصر ١١٠/١ - ١٢٦، روضات الجنات ٤٦١، تأسيس الشيعة ٢١٥، تاريخ ابن الوردي ٣٣٧/١، مرآة الجنان ٣٠/٣، معجم البلدان ٥١٨/٢ - ٥١٩، أنوار الربيع ٦٢/١.

(٢) الذخيرة وفيات الأعيان ٣٧٨ - ٣٧٩.

وقال ابن خلكان: وله ديوان شعر صغير أكثره نُخب، ومن لطيف نظمه من جملة قصيدة طويلة يمدح بها أبا القاسم المغربي المذكور في الحاء^(١).

قلت لسخلي وثغور الربا
أيهما أحلى ترى منظرأ
مبتسمات وثغور الإقاخ^(٢)
فقال: لا أعلم كل أقاخ^(٣)
وله أيضاً:

كم قلت: إياك الحجاز فإنه
وأردت صيد مهى الحجاز فلم يسا
منعت جآذره بصيد أسوده
عدك القضاء فصرت بعض صيوده^(٤)
وله في عقد كلمة مشهورة حكمة:

بين كريمين مجلس واسع
والبيت إن ضاق عن ثمانية
والودُّ حال يقرب الشاسع
متسع بالوداد للتاسع^(٥)
وله وهو من نوافع الحكمة:

وإذا جفاك الدهر وهو أبو الورى
وأورد له الصفدي هذا البيت في الغيث متعجباً من حسنه:

وعصابة مال الكرى برؤسهم
فإن العصابة الجماعة، ومع ذكر الرؤوس المائلة من الذوائب أوهم بذكر العصابة التي هي الجوهر أو المنديل ونحوه.

وأما الانسجام فيتكسر النهر حسداً له وفيه حسن التشبيه المنزوع الأداة.

وأما قصيدة أبي الحسن التهامي في ولده الصغير، فإنها تشجي الجماد،

(١) ترجمه المؤلف برقم ٥٧.

(٢) في الوفيات: «الملاخ».

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٧٩.

(٤) وفيات الأعيان ٣/٣٨٠.

(٥) وفيات الأعيان ٣/٣٨٠.

(٦) وفيات الأعيان ٣/٣٨٠.

(٧) الغيث المسجم.

وتشق رأس اليراع، وتلبسه من المداد الحداد. ألا أن ابن خلكان ذكر: أنه منعه من إيرادها أن الناس يقولون أنها محدودة فتبعناه، وأي مخلوق لا تصيبه المصائب وأولها [من الكامل]:

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدُّ طِبَاعِهَا
طَبِيعَتُ عَلِيٍّ كَدْرٌ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا
وَإِذَا رَجَوْتَ الْمَسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا
إِنِّي لِأَرْحَمُ حَاسِدِيَّ لِحِرْمَا
نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ بِي فَعَيُونُهُمْ
منها:

يا كوكباً ما كان أقصر عُمره
جَاوَزْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَزَ رَبِّي
وَتَلَهُبُ الْأَحْشَاءَ شَيْبَ مَفْرَقِي
وكذاك عُمرُ كواكبِ الأَشْحَارِ
شَتَّانَ بَيْنَ جَوَارِهِ وَجَوَارِي
هَذَا الشُّوَاطِظُ دُخَانُ تِلْكَ النَّارِ^(١)

هذا وليس على ترتيب الناظم وإنما واليته هنا.

وأقول: إن الزمن الغادر، والجد العاثر، والليالي اللساعة، والأيام التي ما ملّت حربي ولا ساعة، فجعتني في شهر جمادى، بما كان لصحة فرحي وأنسي^(٢)، فابتزت غصني الناظر، وفقأت من إنساني الناظر، وفجعتني بسليلي، واضرمت بنارها غليلي، وذهبت بولدي هلالاً، واطفأت من كوكبي الزاهر ذبالاً، وبلغت في مناها، وسعرت نيران أحزاني بهواها، وكنت عليه أحذر الموت وحده، فلم يبق لي شيء عليه أحذره، غصن أن نواره فقصف، وهلال قارب أن يكمل فخصف، وتشوقه الروض فساخ، ونجم أردت الأنس بشعاعه فباخ:

سألونا أن كيف نحن فقلنا مَنْ هَوَى نَجْمَهُ فَكَيْفَ يَكُونُ؟
فسحقاً لدهر أرائيه بعد النضارة ذابلاً، وبعداً لمجنون زمان غدا للسانه بعد

(١) دمية القصر ١١٤/١ - ١٢٢، الكشكول للبهائي ٢/٢٨٠ - ٢٨٢، وفيات الأعيان ٣/٣٧٩ - ٣٨٠، كاملة في ديوانه ٤٦١ - ٤٧٣ وقد رتبها مؤلف النسمة حسب رغبته.

(٢) كذا في الأصل.

الفصاحة عاقلاً، وكم طنبت عليه حذراً منه ورفعت خبياً، حتى أناخ عليه في ليلة لا يعرف الكلب وهو الدهر من ظلمائها الطنبا، فمنعه الكلام، وسقاه الحمام، وما رحم يده النحيلة، ولا حدائته التي لا تعرف غير الشكا إلى الله حيلة، ولا رثى لقوته الواهية، ولا رقّ مني ومن أمه لباكٍ وباكية، ولا والله ما قبض غير روحي، ولا ربح غير ذمّي له ما عشت وقبيحي، وكان قد بلغ من السنين عشراً، وقارب هلاله أن يكون بدرأ، وحفظ من القرآن إلى المدثر، فأمسي بالتراب مدثراً، فأعجب لبقائي برغمي بعده، ولا تسل من دم قلبي وعيني عما جرى، فعند الله احتسبه راحلاً بسرروي، ومزايلاً لأملي في أمّ ذفرٍ وغروري، وكان مما قطع قلبي حسرات، وسيل بالدماء العبرات، أني أردته على أكل شيء في مغرب الليلة التي فارقتني آخرها، فقال: أكثر الله خيرك، ولا والله مرّت قبل على لسانه، ولا عاشرها كما يقول الضيف الراحل، ولم يسغ ذلك المطعوم وليس المدنف بأكل، وكانت ليلة الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى سنة أربع عشرة ومائة وألف فهي الليلة المشؤومة المنحوسة عندي ولا شك ولا خلف، وأن كان الثواب بقدر المصاب من ذي المنّة، فما ثوابي في مصيبتي الدائمة إلا الجنة، واسمه إسحاق بن يوسف بن يحيى^(١) وجاءت قصيدة من السيد العلامة العارف بدر الدين محمد بن عبد الله بن الحسين بن المنصور^(٢) ضحوة صباح مواراته بل مواراة حياتي وسأذكرها إن شاء الله في حرف الميم. وهي على روي أبيات ابن التهامي ووزنها، فاذكرنيها فقلت وأنا في سكرات الأحزان، قول العاني المحروب الولهان:

ومضى اصطبار حشاشتي ووقاري
قد كنت تدري شدة الأقسارِ
وحرارتي وشواظ قلبي الواري
تلقاي من ضيق وحرّ أوارِ
نار تذبّ منك صفو نضارِ
مثل الهلال عشية الإفطارِ
وتململ اليمنى وذات يسارِ

ضاقت عليّ رحيبة الأقطارِ
لما ارتحلت إلى البلا قسراً وما
والله ما أبكي لحزني والجوى
إلا لسقمك والذي قاسيته
عشر وخمس ذوّبتك كأنها
حتى اغتديت وكنت بدرأ كاملاً
بأبي أنينك ذاك ملء مسامعي

(١) ابن المؤلف، ترجمته في نشر العرف ٩٦٠/٢ - ٩٦٣.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٥٤.

وشكاك لي بضعيف صوتك علة
 ألبيست ثوب الدآ وكننت مؤملاً
 وقصفت غصناً حين أورق وابتدت
 وسقيت سمّ الحادثات ولم يَفد
 عللُ قوين على ضعيف باهتٍ
 خفقان قلب والتهاب جوانح
 يا وحشتي لنحيل جسم ذابلٍ
 وجميل وجه كان جنّة خاطري
 لم يبق منه السقم غير بقيّة
 ودعوت لي قبل الوداع وليتها
 ليلاّت أدعو الله في ستر الدجى
 وتؤمن الدمعات وهي سواقط
 والله ما خيرى وقد فارقتني
 لا قدس العمر الذي هو واصلي
 وعلى لذيذ العيش إذ ودعتني
 قد كنت لي الذخر النفيس فقدته
 مالي دعوتك في الظلام مردّداً
 مالي حسستك بارداً من بعد ما
 ما بال نرجس مقلتيك مُغمّضاً
 أشربت كأس الموت قبلي راضياً
 عكس القضا ظنّي وكننت مؤملاً
 مالي نبذتك بالعراء ولم يكن
 لو أنني مُكّنت كان بمهجتي
 من لي برؤيا ما نقلت إليه من
 هل تمرح الأطفال حولك مثلما
 من وارثي إذ ذقت ما سقيته
 وبقاي بعدك مثل موتي قبله
 كنت الحياة فمذ تَوَلّت غَضّة
 رُكناي ثلاً عمّك الماضي وقد

وإجابتي بالمدمع المدرار
 لبس القباء مرصع الأزرار
 تفتّر منه مباسم الأنوار
 إطفأؤه بمدماع الأنهار
 وعقرنه وهديّن بالعتقار
 منعاه طيب الليل والأبكار
 أودت به الأخطار كالخطّار
 وفقدته فعرفت طعم النار
 لولا الأنين خفّت على الزوار
 قبلت لك الدعوات في الأسحار
 ببقاك وهو غناي يا ديناري
 دررٌ على خدي وسمط دراري
 إلّا لحوقك نحو تلك الدار
 من بعد ما حجبتك بالأحجار
 مني سلام الموجه المنهار
 في فاقتي العظمى وفي إقتاري
 إسحاق فاستعجمت عن أخباري
 أمسيت من حُمَّاك في إسعار
 هذا أوآن تَسْفُتُح الأزهار
 أم ذقتة بالعنف والإجبار
 أن ليس غيرك لي يكون مواري
 نبذ العزيز صنائع الأحرار
 مثواك لم أنبذك كالغدار
 أنس تسرُّبه وحسن جوار
 قد كنت لا تنفك إلف صغار
 ومن الذي تحيى به أشعاري
 أقبح بعيش الحزن والأكدار
 ماذا الذي أبغيه في الآثار
 اتبعته كتتابع الأعمار

أما السلوُّ فلست من أصحابه ولحافك المرجو من الجبار^(١)
هذا قصار ما يصنع المولّه فما استطعت أن أحفظه من المنية حولاً. ولا
حول ولا قوة إلا بالله.

وعمه هو زيد بن يحيى^(٢) فإنه أول من سخنت به المقلة، وكان تعاويذي
الشعر والمعلم لي فخلفني من بعده الأبله، فعلى الدنيا بعدهما العفا، وما مناي
بالعيش بعد فراق إخوان الصفا.

وكتب إلى الشيخ الفاضل شعبان بن سليم^(٣) في التعزية بهذه المصيبة:

يا نفس ذوبي أسأ يا دمع لا تقف
أبعد إسحاق أبقى منه باقية
لو يفتدى فايث بالروح جدت بها
لهفي لمصباح علياء به عصفت
وزهرة في رياض المجد مذ فتحت
مضى وخلف في قلبي وفي كبدي
وحلّ من جنة الفردوس حيث يشا
صبراً أبا أحمد في حادث جليل
لو دام في الدهر حال لا انقلاب له
هذا وحقك حال الدهر فاغن به
ما نحن إلا لأسلاف مضوا خلفاً

حتى مّ صون اللاليء منك في الصدف
هيهات من بعده الأرزاء لم أخف
فمنتهى أربي من بعده تَلَفِي
ريح المنون ولن يقوى لها قطفي
مدّ الزمان إليها كفت مقتطف
ضرام نارين من حزني ومن أسفي
تحفّه الروح والريحان في غرف
فلطف ذا الصبر في هذا المصاب خفي
لم تنتقل شمسه عن نقطة الشرف
وعظاً ومن وعظته الحادثات كفي
وعن قريب وقد صرنا من السلف^(٤)

ودفن ذلك الغصن الداوي في بستان الدار، وبعد أربعة أيام نقل إلى مقبرة
البكيرية بحكم الأقدار، فقال الفاضل شعبان بن سليم أيضاً:

لئن نقلت من البستان محتملاً
فأنست غصن أراد الله منبته

على الرؤوس إلى مستودع ثاني
فيما يخير من جنات عدنان

وذكر ابن خلكان: أن بعض أصحاب أبي الحسن التهامي رآه في النوم فقال

(١) نشر العرف ٩٦١/٢ - ٩٦٣.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٧٤، ترجمته أيضاً في نشر العرف ٧٠٠/١ - ٧٠٧.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

(٤) تكملتها في نشر العرف ٧٦٠/١، والقصيدة كاملة في ترجمة شعبان بن سليم برقم ٨٥.

له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قال: بأي الأعمال؟ قال: بقولي في مرثية ولدي الصغير:

جاورت أعدائي وجاور ربّه شتان بين جواره وجواري^(١)

وكان من شعراء الدولة الفاطمية بمصر، وقتل سرّاً بخزانة البنود بالقاهرة المعزية، بسبب كتب جاء بها مستخفياً من حسان بن مفرّج الطائي المشار إليه في ترجمة الوزير المغربي^(٢) وكان متوجهاً إلى بني قرة فظفروا به فسجن وقتل في تاسع جمادى الأولى سنة ست عشرة وأربعمائة،^(٣) رحمه الله تعالى.

قلت: لقد فجع جمادى الأولى من التهامي بالزهر الشعري، ومن ولدي هذا بالكوكب الدرّي، ولأمر ما ضربت العرب بشدّته الأمثال.

والتهامي نسبة إلى خطة تهامة وهي مكة وما دون جبل الشراة من ناحية الغرب إلى ناحية مكة لا غير، فإن جبل الشراة يمتد كما قال الجاحظ إلى الجبل الأقرع بانطاكية. ومنها ومن القصائد المحدودة قصيدة أبي الوليد بن زيدون النونية التي عاتب فيها ولادة:

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا وهي من المحاسن.

قال شيخنا العلامة الحسن بن الحسين^(٤) رحمه الله: وقعت التجربة إن من حفظ مقامات الحريري لا يموت الا غريباً، وهيئات أن يفرّ من القدر أحد، ونسأل الله المغفرة.

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٨١.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٥٧.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٨١.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٤٥.

أبو الحسن سيف الدولة علي بن عبد الله بن أحمد بن حمدان بن الحارث بن نعمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن عطيف ابن محرثة ابن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب التغلبي، ملك حلب والثغور ودمشق وحمص وغيرها من ديار الشام وبلاد بكر*).

فاضل تجمعت فيه خصال الكمال التي زانها الأدب، وسيف يرصع السور أخلاف الدم في انعام الكفار من حلب، وعارض تصعق سوابجه العاديات ضبحاً بالروم وتبرق، وإذا كتب عليهم سطور الجيوش جعل العنوان في قذال الدمشق، والكرم الذي يخجل الغمام، والأدب الذي يني بما قاله زياد في الهمام.

وكان أوائل بني حمدان من وجوه قواد الخلفاء ببغداد.

وكان الحسين بن حمدان قد قتل وزير المقتدر بالله حامد بن العباس وهزم غلمانه، وولي عبد الله بن المعتر يوماً وانتقض أمرهم.

واجتمعت في سيف الدولة متفرقات خلال المجد، فكان حاتم بالنسبة إلى كرمه بخيلاً، وعنتره إذا قيس بشجاعته ذليلاً، وسحبان باهله في جنب فصاحته باقلا، وكان عال تحت عماد قدره المرتفع إلى الثريا ساقلا، فلو قصرت العرب الفخر به أغناها، وأراحها من ذكر أولها من الكرام وأخراها، وتغلب سيف الدولة على ما كان في يده.

وقال الثعالبي في اليتيمة بعد كلام نفيس في وصفه وصفة عشيرته: وسيف الدولة فخر سيادتهم، وواسطة قلاذتهم، وكانت حضرته كعبة الوفود، ومطلع

(*) ترجمته في: يتيمة الدهر ١/١٥ - ٣٤، العمدة لابن رشيق، تاريخ حلب لابن طي، وفيات الأعيان ٣/٤٠١ - ٤٠٦، مناقب آل أبي طالب، أعيان الشيعة ٤١/٣١٣ - ٣٢٧، زبدة الحلب ١/ ١١١ - ١٥٢، المنتظم ٧/٤١، العبر للذهبي ٢/٣٠٥، شذرات الذهب ٣/٢٠، الطليعة - خ - ترجمة رقم ١٩٢، أنوار الربيع ٤/٧٩، الاعلام ط ٤/٤/٣٠٣ - ٣٠٤.

وأخباره في الكتب التاريخية مثل: تكملة الهمداني، وتجارب الأمم، والكامل لابن الأثير، وقد جمع (كانار) مجموعة في أخباره بعنوان (الأمير سيف الدولة الحمداني) ط الجزائر ١٩٣٤.

الجود، وقبلة الآمال ومحطّ الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء، ونجوم الدهر، وإنما السلطان سوق يجلب إليها. ما ينفق لديها، وكان كلّ من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب وأبي الحسن علي بن محمد السميساطي قد اختار من مدائح الشعراء له عشرة آلاف بيت^(١).

قلت: لا مزيد على علوّ همة المتنبّي ومع ذلك كان من خدمه، ولا يوجد في شعره أفضل من السيفيات.

وأورد الثعالبي لسيف الدولة [من الطويل]:

وساقٍ صَبِيحٍ لِلصَّبُوحِ دَعْوَتُهُ	فَقَامَ وَفِي أَجْفَانِهِ سِنَّةُ العُغْمُضِ
يَطُوفُ بِكَاسَاتِ العُقَارِ كَأَنجُمٍ	فَمِنْ بَيْنِ مُنْقَضِ عَلِينَا وَمَنْقُضِ
وَقَدْ نَشَرَتْ أَيْدِي الجَنُوبِ مَطَارِفًا	عَلَى الجَوِّ دُكْنًا وَالحَوَاشِي عَلَى الأَرْضِ
يُظَرِّزُهَا قَوْسُ الغَمَامِ بِأَصْفَرِ	عَلَى أَحْمَرٍ فِي أَخْضَرٍ تَحْتَ مُبَيَّضِ
كَأذْيَالِ خَوْدٍ أَقْبَلْتَ فِي غَلَائِلِ	مُصَبَّغَةٍ، وَالبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ ^(٢)

أجمع أهل الأدب أن هذا من التشايبه الملوكية التي لا تقع للسوقة.

وما أحسن قول شهاب الدين فتیان الأسدي الشاغوري الدمشقي^(٣) في جنة الزيداني، وهو جبل بناحية دمشق يتراكم عليه الثلج في الشتاء، وينبت أصناف الزهر في الربيع:

قَدْ أَجْمَدَ الخَمَرَ كَانُونَ بِكَلِّ قَدَحٍ	وَأَخْمَدَ النَارَ فِي الكَانُونَ حِينَ قَدَحٍ
يَا جَنَّةَ الزَيْدَانِي أَنْتَ مَسْفَرَةٌ	بِحَسَنِ وَجْهِ إِذَا وَجْهُ الزَمَانِ كَلَّحُ
فَالثَلْجُ قَطَنٌ وَكَفَّ الرِّيحُ تَجْمَعُهُ	وَالْبَرْقُ يَحْلِجُهُ وَالقَوْسُ قَوْسُ قُنْزِ ^(٤)

وقول الشيخ علاء الدين الوداعي الآتي ذكره^(٥):

(١) يتيمة الدهر ١٥/١ - ١٦.

(٢) يتيمة الدهر ٣١/١، وفيات الأعيان ٤٠٢/٣.

(٣) ترجمته في: وفيات الأعيان ٢٤/٤ - ٢٦، مطلع البدور ٢٨/١، النجوم الزاهرة ٢٢٦/٦، شذرات الذهب ٦٣/٣، خريدة القصر/ قسم الشام ٢٤٧/١، معجم البلدان: مادة (شاغور).

(٤) وفيات الأعيان ٢٥/٤، ديوان فتیان ٩٤.

(٥) ترجمه المؤلف برقم ١٢٣.

يوم يقول بصبحه
قزح كمحراب بدا
والرعد فيه مسبح
قوموا احمدوا الله الأحذ
والبرق قنديل وقذ
حبّات سبحته البرد

لقد علا قدر الوداعي إلى فوق السحاب بهذا السحر الحلال.

وقيل لأشعب: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، شاة لي صعدت إلى
السطح فرأت خضرة قوس قزح فظنته فتاً فوثبت إليه فسقطت فانقد عنقها.
والقت: القصب.

ومن شعر سيف الدولة [من الطويل]:

تجنى عليّ الذنب والذنب ذنبه
وأعرض لما صار قلبي بكفه
وعاتبني ظلماً وفي شقه العتب
فهلا جفاني حين كان لي القلب^(١)!

وكانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم يكاد أن يستصحب
لحاضها في مغازيه بدلاً عن صارمه، فحسدها بقتة حظاياها وعزّ من على اغتيالها
بسم أو نحوه فنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً، وقال [من الخفيف]:

راقبتني العيون فيك فأشفق
ورأيت العدو يحسدني في
ت ولم أخل قط من إشفاق
ك مجتداً يا أنفَسَ الأعلاق
والذي بيننا من الود باق
وفراق يكون خوفاً فراق^(٢)

وله أيضاً [من الوافر]:

أقبُّله على فزَع
رأى ماءً فأظمعه
كشرب الطائر الفزع
وخاف عواقب الطمع
ولم يلتذ بالجرع^(٣)

وله أيضاً [من المديد]:

- (١) يتيمة الدهر ٣٢/١ - ٣٣.
(٢) يتيمة الدهر ٣٢/١، وفيات الأعيان ٤٠٢/٣.
(٣) يتيمة الدهر ٣٢/١، وفيات ٤٠٣/٣.

قد جرى من دمه دمه قال لي كم أنت تظلمه؟
رد عنه الطرف منك فقد جرحته منك أسهمه
كيف يسطيع التجلد من

وله في وصف نار الكانون [من المنسرح]:

كأنما الجمر والرماد معاً وضوؤها في ظلامه يحجب
وجنة عذراء مستها خجل فاستترت تحت عنبر أشهب^(٢)

قال أبو الحسن علي بن رشيح القيرواني في العمدة: لما أنشد أبو الطيب
المتنبي سيف الدولة القصيدة التي منها [من الطويل]:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم^(٣)

قال له سيف الدولة: إنا قد انتقدنا عليك بيتك هذين كما انتقد على امرء
القيس في قوله [من الطويل]:

كأنني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الرويِّ ولم أقل لخيلي كرى كرة بعد إجمال^(٤)

فقال أبو الطيب: أيد الله الأمير، إنما قرن امرؤ القيس لغرة النساء بلذة
ركوب الخيل للصيد، وقرن السماحة بالشجاعة للائتلاف، وأنا لما ذكرت الموت
اتبعته بذكر الرداء ليجانسه، ولما كان وجه المنهزم عبوساً وعينه باكية، قلت
«ووجهك وضاح» لأجمع بين الأضداد، وهذا الانتقاد والجواب لا يردان إلا عن
إمامين في الأدب.

ومدحه مشاهير الشعراء وفحولهم كالمتنبي، والسري الرفاء، والنامي، وأبي
الفرج البغيا، وأبي فراس، والوأواء الدمشقي، وأبي هاشم وأبي عثمان
الخالديين، والنامي، والزاهي، وأبي بكر الخوارزمي، والقاضي التنوخي وغيرهم

(١) يتيمة الدهر ١/٣٣.

(٢) يتيمة الدهر ١/٣٤.

(٣) يتيمة الدهر ١/٢١.

(٤) يتيمة الدهر ١/٢١.

ممن يطول ذكره، وكان معروفه شهيراً، ونوء نواله غزيراً، وكان يصل إلى بغداد وإلى سائر النواحي من يعرف فاقته من أرباب الفضائل.

وله صنّف أبو الفرج كما مرّ كتاب الأغاني، وكان من كبار الشيعة.

وذكر ابن أبي طي في تاريخ حلب: أن سيف الدولة هو الذي عمّر مشهد الدكة بظاهر حلب بسبب أنه رأى نوراً على مكانه، وهو بأحد مناظره في حلب، فلما أصبح ركب إلى هناك وأمر بالحفر فوجد حجراً مكتوباً عليه هذا المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب فجمع العلويين وسألهم، فقال بعضهم: أنهم لما مروا بالسبي أيام يزيد من حلب فطرحت نساء الحسين عليه السلام بهذا الولد فعمره سيف الدولة وقال: إن الله أذن لي في عمارته على اسم بنت نبيّه، ويعرف الموضع بالجوشن.

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوّاني النسابة: أول من قال في الأذان بالليل محمداً وعليّ خير البشر، الحسين بن علي بن محمد بن علي بن إسماعيل ابن الحسين بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أذن بذلك في حلب في أيام سيف الدولة سنة سبع وأربعين وثلثمائة ولم يزل الأذان كذلك إلى أيام محمود بن زنكي الملقب نور الدين فمنع ذلك.

وكانت ولادة سيف الدولة يوم الأحد حادي عشر ذي الحجة سنة ثلاث أو واحداً وثلثمائة.

وتوفي يوم الجمعة في الساعة الثالثة، وقيل الرابعة لعشر بقين من صفر سنة ست وخمسين وثلثمائة، ونقل إلى مَيّافارقين ودفن في تربة أمه، وكان يجمع الغبار الذي يقع عليه أيام غزواته للروم حتى اجتمع منه لبنة بقدر الكف فأوصى أن يجعل خده عليها في قبره فنفذت وصيته، ^(١) رحمه الله تعالى.

وكان قبل أن يملك الشام ملك واسط وتلك النواحي بالعراق ثم انتزع حلب من أحمد بن سعيد الكلابي نائب الاخشيدية، والله أعلم.

(١) وفيات الأعيان ٤٠٥/٣.

السيد أبو الحسين علي بن المتوكل على الله أبي [علي] إسماعيل بن المنصور بالله القاسم بن محمد، الأمير الحسيني صاحب تعز وجبله وما بينهما^(*).

فاضل انتشر صيته فطاب نشره، وابتسم أدبه كما ابتسم بشره، وقام بالفضائل قيام الجواهر بالأعراض وصانها بنداً. وخلقهما حياضاً ورياضاً، وكان عظيم القدر كريم الرياسة، وعنده نحو أربعة آلاف جندي خيلاً ورجلاً وله دار ضرب، وكان والده ولآه تلك النواحي بعد وفاة أبي الحسن إسماعيل بن محمد ابن الحسن ووالده وأخيه عماد الدين يحيى بن محمد فإنه تتابع موتهم، ثم أقرّة عليها المهدي أحمد بن الحسن، وأضاف إليه زيادة، وكان فيه ذكاء يشتعل قبسه إشتعال الكواكب، وأخذ عن والده المتوكل وعن غيره، وكانت حضرته مألفاً لأهل الأدب والظرف، ومدحه الشيخ الأديب محمد بن الحسين المرهبي الآتي ذكره^(١)، ومشاهير الشعراء كاليافعي^(٢)، والينبعي^(٣)، والهندي^(٤)، والسمحي وكان عارفاً بأحوال الملوك السالفين، فكانت هيئته خاصة وحشمة ملوكية، وله الشعر النفيس والمنهج الرئيس، فمن شعره مبادياً لأخيه ضياء الدين يوسف ابن المتوكل على الله^(٥):

لما رنا ظبي الخميـلة	أضنا بمقلته الكحيلـة
رشاً توذ الشمسـس أن	تحكي محاسنه الجميـلة
والبيدر يهوى أنه	يلقى لرؤيته وسيلـه
وكذا السيوف إذا حكت	ألحاظه عادت كليـله
وشذاه لو حكت الضـبا	سحراً لما دعيت عليـله

(*) تنمة نسبة في الترجمة رقم ١٣.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤٣.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٢.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢٦.

(٤) مرت ترجمته بهامش سابق.

(٥) ترجمه المؤلف برقم ١٩٧.

والغصن لما اختال أن
ناديت يا غصن الأراكه
يا برق إن جئت النقا
فهناك مريعه وها
بلغه أشواقسي وقل
فعساه يسعف صبه
أولا فأنهى قضتي
أعني ضياء المكرمات
[و] منها:

جاءتك أبكار تزف
سالت بمدحك رقة
جاءتك وهي قليلة
وله وفيه التورية:

أثارت شجا قلبي المشوق حمامة
تنوح على غصن وتبدي كآبة

وكتب إلى والده المتوكل لما صُدَّ حاج اليمن عن الدخول إلى مكة:

لعمرك ليس يدرك بالتواني
فما نيل المعالي قط إلا
وعزم دونه الشتم الرواسي
أمير المؤمنين وخير ملك
وتاج بني البتول ومنتقاهم
أترضى أن ترى في الدين هونا
ويمنع وفد بيت الله منه
وأنت خليفة الرحمن فينا
ونحن به لعمرك الله أولى
فلا تركب بنا ظهر الهوينا

يحكي القوام بكل حيله
لست من هذي القبيلة
ورأيت من قرب مخيله
تيك السفوح غدت مقيله
واحذر وقوفك أن تطيله
ويبل باللقيا غليله
لأخي المقامات الجميلة
وصاحب الرتب النبيلة

إلى علاك المستطيله
تختال في ثوب المخيله
والمدخ للفته القليلة

وناحت وما باحت بأسرار شوقها
وهيهات ما حمل الهوى تحت طوقها

ولا بالعجز غايات الأمانى
ببيض الهند والسمر اللداني
وحزم لم يكن أبداً بواني
تبواً في العلا أعلى مكان
وأكرم معتلٍ ظهر الحصان
ويثلم ركنه في ذا الأوان
ويضحى الخوف في مأوى الأمانى
وأنت حسامه في ذا الزمان
ونحن الشايدون به المبانى
ولا تجنح إلى ظل الأمانى

وهي طويلة .

وله وقد رأى مع بعض أصحابه رمحاً طويلاً :

ولا باللباس زين الرجال
وطعن الكمأة والأبطال
وأضحت نجومه من فصال
وذقةُ سال من دماء الرجال

ما بطول القناة يعرف ذو الباس
إنما الباس طردك الخيل بالخيل
في مجالٍ غدا به النقع كالليل
يوم لا بارق سوى لمع سيف
وله أيضاً :

كفي وآثار النعاس عليه
أرخت حواشيه على خديه
إلا لأن الخمر في شفتيه

ظبئي أتاني في الصّباح مقبلاً
في مطرف من أرجوانٍ صبغه
كالبدر في شفق وليس نعاسه
وله أيضاً :

في تيهه والذلّ والعجب
يرشفتني من ريقه العذب
لا أرتضي ملك الهوى قلبي
تبسمت عن لؤلؤ رطب
تعفو فقد أقررت بالذنب
سيوف ألاحظك لي غلبي

ظبي من الأنس غدا مفرطاً
قلت له يوماً وقد رمت أن
إياك والإفراط إنني امرؤ
فمذ رأته غيضي وقد راعها
ثم أثنت نحوي وقالت أما
قلت لها عطفاً فقد بان من

قلت: ما تهدّد الحبيب، فليس يليق بالأديب، وفضائله كثيرة وأدبه

مشهور .

وكان من كتّابه السيد الأديب عماد الدين يحيى بن إبراهيم بن جحاف^(١)،
والشيخ محمد بن حسين المرهبي^(٢) الآتي ذكرهما، وهما نجما الأدب، وقد
عرفت أن بطانه الرجل إنما هم من أشكاله، ولم يزل بتلك البلاد ناشر العلم،
ماضي السيف والقلم، حتى حامت عليه المنية، ونزلت بمحاسنه من كيد الدهر
البلية، فمرض بيريمن ذات الجنب أو من البرسام فحمل إلى إب، وفيها ساوره

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٩٠.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٤٣.

الحمام في يوم الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ست وتسعين وألف^(١) ودفن في قبة الكاظمي، وذلك في أيام أخيه المؤيد بالله بن المتوكل رحمهم الله تعالى، والله سبحانه أعلم.

[١١٦]

أبو القاسم، علي بن إسحاق بن خلف الزاهي البغدادي الشاعر المشهور^(*).

فاضل شعره كلقبه زاهي، تفاخر به الأدب سائر الفضائل، وتباهي له قلائد لو انتطقت بها الجوزاء لما التقمتمها الغرب، تسيل رقة وكل قلب إلى عيونها صب، وكان شيعياً شاعراً مشهوراً فاضلاً.

وقال ابن خلكان: أن أكثر شعره في أهل البيت^(٢) وذكره الثعالبي في اليتيمة^(٣).

وذكره الخطيب أبو بكر في تاريخ بغداد وقال: كان حسن الشعر في التشبيهات وغيرها، وأحسب شعره قليلاً وأشار إلى أنه كان قطاناً بقطيعة الربيع في دكان^(٤).

قال ابن خلكان: وذكره عمدة الدولة أبو سعيد عبد الرحيم في طبقات الشعراء وقال: ديوان شعره في أربعة أجزاء وأكثر شعره في أهل البيت عليه السلام.

(١) في هامش ج: «وجاء تأريخ وفاته: (وتحتهم فيها سلام) ٨٦٩ + ٢٢٧ = ١٠٩٦».

(*) له ديوان شعر صغير بخط الشيخ محمد السماوي نسخته بمكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف برقم ٦١٢، يحتفظ المحقق بنسخة مصورة منه.

ترجمته في:

يتيمة الدهر ١/٢٣٣ - ٢٣٥، وفيات الأعيان ٣/٣٧١ - ٣٧٣، المنتظم ٧/٥٩، تاريخ بغداد ١١/٣٥٠، سير النبلاء، الطليعة - خ - ترجمة رقم ١٧٦، أعيان الشيعة ٤١/٦٥ - ٦٩، أدب الطف ٢/٥١، الاعلام ط ٤/٤/٢٦٣، الغدير ٣/٣٨٨ - ٣٩٨، مناقب آل أبي طالب، معالم العلماء، مرآة الجنان ٢/٣٤٩، مجالس المؤمنين ٤٥٩، بحار الأنوار ١٠/٢٥٥، الكنى والألقاب ٢/٢٥٧.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٧١.

(٣) يتيمة الدهر ١/٢٣٣ - ٢٣٥.

(٤) تاريخ بغداد ١١/٣٥٠، وفيات الأعيان ٣/٣٧١.

ومدح سيف الدولة والوزير المهلبي وغيرهما من رؤساء وقته، وقال في جميع
الفنون، وأورد له:

صدودك في الهوى مَنَعَ استتاري وعاونه البكاء على اشتهاري
وقد ذكرتها في أول كتابي هذا إلا قوله آخرها:

وكم في الناس من حسنٍ ولكن عليك لشقوتي وقع اختياري
ومن تشابيهه البديعة في البنفسج:

ولا زَوْرَدِيَّةٌ تزهو بزُرْقَتِهَا بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت^(١)
وقال الثعالبي: أنشدني أبو سعيد^(٢) نصر بن يعقوب في كتابه «روائع
التشبيهات وبدائع التوجيهات»^(٣) لأبي القاسم الزاهي المذكور [من البسيط]:

الرياح تعصف والأغصان تعتنق والمزن باكية والزهر معتبق
كأنما الليل جفن والبروق له عين من الشمس تبدو ثم تنطبق^(٤)
وله في الأترج [من البسيط]:

وذاث جسم من الكافور في ذهب زرت عليه حواشيه بمقدار
كأنها وهي قدامي ممثلة في رأس دوحنها تاج من النار^(٥)
وله في العذار [من الكامل]:

لولا عذارك ما خلعت عذاري ولكنك في وزرٍ من الأوزار
ما كنت أحسب أن أعاين أو أرى تخطيط ليلٍ في بياض نهار
حتى نظرت إلى عذارك فاغتندي سقم القلوب ونزهة الأبصار
وتركت قولي في الوعيد لأجله وعزمت فيك على دخول النار^(٦)

قلت: يؤخذ من هذا أنه كان زيدياً لأن الامامية ينفون الوعيد.

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٧١ - ٣٧٢.

(٢) في اليتيمة: «أبو سعد».

(٣) في اليتيمة: «روائع التوجيهات من بدائع التشبيهات».

(٤) يتيمة الدهر ١/٢٣٤.

(٥) يتيمة الدهر ١/٢٣٥.

(٦) يتيمة الدهر ١/٢٣٤.

قال الثعالبي: وأنشدني له بيتاً مفرداً [من الكامل]:

من كان آدم مجملاً في سنه هجرته حواء السنين من الدُمى^(١)
وآدم بحساب الجمل = (٤٥) وحواء = (١٥). ولقد أجاد ورأى النظر بما
لا نظير له.

وأورد له ابن خلكان:

وبيض بالحاظ الجفون كأنما هززن سيوفاً واستلطن خناجرا
تصدئين لي يوماً بمنعرح اللوى فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بُدوراً وانتقين أهلةً ومسن غصوناً والتفتن جاذرا
وأطلعن في الأجياد بالدر أنجما جعلن لحبات القلوب ضائرا^(٢)

وله في صفة الخمرة الأبيات العينية التي مرت في حرف الهمزة، وهذه
الأشعار تنادي بفضله نداء الرعد بوبله.

وتوفي يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى؟ سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة
ببغداد ودفن بمقابر قريش، رحمه الله تعالى^(٣).

وكانت ولادته في شهر صفر سنة ثمانى عشرة وثلثمائة، والله سبحانه أعلم.

[١١٧]

أبو الحسن علي بن [أبي] سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن
عبد الأعلى الصدفي المصري المنجم المشهور^(*).

فاضل نادم الملاء الأعلى ذهاباً بنفسه، وأدرك ما رمز به أهل الكيمياء من

(١) يتيمة الدهر ١/٢٣٥.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٧٢، أعيان الشيعة ٤١/٦٦.

(٣) في تاريخ بغداد أنه توفي بعد سنة ستين وثلثمائة، وذكره مؤلف المنتظم في وفيات إحدى وستين
وثلثمائة.

(*) في الأصل اسمه: «أبو الحسن علي بن سعيد بن عبد الرحمن» وما أثبتنا من وفيات الأعيان.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/٤٢٩ - ٤٣١، طبقات صاعد ٥٩، أخبار الحكماء ٢٣٠، شذرات
الذهب ٣/١٥٦، تاريخ الفلك عند العرب لنلينو ١٨٦ - ٢٨١، تراث العرب العلمي لقدري
طوقان ٢٤٣ - ٢٤٨.

قمره وشمسه، وأتى بلؤلؤ عن علي سواه وخفي، وأفضل الجواهر اللؤلؤ الصدفي، وكان من أصحاب الخلفاء الفاطميين الاسماعيلية.

وذكره ابن خلكان وقال: هو صاحب الزيج الحاكي المعروف بـ«زيج ابن يونس»، وهو زيج كبير رأته في أربع مجلدات، بسط القول والعمل فيه ولم أر في الأزياج على كثرتها أبسط منه، وذكر فيه أن الذي أمره بعمله العزيز بن المعز.

ومن شعره وهو رقيق:

أَحْمَلُ نَشْرَ الرِّيحِ عِنْدَ هَبْوَبِهِ رِسَالَةً مَشْتَاقٍ لَوَجْهِ حَبِيبِهِ
بِنَفْسِي مَنْ تَحْيَا النُّفُوسُ بِقُرْبِهِ وَمَنْ طَابَتِ الدُّنْيَا بِهِ وَبَطْيَبِهِ
لَعَمْرِي لَقَدْ عَطَلْتُ كَأْسِي بَعْدَهُ وَعَتَيْتُهَا عَنِّي لِطَوْلِ مَغْيَبِهِ
وَجَدَّدَ وَجْدِي طَائِفَ مِنْهُ فِي الْكُرَى سَرَى مَوْهِنًا فِي خَفِيَةِ مَنْ رَقِيبِهِ^(١)

وقال الأمير عز الدين المسبّحي في تاريخ مصر: كان ابن يونس المذكور أبله مغفلاً يعتّم على طرطور كبير ويجعل رداه فوق العمامة، وكان طويلاً، وإذا ركب ضحك منه الناس لشهرته وسوء حاله، ورثاة لباسه، وكانت له مع هذه الهيئة إصابة بديعة غريبة في النجامة لا يشاركه فيها غيره، وكان أحد الشهود، وكان متفناً في علوم كثيرة وكان قد أفنى عمره في الرصد والتسيير والمواليد وعمل منها مالا نظير له، وكان يضرب بالعود على جهة التأديب^(٢).

وذكر المختار أيضاً قال: أخبرني أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله قال: دخل إلي ابن يونس يوماً وعليه خفان غليظان خلقان يضحكان الرائي ولم ينزعهما من رجله حتى قرب إلى سريري وخلعهما على بساطي وقبل الأرض وانصرف وأنا أضحك منه وأعجب من تغفيله^(٣).

قال ابن خلكان: وذكر من شاهده وقد صعد إلى جبل المقطم، ثم نزع ثيابه ولبس ثياباً حمراً، ودخن ببخور وأخذ العود، وضرب به ورقص، وهو يلاحظ

(١) وفيات الأعيان ٣/٤٣٠.

(٢) ن.م.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٤٣١.

الزهرة، ومما يناسبها لبس ثياب الحرير النسائية واللهو فكان عجباً من العجب^(١).

ورأيت في تاريخ مصر لجلال السيوطي في إصابات ابن يونس الغريبة قال: ومنها أن الحاكم أعطاه داراً بمصر محكمة العمارة فسكنها أياماً، ثم دخل يوماً على الحاكم فقال: يا أمير المؤمنين أحب أن تأخذ الدار التي أعطيتني وتعوضني منها، قال: ولم ذلك؟ قال: لا أريدها، فأمر له الحاكم بدار أخرى فانتقل منها، ولم تمض ثلاثة أيام حتى أقبل سيل لم يعلم مثله ولا عهد فسأل بتلك الدار وحدها وسلم ما حولها فعجب منه الحاكم غاية العجب.

ومن إصابته: إنه حفر قبل موته لنفسه قبراً في دهليز داره وبيّضه وكان ينزل إليه فيتفقدده ويقراً فيه شيئاً من القرآن، فلما كان صبيحة الليلة التي مات فيها جمع أهله وكتب وصيته وهو صحيح لا علة فيه ثم ودّعهم، وقال: إني ميت بعد ثلاث ساعات، واغتسل ولبس أكفانه، ونزل القبر وجعل يقرأ سورة الإخلاص ويهتّل، فلما كان بعد ثلاث ساعات فاضت نفسه، رحمه الله تعالى.

ووالده هو صاحب تاريخ مصر المعروف بتاريخ ابن يونس^(٢) وذكر المختار: أنه توفي في شوال سنة تسع وتسعين وثلثمائة فجأة، ودفن بداره^(٣).



والصّدفى بفتح الصاد والبدال المهملتين وبعد الدال فاء: نسبة إلى الصدف قبيلة من العرب نزلت مصر أيام الفتوح الإسلامي، والله سبحانه أعلم.

(١) وفيات الأعيان ٣/٤٣٠.

(٢) ترجمة والده في وفيات الأعيان ٣/١٣٧ - ١٣٨، فوات الوفيات ١/٥٢٦، تذكرة الحفاظ ٨٩٨، العبر للذهبي ٢/٢٧٦، شذرات الذهب ٢/٣٧٥، حسن المحاضرة ١/١٤٧، الرسالة المستترفة ١٣٣.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٤٣١.

الشريف أبو الحسن، علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن بي طالب عليه السلام الحسيني الكوفي الحماني.

فاضل كفاه شعره في الحماسة والغزل عن الألحاظ والشغور، وكادت الجوارى الكئس حدّاً لفكرته أن تغور، له كلّ معنى ترك ذو الفطنة معني، فهو أحلى من التهويم إلى المقلة الوسنا وأسنى.

قال ياقوت الحموي: وكان في العلوية من الشهرة في الشعر والأدب والطبع كعبد الله بن المعتز في العباسية، وكان يقول: أنا شاعر وأبي شاعر وجدّي شاعر إلى أبي طالب.

وقد ذكر له الثعالبي في متفرقات كل مقطوع فصيح ومعنى مليح، ويعجبني قوله [من مخلع البسيط]:

أحسن من نيلك التمني وأخذ ملك بلا تعني
مقال معشوقة لصب تيمها آه فرّ عني^(١)

ومن شعره [من المتقارب]:

إذا غبت لم تفقد الغائبين وإن غبت كنت فريداً وحيداً

(*) كان من العلماء الأعلام، وأخطياً مصقفاً، وشاعراً مقلقاً، جليل القدر، شجاعاً صريحاً. توفي سنة ٣٠١هـ، كما ذكرت ذلك أغلب المصادر وقيل غير ذلك. له ديوان شعر صنعه د. محمد حسين الأعرجي ونشره في مجلة المورد البغدادية مج ٣/٢٤/١٩٩ - ٢٢٠، وآخر صنعه مزهر السوداني ونشره في مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة مج ٧/٩٤/٢٩١ - ٣٤٣. ترجمته في: عمدة الطالب ٣٠٠، الغدير ٣/٥٧ - ٦٨، سمط اللآلي ١/٤٢٩، الأنساب ٤/٢٣٥ - ٢٣٦، أخبار القضاة ٣/١٩١ - ١٩٣، مجمع الآداب ٤/١٠٤، الطليعة - خ - ترجمة رقم ١٩٩، الوافي بالوفيات ٢/٢٩٥ - ٢٩٦، محاضرات الأدباء ٣/٣٤٣، ديوان المعاني ٢/٦٦، سمط النجوم العوالي ٤/٢٢٤، مروج الذهب ٤/١٥٠ - ١٥٣، الكامل لابن الأثير ٥/٣٧٣، حوادث سنة ٢٦٠هـ، معجم البلدان ٤/٣٢١، الموشح ٥٢٩ - ٥٤٤، تأسيس الشيعة ٢١٦، أعيان الشيعة ٤٢/٥٠ - ٥٣، هدية العارفين ١/٦٧٣ وفيه أنه توفي سنة ٢٤٥هـ، أنوار الربيع ٢/٣٣٢، الاعلام ط ٤/٤/٣٢٤. كتب عنه الأستاذ مزهر السوداني بحثاً في مجلة البلاغ الكاظمية السنة ٣/١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ٢٤/٣٤ - ٤١.

(١) شعره صنعه السوداني/قطعة ٧٥.

تباعد نفسي إذا ما بعدت فليس تعاود حتى تعاودا
أشبهك البدر حسناً فما تناقض حسنك حتى يزيدا
محي حسن وجهك عني الملام وأسكت طرفك عني الحسودا^(١)

وأورد له أبو تمام في مادة الحماسة [من البسيط]:

يسترسل الضيف في أبياتنا أنساً فليس يعلم قوم أينا الضيف
والسيف إن قسته يوماً بفاتكنا في الروع لم يدر عزماً أينا السيف^(٢)

وأورد له أيضاً فيها [من المتقارب]:

وإننا لتصبح أسيافنا إذا ما اصطبحن بيوم سموك
منابرهن بطون الأكف واغمادهن رؤوس الملوك^(٣)

وقال أبو الفرج الأصبهاني: دخل أبو الحسن الحماني المذكور على محمد ابن طاهر وقد هنا الناس بقتل يحيى بن عمر الحسيني وجاؤوا برأسه، إليه فدخل وجوه أهل الكوفة يهنونه بالفتح، فلما مثل بين يديه قال: أيها الأمير جئتك مهيناً بما لو كان رسول الله ﷺ حياً لعزّي به، ثم قال [من الوافر]:

قتلت اعزّ من ركب المطايا وجئتك استلينك في الكلام
وعزّ عليّ أن ألقاك إلا وفيما بيننا حدّ الحسام
فتغير وجه الأمير وسكت^(٤).

وذكر الثعالبي: أن أبا الحسن الحماني مرّ على دور بني طاهر وقد سلبها الدهر البهجة، ونزل بها من غدره رجة، فقال:

(١) ديوان المعاني ١/ ٢٣٦، ديوانه صنعة الأعرجي/ قطعة ٢٥، شعره صنعة السوداني/ قطعة ٢٦.

(٢) الزهرة ١٦، أعيان الشيعة ٤٢/ ٥٢، بهجة المجالس ٢٩٦ البيت الأول نسبة إلى صاحب الزنج، شعره صنعة السوداني قطعة ٥٢، ديوانه صنعة الأعرجي/ ملحق الشعر المنسوب له قطعة ٢.

(٣) ديوان المعاني ٢/ ٥٠، نهاية الأرب ٦/ ١٩٣، عمدة الطالب ٣٠١، سمط النجوم العوالي ٤/ ١٢٤، أنوار الربيع ٤/ ١٤٥، أعيان الشيعة ٤٢/ ٥٠، شرح الحماسة ١/ ٢٧٦ بلا عزو، شعره صنعة السوداني/ قطعة ٥٤، ديوانه/ ملحق الشعر المنسوب له/ قطعة ٣.

(٤) مقاتل الطالبين ٦٦٣، والشعر في: مروج الذهب ٤/ ١٥١، زهر الآداب ١/ ٩٠، تاريخ طبرستان ١/ ٢٢٧ - ٢٢٨، الملل والنحل ١/ ٢٥٨، ديوانه صنعة الأعرجي/ قطعة ٧٣، شعره صنعة السوداني/ قطعة ٦٠.

مررت بدور بني طاهر بدور السرور ودور الفرخ
فشبهت سرعة أيامهم بسرعة قوس يسمي قَرْحُ
تألق معترضاً في السماء قليلاً وما دام حتى مصح^(١)
ومصح ومصح: ذهب.

وقال الحريري في «درّة الغواص»: أن بعض النحاة دخل على أبي الحسين
النضر بن شميل الإمام المشهور عابداً له فقال في جملة دعائه: مسح الله ما بك،
فقال له النضر: قل مسح الله بالصاد، فقال: الصاد تبدل من السين فيقال الصراط
والسراط وسرط وصرط، وكان يكتنى بأبي صالح فقال له النضر: فأنت إذا أبو
سالح فحجل، وذلك أنها لا تبدل إلا إذا وليت الطاء والخاء والغين والقاف ولو
كان بينهما واسطة كالألف المذكورة ومثل صخر وسخر ومسبغة ومصبغة وسيقل
وصيقل.

ومحاسن الحماني كثيرة.



والحماني بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الألف نون ثم ياء
النسبة: نسبة إلى محلة بالكوفة نزلها بنو حِمان بن سعد بن زيد مناة بن تميم
واسمه عبد العزى، وكان أبو الحسن نازلاً بها.
قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: وقد سكن هذه المحلة من نسب
إليها وإن لم يكن من القبيلة^(٢).

[١١٩]

أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن
عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب رضي الله عنهم، الشريف
الجعفري الحجازي^(*).

فاضل رقّ شعره كرّقة أخلاقه، وأطلق بذهنه عقد الأدب من وثاقه، يسفر

(١) الشعالي، محاضرات الأدباء ٣/٣٨٤، التشبيهات ٢٥٨، أنوار الربيع ٢/٣٣٣، الفدير ٣/٦٤،
ثمار القلوب ٢٤ - ٢٥، ديوانه صنعة الأعرجي/قطعة ١٥، شعره صنعة السوداني/قطعة ١٣.

(٢) معجم البلدان: مادة «حمان».

(*) ترجمته في: الأغاني ط الثقافة ٢٢/٢٢٤ - ٢٢٧.

شعره عن أصباح نيسان، ويتمايل سامعه لسجوع ورقه تمايل الأغصان، وهو أحد شعراء الأغاني، وشعره عذب المذاق، كأنما هو حلاة طيب العناق.

وقال أبو الفرج في حقه: هو شاعر حجازي ظريف، وحبسه المتوكل مع الطالبيين^(١).

وأورد من شعره المختار لأغاني الخلفاء:

والله لانظرتُ عيني إليك ولو سألتَ مساربها شوقاً إليك دَمًا
إن كنتَ خنتُ ولم أضمر خيانتكم فالله يأخذ ممن خان أو ظلمًا
سماحة لمُحبِّ خان صاحبه ما خان قطُّ محبِّ يعرفُ الكرمًا^(٢)

قال: وحَدَّثَ علي بن عبد الله الجعفري المذكور، قال: مكثت في الحبس مدة فدخل عليّ رجل من الكتاب يوماً، فقال: أريد هذا الجعفري الذي تديت^(٣) في شعره. فقلت: إليّ فأنا هو، فعدل إليّ وقال: جعلت فداك! أحب أن تشدني بيتك اللذين تديت فيهما، فأنشدته:

ولما بدا لي أنها لا تحبني وأن هواها ليس عنها بمُنْجَلٍ
تمنيتُ أن تهوى سواي لعلها تذوقُ حراراتِ الهوى فترقُّ لي

قال: فكتبها، ثم قال: إسمع جعلت فداك بيتين قلتها في الغيرة، فقلت: هاتهما فأنشدني:

ربما سرّني صدودك عنّي في طلابيكِ وأمتناعِكِ منّي
حذراً أن أكون مفتاح غيري وإذا ما خلوت كنت التّمّني^(٤)

قال: وقال أبو الحسن الجعفري: مرّت بي امرأة في الطواف، وأنا أنشد صديقاً لي:

أهوى هوى الدين فاللذاتُ تعجبني فكيف لي بهوى اللذات والدين؟

(١) الأغاني ط الثقافة ٢٢/٢٢٥.

(٢) الأغاني ٢٢/٢٢٤.

(٣) تديت: فقد الغيرة والخجل، أظهر الفساد والفجور.

(٤) الأغاني ٢٢/٢٢٥ - ٢٢٦.

فالتفت إليّ وقالت: دع أيّهما شئت وخذ الآخر^(١).
وأورد له أبو الفرج:

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأخراً عنه ولا متقدماً
أجد الملامة في هواك لذينة حباً لذكرك فليلمني اللوم
أشبهت أعدائي فصرتُ أحبهم إذا صار حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنتُ نفسي صاعراً ما من يهون عليك ممن تُكرم^(٢)

أجاد في هذا الجوهر المتسق، والزهر الفايح المعتبِق، وقد نسبها في
الأغاني أيضاً لأبي الشيص الخزاعي عمّ دعلج^(٣)، والله أعلم.

[١٢٠]

السيد جمال الدين علي بن الحسين بن محمد بن صلاح بن بدر الدين
الحسني الصنعاني الدار والمولد^(*).

فاضل له شعر نفيس، يداوي علل الهموم وهكذا الرئيس، فكم بيت له فرد
ماله ثاني، بناه على الإحسان في الصناعة، فله ذلك الصانع الباني، ذو خاطر
يشتعل لكن بغير نار، بل بالرياض ذات الأنوار، وفكرة إذا ولدت على الأوراق
يتايم الدرر، وجرى لها القلم، جاءت بجنات تجري من تحتها الأنهار، سفر
شعره سفور البدر، ولم يتكلف وبلغ أشده في حسن النظم والعمر ومن العجب
كيف يسحر بالنظم ويتعفف.

وهو من بيت كبير من السادة الحسينية باليمن.

وكتب إليّ هذه القصيدة الرقيقة، لا بل السيدة الحرّة وإن كانت المدامة
العتيقة، وكان قد سمع على بعض شروح الكافية مع جماعة من أهل النباهة
بصنعاء وهي هذه:

(١) الأغاني ٢٢/٢٢٦.

(٢) الأغاني ٢٢/٢٢٧.

(٣) أنظر الأغاني ١٦/٤٣٥.

(*) ترجمته في: نشر العرف ٢/٢١٣ - ٢١٤.

نداماي قد غنى على البانة القمري
وقد صافحت أيدي الصبا نشر عنبر
ولما شدا صاح الهزار مغرداً
فصفقت من جور الصبابة والهوى
وقم هاتها صهباء من بحر دنها
فما أطف الصفراء من كف أبيض
بعينيك سقيني على صوت مزهر
ودعني من تذكار سلع وحاجر
حديث النقى يا بدر كرره منشداً
ضياء الهدى بحر الندى علم التقى
له الله ما أسخاه في بذل ماله
يقول له لا تأس وابشر فإنني
لقد حاز ما حازته آباؤه الذي
وقد خصه رب العباد بأنعم
ونال علوم الأولين وفضلهم
إذا ما علا يوماً على ظهر أدهم
فكم غزوة بالعاديات على العدى
وكم روعت أكبادهم خوف يوسف
فلو كان في أيام طه وحيدر
ولو كان في أيام صفين ما اعتدى
على المرتضى أعني علياً وسبطه
ودم في نعيم مستمر مؤيد
وأحسن فيها ما شاء.

وجاوبه الشحرور من جانب القصر
فمرت به عفواً علينا ولم تدر
على فنن من فوق أغصانه الخضر
وقلت لخلي أبسط العذر للعذر
لنشهدا بكرة على وجهك البدر
وما أروق الحمراء من في كأسها الخمر
لنسمع نظم الدر من ثغرك الدر
وصف لي من ذكراه يشفى به صدري
وسلسل عن مكحولها وعن الزهري
وأكرم ماشي في الملا يوسف العصر
إذا جاءه الملهوف يشكو من الفقر
سأعطيك ما يكفيك شراً من الفقر
لهم من أياد الله تاج من النصر
ومولده يا صاح في ليلة القدر
فمن صدره يقري ومن داره يقري
فلله كم تروى به ذابل السمر
ضحاء وفي الليل البهيم وفي العصر
على هل أتى بالنصر خوفاً من النحر
لما ثبت الكفار يوماً على الكفر
معاوية ذاك اللعين أبو الغدر
فمن فعله في القلب أذكى من الجمر
ولا زلت في نغماء بالشفع والوتر^(١)

وأنشدني له هذه القصيدة أنشأها في المواهب على لسان صديق له يمتدح
بها الإمام المهدي ويخطه على قتال قبائل الشرق، وهي أيضاً من أمتن الشعر بل
كادت تزاحم رائية أبي تمام بالمناكب ويقول:

(١) بعض أبياتها في نشر العرف ٢/٢١٣ - ٢١٤.

وإني وإن كنت الأخير زمانه الخ الأبيات

وقصيدة أبي تمام المشهورة يرثي بها محمد بن حميد الطوسي لما قتل في حرب بينه وبين بابك الخرمي الخارج بخراسان أيام المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد، ومطلع قصيدة أبي تمام:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمرُ فليس لعين لم يفض دمعها عذراً

وشهرة حال بابك لا تحتاج إلى الإيضاح، والقصيدة التي للمذكور:

إليك أتى السعد المؤيد والنصرُ وأقبلت الأبلق من كل جانب ألسنت ابن خير الخلق وابن نبيه عفى الله عنهم بعد عفوك عنهم ألسنت الذي أعطاك ربك رتبة ألسنت الذي أفنى العدا بحسامه إليك أمير المؤمنين نصيحة فجنّد جنود الحق نحو عدوّهم فقد آذن الله العظيم بحربهم متى ما أراهم والحسام ينوشهم متى يسبر سبياً كسبي محمّد متى ما أرى والوحش تفري جلودهم متى تخرب الدور التي أفسدوا بها فيا حاشداً بل يا بكيّل جميعهم ويا أهل سفيان إلى كم خمولكم أما تأخذون الثار ممّن رجالكم ألم تعلموا أني أغار عليكم وكم مرة غارت جنودي عليكم فوارسها قوم أسود عوابس وقد أوجب الله الجهاد عليكم تحفّت به راياتك البيض والحمرُ يريدون عفواً منك يا من هو البرُ وابن أبي السبطين إن ذكر الفخرُ وإن قد أسوا فالحمد يتبعه الشكرُ ونئى عن مداها النجم والشمس والبدرُ ولم يبق للأعداء في عصرنا ذكرُ مترجمة عذراء أنبئ بها الصدرُ فمن فعله عن أرضهم منع القطرُ وقد أغضبوه عندما ظهر الكفرُ ويجري على البيضاء دماؤهم الحمرُ لأعداء قسراً متى يحرق الخدرُ بأنيابها من بعد أن يشبع النسرُ متى تكسر الآلات أو يهرق الخمرُ ويا أهل خولان العريض ويا جبرُ ويا شاكرأ من لا يهون لهم قدرُ غدت في بطون القوم ما ضمّها قبرُ وقد قلّ ممّا نالكم منهم الصبرُ بخيل جياذ ضاق عن بعضها البرُ إذا جالدوا ما زيد يحكي ولا عمرُ فما مثلكم يعصى الذي أمره الأمرُ

وأنتم نساء الشرق شلت سلاحكم
ومن بعد ذا تبقى بخير ونعمة
فأنت الذي ترجى لكل عزيمة
وعمرت ما دامت أياديك جمّة
وصلّى عليك الله بعد محمّد
جهاراً وما سلت سيوفكم البتر
أياديك مثل البحر لا بل هي البحر
إذا نالك المحتاج ما ناله الفقر
حماك الذي أعطاك ما بقي الدهر
نبيّ الهدى من جا على يده النصر^(١)

وفيها دلالة على رسوخ قدمه في ميدان القريض، فإنها تطرب ولا تطرب
معبد والغريض.

وأشدني هذا المقطوع له، وفيه التواري في عدة مواضع لا تخفى:

وشادن يزري بغصن النقا
قد ساس مهراً للضيا أدهماً
قد شد طرفاً ورمى طرفه
فياله من شادن أغيد
فليت له لو زارني مرّة
وقلت يا بشراي هذا غلام^(٢)
قد أخجل الشمس وبدر التمام
لذا ترى المولى تصباً وهام
قلبي وكم أثبت فيه السهام
بدا لنا بين الضيا والظلام

وله أشعار في الملحون الحميني مستحسنة، ولولا خوف الإطالة لذكرتها.



ويابك بالبائين الموحدين بينهما ألف وآخره كاف.

والخرميّ بضم الخاء المعجمة وبتشديد الراء المفتوحة والميم وياء النسبة.

والخرميّة: فرقة من المجوس، وكان بابك يريد أن يقيم الملة المجوسية
وفعل العظام وأفنى الجيوش قتلاً ثم أسره حيدر الأفشين، وسيره إلى مولاة
المعتصم بالله وهو ببغداد فقتله، وأمره عظيم شهير في كتب التاريخ، والله سبحانه
أعلم^(٣).

(١) بعض أبياتها في نشر العرف ٢/٢١٤.

(٢) نشر العرف ٢/٢١٤.

(٣) في هامش نسخة ج: توفي سنة ١١٢١ هـ.

الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي بن السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب صاحب دمشق^(*).

فاضل أعطى مع المملكة علم الأدب، وبلغ بالمنزلتين في سماء المجد أعلى الرتب، تلقب بالنور ولقبنا شعره بالنور، ودار الجد السعيد في طاعته فحمدنا هذا الدور.

قال ابن خلكان: وكان الأفضل أكبر أولاد أبيه وكانت إليه ولاية عهده، فلما توفي أبوه بدمشق وكان معه استقل بمملكة دمشق، واستقر أخوه العزيز عثمان بمملكة مصر وأخوه الظاهر غازي بمملكة حلب، ثم إن الأفضل جرت له مع أخيه العزيز وقايع وأسباب يطول شرحها، وآخر الأمر أن العزيز والعاذل أبا بكر ابن أيوب عمه حاصراه بدمشق وأخذها وأعطياه صرخد فمضى إليها^(١).

ورأيت في تاريخ ابن الشحنة الحلبي: أن العزيز والعاذل لما حاصرا الأفضل بدمشق أنجده أخوه الظاهر غازي صاحب حلب، فلما كاد الملكان ينهزما اتفق أن هرب على الظاهر غلام كان يحبه ولم يجده، وبلغه أن الأفضل ستره عنده فغضب وعاد ولم يتم الأمر، ولما مات أخوه العزيز بمصر ملك الأمر ولده المنصور وكان صغيراً، فاستدعوا عمه الأفضل ليكون أتابكه أي مربيه.

ثم أن العاذل أبا بكر قصد الديار المصرية فأخذها ودفع للأفضل عدة بلدان بالمشرق فمضى إليها فلم يتم له سوى سميساط فأقام^(٢) بها.

قال ابن خلكان: وكانت فيه فضيلة ومعرفة وكتابة ونباهة وكان يحب العلماء ويعظم حرمتهم^(٣).

قلت: وقد مر في ذكر الناصر أحمد بن المستضيء تلك الأبيات التي كتبها إليه.

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ٤١٩/٣ - ٤٢١، ذيل الروضتين ١٤٥، مرآة الزمان ٦٣٧، تاريخ ابن الأثير ٤٢٨/١٢، السلوك ٢١٦/١/١، العبر للذهبي ٩١/٥، شذرات الذهب ١٠١/٥.

(١) وفيات الأعيان ٤١٩/٣ - ٤٢٠.

(٢) وفيات الأعيان ٤٢٠/٣.

(٣) وفيات الأعيان ٤٢٠/٣.

وذكر ابن خلكان: إن الأفضل كان يهوى جارية من جواري أبيه ويراسلها، ففطن به فمنعت عنه. فاتفق أن القاضي الفاضل كان عنده يوماً فأرسلت الجارية إليه بكرة من عنبر وقد غرزت فيها زراً من ذهب فلم يدر ما أرادت، فقال القاضي الفاضل:

أهدت لك العنبر في وسطه زراً من التبر رقيق اللحم
فالزر والعنبر معناهما زر هكذا مستتراً في الظلام
ففطن لإرادتها.

قال الصفدي: كان الملك الأفضل علي بن صلاح الدين كامل الفضائل، يتظاهر بالتشيع لأجل الإمام الناصر صاحب بغداد، فمن ذلك أنه كتب إليه لما تعصب عليه عمه العادل أبو بكر:

ذي سنة بين الأنام قديمة أبدأ أبو بكر يجور على علي
وكتب صاحب شرف الدين بن عنين إليه من الهند قصيدة قال فيها:

هيهات أن أتى دمشق وملكها يعزى إلى غير المليك الأفضل
ومن العجائب أن يقوم بها أبو بكر وقد علم الوصيّة من علي
مهلاً أبا حسن فتلك سحابة صيفيّة عمّا قليل تنجلي
ومن شعر الأفضل:

أما أنّ للسعد الذي أنا طالب لإدراكه يوماً يرى وهو طالب
وهل يريني الدهر أيدي شيعتي تمكّن يوماً من نواصي النواصب
وكانت ولادته بالقاهرة، ووالده وزير العاضد، سنة خمس وستين وخمسمائة.

وتوفي فجأة بسمياط سنة اثنين وعشرين وستمائة، رحمه الله تعالى.

وقال الذهبي: إن المحسن بن صلاح الدين كان متشيعاً أيضاً، وكان المحسن فاضلاً سمع الحديث.



وسَمِيَّسَاط بضم المهلمة وفتح الميم وإسكان المثناة التحتية وبعد المهلمة

الثانية ألف وطاء مهملة قلعة بديار بكر على الفرات مجاورة لبلاد الروم، والله أعلم.

[١٢٢]

أبو الحسن علي بن محمد الحريري الشاعر المشهور أحد شعراء
الدمية* (١).

فاضل أدرك النار، وكمن كمون الفار، وما برحت عقارب كيده ساعية،
حتى أهان في دار ملكه معاوية وخبره طريف.

قال أبو الحسن الباخري في دمية القصر: وقع من بعض الجزائر إلى
بأخرز، فارتبط بها للتأديب، وبقي بين كبرائها موفور النصيب، وبلغ من الغلو في
التشيع مبلغاً حتى أدرع الليل، وشمر الذيل، وشد الاقتاد، وطوى البلاد، وأقام
في مجاورة قبر معاوية بالشام سنة حرداً، يطوف بأركانه، ويتبرك باستلام بنيانه،
ووراء تملقه ذلك امر، وخلل رماده وميض جمر، ولم يزل ينتهز الفرصة حتى
خلى وجهه يوماً من الأيام، وانقض عنه أولئك الأقوام، فنقص على عيابه،
وأسال فوقه أسرابه، وألقى به جنينه، وخلط بذى بطنه طينه، «فخرج منها خائفاً
يترقب قال ربّ نجني من القوم الظالمين» (١).

قلت: الحاصل أنه خرى على ذلك الحدث. ولم تنتفض طهارة إيمانه بذلك
الحدث.

وقال وفي هذا المعنى يقول:

رأيتُ بني الطّوامِثِ والزّواني
لأنّي بالشّامِ أقمْتُ حَولاً
بِمَمَقَتِ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ شَرّاً
على قَبْرِ ابنِ هِنْدٍ كُنْتُ أُخْرَى (٢)

قال الصفدي: وقلت أنا أردّ على هذا الشاعر أخزاه الله:

(*) ترجمته في:

دمية القصر ١/١٣٧ - ١٣٨ وفيه «الجزري» وليس الحريري، إنباه الرواة ٢/٣٠٩.

(١) سورة الفصص: الآية ٢١، دمية القصر ١/١٣٧ - ١٣٨.

(٢) دمية القصر ١/١٣٨.

أتحسب أن ذا يرضي علياً
فكيف يكون وجهك يوم تأتي
ولكن كان هذا نقص عقل
عليك وقد خريت جزيت شراً
غداً ويقال هذا وجه خراً
ودين من تحراً ما تحراً^(١)

قلت: ملام على الحريري كما أنه لا ملام على الكناني الذي خرى في
كعبة أبرهة الحبشي التي عمرها بصنعا.

وقول الصفدي لا معنى له وأي إنسان غير خراً يرد القيامة؟

وكان أهل دمشق بسبب بني أمية وبني أيوب لم يحل عنهم النصب.

وحكى الصفدي، عن سليمان بن زيرة قال: اجتمعت أنا وعشرة من
المشايع بدمشق فيهم أبو بكر أحمد بن سعيد الطائي فقرأنا فضائل علي بن أبي
طالب عليه السلام، فوثب علينا قريب من مائة يضربوننا ويسحبوننا إلى الوالي، فقال لهم
أبو بكر الطائي: اسمعوا يا سادة إنما قرأنا اليوم فضائل علي وغداً نقرأ فضائل
أمير المؤمنين معاوية، وقد حضرتني أبيات فإن رأيتم أن تسمعوها فقلوا هات
فأنشد بديهاً:

حبي علياً كته ضربُ
ومذهبي حبّ أمام الهدى
من غير هذا قال فهو امرؤ
والناس من ينقد لأهوائهم
يرجف من خيفته القلبُ
يزيد والدين هو النصبُ
ليس له عقل ولا لبُ
يسلم وإلا فالقفانهبُ

قال: فخلوا عتاً، قال أبو بكر الطائي: والله لا أقمت في بلد يجري فيها ما
جرى.

ثم إنه خرج منها وسكن حمص^(٢).

وأورد الباخري في الدمية للحريري المذكور ولم أسمع في معناه مثله:

أنظر إلى حظ ابن شبل في الهوى
إذ لا يزال لكل قلب عاشقاً^(٣)

(١) الغيث المسجم.

(٢) الغيث المسجم.

(٣) في الدمية: «شائفاً».

شَغَلَ الرَّجَالَ عَنِ النَّسَاءِ وَطَالَمَا^(١) شَغَلَ الرَّجَالَ عَنِ النَّسَاءِ مُرَاهِقًا
عَشِقُوهُ امْرَدًا فَالْتَحَى فَعَشِقْتَهُ اللهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَعْدِمُ عَاشِقًا^(٢)
قلت: باخرز بالباء الموحدة فالألف فالحاء المعجمة فالراء الساكنة فالزاي:
مدينة من بلاد خراسان منها أبو الحسن علي بن الحسن الباخري مؤلف الدمية^(٣).

[١٢٣]

الشيخ علاء الدين أبو المظفر علي بن عبد الله الكندي الشهير بالوداعي
الشامي الشاعر المشهور^(*)

فاضل يسحر بشعره العقول، وجمال بكميت الشعر في حلبة السبق فسقى
الأسماع الشمول، وأظهر لوجنة الشام خالاً فهمنا بالشامات، وإنما سجعت
الورقاء بنظمه فرقست البانات، وهو من المتأخرين عصرًا، السابقين أدبًا وشعرًا،
وكان أول الفاتحين باباً للتورية والاستخدام بتلك السهولة، وذلك الانسجام.

ومن شعره:

(١) في الدمية: «شغل النساء عن الرجال».

(٢) في الدمية ١/١٢٧، أوردها للطاهر الجزري وليس لصاحب الترجمة.

(٣) هو أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخري: اشتغل في شبابه بالفقه على
مذهب الإمام الشافعي، ثم غلب أدبه على فقهه، قدم بغداد مع الوزير الكندي، وعمل في الكتابة
معه مدة، واختلف إلى ديوان الرسائل، توفي بباهرز مقتولاً في مجلس أنس، وذهب دمه هدرًا،
من آثاره كتابا «دمية القصر وعصرة أهل العصر» و«ديوان شعره».

ترجمته في:

معجم الأدباء ١٣/٣٣ - ٤٨، وفيات الأعيان ٣/٣٨٧ - ٣٨٩، الكنى والألقاب ٢/٥٦، النجوم
الزاهرة ٥/٩٩، شذرات الذهب ٣/٣٢٧، هدية العارفين ١/٦٩٢، أنوار الربيع ١/٨١ - ٨٢،
طبقات الشافعية للسبكي ٣/٢٩٨، الأنساب ٢/١٧، اللباب/مادة الباخري، العبر للذهبي ٣/
٢٦٥.

(*) ترجمته في:

شذرات الذهب ٦/٣٩، تاريخ الإسلام للذهبي، النجوم الزاهرة ٩/٢٣٥، خزانة الأدب لابن
حجة، الدرر الكامنة ٣/١٣٠، الطليعة - خ - ترجمته رقم ٢٠٩، فوات الوفيات ٢/١٧٣ - ١٧٨،
تذكرة الحفاظ للذهبي، البداية والنهاية ١٤/٧٨، روضات الجنات، الوافي بالوفيات، البدر
الطالع ١/٤٩٨، أعيان الشيعة ٤٢/١٦٠ - ١٦٤، أدب الطف ٤/١٣٩ - ١٤٤، أنوار الربيع ١/
٢٠٢، الاعلام ط ٤/٥/٢٣.

رَدَّدَ بِمِصْرَ وَسُكَّانَهَا
وَصَفَّ لِي الْقَرْطَ وَشَتَّفَ بِهِ
وَأَرَوِ لَنَا يَا سَعْدَ عَنْ لَيْلِهَا
فَهُوَ مُرَادِي لَا يَزِيدُ وَلَا

القرط: ثمرة القرط بمصر.

وثوراً ويزيد: نهران بدمشق.

شَوْقِي وَجَدَّدَ عَهْدِي الْبَالِي
سَمْعِي وَمَا الْعَاطِلُ كَالْحَالِي
حَدِيثَ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالِ
ثَسُورَ وَإِنْ رَقَ وَرَقَا لِي^(١)

وقد رأيت أن اذكر ما ذكر الشيخ تقي الدين بن حجة في كشف اللثام عن التورية والاستخدام في مأخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة من شعر الشيخ علاء الدين الوداعي المذكور قصداً للامتاع لمن يتشوق إلى ذلك لا تبكية على ابن نباتة فإنه هو، وتلك أمة قد خلت.

قال الوداعي المذكور:

إِذَا رَأَيْتَ عَارِضاً مُسَلْسِلاً
فَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّنِي مِنْ أُمَّةٍ
أَخَذَهُ ابْنُ نَبَاتَةَ فَقَالَ:

فِي وَجْنَةٍ كَجَنَّةٍ يَا عَاذِلِي
تَقَادُ لِلْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ

أَفْدِي الَّتِي سَاقَ إِلَيْهَا مَهْجَتِي
قَلْبِي بِصَدْغِيهَا إِلَى طَلْعَتِهَا

فِرْعَ طَوِيلٍ تَحْتَ حَسَنِ طَائِلِ
يَقَادُ لِلْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ^(٢)

قال الوداعي:

لَقَدْ سَمِحَ الزَّمَانُ لَنَا بِيَوْمِ
تَجَمُّعِنَا كَأَنَّا نَظْمُ خَيْطٍ
أَخَذَهُ ابْنُ نَبَاتَةَ فَقَالَ:

غَدَا فِيهِ السَّمِيُّ مَعَ السَّمِيِّ
عَلِيٌّ فِي عَلِيٍّ فِي عَلِيٍّ

عَلَوْتُ إِسْمًا وَمَقْدَارًا وَمَعْنَى
كَأَنَّكُمْ الثَّلَاثَةَ ضَرْبِ خَيْطٍ

فِي اللَّهِ مِنْ حَسَنِ جَلِيٍّ
عَلِيٌّ فِي عَلِيٍّ فِي عَلِيٍّ^(٣)

(١) فوات الوفيات ٢/١٧٥.

(٢) ديوان ابن نباتة المصري ٤٢٤.

(٣) ديوان ابن نباتة المصري ٥٧٨.

قال الوداعي :

بدم الشهيد المغرم
ولسونه لسون الدم

من أخذ من خذّه
فالريح ریح المسك منه

أخذه ابن نباتة فقال :

دم الشهيد الصابر المغرم
كما ترى واللون لون الدم^(١)

لا تنكر الكاسر من جفنه
فالريح ریح المسك من خذّه

قال الوداعي :

وريقه البارد يا حار
وقد مرّ في ذكر الحسين بن عبد القادر^(٢)

يفتن بالفاتر من طرفه
أخذه ابن نباتة وفتّر عن الفاتر،

فقال :

يا حار ما قلت أعضاي التي ثملت^(٣)

لو ذقت برد نصاب من مقبلة

قال الوداعي :

فتزوج وكن من المحصنين
لم يضع بين أظهر المسلمينا

قيل إن شئت أن تكون غنيّاً
قلت ما يقطع الإله بحرّ

أخذه ابن نباتة فقال :

من أذى الفقير وتستغني يقينا
لم أضع بين أظهر^(٤) المسلمينا^(٥)

قال لي خلّي تزوج تسترح
قلت: دع نصحك واعلم أنني

قال الوداعي :

واعذر فعذري فيهم واضح حَسِنُ
إذا لقام بنصري معشر خشنُ

يا عاذلي في التكاريش اطّرخ عذلي
فالمُرد إن حاولوا هجري بحربهم

(١) ديوان ابن نباتة ٤٧٩.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٦٠.

(٣) ديوان ابن نباتة.

(٤) في الديوان: «ظهور».

(٥) ديوان ابن نباتة ٥٣٥.

أخذه ابن نباتة فاستعمل بيت الحماسي جميعاً وقصر عن الاكتفاء:

لو آذنتني عدّالي بحربهم عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا^(١)

التكاريش، جمع تكريش فارسي معناه لحية جيّدة، وقيل: إن المجان من الشاميين يقولون إذا شاب طاب، وإذا انحنى فهو المنى.

قال الوداعي:

ألحاظه وهي السيوف كليله ويكون تعذيب الكليله أطولا

أخذه ابن نباتة فقال:

بليت به ساجي اللحاظ كليلها وما زال تعذيب الكليله أطولا^(٢)

قال الوداعي:

والنهر كالمبردٍ يجلو الصدا ببرده عن قلب ظمّانه

أخذه ابن نباتة فقال:

والنهر فيه كمبردٍ فلأجل ذا يجلو الصدا

قال الشيخ علاء الدين الوداعي:

ما أنت أول عاشقٍ محرومٍ من باخلٍ بادي النّفار كريمٍ

أخذه ابن نباتة فقال:

مبخلٍ يشبه ريم السفلا وآطول شجوي من بخيلٍ كريمٍ^(٣)

قال الوداعي:

بروحي غزالٍ راح في الحسن جنة تعشقته أعمى فهمت من الوجدِ

إذا ما تبدى قائدٍ بيمينه تيقنت حقاً أنه جنة الخلدِ

أخذه ابن نباتة مع القافية:

(١) ديوان ابن نباتة ٥٣٠.

(٢) لم أعثر عليه في ديوانه.

(٣) لم أعثر عليه في ديوانه.

(٤) كاملة في ديوانه ٤٣٦ - ٤٣٧.

أفديه أعمى مغمداً لحظه
تمكنت عيناي من خده
لسرتعي في خده الوردى
فقلت هذي جنة الخلد^(١)

النكتة إن الخلد: حيوان أعمى يشبه القار.

قال الوداعي من قصيدة:

بخلت عليّ بدرّ مبسمها
أخذه ابن نباتة فقال:

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم
قال الوداعي:

باللوا صعدة عليها لواء
لا تخل عندها سماعاً لشكوى
كل طعنات نصلها نجلاء
فلهذا قالوا لها صماء
أخذه ابن نباتة فقال:

وعدت بطيف خيالها أسماء
يا من أطيل من الجوى لقوامها
إن كان يمكن ناظري إغفاء
شكواي وهي الصعدة السمراء
وما أحسن ما جاء به يوسف بن علي بن هادي في سرقات ابن نباتة معاني
الوداعي وفيه التورية:

عزا ابن نباتة شعر الوداعي
ففارق يا فتى من قال هذا
إليه بسارقة لا باختراع
نباتي وقل هذا وداعي

وما أحقّ المذكور بانتقاده لنفسه فإنه أخذ معنى ابن نباتة الذي سرقه
الوداعي:

تمكنت عيناي من خده
فقلت هذي جنة الخلد
فقال يوسف بن علي:

دنت فوق وجهي حين وافت بعودتي
فشاهدتها والخلد يقرع خدها
وقد سلبتني صحة الجسم بالصد
وقلت لعمري هذه جنة الخلد

(١) ديوان ابن نباتة المصري ١٦٢.

(٢) لم أعر عليه في ديوانه.

وغير ذلك مما يطول فاسمع واعجب.

ومن مطالع علاء الدين المطربة:

والصدغ مع فيه ببحم
عذاره المعوج تقويمي

أعيد ظبي التترك بالروم
وخذته المشرق قد صخ لي

ومن شعره أيضاً:

للعهد يروي صبره عن علقمة
روى حديث دمعته عن عكرمة

وفي أسانيد الأراك حافظ
فكلما ناحت به حمامة

عكرمة: من أسماء الحمامة فاطرب لهذا النظام.

وله أيضاً مطلع قصيدة:

أقول ربّي وربّك الله

بدر إذا بدا محيّا

ومن شعره وقد كثر المطر:

جاء بالطوفان والبحر والمحيط
إقلعي عنهم فهم من قوم لوط

أن يدوم الغيث شهراً هكذا
ما هم من قوم نوح باسم

ومن نكته الغربية:

وصحبي كالثريّا في اجتماع
إلى أن حلّ منزلة الذراع

وليل خلت مجلسنا سماء
وبات الطرف يرعى البدر منهم

وله أيضاً:

حين وافت فسلمت مختالاً
فقد سلمت علينا الغزاة

قال لي العاذل المفند فيها
قم بنا ندعي النبوة في العشق

أخذه ابن نباتة فقال:

لا تنكرن حالاً لديه
وقد سلم الغزال عليه^(١)

يا غزلاً أهدى السلام إلى المغرم
كيف لا يدعي النبوة في العشق

(١) كاملة في ديوان ابن نباتة المصري ١١ - ١٢.

وللوداعي :

طوق جود الوزير جودي فليست عن مدحه أعوق
اسجع بالمدح في علاه لا غرو ان يسجع المطوق
أخذ التورية ابن نباتة وسمى كتابه «سجع المطوق» .

ومحاسن الشيخ علاء الدين تحتل مجلداً، وبالجملة فهو أمام أئمة التورية والاستخدام ويكفيه فضلاً أن ابن نباتة عيالٌ عليه، ولم أعلم تاريخ موته رحمه الله تعالى ثم أنني رأيت [في] تذكرة الحفاظ للذهبي قال يصف عن نفسه: وسمعت مع الشيخ الأديب العلامة البليغ المحدث المفيد علاء الدين علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الدمشقي كاتب ابن وداعة، ولد علي رأس الأربعين وستمائة، وتلى بالسبع على العلم أبي القاسم، وسمع من أبي الحسن، وإبراهيم بن خليل، وابن عبد الدايم وخلق، وكتب الأجزاء وحصل، ثم تعانى الانشاء وخدم، ثم ثلثه الذهبي بقلة الدين والتهاون بالصلوة وقال في عقيدته، فقال: إلا أنه مثبت فيما ينقله .

قلت: المقال هو التشيع فافهم .

قال: وتوفي سنة ست عشرة وسبعمائة، والله أعلم .

[١٢٤]

القاضي أبو الحسن علي بن القاضي أبي حنيفة النعمان أبي عبد الله
محمد بن منصور أحمد بن حنبل^(١) القاضي المغربي أحد قضاة
الإسماعيلية* .

فاضل تفرّد بالقضاء وساعده القدر، ورزق من عقبة ومجده حسن الخبر
والخبر، وله شعر خسف الثريا وعاق العيوق، فهو كالجواهر على اللّبات وغيره

(١) لم أعر عليها في ديوان ابن نباتة .

(*) ترجمته في:

يتيمة الدهر ١/ ٣٨٤ - ٣٨٥، رفع الأصر، وفيات الأعيان ٥/ ٤١٥ - ٤١٩ ضمن ترجمة والده
القاضي أبي حنيفة النعمان .

(٢) في الوفيات: «حيون» .

كالخلخال الكاسد في السوق.

قال ابن خلكان: وكان والده أبو حنيفة أحد الأئمة الفضلاء المشار إليهم، وكان مالكي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الإمامية يعني الإسماعيلية - كما تقدم في ذكر الصليحي، وصنّف ابتداء الدعوة للعبديين، ومن تصانيفه «الاختيار» و«الانتصار في الفقه» و«اختلاف أصول المذاهب» وغير ذلك، وكان ملازماً لصحبة المعز ووصل معه إلى الديار المصرية من إفريقية ولم تطل مدته بمصر، ومات في رجب سنة ثلاث وستين وثلثمائة وصلى عليه المعز وكان والده من المعمرين^(١).

وكان لأبي حنيفة أولاد نجباء سادة منهم: أبو الحسين علي المقصود بالذكر هنا. ولما مات والده أصلح المعز بينه وبين أبي الطاهر محمد بن عبد الله الذهلي قاضي مصر في الحكم فلم يزالا مشتركين إلى أن توفي المعز وتولى ولده العزيز نزار، فردّ إلى أبي الحسن المذكور أمر الجامعين، يعني جامع ابن طولون والجامع الأزهر، وجعل إليه دار الضرب إلى أن لحقت أبا طاهر رطوبة منعه عن الحركة إلا محمولاً، فركب العزيز يوماً إلى الجزيرة التي بين مصر والجزيرة، فحمل إليه أبو طاهر فسأله استخلاف ولده أبي العلاء، وقال: ما بقي إلا أن تعددوه، ثم قلد القاضي أبا الحسن المذكور ثالث هذا اليوم القضاء مستقلاً فقريء سجله بجامع القاهرة وجامع مصر وفيه: إنا قلدناك القضاء بالديار المصرية والشام والحرمين والمغرب وجميع مملكة العزيز والخطابة والإمامة والعيار في الذهب والفضة والمكائيل والموازين، وأذن العزيز لأبي طاهر أن ينظر في الأحكام من غير فصل.

وقد حكم ببغداد قبل أن يرد إلى مصر مستقلاً مدة، وكان أهل الحديث يترددون إليه في مرضه لسماع الحديث إلى أن توفي سنة سبع وستين^(٢).

وكان القاضي أبو الحسن متفنناً في عدة علوم منها علم القضاء والقيام به بسكينة ووقار، وعلم الفقه والعربية والأدب والشعر، وأيام الناس، وكان شاعراً مجيداً ومن شعره وفيه الجناس المشتق:

(١) وفيات الأعيان ٤١٥/٥ - ٤١٦، باختصار و اقتباس.

(٢) وفيات الأعيان ٤١٧/٥.

رب خَوِّدِ عَرَفْتَ فِي عَرَفَاتِ
حَرَمْتَ حِينَ أُحْرَمْتُ نَوْمَ عَيْنِي
وَأَفَاضْتَ مَعَ الْحَجَّيْجِ فِقَاضَتْ
وَلَقَدْ أَضْرَمْتُ عَلَى الْقَلْبِ جَمْرًا
لَمْ أَنْلِ مِنْ مِني مُنَى النَّفْسِ حَتَّى
وَأَمَّا مِرَاعَاةُ النَّظِيرِ فَظَاهِرٌ .

وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضًا [مِنْ الْمَسْرُوحِ]:

وَلِي صَدِيقٌ مَا مَسْنِي عَدَمِ
أَغْنَى وَأَقْنَى وَمَا يُكَلِّفُنِي
قَامَ بِأَمْرِي لِمَا قَعَدْتُ بِهِ

قَلْتُ: هَذَا أَفْضَلُ مِنَ الصَّدِيقِ الَّذِي تَمَنَّاهُ الْمَأْمُونُ .

وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضًا فِي مِثْلِهِ [مِنْ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ]:

صَدِيقٌ لِي لَهُ أَدَبٌ
رَعَى لِي فَوْقَ مَا يُرْعَى
فَلَسَوْنَ فِدَتْ خِلَائِقَهُ

سَلَيْتُنِي بِحُسْنِهَا حَسَنَاتِي
وَاسْتَبَاحْتَ حِمَايَ بِاللَّحْظَاتِ
عَنْ جُفُونِي سَوَابِقُ الْعَبْرَاتِ
إِذْ مَشْتِ تَرْتَمِي إِلَى الْجَمَرَاتِ
خِخْتُ بِالْخَيْفِ أَنْ تَكُونَ وَفَاتِي^(١)

مَذْ وَقَعْتُ عَيْنُهُ عَلَى عَدَمِي
تَقْبِيلَ كَفِّ لَهْ وَلَا قَدَمِ
وَنَمْتُ عَنْ حَاجَتِي وَلَمْ يَنْمِ^(٢)

صَدَاقَةٌ مِثْلِهِ نَسَبُ
وَأَوْجِبُ فَوْقَ مَا يَجِبُ
لَبَّهْرَجٍ عِنْدَهَا الذَّهَبُ^(٣)

وَلَمْ يَزَلْ وَافِرَ الْحَرَمَةَ عَلَى أَحْكَامِهِ عِنْدَ الْعَزِيزِ حَتَّى تُوْفِيَ فِي رَجَبِ سَنَةِ
أَرْبَعِ وَسَتِينَ وَثَلَاثِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْعَزِيزُ وَدَفَنَ بَدَارَهُ، وَكَانَتْ
وَلَايَتُهُ تِسْعَ سِنِينَ وَأَشْهُرًا^(٤) .

فَأَرْسَلَ الْعَزِيزُ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ وَكَانَ مَرِيضًا فَقَالَ لَهُ: إِنْ
الْقَضَاءُ لَكَ وَلَا نَخْرُجُهُ عَنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ، وَلَمَّا خَفَتْ مَرَضُهُ كَتَبَ إِلَى الْعَزِيزِ،
فَقَلَّدَهُ الْقَضَاءَ وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَقَلَّدَهُ سَيْفًا، وَكَانَ سَجَلُهُ كَسَجَلِ أَخِيهِ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ
وَلَدَهُ أَبَا الْقَاسِمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَضَاءِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْعَزِيزُ، وَعَقَدَ

(١) وفيات الأعيان ٤١٨/٥ .

(٢) يتيمة الدهر ١/٣٨٤ - ٣٨٥، وفيات الأعيان ٤١٨/٥ .

(٣) يتيمة الدهر ١/٣٨٥، وفيات الأعيان ٤١٨/٥ .

(٤) وفيات الأعيان ٤١٩/٥ .

القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان نكاح ولده أبي القاسم على ابنة القائد جوهر في مجلس العزيز، وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار وكان المعزّ وهو بالمغرب قد تقدم إلى القاضي أبي حنيفة بعمل إصطلاب فضّة، وأن يجلس مع الصائغ أحد ثقاته فأجلس ولده محمد المذكور، فلما حمله إلى المعزّ قال: من أجلست معه؟ قال: ولدي محمداً، فقال: هو قاضي مصر، فكان كما قال^(١).

وقال القاضي محمد: كان المعزّ إذا رأيّ وأنا صبيّ بالمغرب يقول لولده العزيز: هذا قاضيك.

قال: وكان محمد جيّد المعرفة بالأحكام، متفنناً في العلوم، حسن الأدب والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس، ومن شعره:

أيا مُشَبَّهَ البدرِ بدرِ السماء
ويا كاملَ الحسنِ في نعته
فهل لي من مَظْمَعٍ أرتجيه
ويشمّتُ بي شامتٌ في هواك
فإما مننت وإما قتلت
لسبع وخمسٍ مضتْ واثنتين
شَغَلتْ فؤادي وأسهرت عيني
والا انصرفنا بخفّي حنين
ويفصح لي ظلت صفر اليدين
وَأنت القديرُ على الحاليتين^(٢)

وكتب إليه عبد الله بن الحسن بن جعفر السمرقندي:

تعدّلتِ القضاةَ علماً فأما
وحييدٌ في فضائله غريبٌ
تألق بهجةً ومضى اعتزاماً
فيقضي والسدادُ له حليفٌ
لو اختبرت قضاياه لقالوا
إذا رقي المنابر فهو قسّ

أبو عبد الإله فلا عديلُ
خطيرٌ في مفاخره جليل
كما يتألقُ السيفُ الصقيل
ويعطي والغمام له رَسِيل
يؤيده عليها جَبْرَتِيل
وإن حضر المشاهد فالخليل^(٣)

فأجابه:

قرأنا من قريضك ما يروقُ
بدائع حاكها طبع رقيقُ

(١) وفيات الأعيان ٤٢٠/٥ باختصار واقتباس.

(٢) وفيات الأعيان ٤٢٠/٥.

(٣) ن.م.

كَأَنَّ سَطُورَهَا رَوْضٌ أُنِيقٌ تَضَوُّعٌ بَيْنَهَا مَسْكٌ فَتِيقٌ
 إِذَا مَا أُنْشِدْتَ أَرْجَتِ وَطَابَتْ مَنَازِلُنَا بِهَا حَتَّى الطَّرِيقِ
 وَإِنَّا تَائِقُونَ إِلَيْكَ فَاعْلَمْ وَأَنْتِ إِلَى زِيَارَتِنَا تُثَوِّقِ
 فَوَاصِلُنَا بِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ فَأَنْتِ بِكُلِّ مَكْرَمَةٍ حَقِيقِ^(١)

وفي شهر المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة^(٢) استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز في الأحكام بمصر والقاهرة، وارتفعت رتبة القاضي محمد عند العزيز حتى أصعده معه على المنبر يوم عيد النحر سنة خمس وثمانين^(٣)، ولما مات العزيز تولى غسله القاضي محمد المذكور وقام بالأمر ولده الحاكم فأقر القاضي محمد على منزلته، وزادت رتبته عنده، وكان له من الرياسة معهم ما لم يشاهد مثله لقاضي لا في مصر ولا غيرها والعراق، وكان حقيقاً بها لما فيه من العلم وإقامة الحق والهيبة، ثم كثرت علله ولازمه النقرس والقولنج فكان أكثر أوقاته عليلاً، وكان الاستاذ أبو الفرج برجوان على جلالة يعوده في كل وقت حتى توفي في صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة.

ثم قلّد الحاكم القضاء ابن أخيه أبا عبد الله الحسين بن أبي الحسن بن النعمان^(٤) ثم صرفه بعد مدة بابن عمه عبد العزيز بن محمد، ثم ضرب الحاكم عنق الحسين المذكور في رمضان وأحرقت جثته لأمر اقتضى ذلك، واستقلد عبد العزيز بالأحكام وقلّده الحاكم النظر في المظالم ولم يجتمعا لأحدٍ قبله، وعلت مرتبته وأصعده معه على المنابر يوم العيدين، وشدد في الأحكام على أمراء الدولة ممن عليه حق، ثم صرفه الحاكم واستقضى أبا الحسن مالك بن سعيد الفارقي وأخرجه عن بيت النعمان، ثم إن الحاكم أمر الأتراك بقتل عبد العزيز، والقائد أبي عبد الله الحسين جوهر، وأبي علي إسماعيل أخي القائد ابن صالح فقتلوا في ساعة واحدة لأسباب، سنة إحدى وأربعمئة وفضل خبره المقريري ولا حاجة إلى ذكره^(٥).

(١) وفيات الأعيان ٤٢١/٥.

(٢) في الأصل: «الثتين وثلثين» وما صوّبناه من الوفيات.

(٣) في الأصل: «سنة ٧٥» وما صوّبناه من الوفيات.

(٤) ترجمته في رفع الأحد ٢٠٧.

(٥) وفيات الأعيان ٤٢١/٥ - ٤٢٣، باختصار واقتباس، أنظر الخطط المقريرية.

السيد جمال الدين علي بن أحمد بن محمد بن معصوم الحسيني المدني
الميلاد، الهندي الدار، مؤلف سلافة العصر والبديعية الموسومة بتقديم
علي (*) .

أحد الأعيان، فاضل استحق التقديم بنصّ الأدب الجلي، ورمى ابن حجة
رمي الجمار بتقديم علي، وأدار من أدبه على العقول سلافة العصر، وفجر ما
اندمل من جراح حاسده فظل الحاسد بالفجر، فصاحب الغيث من الغرقا ببحره
الزاخر، وابن الأثير محترق بناره، وذكر فضله الذي هو المثل السائر.
وقد مضى ذكر والده في الهمزة^(١) وولد ابنه جمال الدين علي بن أحمد
المذكور في المدينة المشرفة، وأخبرني السيد مصطفى بن علي نور الدين الشامي
المكي الحسيني: أن السيد علي بن أحمد في هذا الوقت سنة أربع عشرة ومائة
وألف بعسكر ملك الهند، وهو ممن اشتهر فضله وغرف بتصانيفه نبه، وكتابه
«سلافة العصر»^(٢) لم يصل إلى اليمن.

(*) هو السيد علي صدر المدني بن الأمير نظام الدين أحمد بن محمد معصوم، تكلمة نسبة في ترجمة
أبيه برقم ٢٧.

كتب عنه الأستاذ شاكر هادي شكر ترجمة ضافية في مقدمة (أنوار الربيع في أنواع البديع) المطبوع
بتحقيقه في النجف ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م. وله في آخر الطبعة الحجرية من أنوار الربيع، ترجمة موجزة،
وله ديوان شعر مخطوط نسخته محفوظة في دار الآثار ببغداد برقم، وطبع ديوانه بتحقيق شاكر هادي
شكر في بيروت - عالم الكتب ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، وقد اعتمداهما في تحقيق شعره.
ترجمته في:

نزهة المجلس ٢٠٩/١ - ٢١٣ وفيه: وفاته سنة ١١١٩ أو ١١٢٠، أبجد العلوم ٩٠٨ وفيه: وفاته
سنة ١١١٧هـ، ومجلة لغة العرب ٥٧٦/٣، إيضاح المكنون ١٤٤/١ - ٤٨٧، نفحة الريحانة ٤/
١٨٧ - ١٩٥، الفهرس التمهيدي ٣١٣، مجلة المجمع العلمي العربي ٥٠٣/٢٢، البدر الطالع ١/
٤٢٨ وفيه: «ولد في المدينة» خلافاً لما في المصدر الأول، بروكلمان، روضات الجنات ٣٩٨،
نفائس المخطوطات ٤٠/٤ - ٦٨، الاعلام ط ٢٥٨/٤/٤ - ٢٥٩، أمل الأمل ١٧٦/٢، الطليعة
- خ - ترجمة ١٧٢، سفينة البحار ٢/٢٤٥، الغدير ١١/٣٤٦ - ٣٤٩، سبحة المرجان ٨٥ - ٨٦،
اعلام العرب ٣/١٢٩، الذريعة، حديقة الأفراح ٥٢، أعيان الشيعة ٤٣/٤١ - ٦٤، أدب الطف
١٧٧/٥ - ١٩٢.

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٧.

(٢) تكلمة إسمه: «في محاسن الشعراء بكل مصر» يشتمل على تراجم شعراء القرن الحادي عشر،
طبع بمصر سنة ١٣٢٤هـ.

ثم اني رأيت بخط القاضي شمس الدين أحمد بن ناصر بن عبد الحق^(١) أنه وقف عليه بيندر المُخَا فقال أطلعني على نسخة منه بعض الأخوان ذكر أنها عارية عنده من الشيخ سليمان بن محمد الوزير، وذكر مؤلف الكتاب المذكور في خطبته: أنه شرع في تأليفه في بلاد الهند في أواخر سنة إحدى وثمانين وألف، وفرغ منه يوم الخميس لسبْعِ خلون من ربيع الثاني سنة اثنتين وثمانين وألف^(٢).

وذكر أنه قصر كتابه على ذكر محاسن أهل المائة الحادية عشرة ورتبه على خمسة أقسام:

الأول: في محاسن أهل الحرمين الشريفين والمحلّين المنيفين.

القسم الثاني: في محاسن أهل الشام ومصر ونواحيهما ومن تصدر من الفضلاء في صدور نواديهما.

القسم الثالث: في محاسن أهل اليمن، المقلدين بعقود آدابهم جيد الزمن.

القسم الرابع: في محاسن أهل العجم والعراق وإيراد مارق من لطائفهم وراق.

القسم الخامس: في محاسن أهل المغرب، وإثبات شيء من نظمهم المطرب، والعدر في تأخير قسمتهم عن سائر الأقسام رعاية للنكته في المغرب للختام، وإلا فلهم سبق البداية ولا غرو أن انتهت إليهم الغاية، وإذا أشرق أن شاء الله تعالى بدره المنير من افق التمام، وتفتق زهره النظير من حجب الكلام وسميته بـ«سلافة العصر في محاسن أعيان العصر»^(٣).

ثم قال بعد ذلك: فإني انشأته عن فكر قد صلد زنده، في بلد عربيه عجمه وهنده، لم يقم للأدب فيه سوق، ولا عرف به غير الكفر والفسوق^(٤).

وحججت أنا سنة أربع عشرة ومائة وألف، واتفق ورود السيد جمال الدين إلى مكة، فلقيته وسمعتة يحكي أنه أقام بالهند ثمانين وأربعين سنة وكتبت إليه

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

(٢) سلافة العصر ٦٠٧.

(٣) السلافة ٩.

(٤) السلافة ٩.

قصيدة طائية عارضت بها قصيدة ابن بليطة^(١) الأندلسي في قصيدته المشهورة التي مدح بها المعتصم بن صمادح، وأول قصيدتي:

أخذت عليها قبل وشك النوى شرطا فراغت وخلت مثل صبري له بطا
وعهدي بها لا العذر مما احتلت به ولا دفعت يوماً لتسمعه القرطا
وهي طويلة جيدة مذكورة في ديوان شعري.

ومن مؤلفاته أيضاً: شرح صحيفة الإمام زين العابدين عليه السلام^(٢)، وله اعتراضات على صاحب القاموس، وله كتاب «أنوار الربيع في أنواع البديع»^(٣) أجاد فيه غاية الإجابة ورأيته ونقلت منه مما أورده لنفسه في التورية وذكر أنه لم يسبق إليه:

ليس احمرار لحاظه من علة ليس احمرار لحاظه من علة
قالوا تشابه طرفه وبنائه قالوا تشابه طرفه وبنائه
ومنه له أيضاً:

إلى الله مما يلاقي المحب إلى الله مما يلاقي المحب
قضى العمر بين بكاء واشتياق قضى العمر بين بكاء واشتياق
وأورد فيه لنفسه أيضاً من أبيات:

(١) هو أبو القاسم الأسد بن بليطة الأندلسي، ترجمته في الذخيرة ٢٩٠/٢/١، المطمح ٨٣، بغية الملتبس ٢٢٨، المطرب ١٢٦، المغرب ١٧/٢، وفيات الأعيان ٤٢/٥ - ٤٣، وأول قصيدته: برامة ريم زارني بعدما شطاً تقنصته في الحلم بالشط فاشتطا وهي طويلة قوامها تسعين بيتاً.

(٢) وإسمه: «رياض السالكين في شرح صحيفة الامام زين العابدين» وقد جعله باسم الشاه حسين الصفوي، وهو شرح كبير تضمن فوائد جليلة نادرة، طبع على الحجر في إيران.

(٣) طبع بالحجر في إيران سنة ١٣٠٤هـ، ثم طبع بالنجف عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م بتحقيق الأستاذ شاعر هادي شكر.

وله مؤلفات أخرى أوردها الأستاذ شكر في مقدمة «أنوار الربيع» المذكور.

(٤) أنوار الربيع ١٦٦/٣، سبحة المرجان ٨٧، ديوانه - خ - ٩٧، ديوانه - ط ٣٠٠.

(٥) في الأصل: «ليلا» وما صوّناه من ديوانه.

(٦) أنوار الربيع ٥٦/٢، ديوانه خ/١١٣، ديوانه ط ٣٥٢.

بدا بـدراً ولاح لنا هلالاً
وئنسى قدة الحسن ارتياحاً
وله أيضاً:

عجباً لمن منّ الحبيب عليه
كيف اشتكى ضعف الفؤاد من الجوى

وأجاد ما شاء بقوله في مسمعة اسمها فنون:

ذَهَبَتْ فَنُونَ مَسَّرَتِي فَتَنَوَعْتُ
يَا مَنْ بَكَاهُ لِفَقْدِ فَنٍّ وَاحِدٍ
وله من أبيات رقيقة:

يا جيرة حفروا من بعد ما حفروا
بالله هل كان ذنباً أن وثقت بكم
لم أدر أن النوى يعفو مودتنا
وعاد غرس ودادي في جنابكم
كاتبتكم عن هوى ما كنت أحسبه
أما اقتضت سنة المعروف عندكم

وأشرق كوكباً واهتز غصنا
فهام القلب بالحسن المثنى^(١)

وحباه بالتقبيل وهو لديه
ومفرح الياقوت في شفتيه^(٢)

في القلب من وجد فنون شجوني
إنني امرؤ أبكي لفقد فنون^(٣)

لم يرع مجدكم عما أتى خفروا
أم كان وزر رجائي إنكم وزر
فيصبح الود لا عين ولا أثر
كبقلة الرمل لا ظل ولا ثمر
يعد ذنباً لديكم ليس يغتفر
ردّ الجواب وان لم يقض لي وطر^(٤)

ومحاسن شعره وفضله وأدبه كثير والاختصار على ما دل مقصود.

(١) سلافة العصر ٣، نفحة الريحانة ٤/١٩٤، حديقة الأفراح ٥٢، كاملة في ديوانه - خ - ١٥٥ -

١٥٧، وديوانه ط ٤٣٧ - ٤٤٠ وهي في مدح النبي ﷺ.

(٢) ديوانه ط/٤٧٦.

(٣) ديوانه - خ/١٦٤، ديوانه ط ٤٦٠.

(٤) لم أعثر عليها في الديوان.

الفقيه أبو محمد، عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد
الحكمي اليمني، المشهور، الشاعر، الملقب نجم الدين، المصري
الدار والوفاة(*) .

فاضل أطاعه الشعر فتصرف في دنائره تصرف العوامل بالأسماء، وصاغ
كل بيت سحر الألباب، فهامت به هيامها بأسماء، واستغنى بأديه الملك النقّاد
عن الذخيرة، واستيقن كل من رأى فضله أنه من سعد العشيرة، وكان لا يلحق
في تلك الحلبة، ولا يلتبس شاعر في النظم شهبه .

قال ابن خلكان، نقلت من بعض تأليفه: إنه من سعد العشيرة ثم من
قحطان، وسعد العشيرة من مذحج وإنه من مرطان، مدينة من تهامة اليمن من
وادي وسّاع^(١)، وبعدها من مكة في مهبّ الجنوب إحدى عشر يوماً، وبها ولد
ونشأ، ورحل إلى زيد سنة [إحدى وثلاثين وخمسمائة] وسيّره قاسم بن فليته أمير
مكة، رسولاً إلى الديار المصرية فدخلها في ربيع الأول سنة [خمسین وخمسمائة]
وخليفتها يومئذ الفاتر بن الظافر، والوزير الصالح طلائع بن رزّيك^(٢) .

وقال ابن خلكان وكان عمارة ظاهر التسنن، شافعي المذهب أول دخوله
مصر^(٣) .

وذكر الجندي في تاريخه: أنّ عمارة كان أول حاله سنياً ثم اعتقد مذهب
الإسماعيلية وشعره شاهد بمذهبه .

(*) ترجمته في:

خريدة القصر/ قسم الشام ١٠١/٣، وفيات الأعيان ٤٣١/٣ - ٤٣٦، الروضتين ٥٧٢/٢/١،
تاريخ ابن الأثير ٣٩٨/١١، مفرج الكروب ٢١٢/١، ٢٣٨، مرآة الزمان ٢٧٧، ٣٠٢، السلوك
٥٣/١/١، النجوم الزاهرة ٧٠/٦، العبر للذهبي ٢٠٨/٤، شذرات الذهب ٢٣٤/٤، الغدير ٤/
٤٠٨، صبح الأعشى ٥٢٦/٣، كشف الظنون ١٧٧٧/١٧٧٧، تأسيس الشيعة ٢٧٤، الذريعة ٩/
٧٦٩، أنوار الربيع ٢٨٠/٣، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٨٠/٣، وقد كتب أخباره على نحو
سيرة ذاتية في كتابه (النكت العصرية).

(١) وساع: من قرى عشر باليمن «معجم البلدان» .

(٢) وفيات الأعيان ٤٣١/٣ - ٤٣٢ .

(٣) وفيات الأعيان ٤٣٣/٣ .

وذكر: أن الصالح بن رزيك بعث إليه بثلاثة آلاف دينار في ثلاثة أكياس وكتب فيها:

قل للفقير عمارة يا خير من
إني نصحتك فاستمع لنصيحتي
تجد الأئمة شافعين ولا تجد
وعليّ أن أعلي محللك في الوري
وتعجل الآلاف وهي ثلاثة
قد حاز فهماً ثاقباً وخطاباً
قل حطة وادخل إلينا البابا
إلا لدينا سنة وكتابا
وإذا شفعت إليّ كنت مجابا
ذهباً وقل لك النضار ثواباً^(١)

فراجع عمارة بأبيات ذكرها الجندي وذهبت عن خزانة حفزي^(٢).

قال: ثم إنه سلك سلكهم ومعتقدهم.

قلت: قد مرّ أن اعتقاد طلايع غير اعتقاد الإسماعيلية، بل كان من الاثني عشرية، ورواية الجندي بتشيعه أقوى فيما أحسب، كيف وهو القائل من قصيدة [من الكامل]:

غصبت أمية إرث آل محمد
وغدت تغالب في الخلافة أهلها
وأتى زياد في القبيح زيادة
وتصرفوا في رتبة نبوية
سفهاً وشتت غارة الشنآن
وتقابل البرهان بالبهتان
تركت يزيد يزيد في الطغيان
لم يبينها لهم أبو سفيان^(٣)

ويبعد أن يرد هذا من سني يعتقد إمامة معاوية.

وله في المرثية اللامية التي سترد أقوى دليل على التشيع، وألف تاريخ وزراء مصر، والمفيد في أخبار ملوك زييد.

(١) النكت العصرية.

(٢) وهي:

يا خير أملاك الزمان نصابا
معمور معتقدي وصار خرابا
من بعد ذاك أطاعكم وأجابا
وامنن عليّ وسد هذا البابا

«حاشاك من هذا الخطاب خطابا
لكن إذا ما أفسدت علماؤكم
ودعوتكم فكري إلى أقوالكم
فاشدد يدك على صفاء محبتي

النكت العصرية

(٣) كاملة في النكت العصرية ٣٦٢ - ٣٦٤.

ولما دخل مصر والخليفة يومئذ الفائز بن الظافر والوزير الصالح بن رزيك
أنشدهما [من البسيط]:

حمداً يقومُ بما أولت من النعم
تمنت اللجم فيها رتبة الخطم
حتى رأيت إمام العصر من أمم
وفداً إلى كعبة المعروف والكرم
ما سرت من حرم إلا إلى حرم
على النقيضين من عفو ومن كرم
تجلو البهيمين من ظلم ومن ظلم
على الخفيين من حكم ومن حكم
مدح الجزيلين من بأس ومن كرم
على الخميدين من فضل ومن شيم
يد الرفيعين من مجد ومن همم
فوز النجاة وأجر البر في القسم
وزيره الصالح الفراج للغم
إلا يد الصانعين السيف والقلم
وجوده أعدم الشاكين للعدم
تعبير أنف الثريا عزة الشمم
في يقظتي أنها من جملة الحلم
ولا ترقفت إليه رغبة الهمم
عقود مدح فما أرضى لكم كلمي
عند الخلافة نصحاً غير متهم
قراية من جميل الرأي لا الرجم
ظلاً على مفرق الإسلام والأمم
فما عسى نتعاطى منة الديم^(١)

الحمد للعيس بعد العزم والهمم
لا أجد الحق عندي للركاب يد
قربن بعد مزار العز من نظري
ورحن من كعبة البطحاء والحرم
فهل درى البيت أني بعد فرقتة
حيث الخلافة مضروب سرادقها
ولإمامة أنوار مقدسة
وللنبوة آيات تنص لنا
وللمكارم أعلام تعلمنا
وللعلا ألسن تُثني محامدها
وراية الشرف السبذاخ ترفعها
أقسمت بالفائز المعصوم معتقداً
لقد حمى الدين والدنيا وأهلها
اللابس الفخر لم تنسج غلائله
وجوده أوجد الأيام ما اقترحت
قد ملكته العوالي رق مملكة
أرى مقاماً عظيم الشأن أوهمني
يوم من العمر لم يخطر على أملي
ليت الكواكب تدنولي فأنظمها
تري الوزارة فيه وهي باذلة
عواطف علمتنا أن بينهم
خليفة ووزير مد عدلها
زيارة النيل نقص عند فيضها

هذه القصيدة تدنو لها الكواكب خضوعاً، وتتمنى الورقاء لو لقتها فتسجع

(١) النكت العصرية ٣٢ - ٣٤، وفيات الأعيان ٤٣٢/٣ - ٤٣٣. الغدير ٤١١/٤ - ٤١٢.

بها سجعاً، وأما قسمه بالفائز حتى تخلص به إلى مدح الوزير فهو مما اختص به فاستحسننا عقيلته واجزلاً عطيته.

ثم حج من عامه فأعاده صاحب مكة برسالة أخرى فاستوطن مصر وأحسن الصالح وبنوه إليه غاية الإحسان، ومما سار مسير المثل من شعره، في مدح شاور السعدي الوزير [من الكامل]:

ضجر الحديد من الحديد وشاورٌ من نصر دين محمد لم يضجر
حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر^(١)

وكان فيه وفاء الأحرار وهو الذي قتله، ومن ذلك: أن الصالح بن رزيك لما قتل كما سبق وصفت الوزارة لشاور السعدي، جلس شاور يوماً وعنده جماعة من أصحاب بني رزيك يقعون فيه تقرباً إليه، قال عمارة: فأنشدته في تلك الحال [من البسيط]:

صحت بدولتك الأيام من سقم وزال ما يشتكيه الدهر من ألم
زالت ليالي بني رزيك وانصرمت والحمد والذم فيها غير منصرم
كأن صالحهم يوماً وعادلهم في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم
هم حركوها عليهم وهي ساكنة والسلم قد يثبت الأوراق في السلم
كننا نظنّ وبعض الظنّ مائمة بأن ذلك جمع غير منهزم
فمذ وقعت وقوع النسر خانهم من كان مجتمعاً من ذلك الرخم
ولم يكونوا عدواً ذلّ جانبُه وإنما عرقوا في سيلك العرم
وما قصدت بتعظيمي عداك سوى تعظيم قدرك فاعذرني ولا تلم
ولو شكرت لياليهم محافظةً لعهدا لم يكن في العهد من قدم
ولو فتحت فمي يوماً بدمهم لم يرض فضلك إلا أن يسد فمي
والله يأمر بالإحسان عارفةً منه وينهى عن الفحشاء في الكلام^(٢)

قال عمارة: فشكر لي شاور وولده على الوفاء لبني رزيك.

ومن وفائه ما حكاه المقرئ في الخطط عند ذكر نزه الخلفاء فقال: قصر

(١) النكت العصرية ٣.

(٢) النكت العصرية ٦٩ - ٧٠، الغدير ٤/٤١٢ - ٤١٣.

اللؤلؤة بناه الظاهر بن الحاكم لأجل التفرج فيه أيام زيادة النيل وساق خبره العجيب .

قال: ومما اتفق لما قدم نجم الدين أيوب والد صلاح الدين بن أيوب وصلاح الدين يؤمئذ وزير العاضد، فنزل أيوب بقصر اللؤلؤة، اتفق أنه حضر عنده الفقيه نجم الدين عمارة اليميني، والرضي أبو سالم يحيى الأحذب ابن أبي خصيبة^(١) الشاعر، في قصر اللؤلؤة، بعد موت الخليفة العاضد، فأنشد بن أبي خصيبة^(٢) نجم الدين:

يا مالك الأرض لا أرضى له طرفاً
قد عجل الله هذي الدار تسكنها
تشرفت بك عن من كان يسكنها
كانوا بها صدفاً والدرّ لؤلؤة
فقال عمارة يردّ عليه [من البسيط]:

أثمت يا من هجا السادات والخلفاً
جعلتهم صدفاً حلّو بلؤلؤة
وإنما هي دارٌ حلّ جوهرهم
فقال لؤلؤة عجباً ببهجتها
فهم بسكنائها الآيات إذ سكنوا
والجوهر الفرد نورٌ ليس يعرفه
لولا تجشمهم فيها^(٣) لكان على
فالكلبُ يا كلبُ أسنى منك مكرمةً

قال المقرئزي: فله درّ عمارة، لقد قام بحسن الوفاء، ووفى بحسن الحفاظ كما هي عادته، لا جرم أنه قتل في واجب من يهواه كما هي سنة المحبين، فالله يرحمه ويتجاوز عنه^(٥).

(١) في النكت: «حصينة».

(٢) في النكت: «ابن أبي خصينة».

(٣) في النكت: «لولا تجشمه فيهم».

(٤) كاملة في النكت العصرية ٢٩٢ - ٢٩٣، الغدير ٤/٤١٣.

(٥) الخطط المقرئزية ٢/٣٥٣ - ٣٥٥.

قال: ولما مات العاضد لدين الله في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة، احتاط الطواشي قراقوش مولى صلاح الدين بن أيوب على أهل العاضد وأولاده، فكان عدّة الأشراف في القصور مائة وثلاثين، والأطفال خمسة وسبعين، وجعلهم في مكان أفرّد لهم خارج القصر، وجمع عمومته وعشيرته وعترته في إيوان بالقصر، واحترز عليهم، وفرّق بين الرجال والنساء كي لا يتناسلوا، وليكون ذلك أسرع لانقراضهم، وتسلم السلطان صلاح الدين القصر بما فيه من الخزائن، وفرّق الجواري والموالي، بين أصحابه^(١) والتفصيل يطول.

وقال الفقيه عمارة يرثيهم، وبسبب هذه القصيدة قُتل.

قال ابن سعيد^(٢) ولم يسمع فيما نكبت به دولة بعد انقراضها أحسن منها وهي:

<p>وجيده بعد حسن الحلّي بالعطلي قدّرت من عشرات الدهر فاستقل تنفك ما بين قرع السنّ والخجل شقيت مهلاً أما تمشي على مهل على فجيعتها في أكرم الدول من المكارم ما أربى على الأمل نمامها أنها جاءت ولم أسل رأس الحصان بهاديه على الكفل وخلّة حرس من أعظم الخليل لك الملامة أن قصرت في عدلي عليهما لا علا صقّين والجميل فيكم جراحی ولا قرحي بمندمل في نسل آل أمير المؤمنين علي</p>	<p>رميت يا دهر كفت المجد بالشلل سعيت في منهج الراي العثور فإن جدعت مارنك الأقنى فانفك لا هدمت قاعدة المعروف عن عجل لهفي ولهف بني الأمال قاطبة قدمت مصرأ فأولتني جلائفها قوم عرفت بهم كسب الألو فومن وكننت من وزراء الدست حين سما ونلت من عظماء الجيش مكرمة يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة يا لله زر ساحة القصرين وابك معي وقل لأهليهما والله ما التحمت ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة</p>
---	---

(١) الخطط المقرزية ٣٩٩/٢.

(٢) في الخطط: «ابن سعد».

هل كان في الأمر شيء غير قسمة ما
وقد حصلت عليها واسم جدّهم
مررت بالقصر والأركان خالية
فملت عنها بوجهي خوف منتقدي
أسبلت من أسفي دمعي غداة خلت
أبكي علي مآثرات من مكارمكم
دار الضيافة كانت أنس وافدكم
وفطرة الصوم أن أضحت مكارمكم
وكسوة الناس في الفصلين قد درست
وموسم كان في يوم الخليج لكم
وأول العام والعيدين كان بكم
والأرض تهتّز في يوم الغدير كما
والخيل تعرض في وشي وفي شية
ولا حملتم قرا الأضياف من سعة الـ
ولا خصصتم ببرّ أهل ملّتكم
كانت مراتبكم للذمتين وللبيـ
ثم الطراز بتنيس التي عظمت
وللجوامع من أحباسكم نعم
وربّما عادت الدنيا بمعقلها
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم
ولا سقى الماء من حرّ ومن ظمأ
ولا رأى جنة الله التي خلقت
أئمتي وهداتي والذخيرة لي
تالله لم أوفهم في المدح حقهم
ولو تضاعفت الأقوال واستبقت
باب النجاة هم دنيا وآخرة
نور الهدى ومصابيح الدجا ومحل الـ
أئمة خلقوا نوراً فنورهم
والله لا زلت عن حبّي لهم أبداً

ملكتم بين حكم السبي والنقل
محمّد وأبوهم غير منتقل
من الوفود وكانت قبلة القبلي
من الأعادي ووجه الوذّ لم يمل
رحابكم وغدت مهجورة السبيل
تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل
واليوم أوحش من رسم ومن طلل
حال الزمان عليها فهي لم تحل
ورثّ منها جديد عندهم وبلي
يأتي تجملكم فيه على الجملي
فيهن من وبل جود ليس بالوشلي
يهتّز ما بين قصرىكم من الأسلي
مثل العرايس في حلي وفي حللي
أطباق إلا على الأكتاف والعجل
حتى عمتم به الأقصى من المللي
ضيف المقيم وللطاري من الرسل
منه الصّلات لأهل الأرض والدول
لمن تصدّر في علم وفي عمل
منكم وأضحت بكم محلولة العقل
ولا نجى من عذاب الله غير ولي
من كفت خير البرايا خاتم الرسل
من خان عهد الإمام العاضد بن علي
إذا أرتهنت بما قدّمت من عملي
لأن فضلهم كالوابل الهطل
ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
وحبّهم فهو أصل الدين والعمل
غيث أن رثت الأنواء في المحل
من نور خالص نور الله لم يفلي
ما أئخر الله لي في مدّة الأجل

قال المقرئزي: وبسبب هذه القصيدة تمحلت له الذنوب حتى قتل^(١).

وقال الصفدي في الغيث الذي انسجم: أن القاضي العويرس أحد أعيان العاضد رأى المسيح ﷺ في منامه مشرفاً عليه من السماء، فقال: الصّلب حقّ، قاله المسيح ﷺ: نعم، فقصر ذلك على معبر حاذق، فقال له: أنت تصلب، لأن المسيح قال: إنه حق وهو لم يصلب فما بقي إلا أن يكون أنت المصلوب، فصلب بعد أيام مع عمارة بسبب رثاء أهل القصر.

ثم قال: لا يبعد أن يكون القاضي الفاضل سعى في هلاكه وحرّض عليه، لأن صلاح الدين لما استشاره في أمره، وقال: ينفي، قال: يرجى رجوعه، قال يؤدب، قال: الكلب يسكت ثم ينبج، قال: يقتل، قال: الملوك إذا أرادوا فعلوا، وقام من فوره فأمر بصلبه مع القاضي العويرس وجماعة معه من شيعتهم، ولما أخذ ليشنق قال: مرّوا بي على باب القاضي الفاضل لحسن ظنه فيه، فلما رآه قام واغلق بابه، فقال عمارة:

عبد العزيز قد احتجب إن الخلاص من العجب

ثم شنق مع أولئك الجماعة يوم السبت ثاني شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسائة، رحمه الله بفضله.

ومن العجائب: أن عمارة ذكر في النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية في ذكر العادل بن الصالح بن رزيك، المذكور والده في حرف الطاء^(٢)، فقال: ومن محاسن أيامه وما يؤرخ عنها بل هي الحسنه التي لا توازي، بل اليد البيضاء التي لا تجازي، خروج أمره إلى والي الإسكندرية بتسيير القاضي الفاضل إلى الباب، فإنه غرس منه للدولة بل للملة شجرة مباركة متزايدة النماء، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

قلت: وكان حتفه برأيه وعلى يديه، وجازاه على منشوره فيه بنظمه في خشبة الشنق، وهكذا يصنع سوء الأصل وعداوة المذهب، وإلى الله المصير.

(١) الخطط المقرئزية ٣٩٧/٢ - ٣٩٩، الغدير ٤/٤١٤ - ٤١٥.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٨٧.

السيد عيسى بن لطف الله بن المظهر بن الإمام شرف الدين الحسنى
اليمنى المنجم الأديب^(*).

فاضل جمع من النجوم والأدب بين أبو معشر نسي معشره في النجوم، أو ابن يونس لتوحش وخالفته نجيات الهموم، وكان أفضل أهل اليمن في عصره بمعرفة الفلك، ومن جاء بعده فإنه في الحضيض، عن منال السماء، وكان شاعراً فاضلاً حسن المنادمة، وكان والده ممن أسرتهم عسكر الروم، صاحب اصطنبول لما استولوا على بلاد اليمن، قبيل قيام الإمام المنصور القاسم بن محمد، وكانوا حملوه ومعه عدة من أخوته وغيرهم إلى بلاد الروم، كما شرح هو في كتابه «روح الروح»، وكان نديم الأمراء الذين وجههم سلطان الروم لفتح اليمن، واختص بالوزير محمد وصنف له «روح الروح فيما كان بعد المائة التاسعة من الفتوح»^(١) «والنفة اليمنية في الدولة المحمدية»^(٢) ولم يخل من عصبية لهم في الكتابين بسبب احسانهم إليه، واللهي تفتح اللى، وهذان الكتابان، على نهج قلايد العقيان في التسجيع لا في حرية الألفاظ، وهما كافيان بفضلهم في الأدب، وكان صالح المعتقد، وسمعت أنه كان يرى رأي القطعية من الشيعة، وإنه ذكر أن الوزير محمد كان على هذه النحلة، وشعره قليل جيد، ومنه:

لا تلمني في حبّ أهيف كالغصن يغير الشموس في الإشراق
لدغتنى في حُبّه حيّة الوجه فما غير وصله من راق^(٣)

وما يعجبني جمع لفظ الشمس، وإن كان قد جاء قليلاً لأنها واحدة في

(*) عيسى بن لطف الله بن المظهر بن الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين، تنمة نسبه بهامش الترجمة رقم ٩٢.

ترجمته في:
خلاصة الأثر ٢٣٦/٣، بروكلمان، البدر الطالع ٥١٦/١، فهرس دار الكتب ٢٠٣/٥، نفة
الريحانة ٣٢٦/٣ - ٣٢٩، الفهرس التمهيدي ٣٩٧، الزهراء ٩٦/٥، الاعلام ط ١٠٧/٥/٤.

(١) يقع في جزئين، نسخة منه في خزنة الشيخ محمد نصيف بجدة.

(٢) في خلاصة الأثر: إسمه «الأنفاس اليمنية في الدولة المحمدية».

(٣) البدر الطالع ٥١٦/١.

المعنى والحسن، وأما القمر فإنه لما كان يكمل وينقص بحسب حيلولة الأرض بينه وبينها حتى لا يرى في السرار، فإنه يوهم أن المستهل غير الأول ولذا جمع كثيراً.

قال ابن نباتة:

وحوا بني تراب مصر وجلق كالغيم مرتكماً على أقمار
وكان السيد عيسى يميل إلى غلام جميل فبلغه أن الترك قتله في بعض تلك
الحروب، فقال يرثيه:

حييت يا ساجي الأجفان حيتنا
ومن كؤوس وأكواب مشعشعة
يا شادناً سفحت سمر القنا دمه
غالتك صحبتك لما قهقروا هرباً
وأفردوك لأسد ما فرايسها
من فتية من كماء الترك ما تركت
قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة
ظننت أن لقاءهم مثل دوركم
وما عرفت رجالاً قد نضت حنقا
قد كنت أهوى بأن تأوى إلى نظري
عذبتني بالجفا وقت الحياة وفي
ويح الذين تولوا عنك وانصرفوا
قبلت منك عذاب الحاليتين معاً
يا زهرة قطفت من بعد ما بسمت
لهفي على المقلة الكحلاء التي قصرت
والقامة اللدنة الآتي إذا اخطرت
كأنما رأسه لما بدا صنم
قد عطر السفح منه الدم حين جرى
لو شاهدته النصارى قال عالمهم:
لهفي عليه ولهفي منه وأكمدي
وكم حماني في وقت الحياة لما

وبالرضى من رحيم الخلق لقيتنا
ختامها المسك في الفردوس سقيتنا
واستأصل السيف منها الرأس والليتنا
ومزقوا فرعاً تلك الأما ريتنا
سوى الفوارس أو من كان منعوتنا
للرعد صولاتهم صوتاً ولا صيتنا
حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتنا
في كوكبان بهذا صرت ممقوتنا
لروح محربهم بيضاً مصاليتنا
فالآن من لي بجعل القلب تابوتنا
مما تك اليوم قد أحرمتني القوتنا
لو أنهم صبروا ما صرت مشبوتنا
حيّاً وميتاً فيا طول الجوى هيتنا
وزهرة غربت مذ وافت الحوتنا
عن سحر نفثتها أسحار هاروتنا
أو انشنت عاد غصن البان مبهوتنا
قد أبرزوه من الأبريز منحوتنا
كذا دم الظبي مهما صار مفتوتنا
قوموا انظروا قد حوى الناسوت لاهوتنا
كم قد حبا الصبّ بالهجران تشتيتنا
أشهى إلى مهجتي من نهر طالوتنا

فيا ابن جابر ما للهجر من سبب
سقى الآله ضريحاً أنت ساكنه
حتى يرى حول ذاك القبر مبتسماً
يشفي فؤاد الشجي إلا إذا احببتنا
وطف الغمايم لا تجفوا المواقيتنا
زهر الروابي حكى دراً وياقوتاً^(١)

وقوله: «من فتية من كمة الترك». والبيت الذي بعده لإبراهيم الغزي^(٢)
الشاعر المشهور ضمّنها واضطر إلى تغيير الأوّل، وأصله «وفتية»، وأجاد إبراهيم
فيهما بل لم تمدح الترك بأحسن منهما، وبعدهما أيضاً وهو معنى بديع:

مدت إلى النهب أيديهم وأعينهم وزادهم صغر الأحداق تشببتنا

وأما نهر طالوت فهو نهر الأردن بالشام، ولم يعلم له بحلاوة تزيد على
الأنهار، وإنما اللائق أن يقال أحلى من الخمر والعسل ومن نومة شوال، ونحو
ذلك وعذر المتنبّي أوضح من هذا مع ثقل لفظه «طالوت» وطوله وأتما يشبه النائل
القليل بنهر طالوت لمن أراد وليعذر الناظر فإن هذا الأديب يؤخذ عليه الخطأ.

وحكى لي السيد أحمد بن الحسين بن يحيى بن أحمد سيد الكوكباني^(٣):
أنه لم يصح قتل الغلام الذي رثاه بهذه الأبيات.

ومات السيد عيسى بن لطف الله في دولة الإمام المؤيد بالله بن المنصور
بعد وفاة والده المنصور بالله القاسم وزوال دولة الروم من اليمن، وأخبرت: إنه
وفد إلى المؤيد إلى شهارة باستدعائه إياه فأحسن إليه، وكان إذا اذكرت عنده
لفظات أطلقها في مؤلفاته مما يقدح في الدولة الإمامية، يستحي كثيراً.

وله غير ذلك من الأشعار كالقصيدة الرائية التي استغاث بمن أنشأها في
مديحه، فكشف الله عنه بركات ممدوحه بها كربه وزال غمه وهمّه، وأولها:

يا أخا أحمد في أفعاله أنت هارون لطفه المضري
يا عليّاه إلى سرح الغري يا سرياً دونه كلّ سري

ذكر فيها جملاً من فضائله صلوات الله عليه والذي حكى لي الحكاية عن
قتل الغلام، أعني السيد أحمد بن حسين شاعر متأدب.

(١) بعضها في البدر الطالع ١/٥١٦.

(٢) مرت ترجمته بهامش سابق.

(٣) ترجمته في نشر العرف ١/١٣٤ - ١٣٥.

وذكرت ما أنشدني لنفسه بجامع صنعاء سنة ١٣^(١):

يا غصن قد ملئت عني
جنيت حبة قلبي
وطال منك التجني
فصرت تجني وتجني
وأنشدني له في القول بالموجب:

تزوج المولى صلاح الهدى
صغيرة السن وقالوا لنا:
بغادة تخجل ظبي الفريق
تكلفت، قلت: بما لا يطيق

هذا أعف من قول برهان الدين المعمار المصري^(٢):

صغير نام على وجهه
قم فادخل العامود يا سيدي
وقال حكك، قلت: لا فائدة
فقال: لا تنخرم القاعدة

واستغفر الله من حكايات المجون.

وللسيد أحمد المذكور في واقعة حصلت في أهل يافع من قبيلة برط:

كنا نظن أمامنا مهدي الهدى
حتى جرى في أهل يافع ما جرى
يحمي الشوافع بالحسام القاطع
فغدوا ينادوا هل لنا من شافعي
وغير خفية التورية فإنهم شوافع.
ونسأله التوفيق وبه الثقة.

(١) كذا في الأصل.

(٢) مرت ترجمته بهامش سابق.

حرف الفاء

[١٢٨]

أم أيها فاطمة الزهراء إبنة رسول الله ﷺ أبي القاسم محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف (*) .

وأُمها سيدة نساء رسول الله ﷺ، وأقدمهنّ سابقة وصحبة وإيماناً، خديجة
بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدية القرشية .

ولدت فاطمة الزهراء صلوات الله عليها بعد البعثة بخمس سنين، وقبضت
بعد أبيها بنحو مائة يوم صلوات الله عليهم أجمعين .

وفضائلها مما يعجز عن سردها مثلي، وإنما ذكرتها للبركة وكفارة لما لا
يخلو عنه الكتاب من فضول العُجب، ورجاء شفاعتها .

وقال أبوها ﷺ: «ينادي منادي يوم الحشر، يا أهل الجمع، غُضُّوا أبصاركم
حتى تجوز فاطمة بنت محمد إلى الجنة، فتأتي على نجيب من نور، وقد حَفَّتْها
الملائكة، لهم زجل بالتسبيح والتقديس، وعليها قميص الحسين المخضوب
بالدم، فلا تدخل الجنة حتى يتقمم الله من واتريها»^(١) .

(*) جمعت شعرها د. ليلي محمد ناظم الحيايلى في بحث (فاطمة بنت محمد ﷺ) نشر في مجلة
المورد البغدادية مج ٢٤ لسنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م/١٤/٣٨ - ٤٤ .

ثم جمع شعرها وحققه كامل سلمان الجبوري بعنوان (ديوان فاطمة الزهراء ﷺ) ط بيروت
١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

(١) أنظر: مودة القربى ٣٢، المستدرک للحاكم ١٥٣/٣، مجمع الزوائد ٢١٢/٩، المناقب لابن
المغازلي ٣٥٥ حديث ٤٠٤، ٦٤ حديث ٩١، ينابيع المودة ٣٢٢/٢ - ٣٢٣ «بالفاظ مختلفة» .

وفي رواية أهل السنة: حتى تجوز على الصراط الممدود^(١)، وفيه دليل أن لا بد من المرور عليه، فلو سلم منه أحد لما مرّت عليه هذه الوليّة مع هذه الكرامة، لكن الله يسهله على هذه النفوس المطمئنة، وهو في اللغة الطريق وهو حقيقة جسر ممدود فوق واد جهنم، يهوي منه الكافر، خلافاً لأكثر المعتزلة، والقرآن والحديث يردّ عليهم.

وصحّ عنه عليه السلام أنه قال: «إن الله يغضب لغضب فاطمة»، وغير ذلك مما هو مشهور.

وهي سيدة نساء العالمين. كما أن مريم سيدة نساء عالمها^(٢).

وروى الشيخ أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة الحسين بن علي رضوان الله عليه: عن قنّب بن المحرز، أن فاطمة الزهراء كانت تكنى بأمّ أبيها^(٣)، وولدت لعلي عليه السلام الحسن والحسين وأسقطت المحسن بتشديد. المهملة المكسورة، قيل: لفرع السقيفة.

وذكر مجد الدين ابن الأثير الجزري في النهاية من شعر فاطمة الزهراء صلوات الله عليها بعد أخذ فدك من يدها تخاطب أباه [من البسيط]:

لو كنت شاهداً لم تكثّر الخطب	قد كان بعدك أنباء وهيئمة ^(٤)
واختلّ قومٌ فشاهدتهم فقد نكبوا	إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها
مذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب	تجهمتنا رجالاً واستخفت بنا
قوم تمنّوا فخصّوا بالذي طلبوا	فليت قبلك كان الموت صادفنا
لما مضيت وحالت دونك الحجب ^(٥)	أبدت رجالاً لنا فحوى صدورهم

(١) ن.م.

(٢) أنظر: حلية الأولياء ٤٠/٢، صحيح البخاري ١٤١/٧ (في حديث)، مسند أحمد ٢٨٢/٦ (في حديث) ينابيع المودة ٣٢١/٢.

(٣) الاغانى ١٤٥/١٦ ترجمة الحسين بن علي.

(٤) في كشف الغمة ١١٥/٢، بلاغات النساء ط النجف ١٤، ط القاهرة ١٨ شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ٢٤٨ - ٢٤٩، الزهرة ٨٨/٢. . . أنباء وهيئة.

(٥) النهاية لابن الأثير، بلاغات النساء ط النجف/١٤، ط القاهرة ١٨، مناقب آل أبي طالب، الزهرة ٨٣٨/٢، حسن الصحابة، أعلام النساء، العقد الفريد ٢٣٨/٣، كشف الغمة ١١٥/٢، شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ٢٤٨ - ٢٤٩، شاعرات العرب في الاسلام ١٠١.

وأُسند هذه الأبيات: غير ابن الأثير، لكنني ذكرت روايته لما كان من غير الشيعة.

ولمّا دفن رسول الله ﷺ جاءت فاطمة عليها السلام بعد يوم أو يومين حزينة باكية فألقت نفسها على قبره الشريف، وقالت [من الكامل]:

ماذا على من شمّ تربة أحمدٍ أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صبت عليّ مصائب لو أنّها صبت على الأيام عُدن لياليا^(١)

ولما توفيت الزهراء صلوات الله عليها دفنها علي عليه السلام بالبقيع ليلاً بوصية منها في ذلك التاريخ المذكور وقال يرثيها [من الطويل]:

لكلّ اجتماع من خليلين فرقةً وكُلُّ الذي دون المماتِ قليلٌ
وإن افتقادي فاطمًا بعد أحمدٍ دليلٌ على أن لا يدومُ خليلٌ^(٢)

ولها أيضاً أشعار مذكورة في السير قالتها في حياة النبي ﷺ.

وذكر الشريف النسابة ابن عنبه الحسني في «عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب» الذي ألفه لتمرلنك: إن أبا المحاسن نصر بن عنين الدمشقي^(٣) الشاعر المشهور توجه إلى مكة ومعه مال وثياب، فخرج عليه بعض بني داود الحسينيين أهل شجرة، فنهبوا ماله وجرحوه، فكتب إلى الملك العزيز طغتكين بن أيوب صاحب اليمن، وكان أخوه صلاح الدين قد طلبه للاستعانة على حرب فرنج الشام، فكتب إليه ابن عنين من قصيدة يعرضه على أولئك الأشراف، أولها:

أعيت صفات نذاك المصقع اللسنا وجرت في الجود حدّ الجود والحسنا
وما تريد بجسم لا حياة له من خلّص الزبد ما أبقى لك اللبنا
ولا تقل ساحل الافرنج أفتحه فما يساوي إذا قايسته عدنا

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية ٤٠٣/٢، مناقب آل أبي طالب ٢٠٨/١، سير أعلم النبلاء ٢/٩٧، بحار الأنوار ١٠٦/٧٩، السيرة الحلبية، حماسة الظرفاء.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ١٦٣/٣، سراج الملوك ٢٣، مروج الذهب ٢٩١/٢، كاملة في أنوار العقول قطعة ٣٤٢ وفيه تخريج المقطوعة من المصادر التي أوردتها.

(٣) مرت ترجمته بهامش سابق.

وإن أردت جهاداً روّ سيفك من
طهر بسيفك بيت الله من دنس
ولا تقل إنهم أبناء فاطمة
قوم أضاعوا فروض الله والسنننا
وما أحاط به من خسة وخنا
لو أدركوا آل حرب حاربوا الحسننا

فراى في منامه فاطمة صلوات الله عليها وهي تطوف بالبيت، فسلم عليها
فلم تجبه، فتضرع وتذلل وسألها عن ذنبه، فأنشدته:

حاشا بني فاطمة كلهم
وإنما الأيام في غدرها
فتب إلى الله فمن يقترف
أإن أسا من ولدي واحد
أكرم لعين المصطفى أحمد
فكلما نالك منهم غداً
من خسة تعرض أو من خنى
وفعلها السوء أساءت بنا
إثماً يتب يأمن مما جنا
تجعل كل السب عمداً لنا؟
ولاتهن من آله أعيننا
تلقى به في الحشر منا منى

قال أبو المحاسن: فانتبهت من نومي مرعوباً وقد أكمل الله عافيتي من
الجراح والمرض، وكتبت الأبيات وحفظتها وتبت إلى الله تعالى مما قلت وقطعت
تلك القصيدة، وقلت:

عذراً إلى بنت نبي الهدى
وتوبة تقبلها من أخي
والله لو قظعني واحد
لم أر ما يفعله سيئاً
يصفح عن ذنب مسيء جنى
مقالة توقعه في الخنا
منهم بسيف البغي أو بالقنا
بل إنه في الفعل قد أحسننا^(١)

قلت: ظهر بهذا المنام أن سرّ الزهراء صلوات الله عليها ملاحظ لذريتها،
وأنا أسأل الله بجاهها أن يجعلني ممن ينفعه خالص ودادها في الدنيا والآخرة،
وظهر لهذا هذا النظام الجوهري الذي ارتجلته، وما أحسن في آخره منا منى،
وبان به إن أبا المحاسن ابن عنين دان بالتشيع، فنشير إلى بعض أخباره.

وذكر ابن خلكان: إنه كان أشعر أهل الشام في وقته، وأعرفهم بنقد الشعر
وكان هجاء وله قصيدة سماها «مقراض الأعراض» جمع فيها خلقاً من أهل

(١) عمدة الطالب ١٣٠ - ١٣٢، ديوان ابن عنين ١٠٢ - ١٠٣، جواهر العقدين في فضل الشرفين ٢/
٢٧٠ - ٢٧١.

دمشق، وبسببها نفي عنها ودخل إلى اليمن والهند^(١).

وله القصيدة المشهورة يتشوق فيها دمشق ويذكر متنزهاتها وهو بالهند ومن أوائلها:

حنينٌ إلى الأوطانٍ ليس يزولُ
أبيثُ وأسرابُ النجوم كأنها
أراقبها في الأفق من كل مطلع
فيا لك من ليلٍ نأى عنك صبحةُ
أما لعقودِ النجم فيه تصرُّمٌ
كأن الثريا غرةٌ وهو أدهمٌ
ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً
وهل أريني بعد ما شطتِ النوى
دمشقُ فبي شوقٌ إليها مبرحُ
بلادُ بها الحصباءُ درٌّ وتربها
تسلسلَ فيها ماؤها وهو مطلقٌ
فياحبذا الروضُ الذي دونَ عبريا^(٢)
ويا حبذا الوادي إذا ما تدفقتُ
وفي كبدي من قاسيون حرارةً
وهي طويلة طنّانة، وأذن له بالعود بسببها فعاد إلى دمشق^(٤).

ومن شعره في فقيهين ينز أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس تناظرا بدمشق:

(١) في هامش نسخة ب: «ولما نفاه السلطان صلاح من دمشق بسبب القصيدة قال:

«فعلام أبعثتم أخا ثقة
لم يجترم ذنباً ولا سرقاً
انفوا المؤذن من بلادكم
أن كان ينفي كل من صدقاً»
وفيات الأعيان ١٤/٥ - ١٥.

(٢) في ديوانه: «عزّتا»، وفي نخبة الدهر ١٩٩: «إقليم غرّتا» بالغين والراء مصحفاً عن عزّتا، وإنه من إقليم دمشق، مثل: إقليم الغوطة، وإقليم المرج، وإقليم داريا...

(٣) كاملة في ديوانه ٦٨ - ٧٢.

(٤) في هامش ب: «وفي عودته يقول:

هجرت الأكابر من جلق
وأخرجت منها ولكنني
ورعت الوضيع بسبب الرفيع
رجعت على رغم أنف الجميع»

البغلُ والجاموسُ في جدليهما
برزا عشية ليلة فتبارزا
صدا ابقيا غير الصباح كأنما^(١)
لفظ طویل تحت معنی قاصر
قلت: هذا الاستطراد من أنفـس أنواع البديع، ولا شيء أعجب من التهكم
بذكر الشاعر بعد الاسم، وقد مضى قول أبي تمام وتبعه البحرى فيه وأول من
فتحـه فيما أحسب السموأل بقوله:

قد أصبحا عظة لكل مناظر
هذا بقرنتيه وذا بالسحافر
لقنا جدال المرتضى ابن عساكر
كالعقل في عبد اللطيف الشاعر^(٢)
وإنما لقوم لا نرى القتل سبة
إذا ما رأته عامر وسلول
ومن غرائب قول الحريري^(٣) في مجلس قرواش وسيأتي.

واتفق لي بمكة المشرفة أن رجلاً من أعيانها يعرف بالمرشدي يدعى علم
النحو وغيره.

ورأيتـه بمجلس الشريف الأجل أحمد بن مسعود الحسنـي فسألته عن المسألة
التي سأل بها الشيخ تاج الدين الكندي وقد ذكرتها عند ذكره في الزاي^(٤)،
فأجاب بالنصب لربه فبينت له الخطأ وسألته التثبت وأمهله أياماً، واجتمعت به
هناك أيضاً فأعملها ولم يحسن الإعراب ثم صمم وأظهر الحمق المشهور عنه،
فكتبت في الحال في ظهر كتاب للشريف:

ولقد بليت بغادة فتانة
سفرت بوجه كالهلال مكمل
ويهزها مرح الصبا لما انثنت
جعلت بقلبي مثل خفق شنوفها
ولا بن عنين في طيب كحال:

لو أن طلاب المطالب عندهم
لأتوا إليك بكل ما أمّلتـه
علم بأنك للعيون تغور
منهم وكان لك الجزاء الأوفر

(١) في ديوانه: «ما أحكما غير الصباح كأنما».

(٢) ديوانه ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٣) علي بن محمد الحريري، ترجمه المؤلف برقم ١٢٢.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٧٦.

ودعوك بالصَّبَاغَ لَمَّا أَنْ رَأَا
ويكفك الميلُ الذي يحكي عصى
ولأبي الحسن مهيار في مثله:

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبه
وإذا انظرت رأيت من عميانه
هذا ممّا لا طاقة لأحد على مثله.

وما أحسن قول الحكيم ابن دانيال الكحال:

يا سائلي عن حرفتي في الوري
ما حال من درهم إنفاقه
والله يغفر لنا بمتّه وكرمه.

[١٢٩]

أبو العباس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، وهو عبد العزى
ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي الحجازي (*).

فاضل غاص في بحور الشعر غوص الحوت وهو شمس، وأفحم قرناه

(١) معجم الأدباء ٨٧/١٩، ديوانه ٢٤٠.

(٢) في هامش ج بعدها: «ومن شعر ابن عنين المقطوع السائر، قاله للسبب المشهور، وإن تكن من هذا:

ما كلُّ من تسمى بالعزيز لها
بين العزيزين بون في فعالهما
أهلاً ولا كلُّ برقٍ سحبة غدقة
هذاك يُعطي وهذا يأخذ الصدقة»
ديوانه ٢٢٣.

(*) جمع شعره وحققه الاستاذ مهدي عبد الحسين النجم ونشره في مجلة البلاغ الكاظمية السنة ٦/ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ع ٧ وما بعده.

ترجمته في:

الآغاني ١٦/ ١٨٥ - ٢٠٤، التبريزي ١/ ١٢٠، شرح العيون ١٩١، نسب قريش ٩٠، سمط اللآلي ٧٠١، الأمدي ٣٥، رغبة الأمل ٢/ ٢٣٧، ٨/ ١٨٣، الدرجات الرفيعة، شرح الكامل للمرصفي، أعيان الشيعة ٤٢/ ٢٨٥ - ٢٩٠، الاعلام ط ٤/ ٥/ ١٥٠، أدب الطف ١/ ١٢٦ - ١٢٩، الطليعة - خ - ترجمة رقم ٢١٧.

بفصاحته فلا يسمع لهم همس، ولقي منه ابن أبي ربيعة هواجر الصيف، وليس يفرق إلا الحاذق بين مقوله والسيف، وهو أحد شعراء الأغاني.

وقال أبو الفرج الأصبهاني: كان أحد شعراء بني هاشم وفصحائهم، وكان آدم اللون، وله في ذلك:

وأنا الأخضر من يعرفني
من يساجلني يساجل ما جد
إنما عبد مناف جوهر
كل قوم صيغة من ورقهم
نحن قوم قد بنى الله لنا
بنسبي الله وابني عمه
أخضر الجلدة في بيت العرب^(١)
يملاً الدلو إلى عقد الكرب
زَيْنَ الجوهَرَ عبدُ المطلبِ
وينو عبد مناف من ذهب
شرفاً فوق بيوتات الشهب
وبعبّاس بن عبد المطلبِ

وكان بنو هاشم قبل خلافة المنصور كلهم شيعة، فلما أساء إلى بني حسن وقتل بعضهم أدخل بينهم الشحناء فافترق اعتقادهم.

وكان للفضل مع عمر بن أبي ربيعة قصة ظريفة حكاها أبو الفرج في الأغاني قال: إن عبد الملك بن مروان قال لعمر بن أبي ربيعة^(٢): أخبرني عن منازعتك الفضل اللهبي في المسجد الحرام فقد بلغني ذلك وأحببت أن أسمع منك، قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينما أنا جالس في المسجد الحرام مع جماعة من قريش دخل علينا الفضل فسلم وجلس ووافقني وأنا أتمثل بهذا البيت:

وأصبح بطن مكة مقشعراً
كان الأرض ليس بها هشام

فأقبل عليّ، وقال: يا أخا بني مخزوم والله إن بلده تبحيح بها عبد المطلب، وبعث بها رسول الله ﷺ، واستقر بها بيت الله لحقيقة أن لا تقشعر لهشام، وإن أشعر بيت من هذا البيت وأصدق لقول الذي يقول:

إنما عبد مناف جوهر
زَيْنَ الجوهَرَ عبدُ المطلبِ^(٣)

فأقبلت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، إن أشعر من صاحبك الذي يقول:

(١) الاغاني ١٦/١٨٥، كاملة في شعره القطعة ٥٣، أنظر تخريجها.

(٢) مرت ترجمته بهامش سابق.

(٣) أنظر: شعره/ القطعة ١٥.

إن الدليل على الخيرات أجمعها وأجمع الناس للخيرات مخزوم
فقال لي: بل أشعر من صاحبك الذي يقول:

جبريل أهدى إلى الخيرات أجمعها إذ أم هاشم لا أبناء مخزوم^(١)
فقلت في نفسي: غلبني والله، ثم حملني الطمع في انقطاعه عني، بأن
قلت: بل أشعر منه الذي يقول:

أبناء مخزوم الحريق إذا حركته تارة ترى ضرما
يخرج منه الشرار مع لهب من حاد عن حره فقد سلما
فوالله ما تلعث^(٢) أن أقبل عليّ بوجهه، فقال: أشعر من صاحبك الذي
يقول:

هاشم بحر إذا سما وطما أحمد حر الحريق والضرما
فاعلم وخير المقال أصدقه بأن من رام هاشم هاشما^(٣)

فتمنيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرض ساخت بي، ثم تجلّدت عليه
فقلت: يا أخا بني هاشم، أشعر من صاحبك الذي يقول:

أبناء مخزوم أنجم طلعت للناس تجلو بنورها الظلما
يجود بالنيل قبل تسأله جوداً هنيئاً وتضرب البهما^(٤)

فأقبل عليّ كأسرع من اللحظة وقال: أشعر من صاحبك وأصدق الذي
يقول:

هاشم شمس بالسغد مظلعا إذا بدت أخفت النجوم معا
اختار منها ربي النبي فمن قارعنا بعد أحمد قرعاً^(٥)

فاسودت الدنيا في عيني وديرتي وانقطعت ولم أجد جواباً.

(١) الاغاني ١٦/١٨٧، بدائع البدائة ١/٢٦، الدرجات الرفيعة ٥٦٠، شعره/ القطعة ٤٤.

(٢) تلعث: توقف.

(٣) الاغاني ١٦/١٨٧، بدائع البدائة ١/٢٦، الدرجات الرفيعة ٥٦٠، شعره/ القطعة ٤٣.

(٤) البهمة: الشجاع، وقيل: هو الفارس الذي لا يدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه، والجمع بهم، وقيل: هم جماعة الفرسان «لسان العرب/ مادة بهم».

(٥) الاغاني ١٦/١٨٨، بدائع البدائة ١/٢٧، الدرجات الرفيعة ٥٦٠، شعره/ القطعة ٣٦.

قلت له: يا أخا بني هاشم، إن كنت تفخر علينا برسول الله فما تسعنا مفاخرتك؟ قال: كيف؟ لا أم لك، والله لو كان منك لفخرت عليّ به، فقلت: صدقت وأنه لموضع الفخار ﷺ، واستغفر الله، وداخمني السرور لقطعه الكلام، ولثلاً يعوزني جوابه فأفتضح، ثم إنه ابتداء المنازعة، وأفكر قليلاً ثم قال: قد قلت فاسمع، فلم أجد بُدّاً من الاستماع، فقلت: هات، فقال:

نحنُ الذين إذا سما لفخارهم
أفخر بنا إن كنت يوماً فاخراً
قل يا ابن مخزوم لكل مفاخر
ماذا يقول ذوو الفخار هنا لكم
ذو الفخر أقعده هناك القعد
تلق الألى فخوروا لفخرك أفردوا
منا المبارك ذو الرئاسة أحمد
هيهات ذلك، هل يُنال الفرقد^(١)

فحصرت وتبلدت ثم تحاملت وفكرت ملياً ثم قلت:

لا فخر إلا قد علاه محمد
أن قد فخرت وفقت كل مفاخر
ولنا دعائم قد بناها أو سل
من رامها حاشى النبي وآله
دع ذا ورخ لغناء خود بضّة
مع فتية تندی بطون أكفهم
يتناولون سلافة عانية
فإذا فخرت به فإني أشهد
وإليك في الشرف الرفيع المعمد
في المكرمات جرى عليها المولد
في الأرض هاج بها الخليج المربد
مما نطقت به وغنى معبد^(٢)
جوداً إذا هز الزمان الأنكد^(٣)
طابت لشاربها وطاب المقعد

فوالله يا أمير المؤمنين، لقد جاؤني بجواب كان أشد عليّ من الشعر، قال لي: يا أخا بني مخزوم أريك السهي^(٤) وتريني القمر، وتخرج من المفاخرة إلى شرب الخمر المحرمة، فقلت له: أما علمت أصلحك الله أن الله يقول: «والشعراء يتبعهم الغاؤون» إلى قوله تعالى «وإنهم يقولون ما لا يفعلون»^(٥) قال:

- (١) الاغاني ١٦/١٨٩، بدائع البداة ١/٢٧، الدرجات الرفيعة ٥٦٠، شعره/ القطعة ٢٣.
(٢) الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً. وقيل: الجارية الناعمة، والجمع خودات وخود. (اللسان مادة خودج ٣ ص ١٦٥) - بضم الجلد: ناعمة.
(٣) هر: ساء خلقه واشتد.
(٤) السهي: كوكب خفي من بنات نعر الصغرى.
(٥) سورة الشعراء: الآيات ٢٢٤ - ٢٢٦.

صدقت ولكن قد استثنى قوماً منهم فقال: «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات»^(١) فإن كنت منهم فقد دخلت في الاستثناء، واستحققت العقوبة بدعائك إليها، وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمر، فقلت أصلحك الله، لا أرى للمستجدي شيئاً أصلح من الكذب، فضحك وقال: استغفر الله العظيم وقام عتاً. فضحك عبد الملك وقال: يأبن أبي ربيعة، أما علمت أن لبني عبد مناف ألسنة لا تطاق^(٢).

قلت: هذا من أخبار الفضل كافي، والله يعين بمنه وكرمه.

[١٣٠]

أبو شجاع، عَضُدُ الدَّوْلَةِ، فَتَاخُسْرُو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بُوَيْه بن فَتَاخُسْرُو بن يمام بن كوهي بن شيرين الإصغر بن شيركوه بن شيرين الأكبر بن مير شاه بن شيروين بن شاهنشاه بن شيس بن قزوين ابن شيروين بن غيلاد بن بهرام جور الحكيم بن يزدجرد بن بهرام بن لوما شاه بن سابور ذي الأكتاف الساساني الديلمي^(*).

وساق نسبه هكذا أبو إسحاق الصابي في التاجي الذي ألفه بأسمه، لأن من ألقاب عضد الدولة تاج الملة الملك الكبير: وهو أول من تسمى بالملك في ملة

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(٢) الاغانى ١٦/١٩٦ - ٢٠١.

(*) ترجمته في:

الكامل لابن الأثير ٧/٨٠، ٩٠، ١١٣ وج ٨ و٩، بغية الوعاة ٣٧٤، وسير النبلاء - خ - الطبعة العشرون وفيه: «وجد له في تذكرة: إذا فرغنا من حل إقليدس تصدقت بعشرين ألف درهم، وإذا فرغنا من كتاب أبي علي النحوي تصدقت بخمسين ألفاً. وإن ولد لي ابن تصدقت بكذا وكذا»، وابن الوردي ١/٣٠٥، وفيات الأعيان ٤/٥٠ - ٥١، البداية والنهاية ١١/٢٩٩، مرآة الجنان ٢/٣٩٨، يتيمة الدهر ٢/٢١٦ - ٢١٩، روض الأخبار المختصر من ربيع الأبرار - خ -، شذور العقود، المنتظم ٧/١١٣، النجوم الزاهرة ٤/١٤٢، السلوك ١/٢١، ٢٨، الفرج بعد الشدة، الخطط المقرئية، سير النبلاء للذهبي، التاجي لابي إسحاق الصابي، العبر للذهبي ٢/٣٦١، الطليعة - خ - ترجمته رقم ٢١٩، أعيان الشيعة ٤٢/٣١٠ - ٣١٢، مناقب آل أبي طالب، أنوار الربيع ٤/٢٥٥، تأسيس الشيعة ٨٩، ماضي النجف وحاضرها ١/٤٣، الاعلام ط ٤/١٥٦، وله أخبار في تجارب الأمم وذيله، وتكملة الهمداني، تمة اليتيمة ١١١ - ١١٣.

الإسلام، ملك أذعن لطاعته كل صعب القياد، ولان لهيبته حتى الصّفوان الجماد، وتهلّل بدولته خدّ السيف ورقص الذابل، ودعى له بالنصر قلب الجيش فأمن الصاهل، جمع الفضل وفرّق المال، ولاح بدرأ للسعادة فحكمت العليا له بالكمال، وكان يجمع إلى لباس السخاء ويرسل مع الزعزع إلى العدا للأولياء الرخاء، ولم يبلغ أحد من أهله شأوه، فإنه أحاط بما بين بحيرتي طبرية وساوة.

كما أشار إليه ابن خلكان، وقال: إنه ملك ما ملكوه وملكهم معروف في التواريخ وضمّ إلى ما كان لهم الموصل والجزيرة، وملك دمشق وخطب له بحلب وملك فارس وكرمان والبحرين وأصفهان وبغداد والبصرة وما إليهما والأهواز^(١).

وذكر ابن الجوزي في شذور العقود: إن معز الدولة أحمد وهو أصغر الأخوة، كان في أوّل أمره يحمل الحطب على رأسه، ثم ملك هو وأخوته البلاد وآل أمرهم إلى ما آل، ودانت لعضد الدولة البلاد والعباد، ودخل في طاعته كل صعب القياد، وهو أوّل من خطب له ببغداد بعد الخليفة، وكان فاضلاً محبباً للفضلاء، مشاركاً في عدة فنون، شاعراً أديباً.

وكان الشيخ أبو علي الفارسي ألف كتاب «الإيضاح والتكملة في النحو» وسأله يوماً في ميدان شيراز، فقال له عضد الدولة: إذا قلنا جاء القوم إلا زيداً، فما الناصب لزيد؟ قال أبو عليّ العامل المقدر ومعناه استثنى زيداً، قال عضد الدولة فهلاً رفعت زيداً وقدّرت العامل امتنع زيد، فأفحم أبو عليّ وقال: هذه مسألة ميدانية، ورجع أبو عليّ إلى منزله وصنع رسالة أوضح فيها الحجّة على نصب المستثنى وسيرها إليه.

وكان عضد الدولة من كبار الشيعة وأخذ عن الشيخ المفيد ابن النعمان فقيه الإمامية، وكان يزوره في موكبه العظيم ولا يفتيه غيره.

وأمره بعمارة مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام بالنجف، وعمل عليه قبة مزخرفة، ووقف عليه الأوقاف الواسعة، وأوصى أن يقبر بجواره فنفذت وصيته، وكان كريماً ممدوحاً، مدحه مشاهير الشعراء مثل: أبي الطيّب قصده من مصر كما سلف، والسلامي وابن الحجاج، وأضرابهم.

(١) التاجي.

وذكر ابن خلكان: أن السلامي لما قصد من بغداد إلى فارس، وكان
السلامي عين شعراء العراق وقت أقبال سعادته فأنشد قصيدة منها:

إليك طوى عرض البسيطة عاجلاً قصارى المطايا أن يلوح لها القصرُ
وكنت وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثة أشياء كما اجتمع النسْرُ
وبشرت آمالي بملك هو الوري ودار هي الدنيا ويوم هو الدهرُ

قال: وعلى الحقيقة هذا هو الشعر والسحر الحلال على ما يقال، وقد أخذ
المعنى القاضي أبو بكر أحمد الأرجاني فقال:

يا سائلي عنه لما جئت أمدحهُ هذا هو الرجل العاري من العارِ
لقيته فرأيت الناس في زحلٍ والدهر في ساعة، والأرض في داري

ولكن أين الثرى من الثريا؟ قال: وهذا المعنى موجود في قول المتنبي:

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق^(١)

لكنه ما استوفاه، فإنه ما تعرض لذكر اليوم الذي جعله السلامي هو الدهر،
ومع هذا فليس له طلاوة بيت السلامي^(٢).

قلت: لقد أحسن ابن خلكان الانتقاد وأيضاً معنى «وأنت الخلائق» موجود
في قول أبي نواس:

وليس لله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحدٍ

وإنما أخذه أبو نواس من قول النبي ﷺ للأنصاري الذي قال لمن سأله عن
قتلى بدر: وهل لقينا إلا عجائز صلعا فنحرنها؟ فقال النبي ﷺ: يا بن أخي
أولئك الملا.

وقال الثعالبي في اليتيمة: أنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب أبياتاً لعضد
الدولة ومنها [من البسيط]:

يا طيب رائحة من نفحة الخيري إذا تنفس جلاباب الدياتيرِ

(١) ديوان المتنبي ٧٠.

(٢) وفيات الأعيان ٥٢/٤ - ٥٣.

(٣) يتيمة الدهر ٢١٨/٢.

كأنما رشّ بالماورد واعتبقت
كأن أوراقه في القدّ أجنحة
به دواجن تدخين وتبخير
صفر وبيض وحمرة من زنابير^(١)

ولقد أجاد تشبيهه وأحسن الغرابة، وأورد له من قصيدة [من الرمل]:
ليس شرب الراح إلا في المطر
مبرزات الكأس من مطلعها
وغناء من جوار في السحر
ساقيات الراح من فاق البشر
فائقات في تضاعيف الوتر
عضد الدولة وابن ركنها
ملك الأملاك غلاب القدر

وذكروا: إنه لم يفلح بعد قوله «غلاب القدر».

وقال ابن خلكان: أن الفتكين ويكنى أبا منصور وكان نائب عضد الدولة بدمشق كتب إليه: إن الشام قد صفى وصار في يدي، وزال عنه حكم صاحب مصر، وإن قويتني بالمال والعدد حاربت القوم في مستقرهم، فكتب عضد الدولة جوابه هذه الكلمات الوجيزة وجمعها من الجناس الخطي وإنما تبين بالضبط، وهي: «عَرَكَ عَزَّكَ فصار قُصاراً ذلك ذلك، فاحْشَ فاحِشَ فِعْلَكَ، فعَلَّكَ بهذا تُهْدَى^(٢) والسلام» وهذه تكفيه في البلوغ في أعلى طبقات البلاغة.

وكان الفتكين المذكور مولى معز الدولة بن بويه، فغلب على دمشق وهي حينئذ للعزیز بن نزار بن المعز، فقصده المعز بنفسه، فالتقى الجيشان وجرت مقتلة عظيمة، فانكسر الفتكين وتحصن في الرملة، وأعان الفتكين بعض قرامطة الشام الثائرين تلك الأيام، وقصته طويلة بسطها المقرئ، ولما فرّ الفتكين قطع عليه الطريق دغفل بن الجراح الطائي البدوي، وحمله إلى العزيز وفي عنقه حبل، فأطلقه وأمر بمداوات جراحه وخلع عليه، فأقام يسيراً مكرماً ثم مات، فكانت هذه الفعلة تعدّ من مناقب العزيز^(٣).

وذكر أبو علي المحسن التنوخي في كتاب «الفرج بعد الشدة» نكتة غريبة وقعت لعضد الدولة، وفيها ما دلّ على عناية أمير المؤمنين عليه السلام بمحببيه قال:

(١) يتمية الدهر ٢/٢١٨.

(٢) رفيات الأعيان ٤/٥٣.

(٣) رفيات الأعيان ٤/٥٤، الخطط المقرئية.

حَدَّث عَضد الدولة، قال: حدثني أُمِّي أَنها كانت ولدت لأبي ابناً كناه أبا دلف فعاش مدة يسيرة ومات، قالت: فجزعنا عليه، ولحقني جزع كاد يأتي على نفسي إشفاقاً من أن ينقطع عقبي من ركن الدولة، ولما في طبع النساء من استنكار المصائب، ثم أن مولاي ركن الدولة سلاني وأقبل عليّ وتناولت الأيام فسلوت، وإني بعد ذلك ونحن بأصبهان حملت حملاً فلما تحرك في فؤادي لحقني من الخوف والجزع والقلق أعظم شيء خوفاً أن ألد بنتاً فتقطع في الحقيقة رؤيتي لركن الدولة فضلاً عما سواها، لشدة كراهته في الأناث ركنت أعزّي نفسي بالمُنَى، إلى أن دخلت في شهري فلم تقربي الأرض خوفاً وجزعاً، وأقبلت على البكاء بين يدي الله عزّ وجلّ والصلوة أكثر الليالي، وأصليّ وادعو فلما كان في بعض الليالي أكثر الدعاء ونمت على حصير المحراب، وكنت قد ثقلت فرأيت في نومي كأن شخصاً نظيفاً، عريض اللحية والأكتاف أعين، قد دخل عليّ فلما تبينت صورته علمت أنها غير صورة ركن الدولة فارتعبت وقلت: يا جوارِي من الذي يتجاسر أن يدخل على غير مولاي ركن الدولة؟ فتسارعت الجوارِي نحوه فزجرهن وقال: أنا علي بن أبي طالب، فقامت أسعى إليه وقبّلت الأرض بين يديه، فقال: لا تفعلي، فقلت: يا أمير المؤمنين قد ترى ما أنا فيه فادع الله عزّ وجلّ أن يجعل حملي ذكراً سوياً فقال: يا فلانة باسمي قد فرغ الله من ذلك، إنك ستلدين ولداً ذكراً سوياً نجيباً سعيداً ذكياً عاقلاً، بارعاً في الآداب والعلوم، كثير المال، عظيم الذكر على السلطان، عزيز الشأن، شديد البطش جليل الخطر في الملوك، متيقظاً في سياسته يملك هذه البلاد وفارس وكرمان والبحرين والعراق وعمان والحيرة إلى حلب ويكون من حاله كذا، ويملك كذا ويسوس الناس بالرهبة والرأي ويغلب الأعداء، ويكون من أعظم الملوك شأناً، وأكثرهم مالاً وفتوحاً، وذكر شيئاً طويلاً ووصف أشياء كثيرة، ويعيش كذا وكذا سنة، ويملك بعده ولده، ويكون من حالهم كذا وكذا، ويكون آخر من يملك منهم شيخ ينتقل الملك على يده.

قال عضد الدولة: فلما تذكرت هذا المنام وتذكرت أمري وجدته كما قال حرفاً بحرف، ومضت السنون وانتقلت إلى فارس لما استدعاني عماد الدولة واستخلفني عليها ونشأت وصرت رجلاً، ومات أبي، وخدمني أبو الحسين الصوفي المنجم، وكان أبو الحسين قد علم المنام فاعتلت علة صعبة أيس مني

فيها الطيب وأيست من نفسي، وكان تحويل سنتي تلك ردياً جداً، وزادت العلة حتى أمرت أن يحجب الناس كلهم ولا يصل إليّ أحد البتة إلا صاحب النوبة في أوقات، ومنعت الطيب أيضاً وأقمت ثلاثة أيام أو أربعة أيام وأنا أبكي نفسي في خلواتي، إذ جاءني صاحب النوبة فقال: أبو الحسين الصوفي منذ الغداة يطلب الوصول وقد جهدت به في الإنصراف من كل طريق وجميل ولم ينصرف وقال: لا بد لي من الوصول إليه، وقد عرّفته أن قد رسم لي أن لا يصل إليه أحد من خلق الله اجمعين، فقال: الذي قد حضرت به بشارة ولا يجوز لي تأخيرها فعرفه هذا واستأذنه في وصولي، فقلت له بصوت ضعيف وكلام خفيّ: يريد أن يقول بلغ الكوكب الفلاني المكان الفلاني ويهذي عليّ بهذا الجنس بما يضيق به صدري، ويزيدني به على ما أنا فيه وما أقدر على سماع كلامه، فانصرف فخرج الحاجب ورجع متعجباً وقال: إما أن يكون أبو الحسين قد جنّ أو معه أمر عظيم فإني عرفته ما قال مولانا، فقال: ارجع إليه فقل له، والله لو أمرت بضرب عنقي ما انصرفت أو وصلت إليك، والله ما أكلمك في معنى النجوم بكلمة واحدة، فعجبت من ذلك عجباً شديداً مع علمي بعقل أبي الحسين، وإنه ممّن لا يمخرق عليّ في شيء، وتطلعت نفسي إلى ما يقول وقلت أدخله، فلما دخل قبل الأرض وبكى وقال: أنت والله في عافية واليوم تبرأ، ومعني معجزة بذلك، فقلت: وما هي؟ قال: رأيت البارحة أمير المؤمنين علياً عليه السلام والناس يهرعون إليه ويسألونه حوائجهم وكأنني تقدمت إليه فقلت: يا أمير المؤمنين أنا رجل غريب في هذه البلاد، تركت نعمتي بالريّ وتجارتي، وتعلقت بخدمة هذا الأمير الذي أنا معه، وقد بلغ إلى حدّ اليأس من العلة، وقد أشفقت من هلاكه فأهلك بهلاكه فادع الله تعالى بالعافية له، فقال: تعني أبا الحسن بن بويه؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: إمضِ إليه غداً وقل له: أنسيت ما أخبرتك به أمك عني في المنام وهي حامل، أو ليس قد أخبرتها مدة عمرك، وإنك مستعتل كذا وكذا يوماً علة تياس فيها أطباؤك وأهلك ثم تبرأ، وأنت تصخّ من هذه العلة غداً، وتتزايد غلّتك وصلاحك، وتركب عادتك، ولا قطع عليك قبل الأجل الذي أخبرتك به أمك عني.

قال عضد الدولة: وكنت قد أنسيت المنام وإن أمي قالت لي في المنام إذا بلغت هذه السنة تمرض، فحين سمعت الحديث حدث لي في نفسي قوة في

الحال ونشاط فقلت: إقعدوني، فجاء الغلمان فأقعدوني على الفراش، واستعدت حديث أبي الحسين فأعاده، فقويت نفسي أيضاً، وتولدت لي شهوة الطعام، واستدعيت الأطباء فأشاروا بتناول غداء وصفوه، فعمل في الحال فأكلته، ولم ينقضي اليوم الذي قال عنه أبو الحسين حتى تأتى من الصلاح أمر عظيم، فأقبلت العافية وركبنا، وعاودت عاداتي.

وكان عضد الدولة يقول: كنت أشتهي أن لا يكون في المنام شيء، وكنت اشتهي أن يكون فيه شيء، أما ما كنت أشتهي أن لا يكون فيه شيء فإنه وقف على حلب ولو كان عنده أن أملك شيئاً وراء ذلك لقاله، وأخاف أن يكون حدّ ملكي من تلك الناحية، وذلك لما جاءني الخبر بإقامة سيف الدولة الدعوة لي وأعمالها ودخوله تحت طاعتي، فذكرت المنام فتنغصّ عليّ لأجل هذا الاعتقاد.

وأما ما كنت اشتهي أن يكون فيه فكنت اشتهي أن أعلم من هذا الذي يملك من ولدي وهو شيخ ويتقل الملك على يديه.

وعاش عضد الدولة بعد ذلك سنين.

وقال الذهبي في «سير النبلاء» في سبب موته أنه نام في مجلس الأُنس وكانت الشموع تشتعل، واستغرق في نومه فسقطت شمعة فاحترق الفراش، ودبت النار في الآلات والستور حتى أظلم المجلس بالدخان، فانتبه فرأى المجلس يشتعل بالنار والدخان، فحصل له صرع وتتابع حتى مات به.

وكان يفرع من حاجبه إذا دخل عليه.

ومن المواعظ: أن ملكاً صار يفرع من خادمه وملك الروم يهابه ويهاديه.

وتوفي يوم الاثنين ثامن شوال سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة ببغداد، رحمه الله تعالى، ودفن بدار الملك، ثم نقل إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام فدفن به، وعمره سبع وأربعون سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام.

ومن مآثره البيمارستان العضدي في الجانب الغربي من بغداد وليس له في الدنيا نظير، واعدّله من الآلات ما يقصر عنها الوصف.



وكان أول ظهور قبر أمير المؤمنين علي في أيام هارون الرشيد كما ذكر أبو علي التنوخي في «الفرج بعد الشدة» ولظهوره قصة ذكرها هناك، وكانت الحكمة في إخفائه علمه بتولي بني أمية، فخشي أن ينشوه لشدة عداوتهم له.

وأبو الحسين الصوفي هو عبد الرحمن بن عمر بن عبيد وكان بعد أبي معشر المنجم بنحو سبعين سنة، وكان من أئمة المنجمين المشهورين وفضلائهم، وله التصانيف المفيدة في فنه، وصنّف كتاباً في معرفة الثوابت، بيّن فيه أن أصحاب الرصد الثاني كعطارذ المنجم، ومحمد بن جابر البتائي، وعلي بن عيسى الحراني غلطوا فيه، وحمله إلى عضد الدولة فاستحسنه وأجازته، وله مصنفات أخرى، وإنما سميت الكواكب التي في الفلك الأطلس ثوابت بالنسبة إلى السيارة التي تحتها لبطء حركته، والله أعلم.

حرفُ القاف

السيد القاسم بن الحسن بن المطهر بن محمد الحسني الجرموزي
الصنعاني المولد والمنشأ*).

فاضل جاء بالسهل الممتنع فما زهير عند زهره، وما الوراق الخطيري إذا
قيس بنظمه وخطره، فالأغصان إذا تبسّمت بالنور لتحاكي شعره مقصوفة، والنحور
إنما تقلدت بما نظم إذا لاحت بالجواهر محفوفة، مع كرم نفس وحياهما الروض
إذا دفع الجنى والحياء، وقد قسمت له الفصاحة، وأمست محجباتها له مباحة،
وكأنما يصوغه النسيم، أو عقد السماء النظيم، وقد سمى أهل الأدب شعر بهاء
الدين زهير بن محمد المهلب الكاتب، السهل الممتنع لسهولة لفظه، وعدم القدرة
على لحاقه، ومن عرف شعره المذكور عرف الفرق بين زهر وزهير، وعلم أن من
أسباب التصغير التحقير كما في نمر ونمير. ولقد أوقفني على مجموع له بخطه
فذهلت بمدامه، ورفضت برد ما عندي من شعر غيره بسلامه، وبالجملة فالشعر لا
يستره النقاب، فدونك فاستجله بين لك فصل الخطاب، وكان نشأ مقبلاً على
التأدب فبلغ فيه إلى حيث يعجز المسهب وواصل غانياته يافعاً، وصار مالكة
وغيره يحتاج إلى وصاله شافعاً، وترى أخبار من قبله فحجج إلى مشاعرهم حتى
صار للحائر في الأدب قبله، ومما نقلت من ذلك المجموع الذي له:

أغار عليك من نظري وان بلفتني وطري

(*) تمام نسه بهامش الترجمة رقم ٤١.

ترجمته في: نفحات العنبر - خ -، البدر الطالع ٤١/٢، نشر العرف ٣٤٦/٢ - ٣٥٥.

وأحسسد خطاطري من أن
بنفسي أنت من قمرٍ
وما قد حزت من هيفٍ
وظرفٍ من لطافته
جمعت محاسناً يابداً
وله أيضاً:

ألف من بدر ومن شمسٍ
تاه على ضعفي وذلي كما
مولاي قد أوحشت قلبي بما
وليس لي ذنب بدالي سوى
حاشاك منه أنني اختشي
وارحم معنيّ فيك بادي الأسي
أبدلته عن قربه بالقللا
وله من هذه الرقايق:

لِمَ لَا تَرُقُّوا سَادَتِي
وَتَتْرَكُوا هَجْرِي الَّذِي
وَتَرَحَّمُوا لِي حَالَةَ
وَيَلَاهُ مَن بَسَدَرُ دُجَى
وَأَطْوَلُ شَجْوِي مِنْهُ كَم
صَرْتُ بِهِ مَتِيَّماً
مَوْلَاهُ مَدْلِسُهُ
وَيَلَاهُ قَدُمْتُ أَسَى

تمر عليه في فكري
علا عن بهجة القمرِ
وقد كالتقنا السنضِرِ
استعارت نسمة السحرِ
رما جمعن في بشرٍ^(١)

أفديه بالمهجة والنفسِ
قد تاه بالحسن على الأنسِ
قد كان من هجرِك بالأمسِ
حبِّك يا رُوحِي ويا أنسِي
إن دام يفضي بي إلى رمسي
مضطرب الأحشاء والحسِ
وبعته بالثمن البخسِ

وترحموا صبابتي
ذابت له حشاشتي
قد رُقَّ منها شامتي
ضللت به هدايتي
قامت به قيامتي
لا أرتجي سلامتي
ملَّ الوري عيادتي
ولم أنل لبيانتني^(٢)

أقول: أصابت هذا العقد عين الكمال، فسهي بحره عن نون «ترقوا»
و«ترحموا» وما بعدهما لي حالة وليس ما يوجب حذفها، وقد جاء حذف نون
المضارعة في الشعر قليلاً بدون ناصب ولا جازم.

(١) نشر العرف ٣٤٨/٢.

(٢) نشر العرف ٣٤٩/٢.

ومن شعره أيضاً:

لا تلمني في دموعي أن جرت
أورثتني دون صحبي نشوة
وروت لي عن اثيلات اللوى
أنبأتني عن سليمان أنها
سأدتني في حبكم لي عادة
وله أيضاً:

حنيني إليكم ما حبيت مرجع
أظل نجى الشوق لا نار مهجتي
أخا الوجدان جاورت رمل محجر
وجزت الغضى حتى الغضى وحلوله
وجئت إلى وإد هناك مقدس
أشعته كالشمس في كلّ وجهة
هنالك فيه للعقول مصائد
حنيني إلى ذاك الجناب ومن به
ولي نحوهم في كل حين وساعة
وما زلت مذ شاهدت كنه جلالهم
عليهم تحياتي غواد روائح

هذه أنفاس نجد قد سرث
طرب الكون لها لما انبرث
خبراً يا طيب ما قد خبث
أظهرت من ودنا ما أضمرث
أن تجلت في الدياتي قمرث

ولى كبد فيكم براها التوجع
تبوح ولا شمل الأسى يتصدع
ولاح لعينيك الجناب الممنع
وصافحه نشر الصبا المتضوع
بأكنافه نور الجلالة يسطع
وفي كل أفق منه للحسن مطلع
تفنن أسباب الهوى وتنوع
حنين ثكول ليس تنفك تدمع
نزوع على طول المدى وتطلع
أذلّ لديهم ما حبيت وأخضع
بها الريح تسري والركائب توضع^(١)

هذا منهج صوفي، وهلال في أفق سماء الإحسان موفي.

وله هذه الطردية البديعة الحسنة المسفرة:

ذات شذاً من طيبها ونشير
سأهرت فيها نجمها ببدر
الحاظه قد دغجت بسحر
حلوا المزاج دائماً والبشر
بت بها في خفض عيش غمر

وليلة من الليالي الزهر
كأنها قد ضمخت بعطر
بدر حوى حسن الرдах البكر
تعز عنه سلوتي وصبري
ذي قامة مثل القضيبي النظر

(١) نشر العرف ٢/ ٣٥٣ - ٣٥٤.

على التثام وارتشاق ثغر
في روضة قد كللت بالزهر
وزهرها مثل النجوم الزهر
أرق من لمع السيوف البتر
صل جرا منصلتاً من ذعر
بوابل كممثل نثر الدر
بما غدا يثير شجو الصدر
مثلي معنئ مستطار الفكر
وبت فيها في نعيم نظر
نجل البهاليل الفخام الغر
حتى بدا ضوء صباح الفجر

ومن مقطعاته البديعة في رجل صايدي:

قلت له إذ هام في شادنٍ
لا تعمل الحيلة في أخذه

أعذب عندي من سلاف الخمر
دوحاتها مثل الخيام الخضر
يشقها نهر وأي نهر
كأنه في سوحها إذ يجري
قد جادها صوب غمام القطر
مطربنا فيها هدير القمري
كأنه صبّ حليف الذكر
ملكنت فيها مأربي وأمري
اسحب فيها مطرفي وطمري
ومن هم الخيرة في ذا العصر
ولاح ومض نوره المستشري

قوامه كالغصن المايد
فقد غدا في شرك الصايدي

وله في رجل يسمي الغمام في أيام ولايته كسمة وقد جاءه بحوائز

جوائز أضحت تغيظ العدى
لكون الغمام أتى بالندى^(١)

أتانا الغمام وفي كفه
وهذا التناسب مستحسن

وله في عطار:

وعطار كثير الكبر
ولا غرو إذا المعطار

والإعجاب والقسوة
كانت عنده نخوة^(٢)

وجاء الغمام حاملاً ورقة تتضمن سب الغمام فقال فيه:

تحمل الهجو عنوة
قد جاء يحمل هجوة^(٣)

هذا الغمام بليد
تبا له من غمام

(١) نشر العرف ٣٥٤/٢.

(٢) نشر العرف ٣٥٤/٢.

(٣) نشر العرف ٣٥٤/٢.

الهجوة عند أهل اليمن عبارة عن الغمام الدائم الهطل وله فيه وقد تأذى من
المطر وطلب كسوة، وبلاد كسمة لاتفيق من المطر:

من أعاجيب كسمه عند من راح واغتدى
إن فيها الغمام قد فرّ خوفاً من الندى

وله فيه وقد سار مع مستوفي بها يعرف بالمطري:

قل للفقير الذي خلّقه لا تخش بؤساً من الزمان فقد
تزري بحسن الربيع والزهر وافى إليك الغمام بالمطر

وله فيه وقد أهدى ما ورد:

أهدي من القطر ظرفاً وكيف ينكر قطر
يزري بسريح السمّام قد جاءنا من غمام؟

وله فيه وقد تهّد شخصاً:

لا تنكرو أكثرت تهديده فليس ذا ينكر منه والأ
رعاد والأبراق شأن الغمام

ومن شعره وله نظائر للمتقدمين:

يا حسنه من أصيل يوم أما أثر الدجن في هواه
نسيمه رقية العليل وهكذا عادة الأصيل

وله في رجل يسمى الحسام عصى:

تطاول من كان مستحقراً وقد عكس الأمر حتى لقد
وأبدي الخيانة من أخلصاً رأيت الحسام لدينا عصا

هذه طريقة في التورية وله في التوجيه:

حبذا يومنا بحدّة والزهر في رياض كأنها دمية القصر
صنوف كالدرّ والمرجان عليها قلائد العقيان^(١)

وله فيمن أخواله بنو الثور:

(١) نشر العرف ٢/٣٥٤.

فلان الدين غفلته غدت في الناس مشتهرة
ومن يك خاله ثوراً فلم لا يفتدي بسقرة

وله فيمن أقبل على من إسمه النجم، وفي المجلس شخص كوكباني:

يا أديباً صار فينا لا يدانيه مداني
أن يكن عندك نجمٌ إن عندي كوكباني^(١)

وفيه إيهام التورية، ولو قالوا فلدينا كوكباني كانت تورية.

وله في البرق:

كأنما البرق إذا ما اختفى ولاح في العارض غبّ القطارُ
وجنّة عذراء رأها مبصرٌ فاستترت من خوفه بالخمائرُ

وما أحسن قول ابن المعتز:

أعني على بارق ناصبٍ خفي كغمزك بالحاجبِ
كأن تآلقه في السماء يدًا كاتبٌ أو يدًا أحاسبِ

وقلت: أنا من قصيدتي الطائية التي كتبتها إلى السيد علي بن معصوم:

وقد عمّ الغيم الروابي فأرسلت ذوايب برقٍ لوّحت في الدجى رقطا

وهذه القصيدة من المحاسن وأن يسر الله أوردت غزلها فيما يجيء.

وللسيد قاسم في المجرة:

افكر في نهر المجرة في الدجى وقد سطعت فيه النجوم اللوامع
يسيل على روض الدياجي كأنه غدير غدت تطفو عليه الفواقع

لا يقال شبه النهر بالغدير وهما شيء واحد، لأن النهر موضع ما يخذ الماء، فكأنه قال كان نهر المجرة ماء غدير وعليه فواقع فشبّه الماء بالماء، لأن الغدير غير النهر وجعل المجرة نهر تشبيهه، والجيد فيه تشبيهه أبي عبد الله بن الحجاج وقد مرّ.

والمجرة كواكب صفار مجتمعة ترى كالفضة البيضاء الذائبة لبعدها

(١) نشر العرف ٢/٣٥٤.

وتقاربها، وعند الفلاسفة أنها أبخرة فيها دهنية ارتفعت إلى الأثير فاشتعلت بناره
اشتعال الفتيلة المدهونة بالنار، وكذلك النجوم التي تتراعى وتطير.

وأما البرق، فإن الأبخرة التي يرفعها الهواء إلى الطبقة الزمهريرية فتستحيل
هناك ماء ويتكاثف من بعضها الغمام يرتفع معها دخان دهني فإذا صكته الريح
تولد عنه النار كما يتولد عن اصطكاك الحديد مع الحجر، والذي نطقت به الكتب
الإلهية هو الحق وهو غير قولهم.

قد بان بما أوردنا من شعر السيد قاسم الجرموزي أنه زاحم ابن نباتة
والوداعي، فلو رأياه لقال الأول من نباتي، وقال الثاني هذا عن التورية المنسجمة
وداعي، فما كواكبه إلا زينة السماء الشعر ولا عيب في قلائده سوى أنه ما ترك
لعقود المليحة من شعر، وله القدح المعلى في سائر العلوم، ومع ذلك فهو في
عنفوان الشباب الذي لا يملّ صاحبه إلا هذه الفضائل ولا يحوم.



وكُسمة بضم الكاف وإسكان السين المهملة وبعد الميم تاء التأنيث: قصبة
ولاية جليلة، وتعرف بريمة أيضاً وهي من جبال تهامة، وكان تولّاهَا فعمّها عدله
وأولاهَا، وتولّى غيرها من الأعمال فما عبس، وبهت عدوّه بحسن معاملته الرعية
فما نبس، وقد مضى تعريف جدّه في حرف الحاء^(١). وللمولى الأخ ضياء الدين
زيد بن يحيى^(٢) رحمه الله في وصف مائها الشهر بحميس من جملة أبيات:

نهر يصيره النسيم ضحى كالدرع وهو مقدر السرد
تركته يحكي مبرداً فلذا يجلو صدا الأنفاس بالبرد
وهو أحسن وأتم من قول الآخر:
والنهر فيه كمبرد
فلأجل ذا يجلو الصدا

(١) في ترجمة الحسن بن المطهر الجرموزي، برقم ٥٢.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٧٤.

أبو دُلْف، القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي، الأمير الكبير، الجواد المشهور^(*).

فاضل ملك القلوب بنسيبه وسبيه والرقاب بسيفه، فتلك بريعة البسام وهذه بصيفه، وشجاع ينظم فارسين بطعنة يوم الهياج، وطبيب يحسن للعفاة بمرهم الذهب تعديل المزاج، فاح ذكره عنبراً وعبيراً، وطلع بدر مجده في سماء الكرام منيراً، وشهرة أبي دلف تغنيه عن التقريض، وإذا عرف الطويل من حياته الثانية التي أوجبها طبع الكرم عرف من نواله العريض، فإنه كان في الوغى ريبالاً وكانت العفاة في السلم على رضاع أخلاف صحابه عيالاً.

وقال أبو الفرج في أغانيه: محلّ أبي دلف في الشجاعة وعلو القدر عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد وحسن الأدب وجودة الشعر ليس لكثير من نظرائه^(١).

وكان يجيد الغناء تأديباً، ويحسنه مع جواريه إليهن تحبياً.

ومدحه أبو تمام الطائي بأحسن المدائح منها البائية المشهورة التي أولها:

على مثلها من أربع وملاعبٍ أذيلت مصونات الدموع السواكبِ
وجاء منها:

إذا فخرت يوماً تميمٌ بقوسها وزادت على ما أثّلت من مناقبِ

(*) أبو دُلْف، القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزى بن دُلْف بن جُشَم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، العجلي. جمع شعره عبد العزيز الميمني.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٧٣/٤ - ٧٩، تاريخ بغداد ٤١٦/٢، الفهرست ١١٦، مروج الذهب ٥/٤، ٦٢، معجم الشعراء للمرزباني ٢١٦، الاغاني ٢٥٦/٨ - ٢٧٧، سمط اللآلي ٣٣١، تاريخ ابن الأثير ٦، اللباب/ (العجلي)، العبر للذهبي ٣٩٤/١، شذرات الذهب ٥٧/٢، النجوم الزاهرة ٢٤٣/٢، الكنى والألقاب ٦٩/١، نهاية الأرب للنويري ٢٤٩/٤، أعيان الشيعة ٥/٤٣، الاعلام ط ١٧٩/٥/٤.

(١) الاغاني ٢٥٦/٨.

فأنتم بذي قارِ أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
محاسن من مجدٍ متى تفرنوا بها محاسن أقوام تكن كالمعائب^(١)

وهذا يسمّى نوع التلميح من البديع، وهو أن الشاعر يشير إلى منقبة أو
ضدّها في ضمن شعره.

وأشار أبو تمام إلى قصة حاجب بن زرارة بن عدس التميمي^(٢) سيّد بني
تميم، وذلك إن بني تميم دخلوا السواد فارتاب أهله بهم لوحشة العرب وشظف
عيشهم فأنهوا خبرهم إلى كسرى فأرسل إلى حاجب، فقال له: كيف دخلتم
بلادي بغير إذني؟ قال: أيها الملك إنّما دخلناها للكلاّ ولسنا بأعداء للملك، وأنا
كفيل على قومي، فقال: كسرى: إعطني رهناً على الوفاء، وكان بيد حاجب
قوس من نبع فقال: أيها الملك هذه رهاني حتى ينصرف قومي، فضحك المرابذة
إستخفافاً بما أعطى فقبضها كسرى، وقال: لم يكن ليسلمها ويغدر، ومضى
حاجب حتى انصرف قومه، جاء فأخذ قوسه فأعجب كسرى وفائه وأجازه، وكان
ذلك أحد مناقب بني تميم.

قلت: هذا على أن بني تميم معروفون بالغدر ويلقبون كناة الغدر لتلقيهم له
كيسان، كما ذكر العسكري في جمهرة الأمثال.

(١) كاملة في ديوان أبي تمام ٤١ - ٤٣.

(٢) حاجب بن زرارة بن عدس الدارمي التميمي: من سادات العرب في الجاهلية. كان رئيس تميم
في عدة مواطن. وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به. وحضر يوم شعب
جبله (من أيام العرب المعروفة) قبل ١٩ أو ١٧ سنة من مولد النبي ﷺ وأدرك الإسلام وأسلم.
وبعثه النبي ﷺ على صدقات بني تميم، فلم يلبث أن مات نحو سنة ٥٣هـ.

ترجمته في: الإصابة ٢٧٣/١ ثم ١٨٧/٢ والأغاني طبعة الدار ١٥٠/١١ علق الشيخ عبد الله
العبد الرحمن البسام. قلت إن حاجب بن زرارة أدرك الإسلام فأسلم الخ. وأنا أشك في هذا
شكاً كبيراً، وإن ذكره ابن حجر في الإصابة مع الصحابة. فحاجب عاش في الجاهلية وأسر يوم
جبله شيخاً قبل المولد بـ ١٩ عاماً، وابنه عطارده هو الذي افتك قوسه المرهونة عند كسرى فكساه
كسرى، وذلك بعد وفاة أبيه. ثم وفد ابنه عطارده مع وجوه بني تميم فأهدى إلى النبي ﷺ الحلة
التي كساه إياها كسرى ولم يكن لحاجب ذكر مع ذلك الوفد ولا قبله إلا ما ذكره ابن حجر ولا
يعول عليه. حاجب أكبر زعيم جاهلي فكيف يخفى إسلامه ووفادته؟ قلت: الشك وارد وجدير
بالنظر. أما كون ابنه هو الذي افتك القوس فلا يقطع بوفاء الأب، ولا يد من مصدر أو حادث
يستأنس به لنقض رواية ابن حجر، الاعلام ط ١٥٣/٢/٤.

والذين أمالوا عروش الفرس هم بكر بن وائل رهط أبي دلف وذلك أن أبرويز لما غضب على النعمان بن المنذر وطلبه أحسّ بالشرّ فأودع السلاح عند هاني بن نعيم الشيباني ومضى إلى كسرى فألقاه تحت أرجل الفيلة.

ثم أرسل إلى بكر بن وائل يطلب حلقة النعمان فامتنعوا من أدائها، فبعث الجيوش فالتقوا في ذي قار فانهزم الفرس وقتل أكثرهم وذلك أوّل ما بعث رسول الله ﷺ فقال حين بلغه ذلك اليوم: «انتصف العرب من العجم وبني نصرنا».

وسبب غضب كسرى على النعمان، أن عدي بن زيد العبادي^(١) كان متعلقاً بخدمة كسرى، وكان يبعثه إلى قيصر بالرسائل، وكان يكتب بالعربية والفارسية، وكان من أهل الحيرة وسيدهم ولو شاء الملك ملكوه عليهم ولكن كان يؤثر اللهو والصيد، وتزوج هند بنت النعمان بن المنذر واستشاره كسرى فيمن يملك على الحيرة من آل المنذر فأشار بالنعمان، وحقد عليه أخوة النعمان فدسّوا عليه فحبسه ثم قتله، ولما وصله أمر كسرى بإطلاقه وأظهر أنه مات.

وكان عدي شاعراً مجيداً كثير المثل وكتب من محبسه إلى النعمان:

ألا مَنْ مُبْلِغُ النِّعْمَانِ عَنِّي	وقد تُهْدَى النَّصِيحَةُ فِي الْمَغِيْبِ
أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقَيْدًا	وَعُلًّا وَالْبَيَانَ لَدَى الطَّبِيبِ
أَتَاكَ بِأَنْنِي قَدْ طَالَ حَبْسِي	وَلَمْ تَسَامَ بِمَسْجُونٍ حَرِيبٍ ^(٢)
وَبَيْتِي مُقْفِرٌ إِلَّا نِسَاءً	أَرَامِلَ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النَّجِيبِ
يُحَاذِرْنَ الْوُشَاةَ عَلَى عَدِيٍّ	وَمَا أَقْتَرُفُوا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ
فَإِنْ أَخْطَأْتُ أَوْ أَوْهَمْتُ أَمْرًا	فَقَدْ يَهُمُّ الْمَصَافِي بِالْحَبِيبِ
وَإِنْ أَظْلِمْتُ فَقَدْ عَاقَبْتُمُونِي	وَإِنْ أَظْلَمْتُ فَذَلِكَ مِنْ نَصِيبِي

(١) هو أبو عمير، عدي بن زيد العبادي. شاعر جاهلي يدين بالنصرانية. يتقن اللغة الفارسية. عمل ترجماناً في ديوان كسرى. زوجه النعمان بن المنذر ابنته هند، ثم وشى به حساده فحبسه ثم قتله حوالي سنة ٥٨٧م. له ديوان شعر من جمع وتحقيق محمد جبار المعيد وطبع سنة ١٩٦٥م.

ترجمته في: الشعر والشعراء ١٥٠، الاغانى ٨٧/٢ - ١٤٨، الموشح/١٠٢، شعراء النصرانية/ ٤٣٩، معاهد التنصيص ١٠٥/١، سمط اللآلي/٢٢١، أنوار الربيع ٧١/٢ هـ.

(٢) حريبة الرجل: حاله الذي سلبه. وقيل: حريبة الرجل: ماله الذي يعيش به. والحريب: الذي سلب حريته. قالوا: تُباع داره وعفاره، وهو من الحرية. (اللسان ج ١ ص ٣٠٤).

وإن أهليكَ تجدُ فِدي وتُخذَلُ
فهل لك أن تدارك ما لدينا
إذا التقت العوالي في الحروبِ
ولا تُغلب على الرأي المصيبِ
إلى رب قريب مستجيب^(١)

ثم إن النعمان ندم على قتل عدي وعلم أنه قد احتيل عليه واجترأ عليه أعداؤه وهابهم، فخرج يوماً إلى الصيد فلقى ابنه زيد بن عدي فعرفه بالشبه، وانتسب له فأعجبه كلامه وظرفه، وفرح به فرحاً شديداً، وكتب إلى كسرى يرغبه أن يجعله مكان أبيه بعد أن تبرأ من قتل أبيه، فحظى زيد عند كسرى وتولى عنه المكاتبه إلى ملوك العرب والنظر في خاصته، وسأله عن النعمان فأثنى عليه ومكث سنوات في رتبة أبيه وازداد اعجاب كسرى به^(٢).

وكانت لملوك العجم صفة من صفات النساء مكتوبة، فكانوا يبعثون بها في البلاد فمن أين وافقت حملت الا أنهم كانوا لا يحسبونها عند العرب فبدا لكسرى في طلب تلك الصفة، فأمر بالكتب فيها إلى النواحي.

فقال زيد لكسرى: أراك تعدل بهذه الصفة عن العرب، وأني لا أعلم أن عند النعمان بناته وأخواته وسائر أهله أكثر من عشرين امرأة بهذه الصفة، قال: فاكتب فيهن، فقال: أيها الملك إن العرب خاضة النعمان زعموا يتكرمون بأنفسهم عن العجم وأنا أخاف أن يغيبهن عن رسولك ويظهر غيرهن ولكن ابعثنى ومعى آخر يفهم العربية حتى أبلغ ما تريد ففعل ذلك كسرى وبعث معه أميراً، فسار إلى النعمان وأبلغه رسالة كسرى فشق عليه وقال والرجل الآخر يسمع: أما في مهى السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته؟ فقال الرجل لزيد بالفارسية: ما المهى والعين؟ قال: كاوان يعني البقرة، وقال زيد للنعمان: أتما يريد الملك كرامتك ولو علم أنه يشتق عليك ما فعل، وكتب النعمان إلى كسرى أن تلك الصفة ليست عنده، وسأل زيدا أن يعتذر عنه فقرأ زيد على كسرى كتابه وقال: قد كنت عرفتكم ظنهم بنسائهم وأخبره الرجل بما سمع فشتعه فعصب كسرى وتوعد النعمان فبلغه ذلك وسكت كسرى شهوراً وكتب إلى النعمان أنه يقبل إليه فخاف وهرب إلى جبلي طي ثم طوف في قبائل العرب فآراً بنفسه، ثم حمل نفسه على الألقاء بيده

(١) الاغاني ١٠٣/٢ - ١٠٤.

(٢) الاغاني ١١١/٢ - ١١٣، باختصار.

على كسرى بعد أن أهدي له هدية فقبلها منه وأظهر له الجميل فتوجه نحوه.

ولقيه زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال له: يا نعيم إنج بنفسك، فقال النعمان: أفعلتها يا زيد أما والله لئن عشت لك لاقتلنك قتلة ما قتلها عربي ولألحقنك بأبيك، فقال زيد: إمض لشأنك نعيم فقد والله أخيت لك أختة لا يقطعها المهر الأرن^(١) فلما وصل إلى بابه أمر به فقيد وبعث به إلى سجن خائقين، ثم ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته، وقيل مات بالطاعون في السجن^(٢) ومن مشهور شعر عدي بن زيد:

أَيُّهَا الشَّامِيتُ المَعَيَّرُ بالدَّهْرِ رِ أَنْتَ المَبْرَأُ المَسْوَفُورُ
أَيْنَ كَسْرَى كَسْرَى المَلُوكِ أَنُو شِرُّ وَأَنْ أَمِ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ^(٣)
وَبَنُو الأَصْفَرِ المَلُوكِ مَلُوكُ الرِّ وَمَ لِمَ يَبْقُ مِنْهُمُ مَسْدُكُورُ
وَأَخُو الحَضْرِ^(٤) إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دُجَّ لَمَّةٌ تُجَبِّي إِلَيْهِ وَالخَابُورُ^(٥)

(١) الأرن: النشيط، يقال أرن يارن أرنًا إذا مرح مَرَحًا فهو أرن.

(٢) الاغاني ١١٣/٢ - ١٢٠ باختصار.

(٣) سابور الجنود وهو ابن اردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنو شروان (معجم البلدان ٧٦٨/٢).

(٤) الحضرة: اسم مدينة بإزاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات، وهي مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها، ويقال كان فيها ستون برجاً كبيراً، وبين البرج والبرج تسعة أبراج صفار، بإزاء كل برج قصر وإلى جانبه حمام، ومر بها نهر الثرثار، وكان نهراً عظيماً. فأما في هذا الزمان فلم يبق من الحضرة إلا رسم السور وآثار تدل على عظم وجلالة (معجم البلدان ٢٦٧/٢).

أخو الحضرة: هو الضيزن بن معاوية بن العبيد السليحي القضاعي: ملك جاهلي، قديم. كان المذكوراً بالباس والمنعة، تخافه أقيال العرب وملوكها. ملك الجزيرة إلى الشام ووالى الروم، وقام الفرس. وأبقى آثاراً منها العريسات (بين الكوفة والقادسية) وكانت تسمى «طيزناباذ» محرفة عن «ضيزن آباد» ومعناها بالفارسية «عمارة ضيزن». ويقال: إنه هو ياني «الحضرة» في الجزيرة قتله فيه سابور ذو الأكتاف. (الاعلام ج ٣ ص ٢١٦). (الاعلام ط ٢١٦/٣/٤).

(٥) الخابور: اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة. وأصل هذا النهر من العيون التي برأس عين، وينضاف إليه فاضل الهرماس ومد، وهو نهر نصيبين، فيصير نهراً كبيراً. يصب في الفرات؛ وفيه من أبيات أخت الوليد بن طريف ترثي أخاها:

أيا شجر الخابور ما لك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنى وسيوف

(معجم البلدان ٣٣٤/٢)

وَتَدَّكَرَ رَبَّ الْخَوْرَنْقِ إِذَا أَشْرَ رَفَّ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَسْفِكِيرُ
 سِرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْسُ لَمَكَ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْدِيرُ
 فَارْعَوَى لُبَّهُ فَقَالَ وَمَا غِيبُ ظَةً حَيًّا إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
 ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقًا جَفَّ فَالْوَتُ بِهِ الصَّبَا وَالذَّبُورُ^(١)

وهند بنت النعمان التي تزوجها عدي، هي صاحبة الدير المعروف بدير هند بالحيرة لأنها تنصرت وترهبت فيه، وعاشت إلى ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة لمعاوية، وخطبها وهي عجوز كبيرة ليجمع بين ملك النعمان وابنته، ففطنت له فامتنعت ولها أشعار وحكم.

وصاحب الخورنق هو النعمان الأكبر بن الشقيقة وهي أمه وكان سينمار عمّر له الخورنق فألقاه من أعلاه وقضته مشهورة.

ثم إن النعمان تنصر بعد ذلك وهام على وجهه، وإليه لمحت في ترجمة المولى ضياء الدين زيد بن محمد بن الحسن^(٢) بقولي: «ولو رآه النعمان لساح وترك الفخر وتزهد» وفيه استخدام على مذهب ابن مالك بسطته في الحاء.

وكان سبب تنصره ما حكاه الأصفهاني في الأغاني: أنه خرج يتصيد ومعه عدي فمرّ على مقابر الحيرة، فقال له عدي: أبيت اللعن هذه تقول:

أَيُّهَا الرِّكْبُ السَّمْخُبُونَ عِلْسِي الْأَرْضِ السَّمْجِدُونَ
 وَكَمَا أَنْتُمْ بِنَانَا وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَ

فانصرف ودخلته رقة ثم خرج مرة أخرى فمرّ بالمقابر فقال عدي: أبيت اللعن تقول هذه المقابر:

مَنْ رَأَانَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عِلْسِي قَرْنِي زَوَالِ^(٣)
 وَضُرُوفُ الدَّهْرِ لَا يَبْقَى لَهَا وَلِمَا تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ
 رَبُّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالمَاءِ الزَّلَالِ
 وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا قُدُمٌ وَجِيَادُ الْخَيْلِ تَرْدِي بِالْحِلَالِ^(٤)

(١) الأغاني ١٣١/٢ - ١٣٢.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٧٥.

(٣) على قرن زوال: أي على طرف.

والأباريقُ عليها فُدمٌ وجيادُ الخيلِ تَرْدِي بِالْجَلالِ^(١)
 عَمِرُوا دَهراً بَعِيثِ حَسَنِ آمِنِي دَهْرِهِمْ غَيْرِ عَجَالِ
 ثم أَضَحَوْا عَصَفَ الدَّهْرِ بِهِمْ وكذلكِ الدَّهْرُ يُودِي بِالرُّجَالِ

فرجع النعمان وتنصّر وهام على وجهه^(٢).



والخضر^(٣) المذكور في شعر عدي: قصر بين دجلة والفرات بجبال تكريت، وكان صاحبه الضيزن بن معاوية بن عبيد بن الأحرار بن عمرو بن النخع، وكان ملك تلك الناحية وبلغ ملكه إلى الشام ثم أن سابور ذو الأكتاف جمع له وسار إليه، وأقام على الخضر أربع سنين، وكان للضيزن بنت من أجمل النساء، وكان سابور أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته فتعاشقا، ودلته على عورة من عورات الحصن فهدمها ودخل منها وقتل الضيزن وجميع من في الحصن، وأعرس بالنظيرة بعين التمر، فلم تزل ليلتها تتألم، وكان الفراش من حرير محشو بالقز فالتمس ما يؤذيها، فإذا ورقة آسٍ قد التصقت بعكنة من عكنها، فسألها بأي شيء كان يغذوك أبوك؟ قالت: بالزبد والمخ وشهد أبكار النحل وصفو الخمر، فقال: أني لأحدث معرفة منك بأبيك وقد وترتك به وهو الذي غذاك بما ذكرت، ثم إنه أمر رجلاً ركب فرساً وظفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعاً، ويعرف الضيزن بالساطرون أيضاً.

وقيل: إن هند بنت النعمان كانت تهوى زرقاء اليمامة، وإنها أول امرأة من العرب أحبّت امرأة.



(١) الفدام: شيء تشده العجم على أفواها عند السقي، الواحدة فدامة، وأما الفدام فإنه مصفاة الكوز والإبريق ونحوه، وسقاة الأعاجم المجوس إذا سقوا الشرب فدموا أفواههم، فالساقى مقدم، والإبريق الذي يسقى منه الشرب مقدم. (اللسان ج ١٢ ص ٤٥٠) - ردت الخيل ردياً وردياناً: أي رجعت الأرض بحوافرها في سيرها وعدوها.

(٢) الاغاني ١٢٧/٢ - ١٢٨.

(٣) في الاغاني: «الخضر».

الإفتنان، وفيه مع المتانة الجناس الخطي وهو أحد أصوات المائة المختارة:

أَحِبُّكَ يَا جِنَانُ وَأَنْتِ مَنْنِي مكان الروح من جَسَدِ الْجَبَانِ
ولو أنِّي أقول مكانَ رُوحِي خَشِيْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الزَّمَانِ
لإِقْدَامِي إِذَا مَا الْخَيْلُ كَرَّتْ وَخَافَ كُمَاتُهَا حَرَّ الطُّعَانِ^(١)
وله في الشهب:

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بِيضَاءً قَدْ طَلَعَتْ كَأَنَّمَا أَنْبَتَتْ مِنْ نَاطِرِ الْبَصْرِ
لِئِنْ قَصَصْتُكَ بِالْمِقْرَاضِ^(٢) عَنْ بَصْرِي لَمَّا قَصَصْتُكَ عَنْ وَهْمِي وَعَنْ فِكْرِي^(٣)

وقال أبو الفرج: قالت ظبية جارية أبي دلف إني لمعه بالسرادن^(٤) وهو جالس يشرب معي عليه ثياب ممسكة إذ أتاه الصريخ بطروق الشراة إلى عسكره، فلبس الجوشن ومضى فقتل منهم وانصرف في آخر الليل وهو يغني بشعره:

لَيْلَتِي بِالسَّرَادِنِ كُنَلْتُ بِالْمَحَاسِنِ
بُدَلْتُ بِالْمُمَسَّكَ بِأَدْرَاعِ السَّجَّوَاتِ
وَأَسْوَدًا عَوَابِسَسَا بِالظُّبَاءِ الشُّوَادِنِ^(٥)

ومدحه أبو الحسن علي بن جبلة العكوك^(٦) بأحسن المدائح، منها القصيدة المشهورة التي أولها:

ذَاذَ وَرَدَ الْغَفِيِّ عَنْ صَدْرِهِ وَانْثَنَى وَاللَّهُؤُ مِنْ وَطْرِهِ^(٧)
وبسببها قتل المأمون العكوك وأجاز أبو دلف، العكوك عنها بثلاثة آلاف درهم وقيل بمائة ألف.

ومرّ أبو دلف مرّة مع أخيه معقل في العراق بإمرأتين فقالت إحداهن

(١) الاغاني ٢٥٦/٨.

(٢) المقراض: المقص.

(٣) الاغاني ٢٥٧/٨.

(٤) السرادن: موضع ببلاد فارس (معجم ما استعجم: سرادن).

(٥) الاغاني ٢٥٨/٨.

(٦) مرت ترجمته بهامش سابق.

(٧) الاغاني ٢١/٢٠.

لصاحبتهما: هذا أبو دلف، قالت: ومن أبو دلف؟ قالت: الذي يقول فيه علي بن جبلة:

إنما الدنيا أبو دلف بين ياديه إلى حضره
فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره^(١)

فاستعبر أبو دلف حتى جرى دمه، فقال أخوه: مالك تبكي؟ قال: لأنني لم أقض حق علي بن جبلة، قال: أو لم تعطه مائة ألف درهم؟ قال: والله ما حسرة تقارب حسرتي علي إن لم أعطه لهذه القسيمة مائة ألف دينار، والله لو فعلت ما قضيت حقه.

وقال العكوك: زرت أبا دلف فكنت لا أدخل عليه إلا تلقاني ببره، فأفرط فقصرت عنه حياء منه، فبعث إلي بأخيه معقل، فقال: إن الأمير يقول: لم هجرتنا لعلك استنزرت أو استبطأت بعض ما كان منا! فإن يك هذا زدناك حتى ترضى، فدعوت من كتب لي هذه الأبيات ثم دفعتها إلى معقل وسألته أن يوصلها إليه:

هَجَرْتِكَ لَمْ أَهْجِرْكَ مِنْ كَفَرِ نَعْمَةٍ وَهَلْ يُرْتَجَى نَيْلُ الزِّيَادَةِ بِالْكَفْرِ
وَلَكِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ زَائِرًا فَأَفْرَطْتُ فِي بَرِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
فَمِ الْآنَ لَا أَتَيْتُكَ إِلَّا مُسَلِّمًا أَزُورُكَ فِي الشُّهُرِينَ حِينًا وَفِي الشُّهُرِ
فَإِنْ زِدْتَنِي بَرًّا أَزِيدُكَ هَجْرَةً وَلَمْ تَلْقَنِي طَوْلَ الْحَيَاةِ إِلَى الْحَشْرِ

فاستحسنها معقل، وقال: أن الأمير ليعجبه مثل هذه المعاني، فلما أبلغها أبا دلف، قال: لله درّه فما أرق معانيه، ثم كتب إلي:

أَلَا رَبِّ ضَيْفٍ طَارِقٍ قَدْ بَسَطْتَهُ وَأَنْسَتْهُ قَبْلَ الضِّيَافَةِ بِالْبِشْرِ
أَتَانِي يَرْجِيْنِي فَمَا حَالُ دُونِهِ وَدُونَ الْقِرَى مِنْ نَائِلِي عِنْدَهُ سِتْرِي
وَجَدْتُ لَهُ فَضْلًا عَلَيَّ بِقَصْدِهِ إِلَيَّ وَبَرًّا يَسْتَحِقُّ بِهِ شُكْرِي
وَزَوَّدْتُهُ مَالًا يَاقِلُ بِقَاوِهِ وَزَوَّدَنِي مَدْحًا يَدُومُ مَدَى الدَّهْرِ

ثم وجه بها مع وصيف يحمل ألف دينار^(٢).

قلت: رحم الله أبا دلف وقد فعل، فلقد أتعب من بعده وألبسه ثوب

(١) كاملة في الاغاني ٢٥/٢٠ - ٢٧.

(٢) الاغاني ٣١/٢٠.

الخجل، أخذ معنى أبيات العكوك أبو عبادة البحرى^(١) فإنه كان استسقى أبا جعفر محمد بن علي القمي نبذاً فبعث به غلام جميل فقبله البحرى، فغضب وعلم إنه سيخبر مولاه فكتب إلى أبي جعفر:

أبا جعفر كان تَحْمِيْشُنَا^(٢) غلامك إحدى الهبات السنيّه
بَعَثْتَ إلينا بشمس المُدام تضيء لنا مع شمس البريه
فليت الهدية كان الرسول وليت الرسول يكون الهدية^(٣)

فوجه إليه بالغلام مع هدية أخرى فخجل البحرى وانقطع عنه شهراً حياء فعاتبه محمد فكتب إليه البحرى:

إني هَجَرْتُكَ إِذْ هَجَرْتُكَ حِشْمَةً لا العوذ يُذْهِبُهَا ولا الإبداء
أَخْجَلْتَنِي بِنَدَى يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ ما بَيْنَنَا تلك اليد البيضاء
صِلَّةٌ عَدَّتْ فِي النَّاسِ وهي قطيعة عَجَباً وِيراً راح وهو جَفَاءً^(٤)

وقال المرزباني: كان قطرب النحوي^(٥) يؤدب أولاد أبي دلف، فلما مات كان الحسن بن قطرب يؤدبهم عوضاً عن أبيه، فحضر معه بعض الحروب فوق

(١) مرت ترجمته بهامش سابق.

(٢) في الاغاني: «تَحْمِيْشُنَا»، وجمشه: لاعبه وغازله.

(٣) الاغاني ٥٢/٢١.

(٤) الاغاني ٥٣/٢١، كاملة في ديوان البحرى ٢٠/١ - ٢٢.

(٥) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب: نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة. من الموالى توفي سنة ٢٠٦هـ. كان يرى رأي المعتزلة النظامية. وهو أول من وضع «المثلث» في اللغة. وقطرب لقب دعاه به أستاذه «سيبويه» فلزمه. وكان يؤدب أولاد أبي دلف العجلي. من كتبه «معاني القرآن» و«النوادر» في اللغة، وغيرهما.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٣١٢/٤ - ٣١٣ وتاريخ بغداد ٣: ٢٩٨ وطبقات النحويين ١٠٦ وبغية الوعاة ١٠٤ ونزهة الألبا ١١٩ وفهرست ابن النديم ٥٢ وشذرات الذهب ٢: ١٥ ومعجم المطبوعات ١٥١٧ وفيه. كما في كشف الظنون ١٥٨٦ ما يوهم أن «المثلثات» التي مطلعها: «يا مولعاً بالغضب» هي من نظم قطرب، مع أن ناظمها، وهو سديد الدين المهلبى البهنسي المتوفى سنة ٦٨٥ يقول في ختامها:

«لسمما رأيت دله وهجره ومسطله»

«نظمت في وصفسي له مثلثاً لقطرب»

وأنظر Brock. I: 101 (10٣), S. I.161 وفي فهرست الأمبروزيانة Catalogo dei Manoscritti Arabi رقم

الكتاب ٤٧١ «نظم لمحمد بن علي بن زريق في شرح قصيدة المثلثات»، الاعلام ط ٩٥/٧/٤.

في رأسه سهم فسقط، فحامى عنه أبو دلف وحارب أشدّ حرب حتى استنقذه وحمله إلى مأمته وهو مغشي عليه، وجمع الأطباء وأمرهم بأخراج السهم فقالوا: إن خرج السهم ولم يخالط الدماغ عاش وإن خالطه لم يعيش، ففتح الحسن عينيه وقال: إنزعه فلو كان له دماغ ما حضر هذا الموضع، فقال أبو دلف في ذلك:

وليشكرن أبو عليّ قطرباً
ردي عليه فتاه بعد توايه
في حيث لا تجدي عليه دفاتر
لا النحو ينفعه ولا اتقانه
مني يد بيضاء غير عقام
رهناً بكل مهني فقام
مرسومة برواقش الأعلام
علم العروض ومذهب النظام^(١)

وحكى أبو الفرج الأصفهاني عن أحمد بن عبد الله بن عمار، قال: كنا عند أبي العباس المبرد وعنده فتى من ولد أبي البخترى وهب بن وهب القاضي^(٢)، أمرد حسن الوجه، وفتى من ولد أبي دلف يشبهه في الجمال، فقال المبرد لأبي البخترى أعرف لجدك قصة في الكرم لم يسبق إليها قال: وما هي؟ قال دعي رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيذاً غير ما كانوا يشربون منه، فقال:

نبيذان في مجلس واحد
فلو كان فعلك ذا في الطعام
لإيثار مثير على مقير
لزمّت قياسك في المسكر

(١) معجم الشعراء.
(٢) وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعة، من بني المطلب بن أسد بن عبد العزى، من قريش، أبو البخترى: قاض، من العلماء بالأخبار والأنساب، متهم بوضع الحديث. ولد ونشأ في المدينة. وانتقل إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي (في شرقي بغداد) ثم قضاء المدينة وأضيف إليه حرسها وصلاتها. وعزل، فعاد إلى بغداد، فتوفي فيها سنة ٢٠٠هـ. وكان جواداً، كثير العطايا للشعراء. وفيه يقول أحدهم، من أبيات:
«لكل أناس من أبيهم ذخيرة وذخر بني فهر عقيد الندى وهب»
وصنف كتاباً، منها: «فضائل الأنصار» و«نسب ولد إسماعيل» و«الرايات» و«طسم وجديس». وروى الحديث وكان متهماً فيه.

ترجمته في: لسان الميزان ٦: ٢٣١ ونسب قريش ٢٢٢ معجم الأدباء ١٩/٢٦٠، العبر للذهبي ١/٣٣٤، شذرات الذهب، وفيات الأعيان ٦/٣٧ - ٤٢، طبقات ابن سعد ٧/٣٣٢ ١/٣٦٠، تاريخ بغداد ١٣: ٤٥١ وميزان الاعتدال ٣: ٢٧٨ و«رغبة الأمل» ٥: ٨٨، ٨٩ ومرآة الجنان ١: ٤٦٣ وفيه ضبط «البخترى» بالحروف، بضم الباء والتاء؛ خلافاً لما في سائر المصادر، الاعلام ط ٤/٨/١٢٦.

فلو كان فعلك ذا في الطعام لَزِمْتَ قِيَّاسَكَ فِي الْمُسْكِرِ
ولو كنت تطلب شأوَ الكرام صَنَعْتَ صَنِيعَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ
تَتَّبِعَ إِخْوَانَهُ فِي الْبِلَادِ فَأَغْنَى الْمُقِلُّ عَنْ الْمُكْثِرِ
فبلغ شعره أبا البختري فبعث له بثلاثمائة دينار^(١).

قال ابن عمّار، فقلت له: قد فعل جدّ هذا الفتى في المعنى أحسن ممّا ذكرت، قال: وما فعل؟ قلت: بلغه إن أبا عبد الله أحمد بن صالح مولى بني هاشم، وكان أسود مشوّه الخلق شاعراً أديباً افتقر، فقالت له امرأته: يا هذا إنّ الأدب قد سقط نجمه، وطاش سهمه، فاعمد إلى سيفك ورمحك فادخل مع الناس في غزواتهم عسى الله أن ينقلك من الغنيمة شيئاً فقال:

مالي ومالك قد كلفني شَطَطاً حَمَلُ السِّلَاحِ وَقَوْلِ الدَّارِعِينَ قِفِ
أَمِنَ رِجَالَ الْمَنَائِيَا خَلَّتَنِي رِجَالاً أَمْسِي وَأَصْبِحُ مَشْتاقاً إِلَى التَّلْفِ
تمشي المنايا إلى غيري فأكرهها فكيف أمشي إليها بارز الكَتِفِ
ظننت أن نزال القرن من خلقي أو أن قلبي في جنبَيَّ أبي دَلْفِ
فاحضره أبو دلف وقال: كم أملت امرأتك أن يكون رزقك لو افترضت في الديوان؟ قال: مائة دينار، قال: وكم أملت أن تعيش؟ قال: عشرين سنة، قال: ذلك لك عليّ في مالي دون مال السلطان، وأمر له بأربعة آلاف دينار ضعف ما أمل.

قال أحمد: فرأيت وجه ابن أبي دلف تهلّل وانكسر وجه ابن أبي البختري انكساراً شديداً^(٢).

وكان أبو دلف مع هذه الشجاعة والجود والأدب، فاضلاً في العلوم وله تصانيف تناسبه، فمنها كتاب: «البزاة والصيد»، وكتاب «السلاح» وكتاب «النزه». وكتاب «سياسة الملوك» وغير ذلك^(٣) وكان أبوه عيسى قد ابتداء عمارة الكرج وأتمها هو وكان بها أهله وعشيرته وأولاده^(٤) وكان شيعياً.

(١) الاغاني ٢٦٤/٨، وفيات الاعيان ٣٨/٦.

(٢) الاغاني ٢٦٤/٨ - ٢٦٥.

(٣) وفيات الاعيان ٧٤/٤.

(٤) وفيات الاعيان ٧٦/٤.

ولما مرض مرض موته حجب الناس عن الدخول لثقله فأفاق يوماً فقال لحاجبه: من بالبواب من المحاويج؟ قال: عشرة من الأشراف وصلوا من خراسان ولهم بالبواب أيام ولم يجدوا طريقاً فقعد على فراشه واستدعاهم، فدخلوا فرحب بهم وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم، فقالوا: ضاقت بنا الأحوال، وسمعنا بكرمك فقصدناك، فأمر خادمه باحضار بعض الصناديق، فأخرج عشرين كيساً في كل كيس ألف دينار، ودفع إلى كل واحد منهم كيسين ثم أعطى كل واحد منهم مؤنة طريقه، وقال لهم: لا تمسوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى أهليكم، واصرفوا هذه النفعة في مصالح الطريق، ثم قال: ليكتب كل واحد منكم أنه فلان بن فلان حتى ينتهي إلى علي عليه السلام، ويذكر جدته فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يكتب: يا رسول الله إني وجدت فاقة وإضاقة وسوء حال في بلدي فقصدت أبا دلف العجلي، فأعطاني ألف دينار كرامة لك، وطلباً لمرضاتك، ورجاءً لشفاعتك، فكتب كل منهم خطه وتسلم الأوراق، وأوصى من يتولى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كفنه، حتى يلقي بها رسول الله صلى الله عليه وآله ويعرضها عليه ^(١).

وذكر أبو الحسن المسعودي في مروج الذهب: أن دلف بن أبي دلف كان ضد مذهب أبيه فأقبل ذات يوم يحدث بعض أهلهم فقال: إن الشيعة تقول أنه لا يبغض علياً إلا فاسد النسب وأنا أكرهه، وقد علمتم غيرة الأمير وأنه لا يمكن الطعن في حرمه، وكان أبوه بحيث يسمع ولا يراه فدخل وقال: سمعت ما تكلمت به والشيعة صادقة، وأنت والله فاسد النسب، وذلك أني كنت أحب جارية لأختي ولم تسمح ببيعها ولا هبتها فاتفق أني مرضت فلما أبللت بعثت أختي تلك الجارية لتعودني، فلما رأيتها لم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضاً، فعلقت بك لغير رشد ولا طهارة.

ثم أدت عداوة دلف لأبيه حتى وضع رؤيا ذكر أنه رآها لأبيه ذكرها ابن خلكان ^(٢).

(١) وفيات الأعيان ٧٧/٤ - ٧٨.

(٢) في الوفيات ٧٨/٤.

ومات أبو دلف سنة خمس وقيل ست وعشرين ومائتين ببغداد^(١) رحمه الله تعالى.



والكُرج بفتح الكاف والراء وآخرها جيم مدينة بين أصبهان وهمدان عمرها أبو دلف ووالده.

[١٣٣]

الإمام المنصور بالله أبو محمد، القاسم بن محمد بن علي بن الحسين صاحب اليمن^(*)

وما أدراك ماهو، وربّ الدعوة التي لبّتها السعادة، وقهرت نحوس العدى فما فاهوا. والقائم بقائم الحسام حين قعد أمثاله، وأنّى يرى مثله، فما أحسبه يوجد ولا أخاله، والجامع للمحاسن الذي صلّت له المعالي، وسجدت لفناه الكوكبية، ومشارفه الفلقية، في ليل قتامة، منسي الليالي، جمعت في صفاته الأضداد، فهو راهب الليل وفي النهار جلاّد، لا يورد خيله إلا حياة القلوب الحمراء، ولا يعشق إلا السمراء إذا عشق اللثام الصّفراء:

إقدام عمر في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
نهض فرداً كالحسام، فطير الروم إلى قاف وما صاد إلا بلام، كالليث صاح بالفريسة وكالحمام أرسل إلى الأنفس رسيه، شعراً:

ورد إذا ورّد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنيلا

أنسى بقلب الدول الإسكندر، وما ترك لأبي مسلم من فخر يُذكر، وكم أحيى لبني عثمان قتيل الدار، وفرق سهام المنون فأدرك الأوتار، ورجم بالشهب الخطيّة كوكبان، فاطلع كقزح دماهم على الخرصان، وكان يضعف ويقوى،

(١) وفيات الأعيان ٧٨/٤.

(*) تمام نسه في الترجمة رقم ١٣. ترجمته في:

بلوغ المرام ٦٥، الذريعة ٣/٢، البدر الطالع ٤٧/٢، البعثة المصرية ٢١، إتحاف المسترشدين ٧٨، الاعلام ط ١٨٣/٥/٤.

ويكمن ويثور تقيّة وتقوى، حتى عضدته السعادة، وشهد الإقبال لأصحابه أنّ لهم إحدى الحسينين أما الظفر أو الشهادة، فقاتلوا معه قتال بكر يوم ذي قار حميس الهرمزان، ومكّنوا في آل قيصر كما مكّن أولئك من آل ساسان، وجاء نصر الله والفتح، وتبت يد العدو وشمل كباشة الذبح بهمة لو تعالى عليها السماك شمله النطح، وعزيمة لولا سالمها الليل لأشفق فما أرسل الرعي ما أنبت نهر مجرته السرح، يخافه عدوّه صباحاً وبياتاً، وإن لم يبعث أسوده عليه مجتمعين أرسلهم ثباتاً:

تعود أن لا تُقضم الحبّ خيله إذ الهام لم ترفع جنوب العلايق
ولا ترد الغدران إلا وماؤها من الدم كالريحان تحت الشقايق

بل لم تقضم إلا بأسنة الخط حب القلوب، ولم يورد إلا علق الحشايش غير ممزوج شقيقها ولا مشوب، حتى نسخت بآل يس سورة الروم، وظهر ذلك السابق في الحلبة ففرّ سكيت العدو الهجين وهو ملطوم، ونودي بسعادة من السماء فسمع الواعي، وعندها فرّ شيطان البغي وتلى فتولّ عنهم يوم يدعُو الداعي.

وكان أول حاله يطلب العلم بصنعاء وجبله، ويضمّر الشأن الذي ولّده همته والجبله، ولا يملك إلا الصحيفة، بلى ومعها النفس الخطيرة الشريفة.

ثم آل أمره إلى ما آل، وقاد بالسهولة الكتائب الجبال، وطالما طلبه أمراء الرّوم حين شاع فضله وأفصح كاتمته، ووقفوا على مواضع درسه ومكامنه وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمته، وطلبوه طلب مروان الحمار للسفاح، وكيف يدرك الهلال وأن عم نوره الأشباح، وكان يغزو بنفسه في تلك الحالة، فربّما أصاب مالا فغنمه أو شخصاً فاغتاله.

أخبرني شيخني الزاهد الصوفي الحسن بن الحسين بن المنصور^(١) حفيده: أن صوفياً بصنعاء كان شديد الخلاعة، وكان يأكل الحشيش أكل الحمار ويبيح المحرّمات رعاعه، فكمن له الإمام القاسم في بعض الأزقة كمون الأفعوان حتى إذا مرّ به فضربه بعمود فاخرج دماغه من بين الأذان، ثم خرج من المدينة خائفاً يترقب، وكانت عصاه تلك آية موسى تتلقّف ما يصنع الساحر، ودماغه بها يتنقّب.

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤٥.

وشاع وذاع، وملاً البقاع، أنه كان قبيل ظهوره يجي طائر غريب النوع إلى المنابر في ديجوره فيصيح بصوت فصيح متساجم، يسمع أهل المدينة: «قم يا إمام قاسم».

وذكر السيد الكاتب مطهر بن محمد الجرموزي في سيرته عن بعض السادة أهل كوكبان الساكنين بصنعاء قال: كنت منحرفاً عن الإمام القاسم وكنت إذا سمعت حديث الطائر أعدّه من المحالات، فبتُّ ليلة في داري وليس معي مخلوق فيه، فبينما أنا في مجلسي وقد مضى وهنُّ من الليل إذ سمعت منادياً ينادي من أرجاء مجلسي بصوت مهيب موحش، أقشعر له بدني: «يا إمام قاسم قم» يكرّره، قال: وكان يخرج القاف من مخرج الحلق على ما هو الفصيح فيها، ولم أر شخصاً حتى كاد قلبي ينفطر من الهيبة، ولم أكد أصبح فاستغفرت الله وعلمت أن لله فيه سرّاً سيظهره.

وجرى بيني وبين حفيدة شيخنا الحسن المذكور حديث المنادي فصّح لي خبره وقال: إنه روحاني كان يخدم الإمام وينصره بذلك النداء، وكان ابتداء دعوته من بلاد الشرق، والشمس فيه فلذا لم يكده سلطان بعواليه، ولا عدوّ بفيه من جبل اسمه قمر، وبه أضاء شعاع سعادته وأشتهر، وذلك في شهر صفر، لليلة خلت منه سنة ست وألف، واستولى على أكثر بلاد اليمن بعد حروب، كان يعدّها روضته وهي على عدوّه شعوب.

وكان أعلم الناس، وألف لبيوت أهل مذهبه الأساس، وكان أيّداً شديد القوّة، وعنده من علم الجفر ما يعلم به انكسار جنس عدوّه الوفر، وكان شاعراً عارفاً بغريب اللغة وينحو نحو النابغة، ولم تكن يده عن كل فضل بفارغه، وله قصيدة من الكامل والقافية من المتدارك، سماها «الكامل المتدارك في الردّ على الآفك».

وردّ عليه السيد محمد بن عبد الله بن شرف الدين عن أمر سنان برد أبان عن حمقه وسوء عقيدته، فردّ عليه الإمام بقصيدة سماها «حتف أنف الآفك في ردّه عن الكامل المتدارك» وهؤلاء المتصوفة في زمنه كانوا متظاهرين بالقول بالحلول والوحدة، وترك الصلوات وإباحة المحرمات مع الجهل المطلق، فإن مثل الشيخ محي الدين بن عربي وأنظاره لما عرف تبخرهم في المعارف أوّل بعض العلماء أقاويلهم في ذلك صوتاً للمحقق عن قول الباطل، فأما هؤلاء فليس

لهم من ذلك كله إلا أكل الحشيشة، ومعاشرة المليح، والرقص وجودة الأكل،
فما أحقهم بما أورد الصفدي في الغيث لبعضهم:

قد لبس الصوف لترك الصفا مشايخ العصر وشرب العصير
الشكر والشاهد من شأنهم شرّ طويل تحت ذيل قصير
ويظهرون التهتك فإذا سئلوا زعموا أنه هضم للنفس.

قال المقرئزي: أن الشيخ خضر التركماني كان من أكابر من تعتقده ملوك
الجراكسة بمصر وكان يكتب علامته إلى الملوك من الشيخ خضر نياك الحمار فما
بعد هذا؟

وذكر السيد مطهر في سيرة المنصور بالله المذكور رسالة في ذكرهم منها:
ثم إنا نحذركم من الفرقة الباطنية الذين يقال لهم صوفية، وذلك أن أصل دينهم
من بقية أولاد المجوس، لما ضعفت شوكتهم بتقوى الإسلام وأهله، أظهروا
الإسلام وابتنوا الكفر حقنا لدمائهم ودينهم قالوا: إن الله ربهم ليس هو إلا
حسان النساء والمردان، وأن لا رب لهم ولا للخلق سواها، قاتلهم الله ولعنهم،
ولذلك، اتخذوا دينهم الغناء بالغزل والعشق، وذكر الرذائل، والعكوف على
الملاهي والشبابات، وإذا خافوا على نفوسهم خلطوا تلك الملاهي بالتهليل
ومولد النبي ﷺ ليلبسوا على الجهال ويدخلوا من استطاعوا في دينهم، فالواجب
على المسلمين استباحة دمائهم وأموالهم لأنهم كفار مشركون، بل شركهم أعظم
وأكثر لأن المشركين الذين كان رسول الله ﷺ يجاهدهم يقرون بالله، ويجعلون له
شركاء وهي الأصنام، وهؤلاء لم يجعلوا إلههم إلا الحسان من النساء والمردان
ولا يعرفون لهم رباً غير ذلك، قاتلهم الله، فمن أجارهم فهو كافر لأن من فعل
ذلك فقد أعان على هدم الإسلام، ومن أعان على هدم الإسلام فهو كافر.

وله أشعار كثيرة فمنها:

يا ذا المرید لنفسه تشبیتا ولدينه عند الإله ثبوتاً
أسلك طريقة آل أحمد واسألن سفن النجا أن يسألوا يا قوتا^(١)
لا تعدلن بآل أحمد غيرهم وهل الحصاة تشاكل الياقوتا

(١) في هامش ب: «ياقوت: هذا شيخ حبشي منهم مدفون بعدن».

ومنها: عند ذكر غلاة المتصوفة:

ماذا يغرّك والحلول مقالهم
فاهجر هديت مقالهم وفعالهم
قد أثبتوا اللاهوت والناسوتا
ومقال من ضاهاهم وبقيتا

وله من قصيدة يجيب بها السيد عبد الله بن علي المؤيدي وكان ذم الإمام المنصور بشعر واذعى الإمامة ولم يجب:

إن كنت تبغي هدم دين محمد
أو كنت تخطب في غيابة بدعة
فأنا المرید أقيمہ بدعائهم
فأنا المزيل ظلامها بعزائم
لولا اشتغالي بالحروب وأهلها
لوجدت نفسك لقمة للاقم

قوله «وأهلها» في غاية اللطف وهكذا «اللاقم» بالتعريف.

وذكر السيد مطهر غريبة اتفقت وكرامة للإمام وهي: إن الأمير أحمد بن محمد بن شمس الدين صاحب كوكبان وأهله كانوا من أتباع الروم في حرب الإمام المنصور وعداوته، وفي بعض تلك الحروب صعد الأمير سنان إلى كوكبان ضيفاً للأمير أحمد بن محمد ومعه عدّة من الأمراء، والمنصور قد انهزم إلى مشارق إلى اليمن، فأخرج الأمير أحمد في بعض الضيافة مضحكاً له اسمه «زفاجر»، وألبسوه قميصاً أسود وعمّموه بثياب كثيرة، وجعلوا على رأسه عوداً كبيراً كأنه سواك يهزؤون بالمنصور، وأخرج الروم مضحكاً مصرياً فعل أعظم من ذلك، لكن بغير ما يتعلق بالإمام، فاحتال مضحك كوكبان على المصري حتى جنى عليه فرأوا في وجه سنان وأتباعه الكراهة، فأرادوا إتحافهم بما يهون عليهم، فأمروا لأسد هائل من أسدين مع الأمير أحمد بأن يخرج إلى الميدان بحيث يراه سنان، ثم قال المضحكون بالأصوات المرتفعة: خرج سنان، وعظّموا القول حتى ذهب عن سنان مابه.

ثم أخرجوا ثوراً ليس بالكبير، كان لامرأة من جبل تيس يهبوه عليها، فلما وصل إلى الميدان صاحوا جميعاً: هذا الإمام قاسم، فتناولت إليه الأعناق وازدحم الناس للنظر إلى هذه المضحكة، فلما عاين ذلك الثور الأسد قصده فجمع الأسد نفسه ليثب إلى الثور فسبقه الثور بالوثبة ووضع قرنيه في صدر الأسد فألقاه على قفاه، ثم داس بطنه وخصيته حتى سلح الأسد شيئاً كثيراً وولى هارباً، والثور في أثره، والغوغاء يصيحون، وكانت كرامة عظمى أظهرها الله في هذا

المكان الذي اجتمع فيه أهل الضلال، وانتشرت هذه الكرامة في الآفاق، وتحدثت بها الرفاق، وقام أولئك الأشرار من مجلسهم الخبيث، ونسوا مع هذه الكرامة كل حديث.

وأشار الفاضل أحمد بن محمد الشرفي إلى هذه العجبية في أبيات له عدد فيها مناقب الإمام بقوله:

كالجمع ولّوا بلا حرب وفتيتهم والأسد مذعورة ولّت من البقر
وأما سنان هذا فكان غافلاً عن الحلال والحرام شجاعاً، وأباح بسبب
الإمام الفقهاء عامة ومن يتسمّى بالفقيه، وكان يعاقب بسلخ جلد الإنسان وهو
حي.

وقال السيد مطهر: حدثني من سمعه وقد شكى إليه غلام أمرد من أهل
السوق إن بعض العسكر فسق به، فأمر سنان بذلك الجندي أن يضرب، وقال:
إضربوه وأكثروا فكيف يغضب هذا المسكين غضباً؟ ثم قال: يا كذا إعطه دراهم
فإن قبل وإلا زدت حتى يرضى.

وقال: إن الوزير حسن باشا كان يعظم أحد الأغوات، وينزله منزلة الوزير،
فستل عن ذلك، فقال: أنتم ما تعرفون من حق هذا الرجل ما أعرف، هذا خصي
لمولانا السلطان أربعمئة مملوك لم يمت منهم إلا ثمانون فقط بخلاف غيره،
فإنهم إذا خصوا الخصيان يموت منهم النصف وأكثر، فهذا مبارك مسعود.

وقال: إن بعض العسكر العرب ممّن خدم الروم وسافر إلى الشام عدد
مناقبه لبعض الأمراء وقال: أنتم تقصرون في حقّي وقد خرج من تحتي خمسة
وثلاثون ولداً وصاروا في دفتر السلطان.

قال: وحكى السيد المطهر بن مهدي الأنسي: أن خاله السيد علي بن
مهدي السدمي كان مع دولة كوكبان قبل قيام الإمام المنصور من جملة فرسانهم
وكنت معه، فأرسلونا مدداً إلى القبتين ثم استدعونا إلى كوكبان، فمررنا على
الوزير بصنعاء فأرسل لضيافتنا، والسمره عند أغا من خواصه إسمه علي فايق
باشا، فجرى ذكر الهاتف المذكور أولاً، فقال فايق باشا: أن الباشا صعد إلى
أعلى القصر بنفسه فسمعه وهو ينادي كما تقدم، فبكى الباشا وضرب صدره
وقال: نعم والله إمام ولكن أيش أقول للسلطنة؟ فلما تفرقنا قلت لخالي أنا
وولداه: هل تطلب شهادة أكبر من شهادة الخصم، لا نجتمع نحن وأنت مع

هؤلاء الظالمين، وهربنا ثاني يوم حتى لحقنا بالسيد عامر عمّ الإمام أحد امرائه .
وأما مناقب هذا الإمام الجليل فإنها لا تحصى، ولما وقع القحط في آخر أيامه لجأ إليه إلى شهارة الخلائق فبالغ في إعانتهم، قال السيد مطهر عن بعض خواص الإمام: لقد رأيت في تلك الأيام وقد رأى شريفاً من الجوف وله ولدان صغيران في نحو الخمس السنين توأمان، وقد قحل لحمهما، ويبس جلدتهما من الجهد، فنزل الإمام حتى احتمل أحدهما بنفسه وبعض الأعوان الآخر وأدخلهما داره، وأطعمهما بيده وشوى لهما لحماً، ولا أرى دمعه رقات رحمة لهما وشفقة، وكان يتعاهد بنية مريضة بأصناف الطعام بنفسه ويكسوها وإذا لم يجد الطرق لكثرة الناس فتح الكوة المقابلة لها حتى يوصل إليها ما يأمر به حتى وجد لها مأوى في بيته فأدخلها .

وفي العيدين كان يفرق الكسوة العامة، والنفقات والغنم والبقر، وكان يتقدم إلى باب النصر ويأمر بذبح أربعين ثوراً وزيادة بقدر من هناك من المساكين، ويأمر للواحد بصاع طعام وما يكفيه من اللحم، وكان يعدّ مخازن مملوءة من الثياب المخيطة للصغار مما يجتمع له من النذور، وتأتي مخيطة، وقد يشتري زيادة، ثم يأمر بجمع الصغار الذكران والأناث ويجلس والحمالون يدنون منه الثياب فيعطي للصغير قميصاً وكوفية، ومن هو أكبر منه يزيده عمامة، ثم يجعل في جيوبهم بيده التمر والزبيب ليفرحوا، وللبنات سروالاً . وقميصاً وخماراً صغيراً لكل على قدره، ومن ادعى أن في بيته ماشاء من العيال أعطاه لهم، وكان مجلسه محفوظاً بالعلماء في السلم، وبالشجعان في الحرب .

وذكر السيد: إن ولادته، كما نقل من خطه ما نصه: وجدت بخط والدي تاريخ مولدي لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر، واحسبه ذكر أنها ليلة الاثنين سنة سبع وستين وتسعمائة عدد «برّ تقي وهب ربك وجواد» .

وحكى عن والدته: إنه لما وقع على الأرض سمعت قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكان الباشا محمد صالحه على كثير من اليمن عشر سنين .

وتوفي الإمام أبو محمد المنصور ثلث ليلة الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وألف بشهارة من علة البرسام، وكان مرضه ثلاثة عشر يوماً، نفعنا الله به في الدارين، ودفن بشهارة، وتولى الإمامة ولده المؤيد بالله محمد .

الأمير معتمد الدولة أبو المنيع، قرواش بن حسام الدولة أبي حسان
المُقلِّد بن المسيَّب بن رافع بن المقلِّد العقيلي، صاحب الكوفة
والموصل والمدائن وسقي الفرات^(*).

فاضل يتنزه الناظر من شعره وشعار جوده بين الزهر والنهر، ومن وجهه في
قتام الوعي بين الليل والقمر، يريك محاسن يوسف إذا لبس نسج داود، وملك
سليمان بصبر أيوب تحت الخطبة الرود، أفرط في السخاء حتى كاد يجود بنفسه
للمشارك، وأمن كل شيء وأما المال فما زال من تبديده إياه وهو خائف.

وذكره ابن خلكان وقال: لما قتل والده غيلة بالأنبار، ملك البلاد ولم
ينازعه إلا عمّاه أبو الحسن وأبو الفرج فمات أبو الحسن سنة [اثنين وتسعين
وثلاثمائة] بعد أبيه بنحو سنة، وأبو الفرج^(١) سنة [تسع وتسعين] فتفرّد قرواش -
وكان إمامياً - كآبيه - ويخطب للخليفة العباسي.

وفي سنة إحدى وأربعمئة تغير قرواش على الخليفة البغدادي فخطب
للحاكم بأمر الله المنصور العبيدي، وجاءته الخلع من الحاكم، ثم استرضاه
الخليفة العباسي فأعاد الخطبة باسمه^(٢).

وذكر ابن خلكان: أن الغز وصلوا إلى الموصل فانتهبوها وانتهبوا دار
قرواش وأخذوا منها ما يزيد على مائتي ألف دينار، فاستنجد قرواش أبا الأغر

(*) قرواش بن المقلِّد بن المسيَّب بن رافع بن المقلِّد بن جعفر بن عمرو بن المهنا عبد الرحمن بن
بريد - بالتصغير - بن عبد الله بن زيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عقيل بن كعب بن
ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، العقيلي، الملقب حسام الدولة -
صاحب الموصل.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٥/٢٦٣ - ٢٦٦ ضمن ترجمة والده المقلِّد بن المسيَّب، فوات
الوفيات ٢/٢٦٤ - ٢٦٧، دمية القصر ١/٣١ - ٣٣، الكامل لابن الأثير ٩/٥٧ - ٢٠٣، شذرات
الذهب ٣/١٣٨، ٢٦٦، العبر للذهبي ٣/١٩٦، النجوم الزاهرة ٥/٤٩.

وترجمة والده (المقلِّد) وأخباره في: وفيات الأعيان ٥/٢٦٠ - ٢٦٩، تاريخ ابن الأثير ج ٩،
النجوم الزاهرة ٤/٢٠٣، العبر للذهبي ٣/٥١، شذرات الذهب ٣/١٣٨.

(١) في الوفيات: «أبو مرج» وهو مصعب بن المسيَّب.

(٢) وفيات الأعيان ٥/٢٦٣.

دبيس بن صدقة المذكور في الدال^(١) فأنجده وقتل أكثرهم وهزمهم، فمدحه أبو علي [محمد بن] الحسين بن شبل البغدادي^(٢) بقصيدة جاء منها:

نزهت أرضك عن قبور جسومهم
من بعد ما وطئوا البلاد وظفروا
فضوا رتاج السدّ عن يأجوجه
ومن شعر الأمير قرواش ما أورده أبو الحسن الباخري في أوائل دمية القصر:

مَنْ كَانَ يَحْمَدُ أَوْ يَذُمُّ مَوْرَثًا
فَأَنَا أَمْرُؤُ اللَّهِ أَحْمَدُ وَحَدُّهُ
لِي أَشَقْرُ مَلَأَ الْعَيْنَانَ مُغَاوِرًا^(٣)
وَمُهَنْدُ عَضْبٍ إِذَا جَرَّدْتَهُ
وَمُثَقَّفٌ لَدُنُ السِّنَانِ كَأَنَّمَا
وَبِذَا حَوَيْتُ الْمَالَ إِلَّا أَنِّي

ولله هذا اللؤلؤ ما ألبقه، وأشبهه بحال ناظمه وأليقه، ومن شعره السحري النسمة:

وَأَلْفَةٌ لِلطَّيِّبِ لَيْسَتْ تَغْبِيهِ
إِذَا مَا دَخَانَ النَّدْمَ مِنْ حَسْنِهَا عَلَا
وَهَبَّتْ لَهَا كُلَّ اقْتِرَاحِ تَرُومِهِ
وأورد الباخري من شعره أيضاً:

منعمة الأطراف لينة اللمس
على وجهها أبصرت غيماً على شمس
فلما أبت تيتها وهبت لها نفسي

(١) ترجمه المؤلف برقم ٦٨.

(٢) أبو علي، محمد بن الحسين بن عبد الله، ابن الشبل البغدادي، ولد ونشأ في بغداد، وكان أديباً فاضلاً، وشاعراً مجيداً، متميزاً بالحكمة والفلسفة، خبيراً بصناعة الطب، توفي سنة ٤٧٣ هـ. ترجمته في: البداية والنهاية ١٢/١٢١، طبقات الأطباء ١/٢٤٧ - ٢٥٢، الكامل لابن الأثير/ حوادث سنة ٤٧٣ هـ، اللباب ٢/١٠، معجم الأدباء ١٠/٢٣ - ٤٥ وفيه: إسمه الحسين بن عبد الله بن يوسف، ووفاته سنة ٤٧٤ هـ. معجم البلدان ١/١٦٠، ٢/٦٥٩، دمية القصر ١/٣٥٢ - ٣٥٤.

(٣) أغار الفرس: اشتد عدوه في الغارة وغيرها.

(٤) دمية القصر ١/٣٢ - ٣٣.

لله دَرُّ النَّسَائِبَاتِ فَإِنَّهَا صَدَأُ اللَّئَامِ وَصَيَّقَلُ الْأَحْرَارِ
مَا كُنْتُ إِلَّا زُبْرَةً^(١) فَطَبَعَنِي سَيْفًا وَأَطْلُقُ صَرْفُهُنَّ غِرَارِي^(٢)

ودخل الظاهر الحريري المذكور في كتابي هذا^(٣) صاحب القصة مع معاوية، أحد شعراء الدمية على قرواش فقال: إمدحني واهج البرقعدي وكان مغنياً، وسليمان بن فهد كان وزيراً، وأبا جابر كان حاجباً فقال:

وليل كوجه البرقعدي مظلم ويرد أغانيه وطول قرونه
شربت ونومي فيه نوم مشرد كعقل سليمان بن فهد ودينه
على أولق فيه اختباط كأنه أبو جابر في طيشه وجنونه
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه سنا وجه قرواش وضوء جبينه

قلت: لو أمره بهجاء الجن والأنس لاستطردهم بهذه الطريقة الحلوة وإنما أشرت ذكر هذه القطعة العسجدية عن ذكره هناك لتعلقها بأخبار الأمير قرواش. وذكر الباخري أيضاً للأمير أبي جؤين [ابن] عم قرواش^(٤):

قومٌ إذا اقتحموا العجاج رأيتهم شمساً وخلصت وجوههم أقمارا
وإذا زناد الحرب أحمدا نازها قدحوا بأطراف الأسننة نارا^(٥)

قال ابن خلكان: وكان قرواش وهاباً نهاباً جارياً على سنن العرب، وحكى أنه جمع بين اختين في النكاح، فلامته العرب فقال لهم: أخبروني أي شيء نحن فيه مما تبيحه الشريعة؟ وكان يقول: مافي رقبتي إلا خمسة أو ستة قتلتهم من أهل البادية، فأما الحاضرة فما يعبا الله بهم، ودامت دولته خمسين سنة، ووقع بينه وبين أخيه بركة بن المقلد منازعة، وكانا خارج البلد فقبض عليه بركة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة فقام مقامه ابن أخيه أبو المعالي قريش بن أبي الفضل بدران بن المقلد، وكان بدران ملك نصيبين فأول ما فعل قريش إنه قتل عمه قرواشاً في محبسه في رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة، رحمه الله تعالى.

(١) الزبرة: القطعة من الحديد، وغرار السيف: حده.

(٢) دمية القصر ٣٢/١.

(٣) علي بن محمد الحريري، ترجمه المؤلف برقم ١٢٢.

(٤) ترجمته في: وفيات الأعيان ٥/٢٦٥، دمية القصر ١/٥٠، وفيهما: اسم «أبو جؤنة».

(٥) دمية القصر ١/٥٠، وفيات الأعيان ٥/٢٦٥.

واجتمع قريش مع أبي الحارث أرسلان البساسيري العركي فنهبوا دار الخلافة ببغداد أيام القائم، وأرسلان هذا هو الذي خطب للحاكم على منابر بغداد أربعين جمعة، وقطع ذكر العباسية وقصته مشهورة، ثم توفي قريش سنة [ثلاث وخمسين وأربعمائة]^(١) بالطاعون في نصيبين من ديار ربيعة وعمره إحدى وخمسون سنة.

وتولى إمارة بني عقيل وولده أبو المكارم مسلم بن قريش وكان ملكاً عظيماً عادلاً وكان قد طمع في الاستيلاء على بغداد بعد وفاة السلطان طغرلبيك السلجوقي، ثم رجع عنها واستولى على ديار ربيعة ومضر، وملك حلب، وأخذ الأتاوة من ملك الروم، وحاصر دمشق حتى قارب أخذها فعصى عليه أهل حرّان فرحل إليها ففتحها وقتل من أهلها خلائق سنة ٤٦٦^(٢) واتسعت مملكته ولم يكن في أهله من ملك مثله وكانت الطرقات آمنة في بلاده.

ومن مناقبه: أن ابن حيّوس الشاعر^(٣) مات عنده وخلف أكثر من عشرة آلاف دينار، فحمل ذلك إلى خزائنه فردّه وقال: لا يتحدث عني أني أعطيت شاعراً مالاً ثم أخذته، وإنه دخل خزائني مالاً جمع من أوساخ الناس، ومنها: أنه كان يصرف جزية اليهود والنصارى في جميع بلاده إلى الطالبين ولا يأخذ منها شيئاً^(٤).

قلت: ولعلها تساوي الخراج فإن الجزيرة وتلك النواحي مشحونة بالنصارى والصابئين واليهود.

وهو الذي عمّر سور الموصل ابتداءه ثالث شوال سنة أربع وسبعين وأربعمائة وفرغ منه بعد ستة أشهر.

(١) ما بين المعقوفين من وفيات الأعيان.
(٢) كذا في الأصل، وفي وفيات الأعيان (٤٧٦).
(٢) هو أبو الفتيان الأمير مصطفى الدولة محمد بن سلطان بن محمد بن حيّوس - بالياء المثناة المشددة - ولد بدمشق سنة ٣٩٤هـ. شاعر فحل، رحل إلى حلب وبقي في كنف آل مرداس إلى أن انقضت دولتهم، وله فيهم مدائح كثيرة. توفي بحلب سنة ٤٧٣هـ، وله ديوان شعر، طبعه المجمع العلمي بدمشق.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/٤٣٨ - ٤٤٤، معاهد التنصيص ٢٣٤/١، النجوم الزاهرة ٥/٤٧٣، شذرات الذهب ٣/٣٤٣، مقدمة ديوانه، أنوار الربيع ١/١٩٨، الاعلام ط ٤/٦/١٤٧.
(٤) وفيات الأعيان ٥/٢٦٦ - ٢٦٨.

وحارب سليم بن قتلمش السلجوقي فقتل الأمير مسلم بباب انطاكية
الخامس والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وعمره خمس وأربعون
سنة^(١)، رحمه الله.

وحكى ابن خلكان عن المأموني^(٢): إنه وثب عليه خادم من خواصه فخنقه
في الحمام.

ورتب السلطان ملك شاه السلجوقي ولده أبا عبد الله محمد في الرحبة
وحران وسروج والخابور، وزوجه أخته زليخا بنت ألب أرسلان، وكان والده
مسلم قد اعتقل أخاه إبراهيم فأخرجوه وقدموه عليهم ثم اعتقله ملك شاه فلما
مات ملك شاه أطلق، فجمع العرب وحارب تنش السلجوقي، فأسره تنش وقتله
صبراً سنة ست وثمانين وأربعمائة.

ومن أمراء عقيل: مهارش بن المجلى صاحب الحديدية - كضد القديمة -
وهو الذي لجأ إليه القائم العباسي حين أخرجه البساسيري من بغداد فأكرمه
وأحسن إليه، وكان مهارش كثير الصدقة والصيام، وملازمة الجمع والجماعات،
وعاش ثمانين سنة ومات في صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة^(٣).



وقرّواش بفتح القاف وإسكان الراء وبعد الواو ألف ثم شين معجمة.

وهذه المدائن قد مضى تعريفها متفرقاً.

وبنو عقيل: قبيلة كبيرة من مضر بن نزار بن معد وهو بضم العين المهملة
والله أعلم.

(١) وفيات الأعيان ٢٦٨/٥.

(٢) في الأصل: «المليوني» وما أثبتنا من الوفيات.

(٣) وفيات الأعيان ٢٦٨/٥ - ٢٦٩.

أبو عمرو، قيس بن ذريح بن شبة بن حذافة بن ظريف بن عنزاره بن عامر بن الليث بن بكر بن عبد مناة بن علي بن كنانة بن خزيمة. وقيل ابن ذريح بن الجناب الكلبي، أحد عشاق العرب (*).

فاضل علق بنرجس العيون فذوى، وركب من الحب زعزعا فتلف في الهوى، وجاد للبيض بالسويداء كريماً.

وولدت لبني له من الفراق يوماً عظيماً، وشعره كشعر الشباب إلى الرود الغانية الكعاب مطرد إطراد كعوب الرمح، بينه وبين التكلف حرب كما بينه وبين السهولة صلح.

وذكره أبو الفرج في الأغاني وقال: إنه كان أخاً للحسين بن علي عليه السلام من الرضاع^(١).

وكان منزله بظاهر المدينة وقيل بسرف وتلك البقاع، وكان يهوى لبني بنت الحباب الكعبية، وذلك أنه مرّ بخيمات بني كعب والحي خلوف فاستسقى لبني فسقته، وكانت شهلاء حلوة المنظر والكلام فعلقها واشتدّ وجده بها، وسأل أباه أن يزوجه إياها فأبى وقال: إحدى بنات عمك أولى بك، وكان أبوه موسراً، فقصد الحسين عليه السلام: وابن أبي عتيق فشكى إليهما، فقال له الحسين عليه السلام: أنا اكفيك وسعى إلى أبيه وأبيها إلى أن تزوجها.

وكان قيس أبرّ الناس بأمه، فألهته عنها فوجدت أمه عليه، واستشارت أباه فحلف أبوه لا يكتنه سقف حتى يطلقها، فكان أبوه يقف في حرّ الشمس ويجيء قيس فيقيه حرّ الشمس بنفسه حتى يفيء الفيء، ثم يدخل إلى لبني باكياً، وطال

(*) ترجمته في: الأغاني ٢١٠/٩ - ٢٥٣، عصر المأمون ١٥٢/٢، الشعر والشعراء ٥٢٤، فوات الوفيات ٢٧٠/٢، المؤتلف والمختلف ١٧٤، النجوم الزاهرة ١٨٢/١، سمط اللآلي ٧١٠، مصارع العشاق (فهرس الاعلام)، أنوار الربيع ٣١٤/٣، تزيين الأسواق ط بولاق ٥٣/١ - ٦٢، رغبة الأمل ٢٤٢/٥، بروكلمان، الاعلام ط ٢٠٥/٥/٤. وفي ديوان مجنون ليلى ٩ أنه: «قيس بن الملوّح بن مزاحم بن غُدس بن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة».

(١) الأغاني ٢١١/٩.

ذلك عليه فطلَّقها، ثم ندم وأصابه مثل الجنون^(١).

وقال عندما رحل بها أبوها إلى خيبر، وهي منازل عشيرتها:

حِدَارَ الَّذِي قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
فِرَاقُ حَبِيبِ بَانَ أَوْ هُوَ بَائِنُ
بِكُفْيِكَ إِلَّا أَنَّ مَا حَانَ حَائِنُ^(٢)

وَإِنِّي لَمُفْنٍ دَمَعَ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ
وَقَالُوا غَدَاً أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بَلِيلَةَ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي

وله فيها:

قضى اللبانة ما قضيت وانصرفي
أها لكثرة ذاك القيل والحلف
لا تأمنن أبداً من غش مكتنف
أهل العقيق وأمسينا على سرف
هذا لعمرك شمل غير مؤتلف

قد قلت للنفس لا لبناك فاعترفي
قد كنت أحلف جهداً لا أفارقها
حتى تكتنفي لواشون فأقتلت
هيهات هيهات قد أمست مجاورة
حي يمانون والبطحاء منزلنا

ومن جيد شعره فيها:

بِشَرْقِيٍّ سُلْمَى صَيِّفٍ وَرَبِيعِ
فَهَلْ لِي إِلَى لُبْنِ الْغَدَاةِ شَفِيعِ
وَإِنْ كَانَ صَرْمُ الْحَبْلِ مِنْكَ يَرُوعِ
عَنِ الْبَلَدِ النَّائِي الْبَعِيدِ نَزِيعِ^(٣)
وَإِنْ نَالَ جَسْمِي لِلْفِرَاقِ خُشُوعِ
وَمَا ذَاكَ مِنْ فَعْلِ الرِّجَالِ بَدِيعِ
كَمَا نَدِمَ الْمَغْبُوبُونَ حِينَ يَبِيعِ
نَهَيْتُكَ عَنِ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعِ^(٤)
بِذِي سَلَمٍ لَا جَادُكُنَّ رَيْبِيعِ^(٥)

سَقَى ظَلَّلِ الدَّارِ الَّتِي أَنْتُمْ بِهَا
مَضَى زَمَنٌ وَالنَّاسُ يَسْتَشْفَعُونَ بِي
سَأَصْرَمُ لِبَنِي حَبْلِكَ الْيَوْمَ مُجْمِلاً
وَسَوْفَ أَسْلَى النَّفْسَ عَنْكَ كَمَا سَلَا
وَإِنْ مَسَّنِي لِلضَّرِّ مِنْكَ كَأَبَةِ
يَقُولُونَ صَبًُّ بِالنِّسَاءِ مَوْكَلِ
نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَدَامَةٍ
نَقَدْتِكَ مِنْ نَفْسٍ شَعَاعِ أَلَمْ أَكُنْ
فِي شَجَرَاتِ الْحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا

(١) الاغاني ٢١٢/٩ - ٢١٤ باختصار.

(٢) الاغاني ٨١/٢ - ٨٢، ٢١٦/٩، الشعر والشعراء ٣٦٣، العقد الفريد ٤١٢/٥ وغيرها، ديوان مجنون ليلي/ القطعة ٢٦٩.

(٣) النزيع: الغريب.

(٤) نفس شعاع: انتشر رأيها فلم تتجه لأمر حزم، ويربع: يرجع، وجميع: مجمعة غير متفرقة.

(٥) ذو سلم: موضع بالحجاز، ولا جادكن: لا تكرم عليكن.

فلو لم يَهْجُنِي الظاعنون لهاجني
تداعَيْنَ فاستبكين من كان ذا هوى
إذا أمرتني العاذلات بهجرها
وكيف أطيع العاذلات وحبُّها
حمائمٌ وُزِقَ في الديار وُقوعٌ^(١)
نوائحٌ لم تقطر لهن دموعٌ
أبت كبدٌ عما يقلن صديقٌ^(٢)
يُورقني والعاذلات هُجوعٌ^(٣)

ومن شعره، وهو أحد أصوات الأغاني المختارة:

سَلِي هل قَلَانِي من عَشِيرِ صَحْبَتِهِ
وهل يَجْتَوِي القومُ الكِرَامُ صَحَابَتِي
ولو تعلمين الغَيْبَ أيقنتِ أني
تسكادُ بِلادِ اللهِ يا أمَّ معمرٍ
وله فيها عدة أشعار.
وهل ذمَّ رَحْلي في الرِّفاق زَفِيقُ
إذا أَعْبَرَ مَخْشِي الفِجَاجَ عَمِيقُ^(٤)
لكم والهدايا المُشْعَراتِ صديق
بما رَحِبَتْ يوماً عليَّ تَضِيقُ^(٥)

وقال الأصفهاني: واختلف في آخر أمرهما ف قيل: ماتا على افتراقهما،
وقيل: مات قبلها فبلغها موته فماتت أسفاً عليه.

وقيل ماتت قبله فوقف على قبرها وقال:

ماتت لُبَيْني فموتُها مَوْتِي
وسوف أبكي بكاءً مَكْتَبِي
هل تنفَعَنَ حَسْرَةَ علي الفوتِ
قضى حياةً وَجُداً علي مَيْتِ
ثم بكى حتى مات بعد ثلاث^(٦).

وقيل: إن ابن أبي عتيق سعى حتى جمع بينهما وزوجها منه بعد أن طلقها
الزوج الذي تزوجها بعده.

(١) الورق: جمع ورقاء وهي التي لونها لون الرماد.

(٢) الصديق: المشقوق نصفين.

(٣) هجوع: جمع هاجع وهو النائم، وأرقه: أسهره، الأغاني ٢٤٧/٩، كاملة في ديوان مجنون ليلي
١٧٩ - ١٩٢. وأبيات منها في: الحماسة البصرية ١٨٦، مسالك الأبصار ١٤٣/٩، الزهرة ١٨٣،
سمط اللآلي ١٣٣ - ١٣٤، محاضرات الأدباء ٣٠/٢، ٤٣.

(٤) اجتوى البلد: كره المقام به.

(٥) كاملة في الأغاني ٢٣٥/٩ - ٢٣٧. والبيت الأخير فقط في الأغاني ٨/٢. وفيه: «يا أم مالك»
بدل: «يا أم معمر».

(٦) الأغاني ٢٥٢/٩.

وقال يمدح ابن أبي عتيق:

جزى الرحمنُ أفضلَ ما يُجازي
فقد جَرَّبْتُ إخواني جميعاً
سعى في جمع لُبْنَى بعد صَدْعٍ
وأطفأ لوعةً كانت بقلبي
على الإحسان خيراً من صديقي
فما أَلْفَيْتُ كَابِنِ أَبِي عَتِيقِ
ورأي جزتُ فيه عن الطريقي
أغصصتني حرارتها برريقي

فقال له ابن أبي عتيق: أميك^(١) يا أخي عن هذا الكلام فما يسمعه أحد إلا ظنني قواداً.



وسرف: بفتح المهملة وكسر الراء وفاء وإد على ستة أميال من مكة.

وابن أبي عتيق هذا: رجل من ولد أبي بكر بن أبي قحافة وكانت له نوادر، منها ما ذكره المدائني وابن داب: إن رَوْح بن زنباع جليس عبد الملك رأى منه إعراضاً وجفوة فقال للوليد بن عبد الملك: أما ترى ما أنا فيه من أمير المؤمنين من إعراضه عني حتى لقد فغرت السباع أفواهاها نحوي وأهوت مخالبتها إلى وجهي؟ فقال الوليد: إحتل في حديث تضحكه كما احتال مرزبان نديم سابور.

قال: وما كان من خبره مع الملك قال الوليد: كان مرزبان من سمار سابور فظهرت له من سابور جفوة، فلما علم ذلك تعلم نباح الكلاب، وعوي الذئاب، ونهيق الحمير، وزقاء الديوك، وسحيج البغال، وصهيل الخيل، ومثل هذا، ثم توصل إلى مجلس يقرب من خلوة الملك وفراشه وأخفى نفسه، فلما خلى الملك نباح الكلاب فلم يشك الملك إلا أنه كلب وابن كلب، فقال ما هذا؟ فعوى عوي الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير، فمضى الملك هارباً على وجهه ومضى الغلمان يتبعون الصوت، فلما قربوا ترك ذلك الصوت، وأحدث صوتاً آخر من أصوات البهائم فاحجموا عنه، ثم اجتمعوا فاقترحوا عليه، فلما نظروا إليه قالوا للملك: هذا مرزبان المضحك فضحك الملك ضحكاً شديداً، وقال: ويحك ما حملك على هذا؟ قال: إن الله مسخني كلباً وحماراً وكل خلق لَمَّا غضبت عليّ، فأمر الملك بالخلع عليه وردّه إلى منزلته وتجدد له سروراً.

(١) الاغاني ٢٥٢/٩ - ٢٥٣ باختصار.

فقال روح: إذا إطمأن المجلس بأمر المؤمنين فأسألني عن عبد الله بن عمر هل كان يمزح ويسمع مزاحاً؟ قال الوليد: أفعلى، وكان عبد الله بن عمر صاحب سلامه لا يمزح ولا يعرف شيئاً من المزاح، فتقدم الوليد وسبقه بالدخول وتبعه روح، فلما اطمأن المجلس، قال الوليد: يا أبا زرعة هل كان ابن عمر يمزح ويستمتع المزاح؟ قال روح: حدثني ابن أبي عتيق أن امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية هجته فقالت:

ذهب الإله بما تعيش به وقمرت مالك أتما قمر
أنفقت مالك غير مكترث في كل فاجرة وفي الخمر

فلقي ابن أبي عتيق عبد الله بن عمر في الحرم فقال له: انظر في هذه الرقعة وأشير عليّ برأيك فيها، فلما قرأها عبد الله استرجع فقال له: ما ترى فيمن هجاني بهذا؟ قال: أرى أن تعفو عنه، قال ابن أبي عتيق: أقسم بالله لئن لقيته لأنيكنه نيكاً جيداً، فصعق عبد الله بن عمر وارتعش وقال: مالك غضب الله عليك؟ قال: ما هو إلا ما قلت لك، وذهب ابن أبي عتيق فلما كان بعد يومين لقيه ابن عمر فدنا منه ابن أبي عتيق فقال له: رأيت ذلك الإنسان الذي أخبرتك أنه هجاني، فقال عبد الله ودخلته روعة: نعم، قال ابن أبي عتيق قد نكته والله نيكاً جيداً كما قلت لك، فسقط ابن عمر مغشياً عليه، فأقبل ابن أبي عتيق يصيح في أذنه بأعلى صوته: إنها زوجتي فأفاق عبد الله فقبل ما بين عينيه وضحك، وقال: أحسنت فردّها، قال: نعم، فقال: بارك الله عليك فضحك عبد الملك حتى فحص برجليه وقال: قاتلك الله يا روح ما تدع أحداً يغضب عليك فاكب عليه وقبل أطرافه ورضي عنه.

أبو عمرو قيس بن عمرو بن مالك بن حرب بن الحارث بن كعب بن
الحارث الحارثي، الشهير بالنجاشي، شاعر أمير المؤمنين عليه السلام
بصفين (*) .

شاعر قامت كلماته في العدا مقام الكلم في الحرب، ورأس وضع بقدمه
وقديم شرفه ذكر ابن جعيل كعب^(١). وكان من أعوان ذلك الولي، والراقين
بالهمم إلى علي، وشهد الجمل وصفين وله أشعار في أكثر تلك الأيام، وما وقع
بين القاسطين وأهل الإسلام، وكان شاعر أهل الشام كعب بن جعيل التغلبي،
وكان يناقضه بالشعر إلا أنه كانت له هينات لا يبيحها الشرع، بها أقصاه الولي عن
ذلك السقع، ولم يدخل على معاوية أضر من قوله، وقد هرب من صولة أسد الله
مبتل الإزار، كما يهرب من الليث الحمار:

ونجى ابن حرب سابق ذو علالة أجش هزيم والرماح دوان
وكنت كذا رجلين رجل صحيحة وأخرى بها ريب من الحدثان

(*) جمع شعره د. سليم النعيمي ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي مج ١٣ لسنة ١٣٨٥هـ/
١٩٦٦م/٩٥ - ١٢٧.

ثم جمع شعره وحققه: صالح البكاري والقيب العشاش وسعد الخراب ونشر في مجلة الحوليات
التونسية.

ترجمته في: وقعة صفين (الفهرس) الشعر والشعراء ٢٤٦، سمط اللآلي ٨٩٠، أعيان الشيعة ٤٣/
٣٢، شرح نهج البلاغة ط بولاق ٨٧/٤، أنوار الربيع ٨١/٢، خزانة الأدب للبغدادي ١٠٥/٢ -
١٠٧، ٣٦٨/٤، بروكلمان، الاعلام ط ٢٠٧/٥/٤.

(١) كعب بن جعيل بن قعير بن عجرة التغلبي: شاعر تغلب في عصره، مخضرم، عرف في الجاهلية
والاسلام. كان لا ينزل بقوم إلا أكرموا وضربوا له قبة. أدركه الأخطل في صباه، وهاجاء. وكان
في زمن معاوية. وشهد معه وقعة صفين توفي نحو سنة ٥٥ هجرية، قال المرزباني: وهو شاعر
معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام؛ يمدحهم ويرد عنهم.
ترجمته في:

سمط اللآلي ٨٥٤ وخزانة البغدادي ١: ٤٥٨ والنقائض ٦١٩ والجمحي ٤٨٥ - ٤٨٩ والآمدني ٨٤
ونسبه في معجم الشعراء للمرزباني: «كعب بن جعيل بن عجرة بن قعير» وفي الشعر والشعراء، طبعة
الحلبي ٦٣١ - ٣٢: أن يزيد بن معاوية طلب منه أن يهجو الأنصار، فامتنع، ودله على الأخطل.
وقلت: كان ذلك من يزيد في أيام أبيه معاوية، الاعلام ط ٢٢٥/٥/٤ - ٢٢٦.

فَأَمَّا الَّتِي صَحَّحْتَ فَأَزِدْ شُنُوءَةً وَأَمَّا الَّتِي شَلْتِ فَأَزِدْ عَمَانٍ^(١)
نسبه إلى جدّه، وشُنُوءَةً؛ بفتح المعجمة وضمّ النون وسكون الواو وهمزة
مفتوحة.

فَهَا: موضع قريب من البحرين أضيف من نزله من الأزد إليه أيام سيل
العرم.

ولما هَجَا النجاشي المذكور:

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُومٍ وَدَقِيَّةٍ فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مَقْبَلٍ^(٢)
قَبِيلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذَمِّيَّةٍ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
وَلَا يَرُدُّونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ
وَمَا سَمِيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ خَذِ الْقَعْبَ^(٣) وَاحْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ^(٤)
فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا سئِلَ عَنْ نَسَبِهِ يَقُولُ: أَنَا مِنْ بَنِي كَعْبٍ فَرَقًا
مِنْ اشْتِهَارِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ.

والثاني منها يشبه قول الحماسي:

يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمَنْ إِسَاءَةَ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
هَذَا هَجَاءٌ قَبِيحٌ، وَقَدْ تَوَهَّمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ مَدْحٌ فَأَوْضَحْتُ لَهُ سَائِرَ
الآبيات فلم يستبن والعرب تقول: «رهبون خير من رحمون».

وقال العسكري: أن عمر بن الخطاب لما سمع أبيات النجاشي هذه، قال:
من هؤلاء الضالّحون؟ اللهم اجعلني منهم، قلت: لعله لم يسمع البيت الأوّل.

وذكر الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي^(٥) في

(١) وقعة صفين ٢١، الحماسة الشجرية ٣٣، شعر النجاشي الحارثي ١٠٧.

(٢) ابن مقبل، هو تميم بن أبي مقبل، شاعر خنديذ مغلب، غلبه النجاشي، ترجمته في: طبقات
الشعراء لابن سلام ١٢٥.

(٣) القعب: القدح الضخم الغليظ الجافي.

(٤) شرح نهج البلاغة ٢٩/٥، جمهرة الامثال ٨١/١.

(٥) عبد الله بن محمد بن السيد، أبو محمد: من العلماء باللغة والأدب. ولد في بطليوس (Badajoz)
في الأندلس سنة ٤٤٤هـ ونشأ فيها وانتقل إلى بلنسية فسكنها، وتوفي بها سنة ٥٢١هـ. من كتبه:
«الاقضاب في شرح أدب الكتاب، لابن قتيبة» و«الحلل في شرح أبيات الجمل - ط» (١٧٠١ك) =

شرح أبيات الجمل، للنجاشي يهجو بني النجار:

ولستم بني النجار أكفاء مثلنا
فإن شئتم نافرتمكم عن أبيكم
فأجابه حسان بأبيات منها البيت الذي تستشهد به النحاة:
فأبعدكم عنا هنالك أبعد
إلى من أردتم من تهام ومنجد
كأن بشدقيه نقاضة أئمد

ألا رجال ألا فرسان عاديةً
إلا تجشوءكم حول التنانير^(١)
والشيء الذي لا يبيحه الشرع هو ما ذكره العزيز بن أبي الحديد في شرح
نهج البلاغة: إنه لما انقضت أيام صفين وجد النجاشي في شهر رمضان ومعه
جماعة يشربون الخمر فحدّهم أمير المؤمنين ونفاهم من الكوفة^(٢).

وذكر أن علياً عليه السلام لما نفاه صار إلى الشام وسب أمير المؤمنين بعد أن كان
من شعرائه الرّادين على كعب بن جعيل وغيره.

وقال نصر بن مزاحم: حدثنا عمرو بن سعد عن الشعبي قال: بلغ النجاشي
أن معاوية يتهدده بصفين فقال:

يا أيها الرجل المبيدي عداوته
لا تحسبني أقوام ملكتهم
وما علمت بما أضمرت من حنق
إذا نfst على الأمجاد مجدهم
وأعلم بأن عليّ الخير من نفرٍ
لا يجحد الحاسد الغضبان فضلهم
رؤي لنفسك إن الأمر يؤتمرُ
طوع الأعنة لما ترشح العذرُ
حتى أتتني به الركبان والنذرُ
فابسط يديك فإن الخير مبتدرُ
شم العرانيين لا يعملوهم بشرُ
ما دام بالحزن من صمائها الحجرُ

= و «الحلل في أغاليط الجمل» و «شرح الموطأ» وغير ذلك.

ترجمته في: بغية الملتمس ٣٢٤ والصلة ٢٨٧ وقلاند العقيان ١٩٣ وفيه مختارات من شعره.
ومجلة المجمع العلمي العربي ١٢: ٥٦ وابن خلكان ١: ٢٦٥ وأزهار الرياض ٣: ١٠١ - ١٤٩
وفيه نص رسالة للفتح بن خاقان في ترجمة البطليوسي وأخباره وأشعاره. ثم ما جاء في قلاند
العقيان عنه. والبداية والنهاية ١٢: ١٩٨ والمغرب في حلى المغرب ١: ٣٨٥ و Brock. I. 547 S.
I. 758 وكتابخانه دانشكاه تهران، جلد دوم ص ٣٨٢ - ٣٨٥، ٧٤٨، ٧٤٩، الاعلام ط ٤/٤ /
١٢٣.

(١) لم أعر عليه في كتاب «الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل».

(٢) أنظر: شرح نهج البلاغة ٤/٨٧ - ٨٨.

نعم الفتى أنت لولا أن بينكما
ولا أخالك إلا لست منتهياً
لا تحمدن أمراً حتى تجرّ به
إني أمرؤ قلّ ما أثنى على أحدٍ
وإن طوى معشر عني عداوتهم
أجمعت عزماً جراميزي بقافية
كما تفاضل ضوء الشمس والقمرُ
حتى يمينك من أظفاره ظفرُ
ولا تذمّن من لم يبيله الخبيرُ
حتى أرى بعض ما يأتي وما يذرُ
في الصدر أو كان في أبصارهم خزرُ
لا يبرح الدهر منها فيهم أثرُ^(١)

ولم يزل معاوية يعيد بيت النجاشي فيه، فمنه ما ذكر أبو الفرج في كتاب الأغاني: أن معاوية عزل مروان بن الحكم عن ولاية الحجاز فوجّه أخاه عبد الرحمن بن الحكم أمامه وقال: إلق معاوية أمامي فعاتبه واستصلحه، وقيل: بل قال عبد الرحمن: لأخيه أقم حتى أدخل على الرجل قبلك فإن كان عزلك عن غير موجدته دخلت إليه مع الناس وإلا دخلت إليه وحدك، فلما قدم إليه دخل وهو يغشى الناس، فأنشده:

أتتك العيس تنفخ في براها
بأبيض من أمية مصرحي
تكشف عن مناكبها القطوعُ
كان جبينه سيف صنيعُ

فقال له معاوية أزازراً جئت أم مفاخرأ أم مكائراً؟ قال: أي ذلك شئت، قال معاوية: ما أنت من ذلك شيئاً وأراد أن يقطعه عن كلامه، فقال له: على أي الظهر جئتنا؟ قال: على فرس، قال: وما صفته؟ قال أجش هزيم يعرض له بيت النجاشي، فغضب معاوية وقال: أما أنه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الريب، ولا هو ممن يتسور على جاراته، ولا يتوثب على كئاته بعد هجعة الناس، وكان عبد الرحمن يتهم بذلك في أم أخيه فخجل عبد الرحمن وقال: ما حملك على عزل ابن عمك؟ الجناية أوجبت سخطاً، أم لرأي رأيت وتدييراً إستصلحته؟ قال: بل لرأي رأيت، قال: لا بأس وخرج، فلقني مروان فأخبره بما جرى فاستشاط غيضاً، وقال لعبد الرحمن قبحك الله ما أضعفك أعرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصر منك أحجمت عنه.

ثم دخل على معاوية فقال حين رآه وتبين الغضب في وجهه: مرحباً بأبي

(١) وقعة صفين ٤٢٤، العقد الفريد ٢/٢٩٤، شرح نهج البلاغة ٨/٤٨ - ٤٩، شعر النجاشي ١٢٣.

عبد الملك لقد زرتنا على اشتياقي منا إليك، فقال: لا والله ما زرتك لذلك ولا أعلمك إلا قطاعاً عاقاً ما انصفتنا ولا جزيتنا جزانا، لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص ولصهر رسول الله ﷺ والخلافة فيهم فوصلوكم بأبي سفيان وشرفوكم وولّوكم فما عزلوكم ولا أثروا عليكم حتى إذا أفضى الأمر إليكم أبيتم إلا أثرّةً بكلمون أربعين ويعلم امرؤ حيث تكون منهم حينئذٍ، ثم هم للجزاء بالحسنى والسوء بالمرصاد، فما أتم مروان كلامه حتى استحذى معاوية كلامه له وقال: لك العتبي وأنا رادك إلى عملك، فوثب مروان وقال: كلاً وعيشك لا رأيتني عايداً إليه وخرج، وكان الأحنف بن قيس حاضراً فقال له: ما هذا الخضوع لمروان وأي شيء تخشاه إذا بلغ بنو الحكم أربعين! قال معاوية: إن الحكم بن أبي العاص كان أحد من قدم مع أختي أم حبيبة لما زقت إلى رسول الله ﷺ فجعل يحدّ النظر إليه فلما خرج قيل: يا رسول الله إنك أحدثت النظر إلى الحكم فقال: ذاك رجل إذا بلغ أولاده ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر بعدي، فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية، ولا بد أن يكون ما سمعت، فقال الأحنف: إكتم هذا فإنك تضع من نفسك ومن قدر ولدك بعدك إن يقض الله تعالى ما يكون، قال: فاكتمها عليّ أبا بحر فلعمري صدقت ونصحت.

وأما كعب بن جعيل فكان شاعر أهل الشام بصفين وقيل إنه لما أقام مدّة لا يتصدى شاعر لهجائه خوفاً من لسانه حتى سلطت عليه امرأة من بكر بن وائل فقالت فيه:

وسميت كعباً بشرّ العظام وكان أبوك يسمى الجعل
وأنت مكانك من وائل مكان القراد من أسست الحمل

ففضحته وأسقطته، وأمره يزيد بن معاوية بهجاء الأنصار، فقال: افرق من أمير المؤمنين، ولكن أدلك على الكافر الماهر، قال: ومن هو؟ قال الأخطل^(١)

(١) هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي المعروف بالأخطل - أي السفه - شاعر فحل مسيحي من أهل الحيرة، بقي طول حياته مخلصاً لنصرانيته ولبني أمية. عاصر معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك والوليد بن عبد الملك، ومدحهم وهجا خصومهم، وهجا الأنصار بإيعاز من يزيد، فهاج الأنصار وكاد الخرق أن يتسع لو لم يتدارك الأمر معاوية بطريقته المعروفة. توفي سنة ٦٩٢ م. ترجمته في: الأغاني ٨/ ٢٩٠ - ٣٣٢، شعراء النصرانية بعد الإسلام/ ١٧٠، الشعر والشعراء/ ٣٩٣، شرح شواهد المغني/ ١٢٣، الموشح/ ٢١١، أنوار الربيع ٢/ ٨٨.

فقال له: يزيد إهج الأنصار، قال: الأخطل أخاف أباك، قال: لا تخف أنا ضامن أمانك، فقال:

وإذا نسبت ابن القريعة خلته
لعن الإله من اليهود عصابة
قوم إذا هدر العصير رأيتهم
خلّوا المكارم لستم من أهلها
ذهبت قريش بالمكارم والعلی
إن الفوارس يعرفون ظهوركم

وكان السبب في أمر يزيد له بهجائهم أن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت^(١) كان خليلاً لعبد الرحمن بن الحكم، فقيل له: إن ابن حسان يخلفك في أهلك فراسل امرأة ابن حسان، فأخبرت بذلك زوجها، فأرسل ابن حسان إلى امرأة عبد الرحمن بن الحكم، وقد كانت تواصله إن امرأتي تزور أهلها اليوم فزوريني حتى نخلو، فزارته فقعدها معها ساعة، ثم قال لها: والله قد جاءت امرأتي فأدخلها بيتاً إلى جنبه وأمر امرأته فأرسلت إلى عبد الرحمن بن الحكم إنك ذكرت حبك لي وقد وقع ذلك في قلبي، وإن ابن حسان قد خرج اليوم إلى ضيعته فهلّم فأقبل إليها فإنه لقاعد معها إذ قالت له: قد جاء ابن حسان فادخل هذا البيت فإنه لا يشعر بك فأدخلته البيت الذي فيه امرأته، فلما رآها أيقن بالسوء ووقع الشر بينهما فهجا كل صاحبه، وقد رويت الحكاية مقلوبة، وقيل إنهما خرجا متصيدين في إماره مروان، فقال ابن الحكم لابن حسان [من الكامل]:

أزجر كلابك إنها قَلْطِيَّةٌ بُقِعُ ومثل كلابكم لم تَضْطَدِ^(٢)

فقال ابن حسان [من الكامل]:

(١) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي: شاعر، ابن شاعر، ولد سنة ٦٤هـ وكان مقيماً في المدينة، وتوفي فيها سنة ١٠٤هـ، اشتهر بالشعر في زمن أبيه، قال حسان:

«فمن للوقافي بعد حسان وابنه؟ ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت؟»

وفي تاريخ وفاته خلاف. جمع الدكتور سامي مكّي العاني ما وجد من شعره في «ديوان - ط» ببغداد، ترجمته في: تهذيب التهذيب ٦/١٦٢، الإصابة ت ٦١٩٩، الجمحي ١٢٥، رغبة الأمل ٣/٦٧، الاعلام ط ٣٠٣/٣/٤ - ٣٠٤.

(٢) القَلْطِيَّةُ من الكلاب: القصير المجتمع منها (لسان العرب: مادة قَلَط) والبُقْعُ: أبقع وبقعاء، وهو ما فيه سواد وبياض.

مَنْ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ فَرِيْسَةِ صَيْدِهِ فَالْتَمَرُ يُغْنِينَا عَنِ الْمَتَصَيْدِ^(١)
 إِنَّا أَنَسَ رَافِهُونَ وَإِنَّا كَمُ كَكَلَابِكُمْ فِي الْوَلْغِ وَالْمُتَرَدِّدِ^(٢)
 خَزِيًّا لَكُمْ لِلضَّبِّ تَحْتَرِسُونَهُ^(٣) وَالرِّيفُ يَمْنَعُكُمْ بِكُلِّ مَهْنِدِ^(٤)
 ثم لَجَّ بينهما الهجاء فأفحشا، فكتب معاوية إلى مروان أن يضرب كل واحد
 منهما مائة سوط فضرب ابن حسان وترك أخاه عبد الرحمن، فكتب ابن حسان
 بذلك إلى النعمان بن بشير، فأخبر معاوية، فكتب معاوية إلى مروان يعزم عليه أن
 يضرب أخاه، فرام العفو من ابن حسان، وتحامل عليه برجال من الأنصار،
 فجعلوا ضربه خمسين سوطاً لضعفه، فقيل لابن حسان: ضربك مائة وضرب أخاه
 خمسين فقال: ضربني ضرب الحرّ وضربه ضرب العبد لأنه عبد، وبلغ الكلام ابن
 الحكم فشق عليه وجاء إلى أخيه وقال: لا حاجة لي فيما نقضت من ضربي،
 فبعث مروان إلى ابن حسان أن هلم فاقصص، فلا حاجة إلى هبتك فضربه خمسين
 أخرى^(٥).

وقيل: الحامل ليزيد على هجاء الأنصار قول عبد الرحمن بن حسان في
 أخته رملة بنت معاوية [من الخفيف]:
 رَمَلٌ، هَلْ تَذَكِّرِينَ يَوْمَ غَزَالِ إِذْ قَطَعْنَا مَسِيرَنَا بِالْتَمَنِيِّ
 إِذْ تَقُولِينَ عَمُرَكَ اللَّهُ هَلْ شَأْ نِيٌّ وَإِنْ كَانَ سَوْفَ يُسْلِيكَ عَنِّي
 أَمْ هَلْ أَظْمِعْتُ مِنْكُمْ يَا بَنَ حَسَا إِنْ كَمَا قَدْ أَرَاكَ أُظْمِعَتْ مِنِّي^(٦)
 والحارثي نسبة إلى بني الحارث بن كعب قبيلة مشهورة من مذحج.
 والمصطار في شعر الأخطل: من أسماء الخمر.
 والحرش بالحاء المهملة فالراء فالشين المعجمة: هو أن يحرك في حجر
 الضب بشيء حتى يخرج فيصطاد. والله أعلم.

- (١) أَلْمَتَصَيْدُ: ما يتصيد الصائد، أو هو الصيد، مصدر ميمي، يُعَيِّرُهُمُ بِالصَيْدِ.
 (٢) الْوَلْغُ: من وَلَغَ الْكَلْبُ فِي الْأَنْاءِ وفي الشراب، ومنه وبه: شرب ما فيه بأطراف لسانه أو أدخل
 فيه لسانه فحرّكه، وَالْمُتَرَدِّدُ: التَّرَدُّدُ، مصدر ميمي.
 (٣) في الاغاني: «تحترسونه».
 (٤) الاغاني: ١١٠/١٥ - ١١١.
 (٥) الاغاني ١١٢/١٥ - ١١٣ باختصار.
 (٦) الاغاني ١٠٣/١٥.

حرف الكاف

[١٣٧]

أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الغساني، وينمى إلى عمرو بن عامر مزيقيا المعروف بابن ماء السماء، الكوفي، واسم أمه جُمُعة بنت خالد الأشيم، وكان يكنى بأبي جُمُعة فعرف بابن أبي جُمُعة الشاعر المشهور^(*).

شاعر له كل بيت ليس فيه قصر، وكوكب لم يلحقه في علق الفصاحة بدر، شعره الكيمياء ولذلك إنه شذور، والخمر يزداد عصيره طيباً على العصور، شيبي النحلة ومن العجب أنه حنفي^(١)، فاق في رقة القريض وفي جزالته وفي وفّي وفي.

(*) كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عُوَيْر بن مَخْلَد بن سعيد بن سُيَيْع بن جِفِيمَةَ بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو وهو خزاعة بن ربيعة - وهو يحيى بن حارثة بن عمرو - وهو مزيقيا - بن عامر - وهو ماء السماء - بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البَطْرِيْق بن ثَعْلَبَة البهلُول بن مازن بن الأزْد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. له ديوان شعر بتحقيق د. احسان عباس - ط دار الثقافة بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

ترجمته في: الاغانى ٥/٩ - ٥٠، وفيات الأعيان ١٠٦/٤ - ١١٣، بروكلمان، أمالي القالي، أمالي المرتضى ١/٢٨٣، ٢٨٧، معالم العلماء ١٥٢، معجم الشعراء ٢٤٢، أعيان الشيعة ٤٣/١٤١، خلاصة الذهب المسبوك ٣١، النجوم الزاهرة ١/٢٥٦، شذرات الذهب ١/١٣١، أنوار الربيع ١/٢٤٩، شرح شواهد المغني ٢٤، سير النبلاء، عيون الأخبار ٢/١٤٤، معاهد التنصيص ٢/١٣٦، الاعلام ط ٤/٥/٢٢٠، التبريزي ٣/١٤٠، ١٤١، الشعر والشعراء ١٩٨، الأمدي ١٦٩، خزانة الأدب للبغدادي ٢/٣٨١ - ٣٨٣، طبقات الشعراء لابن سلام ٨٢١ تزيين الأسواق ١/٤٣، رغبة الأمل ٢/١٣٤، ٣/٢٠٦، ٥/١١٢ - ١١٦، سمط اللآلي ٦١، مروج الذهب ٣/٤٠١، الموشح ١٤٣، طبقات ابن سلام ٤٥٧، العقد الفريد ٢/٨٨.

(١) في هامش ب: «إشارة إلى أنه يتنسب إلى ابن الحنفية في العقيدة».

وجعله ابن سلام صاحب طبقات الشعراء من الطبقة الأولى مع جرير^(١) والفرزدق^(٢) واضرابهما^(٣).

وذكره الأصبهاني في شعراء الأغاني وقال: إنه من فحول شعراء الإسلام وإنه كان غالباً في التشيع على مذهب الكيسانية وإنه كان يدين بالرجعة والتناسخ، وإنه كان أحقق مشهوراً بذلك، وكان بنو مروان يعرفون نحلته فلا يُغيّرهم لجلالته في أعينهم ولطف محلّه عندهم وكان تيّاهاً على كل أحد^(٤).

وكان يدخل على عمّة له برزة فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها فقال لها يوماً: لا والله ما تعرفيني ولا تكرميني حق كرامتي، قالت: بلى والله إنني لأعرفك، قال: فمن أنا، قالت: فلان بن فلان بن فلانة وجعلت تمدحه وتمدح أباه وأمه، قال: قد علمت إنك لا تعرفيني، فقالت: من أنت؟ قال: أنا يونس بن متى وقرأ «في أيّ صورة ما شاء ركبك»^(٥).

ودخل عليه عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام يعود في مرض موته فقال كثير: إبشر فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس ابن أبي عتيق، فقال عبد الله: مالك عليك كذا وكذا، والله لئن مُتّ لا أشهد جنازتك، فإن عشت لا أكلمك أبداً.

وعن عبد العزيز بن عمر: أن أناساً من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثير فيقولون وهو يسمع إن كثيراً لا يلتفت من التيه، ثم يجيء أحدهم من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت ويمضي في قميصه.

وقال له عبد الملك بن مروان: من أشعر الناس يا أبا صخر؟ قال: من روى أمير المؤمنين شعره، قال: أنت منهم يا أبا صخر.

وقال الرصافي^(٦): رأيت كثيراً يطوف بالبيت، فمن حدثك إنه يزيد على

(١) مرت ترجمته بهامش سابق.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٨٧.

(٣) الاغاني ٧/٩.

(٤) الاغاني ٧/٩.

(٥) سورة الانفطار: الآية ٨.

(٦) في الاغاني: «الوقاصي».

ثلاثة أشبار فلا تصدّقه، وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول له: طأطىء رأسك لا يُصيبك السقف، يتهمك عليه^(١).

ومما يدل على معرفة بني مروان مذهبه ما حكاه أبو مروان عبد الله بن بدرون الأندلسي في «شرح قصيدة ابن عبدون البسامة» قال: لما أراد عبد الملك الخروج إلى قتال مصعب بن الزبير تعلّقت به زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية وبكت حتى بكى لبكائها حشمها، فقال: قاتل الله كثيراً كأنه كان يرى مكاننا حيث قال:

إذا ما أراد الغزو لم تثنِ عزْمُهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا نَظْمٌ دُرٌّ يَزِينُهَا^(٢)
نَهْتُهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا شَجَاهَا قَطِينُهَا^(٣)

ثم خرج وكثير في موكبه، فقال: يا أبا جُمعة ذكرتك الساعة بيتين من شعرك فإن أصبتهما فلك حكمك، قال: نعم أردت الخروج فبكت عاتكة وبكى حشمها فذكرت قولي البيتين: فأعطاه حكمه.

ثم نظر عبد الملك إليه يسير في عرض الناس فقال: عليّ بأبي جمعة فجييء به، فقال: إن عرفتك بفكرك فيما هو حكمتني، قال: نعم، قال: قلت في نفسك أنا في شرّ حال خرجت مع رجل من أهل النار ليس على نحلتني، وربّما أصابني سهم فأموت لغير معنى، قال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت ما في نفسي فاحتكم، قال: حكمتي أن أمر لك بعشرة آلاف درهم وأردك إلى منزلك ففعل به ذلك.

(١) الاغاني ٩/٩.

(٢) الحصان: المرأة العفيفة؛ والقصة المتصلة بهذا البيت والذي يليه مشهورة، وإذا صححت هذه القصة دلّت على أن القصيدة قبل سنة ٧٠ وهو العام الذي خرج فيه عبد الملك لقتال مصعب؛ أو على الأقل قبل خروج عبد الملك في ذلك العام نفسه. ومثله للحطيئة:

إذا همّ بالأعداء لم يشنّ همّه كعاب عليها لؤلؤ وشنوف

(٣) الحماسة البصرية؟، معجم الأدباء ٢/٢٦٧، الأماشي ١/١٣، الاغاني ٩/٢٩، وفيات الاعيان ٣/١٠٨، ابن سلام ٤٦٠، ذرة الغواص ٤٧، عيار الشعر ٨٦، العقد الفريد ٤/٤٠٧، حياة الحيوان ١/٢٦٧، المعاني الكبير ٨٩٧، الموازنة ١/٦١، كاملة في ديوانه ٢٤١ - ٢٤٣.

واشتهر بكثير عزة وهي معشوقته^(١)، وكان يقول بغيبة أبي القاسم محمد بن الحنفية وشعره الموعود به في أول الكتاب هو:

ألا إنَّ الأئمة من قريشٍ
عليّ والثلاثة من بنيهِ
فَسِبُّوا سِبْطَ إيمانٍ وحلمٍ
وَسِبُّوا لا يذوق الموت حتى
تراه مخيماً بجبال رَضوى
وَلَاةَ الحَقِّ أربعة سواء
هم الأسباب ليس بهم خفاء^(٢)
وَسِبُّوا غيَّبته كربلاء^(٣)
يقود الخيل يقدّمها اللّواء^(٤)
مقيماً عنده غسل وماء^(٥)

وعن طلحة بن عبيد الله بن معمر قال: ما رأيت قط أحقق من كثير، دخلت عليه أعوده مع نفرٍ وهو مريض وكنا كثيراً ما نهزأ به، فقلت له: كيف نجدك يا أبا صخر؟ قال: إجدني ذاهباً قلت: كلا، قال: هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ قلت: نعم يتحدثون إنك الدجال، قال: أما إذا قلت ذلك فإني أجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام.

(١) عزة بنت حُميل (بالحاء، مصغراً) بن حفص بن إياس الحاجبية الغفارية الضمرية: صاحبة الأخبار مع «كثير» الشاعر، كانت غزيرة الأدب، رقيقة الحديث، من أهل المدينة. انتقلت إلى مصر، في أيام عبد الملك بن مروان، فأمر بإدخالها على حرمة ليتعلمن من أدبها. يقال: إنها دخلت على أم البنين (أخت عمر بن عبد العزيز، وزوجة الوليد بن عبد الملك) فقالت لها أم البنين: رأيت قول كثير:

«قضى كل ذي دين فوقى غريمه وعزة ممطول مُعثنى غريمها»

ما كان ذلك الدين؟ قالت وعدته قبله وخرجت منها. فقالت أم البنين: إنجزبها وعليّ إثمها! وماتت بمصر سنة ٨٥هـ في أيام عبد العزيز بن مروان.

ترجمتها في: سمط اللآلي ٦٩٨، وفيات الأعيان: ضمن ترجمة كثير ١٠٦/٤ - ١١٣، التاج ٧/ ٢٩٠ في مادة «حمل»، الاعلام ط ٤/٤/٤ - ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٢) الثلاثة يعني بهم: محمد بن الحنفية والحسن والحسين.

(٣) يعني بسبب الايمان الحسن بن علي، والسبب الذي غيَّبته كربلاء الحسين بن علي، وقد قتل في كربلاء بالعراق.

(٤) السبب الذي لا تراه العين، أو لا يذوق الموت هو محمد بن الحنفية.

(٥) الاغاني ٧/ ٢٣٨ - ٢٣٩، وفيه أنها للسيد الحميري، عيون الاخبار ٤٤/٢، الشعر والشعراء ٤٢٣، الاغاني ٩/ ٢٠ وفيه أنها لكثير، مروج الذهب ٣/ ٨٧، الحور العين ١٥٨، زهر الآداب ٣٥٣، الفرق للقمي ٢٨ - ٢٩، الفرق بين الفرق للبغدادي ٤١، وفيات الأعيان ٣/ ٢١٦ الوافي بالوفيات ٣/ ٢١٦، وفي هذه المصادر نسبت بعضها الأبيات للسيد الحميري وأخرى لكثير. ديوانه ٥٢١.

وقال أبو عليّ القالي في أماليه، قيل لكثير أنت أشعر أم جميل؟ قال: بل أنا، فقيل له: إنما أنت راوية جميل، قال: وكيف وجميل الذي يقول:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى
وأنا الذي أقول:^(١)
وفي العزّ من أنيابها بالفوادح^(٢)

هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَاءِ مَخَامِرٍ
وَوَاللهَ مَا قَارِبْتُ إِلَّا تَبَاعِدْتُ
فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَاهِلاً وَمَرْحَباً
وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى فَإِنَّ وَرَاءَنَا
أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسَنِي لَا مَلُومَةً
وَلَكِنْ أَنْيَلِي وَاذكُرِي مَنْ مَوَدَّةٍ
وَإِنِّي وَإِنْ صَدَدْتُ لِمُثْنٍ وَصَادِقٍ
فَمَا أَنَا بِالذَّاعِي لِعِزَّةٍ بِالرَّدَى

- (١) ديوان جميل بثينة.
- (٢) هنيئاً مريئاً قدر فيه النصب: «ثبت لك هنيئاً» فيكون منصوباً على الحال، ويجوز أن تقدر تعيش عيشاً هنيئاً فيكون صفة لمصدر محذوف. مخامر: مخالط. والعبارة هنيئاً مريئاً لعزة ما استحلته من أعراضنا - إلا أن يكون داء مخامراً - (أنظر الخزائن ٣: ٩٤ والسمط: ٧٣٥).
- (٣) العتبي: الرضى؛ قال أبو علي: والعتبي الاعتاب، يقال عاتبني فأعتبته إذا نزعت عما عاتبك عليه، وقلت: أي هو يستقل الرضى في جانبها.
- (٤) الأخرى: ما عدا العتبي؛ والمناوح: المفاوز والسياسب، مفردة مندوحة وهي الأرض الواسعة البعيدة، وورد: مناوح ولا أراه إلا تصحيفاً؛ والعيس: الإبل البيض؛ كلت: أعييت وتعبت من السير.
- (٥) أسيني بنا: قال ابن سيده (المحكم ٣: ١٤٤): لفظه لفظ الأمر ومعناه الشرط، لأنه لم يأمرها بالإساءة ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدا... ومعنى قوله أسيني بنا: قولني ما أسوأ، ما أقبحه، أو قولني ما أحسنه، وفي البيت التفات من الخطاب أي الغيبة في (نقلت)؛ وأصله «نقلت» وفي رواية «وأسماء لا مشنوعة بملاة».
- (٦) الخلة: المودة والصداقة؛ فضلت: نسيت ومطلت، ومن رواه فطلت فمعناه هدرت وذهبت باطلاً.
- (٧) أزل إليه نعمة: أسداها؛ وقال أبو علي: أزلت: اصطنعت؛ قال الجواليقي في شرح البيت: يقول: أنا معترف بما أحسنت إلي واصطنعته عندي من الجميل لا أكفره وإن أعرضت عني وهجرتني؛ وقد اعترض الشرط بين اسم إن وخبرها فسد مسدّ الجواب.
- (٨) زلت به النعل: كناية عن العثار والخطأ؛ والردي: الهلاك، ومعناه المرض الدخيل أو السل.

فلا تحسب الواشون أن صبابتي
فوالله ثم الله ما حلّ قبلها
ولا مرّ من يوم عليّ كيومها
وأضحت بأعلى شاهق من فواده
فيا عجباً للقلب كيف اعترافه
وإني وتهيامي بعزة بعدما
لكا لمرتجي ظلّ الغمامة كلما
كأني وإياها سحابة ممجّل
كأني أنادي صخرة حين أعرضت
صفوح فما تلقاك إلا بخيلة

بعزة كانت غمرة فتجلت^(١)
ولا بعدها من حلة حيث حلت
وإن عظمت أيام أخرى وجلت^(٢)
فلا القلب يسلاها ولا العين ملّت^(٣)
وللنفس لَمّا وُظنت ذلّت^(٤)
تخلّيت ممّا بيننا وتخلّت^(٥)
تبوأ منها للمقبل اضمحلت^(٦)
رجاها فلما جاوزته استهلّت^(٧)
من الشّم لو تمشي بها العُصم زلّت^(٨)
فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت^(٩)

(١) الواشون: الماشون بالنميمة؛ الغمرة: شدة الشيء.

(٢) أخرى: يعني امرأة أخرى.

(٣) يسلاها: ينساها ويطيب نفساً عنها؛ وقد ورد البيت عند السيوطي وشرح شواهد الكشاف:

ولللعين أسراب إذا ما ذكرتها وللقلب وسواس إذا العين ملّت

وقد ورد كذلك عند القالي (١: ٦٥) ونسب هذا البيت للمجنون (مصارع العشاق ٢: ٩١).

(٤) اعترافه: قال أبو علي: اعترافه: اصطباره؛ يقال نزلت به مصيبة فوجد عروفاً أي صبوراً، والعارف: الصابر.

(٥) التهيام - بفتح أوله - مصدر للمبالغة من الهيام؛ تخلّيت: تركت؛ وخبر إن في البيت التالي. قال ابن جني: «وسألته (يعني أبا علي الفارسي) عن بيت كثير «وإني وتهيامي...» فأجاز أن يكون قوله وتهيامي جملة من مبتدأ وخبر اعترض بها بين اسم إن وخبرها الذي هو قوله: لكالمرتجي ظل الغمامة... فقلت له: أيجوز أن يكون وتهيامي بعزة قسماً؟ فأجاز ذلك ولم يدفعه».

(٦) لكالمرتجي: خبر إن في البيت السابق؛ تبوأ: أقام في المكان؛ وفي رواية «الغياية» وهي ظل السحابة، ولغة الكلابيين: اضمحلت بدلاً من اضمحلت.

(٧) سحابة محل: سحابة بلد محل أي مجذب؛ استهلّت: بدأت إرسال المطر، شبه نفسه بالبلد الممحل وصاحبه بالسحابة.

(٨) أعرضت: صدّت، الشّم: جمع شماء وهو المرتفع من الجبال الصخرية العصم: جمع أعصم، وعصماء، وهو من الوعول ما في ذراعيه بياض، والعصم تحسن السير والقفز فوق الصخور، أما هذه الصخرة التي يصفها فإن العصم تزلّ عليها، فهي شديدة الملاسة والارتفاع ومن ثمّ فهي شديدة الصلابة.

(٩) الامالي للقالبي ١/٦٥، الاغانبي ٩/٣٨، خزانة الأدب ٢/٣٧٩ - ٣٨١، زهر الآداب ٣٥٤، كاملة في ديوانه ٩٥ - ١٠٣.

قال أبو علي: الصفوح: المعرصة.
استبلت: ذهبت.

قال: ولا أعرف بلت ذهبت إلا في تفسير هذا البيت.

واشتهر كثير بحب عزة بنت حميد، وحكي أنها دخلت على عبد الملك بن مروان وقد عجزت فقال لها: أنت عزة كثير؟ قالت: أنا عزة بنت حميد، فقال: هل تروين قول كثير فيك:

وقد زعمت أني تغيّرت بعدها
تغيّر جسمي والخليقة كالتى
ومن ذا الذي يا عزة لا يتغيّر
عهدت ولم يُخبر بِسرك مُخبر^(١)
قالت: كلاً ولكني أروي له:

«كأني أنادي صخرة حين أعرضت» البيتين،

فأمر لها فادخلت إلى عاتكة بنت يزيد وقال لها عبد الملك: ما رأى فيك كثير حين عشقك؟ قالت: الذي رأى الناس فيك حين ولّوك الخلافة، فضحك عبد الملك حتى بدت له سنّ سيء كان يسترها.

ودخلت على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت لها: رأيت قول كثير فيك:
قضى كل ذي دين فوقى غريمه
وعزة ممطولٌ معنى غريمها
ما هذا الذي ذكره؟ قالت: قبله وعدته إياها، قالت: انجزها وعليّ
إثمها^(٢).

وحكى: أن عزة قالت لبثينة صاحبة جميل بن معمر العذري: تصدّي لكثير وأطمعني في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به، فاقبلت بثينة إليه وعزة تمشي خلفها مخفية فعرضت عليه الوصل فقاربها وقال:

(١) الشعر في: وفيات الأعيان ٣/١٠٩، الحماسة البصرية، الأمالي للقالبي ٢/١٠٤، الأغاني ٩/٣٦، زهر الآداب ٢٤٦، ديوانه ٣٢٨.

(٢) الغريم: الدائن، ممطول: مدافع بالمطال وهو التسويف، وفيات الأعيان ٣/١٠٨، ١٠٩، نهاية الأرب ٣/٧٨، خزانة الأدب ٢/٣٨٢، زهر الآداب ٢٤٦، الأغاني ٩/٣٣، ٣٥، ٣٦، العيون والمحاسن ٤/٩٢، كاملة في ديوانه ١٤٠ - ١٤٨.

رمتني على عمد بُشِينَةٌ بَعْدَمَا تولى شبابي وأزجَحَنَ شبابُها
بعينين نجلاوين لورَقَرَقَتُهُمَا لنوء الثريا لا شتَهْلَ سحابُها
فسفرت عزة عن وجهها فبادر بأن قال:

ولكنما ترمينَ نفساً مريضةً لعزة منها صفوها ولُبابُها
فضحكت ثم قالت: أولى لك نجوت بها، وتضاحكتا معاً^(١).

وتوفي كثير سنة خمس ومائة في خلافة يزيد بن عبد الملك واتفقت جنازته
وجنازة عكرمة الفقيه المشهور مولى ابن عباس فاجتمعت قريش في جنازة كثير
ولم يوجد لعكرمة من يحمله، وقيل: مات أفاقه الناس وأشعر الناس، رحمه الله
تعالى.

وكان عكرمة متهماً بمذهب الخوارج، والرجعة قبل يوم القيامة، مذهب
محدثي الإمامية لرواية ابن بابويه القمي في عيون أخبار الرضا عن الصادق عليه السلام
ثبوتها، حتى قيل: إن كل ميت حنق أنفه والعسكر.

وروى أنه سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن دابة الأرض، فقال: هي دابة تأكل
التمر واللحم وتتكلم، فقالوا: إنما يعني نفسه، ويحتجون بقوله تعالى: «ويوم
نحشر من كل أمة فوجاً»^(٢) والفوج: الجماعة فهذا غير الحشر الأعظم، وأهل
العقلية من الإمامية كالاستاذ الطوسي وغيره منعوها عقلاً، وضعفوا رواية
النقل، وأما غيرهم فيحتج في المنع بالإجماع وهو غير مسلم والقدرة أعظم من
ذلك. والله أعلم.

(١) الزهرة ١٣، الأغاني ٤٦/٩، حماسة الخالدين ٢٢٩/٢، الحماسة البصرية، ديوانه ٤٤٧.

(٢) سورة النمل: الآية ٨٣.

أبو المستهل، الكميت بن زيد بن حُبَيْش^(١) بن مُجَالِد بن وهب^(٢) بن عمر^(٣) بن سبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد الأسدي، الشاعر المشهور^(*).

شاعر سبق في القريض والبيت، ولا عجب إذا سبق في الحلبة الكميت، مفلق في نظامه متعب، مشرق الألفاظ في المعاني معرب، طويل النفس، كمّ الجرم مجاربه فما نبس، وحسبك أن كلماته هزمت دولة مشجرة القنا، وربّ قلم فضح الخطيّة خطّه في الغنا، وكان عالماً بالأنساب، وبما طوت من المحاسن والمساوي صحف الأحقاب، لساناً غضباً لعدنان، وبلاء منصباً على قحطان.

ورأيت في بعض الكتب: إن الكميت قصد جماعة من الطالبين بالمدينة أيام الوليد بن يزيد منهم الإمام جعفر الصادق فأجازه وأحسن إليه، وقال: يا بن رسول الله إني أدين الله بحبكم، وإن لم أطق نصركم بسيفي فلساني ينصركم، وسوف أنقض الحلف الذي بين النزارية واليمانية فيكون ذلك عوناً لكم، فنظم قصيدته النونية يهجو بها قبائل اليمن، فكانت سبب نقض الحلف وثارَت إلاحن بهم حتى ظهر أبو مسلم صاحب الدعوة فاتبعه أكثر اليمانية عصبية وتفاقم أمر مروان حتى قضى الله ما كان.

وكان الكميت من كبار شيعة بني هاشم^(٤).

(*) ترجمته في: الاغانى ٣/١٧ - ٤٤، الشعر والشعراء ٤٨٥/٢، البيان والتبيين ٤٥/١ - ٤٦، معجم الشعراء للأيوبي ٣٥١، معجم الشعراء للمرزباني ٤٨٩، خزائن الأدب ١٤٤/١، ٣١٥/٤، زيدان ٢٧٣/١ - ٢٧٤، بروكلمان ٢٤٢/١، منهج المقال ٢٦٩، نهاية الأرب ٧٢/٣، الغدير ١٨٠/٢، أخبار شعراء الشيعة ٦٥ - ٧٤، سمط اللآلي ١١، الموشح ١٩١ - ١٩٨، الطليعة - خ - ترجمة رقم ٢٢٩ أعيان الشيعة ١٥٨/٤٣ - ١٥٩، أدب الطف ١٨١/١ - ١٩١، الاعلام ط ٢٣٣/٥/٤. جمعت مدائحه في آل البيت في ديوان «الهاشميات» ط بمصر، بشرح محمود محمد الرافعي، كما حقق شعره د. داود سلوم في شعر الكميت بن زيد بثلاثة أجزاء، ط بالنجف ١٩٦٩م.

(١) في الاغانى: «حُبَيْش».

(٢) في الاغانى: «وُهَيْب».

(٣) في الاغانى: «عمر».

(٤) الاغانى ٢٩/١٧.

وقال إبراهيم بن سعيد الأسدي: سمعت أبي يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: من أيّ الناس أنت؟ قلت: من العرب، قال: أعلم، فمن أيّ العرب أنت؟ قلت: من بني أسد، قال من أسد بن خزيمه؟ قلت: نعم، قال: أهلا لي أنت؟ قلت: نعم، قال: تعرف الكميت بن زيد؟ قلت: يا رسول الله عمي ومن قبيلتي، قال: تحفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، قال أنشدني:

ظَرَبْتُ وَمَا شَوْقاً إِلَى الْبَيْضِ أَظْرَبُ وَلَا لِعِبَابِ مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ
فأنشدته حتى بلغت إلى قوله:

وَمَا لِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْعَةً وَمَالِي إِلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبُ

فقال: إذا أصبحت فأقرأه مني السلام، وقل له قد غفر الله لك بهذا النظام^(١).

وقال نصر بن مزاحم: رأيت رسول الله ﷺ في منامي وبين يديه رجل ينشده «من لقلب متيم مستهام» فسألت عنه فقيل لي هذا الكميت بن زيد.

قلت: هذا من أول إحدى هاشمياته المشهورات.

وعن محمد بن سهل صاحب الكميت قال: دخلت مع الكميت على أبي عبد الله جعفر الصادق في أيام التشريق، فقلت له: جعلت فداك ألا أنشدتك، قال إنها أيام عظام، قلت: إنما فيكم، قال: هات، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب فأنشده فأكثر البكاء حتى بلغ إلى هذا البيت:

يَصِيبُ بِهِ الرَّامُونَ عَنْ قَوْسٍ غَيْرِهِمْ فَيَا آخِرَ أَسْدَى لَه الْغَيِّ أَوْلُ
فرفع أبو عبد الله يديه، فقال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْكَمَيْتِ مَا قَدَّمَ وَمَا آخَرَ وَمَا أَسْرَ وَمَا أَعْلَنَ وَاعْطِهِ حَتَّى يَرْضَى.

وقال صاعد مولى الكميت: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام فأنشده الكميت قصيدته التي أولها:

«مَنْ لِقَلْبٍ مَسْتَيْمٍ مَشْتَمٍ»^(٢)

(١) الاغاني ٣٠/١٧.

(٢) في الهاشميات: «... متيم مستهام» وهو الصواب.

فقال: اللهم اغفر للكميت، اللهم اغفر للكميت.

قال: ودخل عليه يوماً فأعطاه ألف دينار وكسوة، فقال له الكميت: والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يده، ولكنني أحببتكم للآخرة، فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأقبلها لبركتها، وأما المال فلا أقبله فردّه وقبل الثياب.

قال: ودخلنا على فاطمة بنت الحسين عليها السلام فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقدح فيه سويق فحرّكته بيدها، وسقته الكميت فشربه، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب فهملت عيناه، وقال: لا والله لا أقبلها إنني لم أحبكم للدنيا.

وكان خالد بن عبد الله القسري أمير العراق قد أنشد قصيدة الكميت التي يهجو فيها اليمن وأولها:

ألا حيت عتاً يا مدينا نحيتها وإن شطت علينا

فقال: فعلها والله لأقتلنه، ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيرهن نهاية في حسن الوجوه والكمال والأدب، ورواهن الهاشميات ودسهن مع نخاس إلى هشام فاشتراهن جميعاً، فلما أنس بهن واستنطقهن، رأى فصاحة وأدباً فاستقرأهن القرآن فقرأن، واشتتشدهن الشعر فأنشدنه قصائد الكميت، الهاشميات، فقال: ويلكن من قائل هذا الشعر؟ قلن: الكميت بن زيد قال: وفي أي البلاد هو؟ قلن: في الكوفة، فبعث إلى خالد أن أرسل إليّ برأس الكميت، فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره، فأخذ وحبس وكان أبان بن الوليد عاملاً على واسط والكميت صديقه فبعث إليه بغلامه على بغل وقال له: أنت حرّ إن لقيته والبغل لك، وكتب إليه:

أما بعد فإنه بلغني ما صرت إليه من القتل إلا أن يدفع الله عزّ وجلّ، وأرى لك أن تبعث إليّ زوجتك، وكانت ممن يتشيع فإذا دخلت إليك تنقبت بنقابها، ولبست ثيابها وخرجت، فاني أرجو أن لا يؤبه لك، فركب البغل وسار بقيّة يومه، وليته من واسط إلى الكوفة فصبحها فدخل الحبس متنكراً، وأخبر الكميت

فبعث إلى امرأته فقصص عليها القصة، وقال: يا ابنة عم، إن الوالي لا يقدم إليك ولا يسلمك قومك ولو خفت عليك لما عرضتكَ، فألبسته ثيابها ونقابها وخمرتة، وقالت له: أقبل وأدبر ففعل، فقالت: ما أنكر منك شيئاً إلاً يبساً في كتفك، فأخرج علي اسم الله، وأخرجت معه جاريتين لها، فخرج وعلى باب السجن أبو الوضاح بن حبيب بن بديل ومعه فتیان من أسد فلم يؤبه له، ومضى الفتیان معه إلى سكة شبيب فمرَّ بمجلس من مجالس قبيلة منهم فقال بعضهم: رجل ورب الكعبة، وأمر غلامه فاتبعه فصاح به أبو العباس: ويلك ألا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم، وأومى إليه بنعله فمر العبد مديراً وأدخله أبو الوضاح منزله، ولما طال الأمر على السجان نادى بالكميت، فلم يجبه فدخل ليعرف خبره فصاحت به المرأة وراك لا أم لك فشق ثوبه ومضى صارخاً إلى باب خالد وأخبره بالخبر، فأحضر زوجته فقال لها: يا عدوة الله احتلت علي أمير المؤمنين فأخرجت عدوة لأنك لن بك ولأصنعن، فاجتمع بنو أسد إليه، وقالوا: ما سبيلك علي امرأة منا خدعت، فخافهم، وأقام الكميت مدة مختفياً حتى خفت الطلب عليه، فخرج ليلاً في جماعة من أصحابه فأخذ الطريق على القطقطانية^(١)، وكان عالماً بالنجوم مهتدياً بها فلما كان السحر صاح بنا هوموا يا فتیان فهو منا، فقام فصلّي، قال ابنه المستهل: فرأيت شخصاً مقبلاً فارتبت به وأعلمته، فقال: هذا ذئب قد جاء يستطعمكم فأطعموه، فجاء الذئب فربض ناحية فأطعمناه يد جزور، فتعرقها ثم اهوينا إليه بأناء فيه ماء فشربه، وارتحلنا فجعل الذئب يعوي، فقال الكميت: ماله ويله ألم نطعمه ونسقيه؟ وما أعلمني ما يريد، هو يعلمنا إنا لسنا على الطريق فتيامنوا يا فتیان، فتيامنا، فسكن عواؤه، فلم نزل نسير حتى جئنا الشام فتواری في بني أسد وبني تميم، وأرسل إلى أشراف قريش وكان سيدهم يومئذ عنبة بن سعد بن العاص، فمشى بعضهم إلى بعض وأتوا إلى عنبة، فقالوا: يا أبا خالد هذه مكرمة أتاك الله بها، هذا الكميت بن زيد لسان مضر كان أمير المؤمنين كتب في قتله فجاء حتى تخلص إليك وإلينا، قال: مروه أن يتعوذ بقبر معاوية بن هشام

(١) صوابها «القطقطانة» هو موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف، به كان سجن النعمان بن المنذر، وقيل: القطقطانة بالطف بينها وبين الرهيمة مغرباً نيفاً وعشرون ميلاً إذا خرجت من القادسية تريد الشام الفيوم ومنه إلى قصر مقاتل ثم القرينات ثم السماوة، ومن أراد خرج من القطقطانة إلى عين التمر ثم ينحط حتى يقرب من الفيوم إلى هيت. «معجم البلدان ٤/٣٧٤».

بدير حنيناً^(١) فمضى الكمييت فضرب فسطاطه^(٢) عند قبره، ومضى عنيسة فأتى مسلمة بن هشام فقال: يا أبا شاعر مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها، فإن علمت إنك تفي بها وإلا كتمتها، قال: وما هي؟ فأخبره الخبر. وقال: إنه قد مدحك عامة وأباك خاصة بما لم يسمع بمثله، فقال: عليّ خلاصه، فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه في غير وقت دخول، فقال له هشام: أجنث لحاجة؟ قال: نعم، قال: هي مقضية إلا أن يكون الكمييت، فقال: ما أحب أن تستني في حاجتي، وما أنا والكمييت؟ فقالت أمّة والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت، قال: قد قضيتها لو أحاطت بما بين قطريها، قال: هو الكمييت يا أمير المؤمنين، وهو آمن بأمان الله وأماني، وهو شاعر مضر، وقد قال فينا قولاً لم يُقل مثله، فقال: قد أمنتته وأجريت أمانك كما تحب، قال: إجلس له مجلساً ينشدك ما قال فينا، فقعد له وعنده الأبرش الكلبي فتكلّم بخطبة ما سمع بمثله قط وامتدحه بقصيدته الرائية، وقيل إنه قالها إرتجالاً^(٣):

فَالآن صِرْتُ إِلَى أُمِّيِّ
كَمْ قَالَ قَائِلِكُمْ لِعَمَّا
وَعَفَرْتُمْ لَذَوِي الذَّنْوِ
أَبْنِي أُمِّيَّة أَنْتُمْ
أَنْتُمْ مَعَادِنٌ لِلْخَلَا
بِالتَّسْعَةِ الْمُتَتَابِعِينَ
يَا أَبْنَ الْعُقَائِلِ لَلْعَقَا
مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَالْأَكَا
وَحَلَلْتَ مُغْتَلَجَ الْبِطَا

ةَ وَالْأُمُورُ إِلَى مَصَائِرُ
عِنْدَ عَشْرَتِهِ لِعَائِرُ
بِ مِنْ الْأَكَابِرِ وَالْأَصَاغِرُ
أَهْلُ الْوَسَائِلِ وَالْأَوَاصِرُ
فَتَ كَابِرًا مِنْ بَعْدِ كَابِرُ
خَلَائِفًا وَيَخِيرُ عَاشِرُ^(٤)
ئِلِ وَالْجَحَا جِحَّةِ الْأَكَابِرُ^(٥)
بِرِ مِنْ أُمِّيَّةَ فَالْأَكَابِرُ
حَ وَحَلَّ غَيْرَكَ بِالظَّوَاهِرُ^(٦)

(١) دير حنيناً: من أعمال دمشق، وقال نصر: حنيناً من قرى قنسرين «معجم البلدان ٢/٣١٢».

(٢) الفسطاط: بيت من شعر والجمع فساطيط.

(٣) أنظر القصة في الاغاني ٦/١٧ - ١٠.

(٤) الأبيات ٢ - ٦ لم ترد في الاغاني ١٧/١٠.

(٥) الجحاجة: جمع جحجاج، وهو السيد العظيم.

(٦) الظواهر: أشرف الأرض. يقال هاجت ظهور الأرض وذلك ما ارتفع منها. وظاهرة كل شيء أعلاه (اللسان/ مادة ظهر ج ٤ ص ٥٢٤).

فقال هشام بعد مراجعة طويلة حذفها للاختصار: إيه أنت القائل:

فَقُلْ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ حَيْثُ حَلُّوا وَإِنْ خِفْتَ الْمُهَنْدَ وَالْقَطِيعَا^(١)
أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَشْبَعْتَمُوهُ وَأَشْبَعَ مَنْ بَجَّوْرَكُمُ أَجِيعَا

قال: إن رأيت أن تمحو قولي الكاذب، قال: بماذا؟ قال: بقولي الصادق:

أورثته الحَصَانُ أم هِشَامِ حَسَباً ثاقِباً ووجهاً نَضِيراً
وتعاطى به ابنُ عائِثَةَ البَدِ رَ فأمسى له رَقِيباً نَطِيراً
وكساه أبو الخلائف مَرَوَا ن سَنِيَّ المَكَارِمِ المَأْثُورَا
لم تَجْهَمْ لَهُ البِطَاحُ وَلَكِنْ وَجَدْتَهُ لَهُ مَغَارَاً وَدُورَا^(٢)

وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً والتفت إلي سالم بن عبد الله بن عمر فقال: هكذا والله فليكن الشعر، قد رضيت عنك يا كميته، فقبل يده وقال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تزيدني شرفاً بأن لا تجعل لخالد عليّ أمانة فافعل، قال: قد فعلت وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هشامية، وكتب إلي خالد برفع الاعتراض عليه وأن يعطيه ثلاثين ألفاً، وعشرين ثوباً، وقال حبيش بن الكميته: وفد أبي علي يزيد بن عبد الملك وقد اشترت له سلامة القس فأدخلت إليه والكميته حاضر، فقال: يا أبا المستهل هذه جارية أفترى أن أبتاعها؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين وما أرى أن لها مثلاً في الدنيا، قال: فصفها لي في شعرك حتى أقبل رأيك، فقال:

هي شمسُ النهار في الحُسنِ إلَا أَنهَا فَضَّلْتَ بحسنِ الظُّرَافِ
غَضَّةٌ بَضَّةٌ رَخِيمٌ لَعُوبٌ وَغَنَّةٌ المِتنِ رَخِصَةُ الأعطَافِ
زانها دَلُّهَا وَتَغَرُّنَقِي وحدثٌ مُرْتَلٌ غَيْرُ جَافِي
خُلِقَتْ فَوْقَ مُنْيَةِ المُتَمَنِّي فأقبل النَّصَحَ با ابنِ عَبدِ مَنَافِ

(١) القطيع: السوط يقطع من جلد سير ويعمل منه، وقال الأزهري: سمي السوط قطعاً لأنهم يأخذون القد المحرم فيقطعونه أربعة سيور. ثم يفتلونه ويلوونه ويتركونه حتى يبس فيقوم قياماً كأنه عصا، سمي قطعاً لأنه يقطع أربع طاقات ثم يلوى. (اللسان/ مادة قطع ج ٨ ص ٢٨٢).

(٢) الأغاني ١٦/١٧ - ١٧.

فضحك يزيد وقال: قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل وأمر له بجائزة سنية^(١).

وعن محمد بن سلمة كان مبلغ شعر الكميت حين مات خمسة آلاف بيت ومئتان وتسعة وثمانون بيتاً.

وقال أبو الفرج: ولما قدم الكميت الكوفة بعد أن مات هشام تحدث الناس بعزل خالد القسري عن الكوفة فمرّ يوماً والكميت واقف فلما جازه قال الكميت: أراها وإن كانت تسخ فإنها سحابة صيف عن قليل تقشع فسمعه خالد فقال: والله لا تقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد، وأمر به فضرب مائة سوط.

وأول ما قال الكميت من الشعر «الهاشميات» فسترها، ثم أتى الفرزدق فقال له: يا أبا فراس أنت شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي، وقد نفث على لساني فقلت شعراً، وأحببت أن أعرضه عليك فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره، وكنت أولى من ستره عليّ، فقال الفرزدق: أما عقلك فحسن، وأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشده:

«طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب».

قال: فإلى من تطرب يا [ابن] أخي؟ فقال:

«ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب».

قال: بلى، فالعب يا بن أخي فإنك في أوان اللعب، فقال:

ولم تلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب

قال: فما يطربك يا بن أخي؟ فقال:

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مرّ أغضب

قال: أجل لا تطير، فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يُطلب

(١) الاغاني ١٧/٢٥ - ٢٦.

قال: من هؤلاء ويحك؟ فقال:

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقربُ
فقال: أرحني ويحك من هؤلاء؟ فقال:

بني هاشم رهط النبي فإنهم خففت لهم مني جناح مودة
وكننت لهم من هؤلاء وهؤلاء وأرمت وأرمت بالعداوة أهلها
فمالي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مشعب الحق مشعبُ
بهم ولهم أرضى مراراً وأغضبُ إلى كنف عطفاه أهل ومرحبُ
مجنأ على أني أذم وأغضبُ وإني لأوذى فيهم وأؤنبُ
ومالي إلا مشعب الحق مشعبُ

فقال له: يا بن أخي أذغ أذغ، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي^(١).

وولد الكميت أيام مقتل الحسين عليه السلام.

وتوفي سنة ست وعشرين ومائة في خلافة مروان بن محمد.

وقال حجر بن عبد الجبار: إن سبب موته، إن الجعفرية خرجوا على خالد القسري وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم، فخرجوا إلى التبانين ينادون لبيك جعفر، وعرف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر فدهش ولم يعلم ما يقول فزعاً، فقال: أطعموني ماءً فخرج الناس إليهم فأخذوا، فجعل يجمعهم إلى المسجد ويؤخذ قصباً فيطلى بالنفط، ويقال للرجل احتضنه ويضرب حتى يفعل، ثم يحرق فحرقهم جميعاً، فلما عزل خالد وولى يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتل زيد بن علي عليه السلام فأنشده:

خرجت لهم تمشي البطاح ولم تكن كمن حضنه فيه الرياح المشببُ
وما خالد يستطعم الماء فاغراً بعدلك والداعي إلى الموت ينعب^(٢)

(١) الاغاني ٣١/١٧.

(٢) الاغاني ٢٢/١٧.

والجند قيام على رأس يوسف وهم يمانية فغضبوا لخالد فوضعوا أعقاب سيوفهم في بطن الكميت فوجؤه^(١) بها وقالوا: تنشد الأمير ولم تستأذنه، فلم يزل ينزف الدّم حتى مات، رحمه الله تعالى^(٢).

ومن أخبار أحاديث الجبناء ما حكاه ابن قتيبة في عيون الأخبار قال: كان بالبصرة شيخ من بني نهشل بن دارم يقال له عروة بن يزيد^(٣) ويكنى أبا الأغر، ينزل في بني أخت له من الأزدي في سكة بني مازن، فخرج رجالهم إلى ضياعهم في شهر رمضان، وخرج النساء يصلين في مسجدهنّ، فلم يبق في الدار إلا إماءً فدخل كلب يتعسس^(٤) فوجد بيتاً فدخله فالتصق الباب عليه، فسمع بعض الإماء الحركة فظنت أنه لصّ دخل الدار فذهبت إلى الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ألا ما يبتغي اللص عندنا؟ ثم أخذ عصاه حتى وقف بباب البيت وقال: إيه يا فلان^(٥)، أما والله أنني لعارف بك، فهل أنت من لصوص بني مازن، شربت حامضاً خبيثاً حتى إذا دارت في رأسك منّتك نفسك الأمانى وقلت: أطوف دور بني عمرو فالرجال خلوف والنساء يصلين في مسجدهن فأسرقهن! . سوءة لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله لتخرجن أو لأهتفن هتفة مشومة يلتقي فيها الحيان عمرو بن حنظلة ويجيء سعد عدد الحصاء وتسيل عليك الرجال من هنا، وهنا ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود، فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ يلين له، فقال: أخرج: بأبي أنت مستور، والله ما أراك تعرفني ولو عرفتنى لقنعت بقولي واطمأنيت إليّ، أنا - فديتك - أبو الأغر النهشلي، وأنا خال القوم وجلدة بين أعينهم لا يعصونني، ولن تضار الليلة وأنت في ذمتي وعندني فوّصرتان أهداهما إليّ ابن اختي البار الوصول فخذ إحداهما فانبذهما حلالاً من الله ورسوله، وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق، وإذا سكّت أبو الأغر وثب يريد المخرج، فتهاتف أبو الأغر ثم تضاحك، وقال: يا ألام الناس وأوضعهم. لا أرى لك منذ الليلة أنت في وادٍ وأنا في وادٍ، فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء

(١) في الاغاني: «فوجئوه» والوجء: اللّكز، ووجاء باليد والسكين، وجأ: ضربه اللسان: مادة وجأ ١٩٠/١.

(٢) الاغاني ١٧/٢٢ - ٢٣.

(٣) في عيون الأخبار: «مرئد».

(٤) في عيون الاخبار: «يتعسس».

(٥) في عيون الاخبار: «يا ملامان».

فقلت: أعرابي، والله ما أرى في البيت شيئاً فدفعت الباب فخرج الكلب شاردًا وحاد عنه، أبو الأغر ساقطاً على قفاه، شائلة رجلاه وقال: تالله ما رأيت كالليلة، ما أراه إلا كلباً ولو علمت بحاله لولجت عليه^(١).

وقال ابن نوفل يهجو خالد القسري^(٢) لما دهش في المنبر وقيل إنه بال عليه:

أخالد لا جزاك الله خيراً وأيراً في حرّ أمك من أمير
تروم الفخر في أعراب قيس كأنك من سراة بني جرير
وأمك علجة وأبوك وغد وما الأذنب عدل للصدور
لأعلاج يمانية وشيخ كبير السنّ ليس بذئير
صرخت من المخافة أطعموني تراباً ثم بليت على السرير

وقال آخر وصرح بالمنبر:

بلّ المنابر من خوفٍ ومن دهشٍ واستطعم الماء لما جدّ في الهربِ

وقال المستهل: حضرت أبي عند الموت وهو يجود بنفسه فاغمي عليه ثم أفاق ففتح عينيه، فقال: اللهم آل محمد ثلاثاً يكرر ذلك، ثم دفن بمكران موضع بالكوفة صار بعد مقبرة بني أسد ومنع أن يدفن بظهر الكوفة، وقال: بلغني أنه يحفر بظهرها خندق ينبش فيه الموتى ويخرجون^(٣).

وولده المستهل^(٤) المذكور شاعر فصيح، ذكر الأصفهاني: أنه دخل على

(١) عيون الاخبار ١/١٦٧ - ١٦٨.

(٢) عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم: صحابي. من القضاة ولد على عهد النبي ﷺ واستقضى مروان ابن الحكم بالمدينة (سنة ٤٢هـ) فكان أبو هريرة يقول: هذا أول قاض رأيناه في الاسلام توفي سنة ٨٤هـ.

ترجمته في: ذيل المذيل ٨٨ والاصابة، ت ٤٩٩٤ وهو في المحبر ٤٦ من المشبهين بالنبي ﷺ، الاعلام ط ١٤٢/٤/٤.

(٣) الاغاني ١٧/٤٣.

(٤) المستهل بن الكميث بن زيد الأسدي: شاعر. من أهل الكوفة، وفد على أبي العباس السفاح بالأنبار، فأخذته الحرس وحبسوه، فكتب إلى أبي العباس شعراً فأطلقه وأحسن جائزته. ووفد بعد ذلك على المنصور وله معه حديث، توفي نحو سنة ١٥٠هـ.

ترجمته في: المرزباني ٤٧٩ والاغاني ط ليدن ١٥: ١١٧ و ١١٨ و ١٢٢، الاعلام ط ٢١٤/٧/٤.

عبد الصمد بن علي العباسي^(١) أمير البصرة فقال له: من أنت؟ فأخبره، فقال: لا
حياتك الله ولا حياتك أباك هو الذي يقول:

فالأآن صرثُ إلى أمي —————
ة والأموور إلى مصائيرُ

قال: فأطرقت إستحياءً، فقال: إرفع رأسك فلكن قال ذلك لقد قال:

بخاتمكم كرهاً تجوز أمرهم فلم أرَ غصباً مثله حين يُغصبُ

قال: فسلى ما كان بي، وحادثني ساعة، وقال: ما يعجبك من النساء؟ فقلت:

غراء تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا وَتَغِيْبُ فِيهِ وَهُوَ وَحْفٌ أَشْحَمُ
فكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ

فقال: يا بني هذه لا تصاب إلا في الفردوس، وأمر له بجائزة^(٢).

قال الشريف أبو القاسم المرتضى: إن الكميت كان إمامياً ولم يخرج مع
الإمام زيد بن علي عليه السلام وندم بعده وقال أبياتاً.



والجعفرية جماعة غلّوا^(٣) في الإمام جعفر الصادق.

والكميت اسم مرتجل وهو في الأصل اسم للفرس الذي ليس بقاني الحمرة
بشرط سواد عرفه، واسم للخمر. والله أعلم.

(١) عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير عباسي هاشمي (٦١٤ - ٦٨٦هـ). وهو عم
المنصور. كان عامله على مكة والطائف، سنة ١٤٧هـ. ثم ولي المدينة. وعزله عنها المهدي،
سنة ١٥٩هـ، وولاه الجزيرة سنة ١٦٢هـ. ثم عزله سنة ١٦٣هـ وحبسه إلى سنة ١٦٦هـ وأخرجه وولاه
دمشق، ثم عزله. وعمي في آخر عمره. وهو ابن «كثيرة» التي كان ابن قيس الرقيات يشبب بها
في شعره، ويقول:

«عاد له من كثيرة الطربُ فعيّنه بالدموع تنسكبُ»

وكان في الجانب الشرقي من بغداد «شارع عبد الصمد» ينسب إليه.

ترجمته في: وفيات الاعيان ٣/١٩٥ - ١٩٦ والموشح للمرزباني ٣٤٦ وبنية الأمل ٤: ١٠٩
وسمط اللآلي ٣٢٥ وفيه أن «ابني المعذل» عبد الصمد - هذا - وأحمد. شاعران، وعبد الصمد
أشعر، وأحمد فقيه مالكي له كتاب سماه «كتاب العلة» ينصر فيه مذهب مالك. وقيل: كان أحمد
معتزلياً، ويكنى أبا الفضل، الاعلام ط ٤/٤/١١.

(٢) الاغاني ١٧/٢٤.

(٣) أي تابعوا وانتهجوا، وليس الغلو المنهَى عنه.

فهرس موضوعات الجزء الثاني

- ٥٥ - الحسين بن علي بن محمد، أبو إسماعيل الطغرائي ٥
- ٥٦ - الحسين بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله بن الحجاج ١٣
- ٥٧ - الحسين بن علي بن الحسين، الوزير المغربي ٢٥
- ٥٨ - الحسين بن علي بن الحسن، ابن شد قم ٣٤
- ٥٩ - الحسين بن علي، الخياط الصنعاني ٣٧
- ٦٠ - الحسين بن عبد القادر بن ناصر، الحسيني الكوكباني ٤٣
- ٦١ - الحسين بن علي بن المتوكل، الحسيني اليمني ٥٢
- ٦٢ - الحسين بن محمد بن شعبان، المحسن الحسيني ٥٧
- ٦٣ - الحسين بن المطهر بن محمد، الجرموزي ٥٩
- ٦٤ - الحسين بن عبد الصمد، العاملي الشامي ٦٣
- ٦٥ - الحسين بن علي، الصنعاني الوادي ٧١
- ٦٦ - حيدر أغا بن محمد، أبو محمد الرومي ٧٥

«حرف الدال»

- ٦٧ - داود بن سلم، أبو سليمان التيمي الشاعر ٨٧
- ٦٨ - ديبس بن سيف الدولة، أبو الأغرّ الأسدي الناشري ٩٤
- ٦٩ - درويش بن محمد، أبو المعالي الشامي مفتي دمشق ٩٧
- ٧٠ - دعبل بن علي، الخزاعي البغدادي ١٠٥

«حرف الذال»

٧١ - ذو القرنين بن ناصر الدولة، أبو المطاع وجيه الدولة ١٢١

«حرف الراء»:

٧٢ - راجح بن إسماعيل بن أبي الهيثم، شرف الدين الشاعر ١٢٩

٧٣ - الرباب بنت إمريء القيس، زوج الأمام الحسين عليه السلام ١٣٣

«حرف الزاي»

٧٤ - زيد بن يحيى بن الحسن، أبو المعالي الحسنى الصنعاني ١٤٣

٧٥ - زيد بن الحسن بن الأمام المنصور بالله، ضياء الدين الحسنى

الصنعاني ١٥٤

٧٦ - زيد بن الحسين بن زيد، أبو اليمن الكندي تاج الدين ١٦٢

٧٧ - زيد بن صالح بن أبي الرجال، الفقيه القاضي ١٦٨

٧٨ - زيد بن الإمام السجاد عليه السلام ١٧٦

٧٩ - زينب بنت محمد بن أحمد، الحسنى اليمنية ١٨٨

«حرف السين»

٨٠ - سديف بن ميمون، مولى الأمام السجاد عليه السلام ١٩٧

٨١ - السرى بن أحمد بن السرى، أبو الحسن الرِّفاء الموصلى ٢٠٣

٨٢ - سعيد بن محمد، الفقيه أبو محمد السمحى الصنعاني ٢١٠

«حرف الشين»

٨٣ - شعبة بن الغريض بن عاديا، أبو الغريض الهارونى الحجازى ٢١٧

٨٤ - شريح بن الحارث بن قيس، أبو أمية القاضي المعروف ٢٢٣

٨٥ - شعبان بن سليم بن عثمان، الصنعاني الرومى ٢٢٨

«حرف الضاد»

- ٢٣٨ الضحاک بن قيس بن معاوية، أبو بحر الأحنف
 ٢٤٨ خاتمة الجزء الأول من تجزئة المؤلف

«حرف الظاء»

- ٢٥١ ٨٧ - طلائع بن رزیک، الملك الصالح أبو الغارات

«حرف الظاء»

- ٢٦٩ ٨٨ - ظافر بن القاسم بن منصور، ابن الحداد الا سكندري
 ٢٧٦ ٨٩ - ظالم بن عمرو بن سُفيان، أبو الأسود الدؤلي

«حرف العين»

- ٢٨٧ ٩٠ - عامر بن واثلة الكناني، أبو الطفيل
 ٢٩٠ ٩١ - عبد الله بن معاوية بن عبد الله، أبو الحسن الهاشمي الجعفري
 ٢٩٤ ٩٢ - عبد الله بن المتوكل، أبو محمد المرتضى الحسيني اليمني
 ٢٩٨ ٩٣ - عبد الله بن هارون الرشيد، الخليفة المأمون العباسي
 ٣١٢ ٩٤ - عبد الله بن محمد الكاتب، أبو محمد ابن الخازن
 ٣١٧ ٩٥ - عبد الله بن عليّ، فخر الدين ابن الوزير، عبده
 ٣٢٢ ٩٦ - عبد الله بن حمزة بن سليمان: أبو الحسن المنصور بالله الحسيني
 ٣٣٢ ٩٧ - عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، أبو أحمد الأمير البغدادي
 ٣٣٧ ٩٨ - عبيد الله بن أحمد بن معروف، أبو محمد القاضي البغدادي
 ٣٤٠ ٩٩ - عبد الحميد بن هبة الله، ابن أبي الحديد المعتزلي
 ٣٤٥ ١٠٠ - عبد الهادي بن محمد، السودي الصنعاني الصوفي
 ٣٤٨ ١٠١ - عبد العزيز بن سرايا، صفى الدين الحلي
 ٣٥٥ ١٠٢ - عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام، ديك الجن
 ٣٦٠ ١٠٣ - عليّ بن الطاهر، الشريف المرتضى
 ١٠٤ - عليّ بن الحسين بن عليّ، أبو البركات الشريف الحسيني
 ٣٦٥ النيسابوري خوز

- ٣٦٧ علي بن العباس بن جرجيش، ابن الرومي
- ٣٧٥ علي بن الحسين بن محمد، أبو الفرج الأصفهاني
- ٣٨٢ علي بن محمد بن أحمد، القاضي جمال العنسي
- ٣٨٥ علي بن صالح بن محمد، القاضي جمال الدين الصنعاني
- ٣٨٨ علي بن محمد بن منصور، أبو الحسن النديم البغدادي
- ٣٩٤ علي بن محمد بن أبي فهم
- ٤٠٣ أبو الحسن علي بن الامام ابن محمد الديلمي
- ٤٠٦ علي بن عبد الله بن وصيف، الناشء الصغير
- ٤٠٩ علي بن محمد بن عبد العزيز، أبو الفتح التهامي
- ٤١٦ علي بن عبد الله بن أحمد، سيف الدولة الحمداني
- ٤٢١ علي بن المتوكل على الله، أبو الحسين صاحب تعز وجيلة
- ٤٢٤ علي بن إسحاق بن خلف، أبو القاسم الزاهي البغدادي
- ٤٢٦ علي بن أبي سعيد عبد الرحمن، أبو الحسن الصدفي المصري
المنجم
- ٤٢٩ علي بن محمد بن جعفر، الحسيني الكوفي الحماني
- ٤٣١ علي بن عبد الله بن جعفر، أبو الحسن الشريف الجعفري الحجازي
- ٤٣٣ علي بن الحسين بن محمد، جمال الدين الحسيني الصنعاني
- ٤٣٧ علي بن السلطان صلاح الدين، الملك الأفضل نور الدين
- ٤٣٩ علي بن محمد، أبو الحسن الحريري
- ٤٤١ علي بن عبد الله الكندي، الوداعي
- ٤٤٧ علي بن القاضي أبي حنيفة النعمان، أبو الحسن بن حبول
- ٤٥٢ علي بن أحمد بن محمد، جمال الدين الهندي
- ٤٥٦ عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان، الفقيه أبو محمد نجم الدين
المصري
- ٤٦٤ عيسى بن لطف الله بن المطهر، اليمني المنجم الأديب

«حرف الفاء»

- ٤٧١ فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ الزهراء عليها السلام
- ٤٧٧ الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب

٤٨١ ١٣٠ - فناخسرو بن ركن الدولة، أبو شجاع عَضُد الدولة

«حرف القاف»

٤٩١ ١٣١ - القاسم بن الحسن بن المطهر بن محمد، الجرهموزي الصنعاني

٤٩٨ ١٣٢ - القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي، أبو دلف الأمير الكبير

٥١١ ١٣٣ - القاسم بن محمد بن علي، الامام المنصور بالله صاحب اليمن

٥١٨ ١٣٤ - قرواش بن حسام الدولة، الأمير معتمد الدولة أبو المنيع

٥٢٣ ١٣٥ - قيس بن ذريح بن شبة، أبو عمرو

١٣٦ - قيس بن عمرو بن مالك بن حرب، أبو عمرو النجاشي شاعر أمير

٥٢٨ المؤمنين عليه السلام بصفين

«حرف الكاف»

٥٣٧ ١٣٧ - كثير بن عبد الرحمن، أبو صخر الشاعر المشهور

٥٤٥ ١٣٨ - الكميث بن زيد بن حبيش، أبو المستهل الأسدي الشاعر المعروف

٥٥٦ فهرس موضوعات الجزء الثاني: